

الأنتروبولوجيا الدينية "ظاهرة التّصوّف الإسلامي" نشأته ومصادره

د/ ربيع أحمد

جامعة قاصدي مرباح بورقلة (الجزائر)

Résume:

les orientalistes prétendent que les soufismes islamique est né de facteur exogènes. leur tentative abusive de la présenter dans cette marge est erronée puisqu' il tire ses origines coran est de la sunna son cas est similaire a celui des autre science islamique qui sont passées par des cycle différant est chacun reflète sa distinction est sa spécificité sont apparues en sein des écoles chacune un avec sans propre nuances traductionnelle théorique et scientifique du point de vue terminologique.

الملخص :

لقد توهم المستشرقون أن التصوف الإسلامي نشأ من عوامل خارجية وحاولوا في شيء من التعسف أن يقدموه على هذه الصورة ،مع أن التصوف الإسلامي نشأ كغيره من العلوم الإسلامية من القرآن و السنة و ظهرت فيه مدارس انفردت كل مدرسة بلونها الخاص من حيث تعاليمها العملية و النظرية.

الكلمات المفتاحية: المستشرقون / التصوف الإسلامي / عوامل خارجية / العلوم الإسلامية / مدارس خاصة

المقدمة:

إنّ الناظر في تاريخ التصوّف الإسلامي يجده قد تحقّق عملا قبل إطلاق اسم التصوّف عليه، وإنّ تاريخه يرجع إلى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلّم وحياة أصحابه، وما كان في أنفسهم من صفاء وضياء وخير جُبلوا عليه فصاره الإسلام بتعاليمه ومبادئه وقيمه الروحية. عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سماء مكة المكرمة حيث تعكس رمال الصحراء صفاء الشمس المشرقة على النفوس، فتتنفّض عنها غبار كثير من الأوبئة المادية، فكما عاش رسول الله صلى الله عليه وسلّم تحت هذه السماء، عاش الناس من حوله، مع اختلاف بينهم في الأخلاق والصفاء.

لو ألقينا نظرة على من آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلّم عند بدء دعوته، لوجدناهم من طراز عال في كلّ ما ينبغي أن يتحلّى به الإنسان من كمال وحبّ للخير. ولما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان ما جاء به من الهدى مناسباً لنفوسهم السامية وأرواحهم العالية، فأمنوا به وصدقوه واتّخذوه المثل الأعلى، فحسبوا حركاته وسكناته في نومه ويقظته وعبادته ومراقبته لله عزّ وجلّ، ورأوا خلقه ومعاملته وزهده في الدنيا، عاشوا معه كلّ ذلك وتأسّوا به، لأنّ

الإيمان غمر قلوبهم وهو مصدر القيم الروحية جميعها وأساسها وملاك أمرها. إنَّ هذا الإيمان متى ملك القلب، واستقرَّ في النفس يكون أصل الخير والفلاح، ومَعِينِ الرحمة والقوة والعطف، والوفاء والإحسان، والإيثار والتعاون، والصدق، فالإيمان الحق يتبعه صالح العمل، والعمل والعقيدة متلازمان، ولا يذكر الإيمان إلا ويذكر صالح العمل معه، قال تعالى: "وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ" [سورة العصر، الآيات: 1، 2، 3].

لقد كان الإيمان بالله عماد هذا الدين العظيم وحجر الأساس في المنهج الإسلامي، حيث لم يحدّد نبي الإسلام صلى الله عليه وسلّم الإيمان ومظاهره ودلالاته إلا بتأثيره الخلفي في حياة الناس وعلاقات بعضهم ببعض.

إنَّ المرء إذا اقترب من الله بإيمان صاف يصل إلى مرتبة الحب الصوفي لذات الله ساعتها يحبّ الله ويحبّ المحبوب الأعظم في خلقه، فيجعله ذلك الحبّ يحتضن الخلق جميعا. فالإيمان الممتزج بحبّ الله والخلق جميعا سيجعل من قلب المؤمن مصدر إشعاع فياض بالحبّ الأسمى حبّا يشمل الخالق والخلق جميعا. فالصوفي هو السالك طريق مرضاة الله في جميع أحواله، وأخلاقه يجب أن تكون أزكى الأخلاق، بل إن حركاته وسكناته ينبغي أن تقتبس من نور مشكاة النبوة، فلا يحصل تعارض بين قوله وفعله بل يجب أن يتحد القول والفعل، والعلم والعمل، ويتعاقب فيه العقل والوجدان، وبهذا السلوك يحفظ كيان المجتمع ولا ينزل إلى المادية القاتلة. لقد وهم كثير من الناس أن التصوّف قد اندثر وغاب من حياة الناس، ولكنّه ما زال موجودا حيّا لم ينطفأ نوره ولم تخبو جذوته، بل لا يزال يحمل دعوة الإسلام إلى الشعوب التي أنهكتها الحياة المادية وبيعت فيها الحياة من جديد، حياة السموّ الروحي والأخلاق الفاضلة، واقتفاء أثر الصالحين.

وقد رأينا أناسا من أوربا وأمريكا، ليسوا متسولين ولا بسطاء ولا دراويش، قد عرفوا التصوّف بمعناه الحقيقي، وعاشوه سلوكا ورياضة روحية لا علاقة لها بما يحدث في الأضرحة ولا صلة لها بالتدجيل والشعوذة.

إنَّ التصوّف الصحيح إتباع رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وأداء الفرائض، وتوفية الأعمال، وتصفية الأحوال، قال أبو الحسن الشاذلي: "من دعا الله بغير ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلّم فهو بدعي". وهذه الضلالات المنتشرة باسم التصوّف ما هي إلا بدع تبرأ منها أهل التصوف في عصورهم، قال الجنيد: "مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة، الطّرق كلّها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرّسول صلى الله عليه وسلّم"، وقال الشّعراني في كتابه "اليواقيت والجواهر": "كلّ من رمى ميزان الشريعة من يده لحظة هلك".

فعندما ننظر في السلوك الخارجي لأصحاب التصوّف أو للمسلمين عموما، فهل هذا يعبر عن الصّورة الحقيقية للتصوّف؟ وهل يعطينا الدليل القاطع بأنّ ما نشاهده هو المنهج الذي سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلّم؟ وهل يمكن أن يكون السلوك الظاهري هو عين المنهج؟.

عندما نقول هذا هو التصوّف وهؤلاء هم المتصوفة نستطيع أن نقول بعبارة أخرى: القاعدة والتطبيق، فالتصوّف هو القاعدة، والتطبيق هم المتصوفة. وقد يكون التطبيق قريبا من القاعدة أو بعيدا عنها. ونستطيع أن نقول: المتصوفة مثال على القاعدة وليس لهم ما يجعلهم يحتلّون محلّ القاعدة. ولهذا علينا أن نفرّق بين هذين الأمرين في مجال تصدينا لبحث التصوّف ومشكلة ادعاء المتصوفة بالتصوف الحقيقي. علينا أن نفصل بين التصوّف أخلاقا وقيما جاء بها الإسلام وبين تاريخ المتصوفة. فلا ننظّر أن تاريخ أعمال المتصوفة هو التصوّف الإسلامي الذي له المناعة

الذاتية الموهوبة من الله تعالى. فإنّ منهج الله ثابت، والبشر يتعدون أو يقتربون من هذا المنهج، ويخطئون ويصيبون في قواعد التطبيق والسلوك، ولكنّ أخطاءهم لا تحسب على المنهج ولا تتغير قيمه الثابتة. وحين يخطئ البشر في التطبيق والسلوك فإنّ هذا المنهج يصفهم بالخطأ، وحين ينحرفون عنه فإنه يصفهم بالانحراف.

إنّ تاريخ التصوّف هو كل فعل فعله أهل التصوف موافقا للمنهج، أو القاعدة، أو السنة. إنّ التصوّف هو تاريخ التطبيق الحقيقي للإسلام في السلوك والحياة. الإسلام أو التصوف محور ثابت تدور حوله حياة الناس، وبقدر تمسّكهم بهذا المحور وبقدر تطبيق منهجه بقدر ما نستطيع أن نصفهم به.

إنّ ما يحدث أنّنا لا نفرّق بين المنهج والتطبيق وبين المنهج والرّجال. الرّجل ليس منهجا، وإنّما يخضع للمنهج ويسعى لكسبه وتطبيقه. ومهما كان الرّجل، فلا يتجاوز حدّ الرّجال، وليس ممّا يقلّ من قيمة الرّجل أن يخطئ، وليس من شأنه أن لا يخطئ فكلّ ابن آدم خطّاء. ولا يقلّ من قيمته العلميّة كون الرّجل لم يحط بكلّ شيء، ولكن حسبه أن يعطي شيئا مهما كان يسيرا. إنّ تذوق المنهج وحده وتطبيقه هو الذي يستطيع أن يعوّدنا الاحترام للرّجال، وأن يبيّن الحقّ حقّا والرّجل رجلا، لأنّ الحقّ أحقّ أن يتّبع والرّجل يمكن أن يكون محقّا كما يمكن أن يكون مفسدا، ولا يعرف الحقّ بالرّجال. وبعبارة أوضح: يعرف الرّجال بالتصوّف ولا يعرف التصوّف بالرّجال، يعرف التطبيق بالمنهج ولا يعرف المنهج بالتطبيق، ومن الصّواب ربط الرّجال بالحقّ، ومن الخطأ ربط الحقّ بالرّجال. وقد أثبت التاريخ أنّه عندما أصبح الناس يربطون الحقّ بالرّجال ظهرت الصّورة المقلوبة المشوّهة للتصوّف. أي ظهر جانب سلبي وأهمّلت جوانب حتّى صار بعضهم يعلن قائلا: إذا رأيت شيخك متلبّسا بالمعصيّة فعليك، أيها المريد، أن تعتقدها طاعة. وإذا رأيت شيخك واقعا في الخطأ فاتّهم نفسك بالخطأ، واعلم أنّ شيخك مرآة نفسك ترى فيها ذاتك. وبعضهم يقول: الشّرخ منزّه عن الوقوع في المعصيّة لكونه متّصفا بالحفظ والعصمة، والمريد لا يتخلّى عن الرذائل ولا يتحلّى بالفضائل... إلى غير ذلك من الأقوال التي لا تتفق وشرعية الله. هؤلاء هم الذين ربطوا الحقّ بأجسادهم الفانيّة، لا يقبلون بما يحكم الشرع لهم أو عليهم.

إنّ من يدّعي الحفظ والعصمة لنفسه لا يمكن أن يكون من أهل الحق، قال أرسطو: "أنا أحبّ أفلاطون ولكنّي أحبّ الحقّ أكثر"، وهذا بعينه الذي قاله ابن القيم لأستاذه الكبير شيخ الإسلام ابن تيمية، وسأل رجل الإمام علي كرم الله وجهه: "أكان طلحة والزبير على حقّ أو على باطل؟ فأجابه كرم الله وجهه: ويلك يا هذا، لا يعرف الحقّ بالرّجال، اعرف الحقّ تعرف أهله". ما أعظم الرّجال حينما يقيسون أنفسهم بالحق ولا يقيسون الحقّ بأنفسهم.

فالتصوّف الحقّ، عند من عرفه منهجا: انتصار عن النّفس، وغلبة على نزواتها الآثمة وشهواتها العارمة وأهوائها الضالّة، وهي مجاهدة لعدوّ الدّين وخصم العقيدة.

فالإنسان عندما ينتصر على نفسه ويتغلّب على عدوّه، يرفع راية الحق، ويقوم صرح العقيدة، ويزلزل قوّة الخصم، ويعبر الطريق فينطلق على سجيّته يغزو العقول بأفكاره، وينشر في آفاق الدّنيا نور العدل والحقّ والإيمان. إنّ الإسلام مثل ماء نزل من السّماء نقيا صافيا ليس فيه رواسب، يشقّ طريقه في الأرض فيختلط بالأتربة، فلا يصلح للشرب إلا إذا صفّيته وأزلت الشوائب التي علقت به وأرجعته إلى أصله. كذلك التصوّف، لا بدّ من غربلته حتّى لا يبقى فيه إلّا ما شهد له كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلّم.

إذا كان الصوفي متبعاً للكتاب والسنة لا يحيد عنهما، فقيها بالقرآن خبيراً بالسنة، يستتير قلبه، وينشرح صدره، وتصبح حياته معطرة بالروحانية السمحاء، يحارب نفسه بين تحكّم الشهوات وسيطرة الأهواء، ويعلنها توبة تهذب سلوكه وتقيم شواذ النفس، فتصبح نفسه برة نقيّة نقيّة كي ينال من الله الرضا والرضوان. الصوفي ينشد صفاء النفس ونقاءها، ومضاء إرادته، وتهذيب غرائزه، فالصوفي عندما يلتزم بنقوى خالقه تشرق روحه، وتشفّ نفسه، ويفتح قلبه، ويقوى اتّصاله بالملا الأعلى، ويشتدّ قربه من الله إذا شعر بضغفه أمام قوّة خالقه وبعجزه أمام سلطانه، فيخلص الإخلاص كلّ، ويسلم الأمر كلّ.

إن الغاية من التصوف، أن يكون رياضة روحية يتدرّب فيها المتصوفة بصورة عملية على مجاهدة نفوسهم، ومغالبة شهواتهم وأهوائهم، والصبر على هذا ما استطاعوا إليه سبيلاً حيث يتحلّون بالكمالات والفضائل ويتخلّون عن الرذائل. أمّا الليل فصافوا أقدامهم في الصلاة يقرؤون كتاب الله وأمّا النهار فحكماء علماء، أبرار أتقياء لا يرضون من أعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير، قلوبهم من الله وجلّة، ونفوسهم من خشية الله مشفّقة، وأنهم لو فد الآخرة في لباس أهل الدنيا.

إنّ التصوف الحقّ أشبه بملك طهور رحيم يمشي على الأرض، لسانه بذكر الله رطب وفي الدّعوة للخير مجدّ، يده عاملة بكسب المعيشة ونفع الخليفة. له قوة في دين، وإيمان في يقين، وصدق في قول، وإخلاص في عمل، وورع في سلوك، وخشوع في عبادة، وصبر في شدّة، وطلب في حلال، ونشاط في هدى. ميّنة شهوته، مكسوم غيظه، الخير منه مأمول، والشرّ منه مأمون، يعفو عنّ ظلمه، ويعطي من حرمة، ويصل من قطعه.

التصوف الصادق يثير في الشّخص كوامن عواطفه في إنسانية نبيلة، يربّي فيه الإحساس بالآلام الغير فتبرز فيه جوانب الخير وتقوى دواعيه، وتتضاءل نوازع الشرّ وتختفي عواذيه، وتتلاشى من نفسه عوامل البخل وتزول الأثرة والأنانية، فتصبح نفسه مليئة بالخير، فتمتدّ يده إلى أخيه تمسح عليه وتواسيه، تكفّف دموع المنكوب، تنفّج من قلبه ينباع الرّحمة والحنان، تجري بالعطف والبرّ والإحسان، تحي الأموات وتنبت النبات وتروي نفوساً متعطّشات. إذا تمكّن هذا المعنى الكبير في قلب الإنسان، بسط يديه بعطاء من لا يخشى من ذي العرش إقلالا، عندئذ يكسوه الله بثوب الرّضى.

يرتبط الصّوفي بخاتم الأنبياء ارتباط حبّ وإيمان وولاء، يملّيه العقل المستتير والعاطفة الصّدوق، ثمّ يتابع الصّوفي مراحل التلقّي والترقيّ وهو بمنجاة من قطاع الطّرق. إن مغالبات القلوب ومستعصي الأفتدة تنفتح وتشرح في سهولة ويسر كلّما لمست أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلّم. إنّ هذه الأخلاق هي التي يخاطب به الصّوفي من لم يعرف الله بعد، فهو لا يدخل إليه من باب المنطق والحجاج لأنّه يجد أحكاماً تتعقّد، وكثيراً ما ينتهي اللّقاء بدون نتيجة. أمّا إذا اتّصف بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وانعكست عليه تلك الأخلاق معاملة في النّاس، فإنّ القلوب تلين بذكر الله.

هذا منهج أدخل الكثيرين في الإيمان. إنّ الدّخول على القلوب من هذا الطّريق، له أثره أكثر من المنهج العقلي، فتتظّر النّاس إليهم بعين الحبّ والتّقدير والاحترام. إنّ التصوف الإسلامي الحقيقي هو حيويّة زاخرة في روحانيّة باهرة، وإنسانيّة في واقعيّة عاملة لا تعرف الجمود ولا الجحود، تؤمن بالمحراب ولا تهمل المصنع والمذجر، حياته الدنيويّة كأنك تعيش أبداً والأخرويّة كأنك تموت غداً. ليس في شريعة الإسلام انقطاع عن الحياة وحرمان من طيّباتها البريئة، قال تعالى: "قُلْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ". [سورة الأعراف، الآية 32].

إنَّ الصَّوْفِيَّ يَتَقَرَّبُ إِلَى رَبِّهِ بِمَا افْتَرَضَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَزِيدُ قَرِيبًا بِنُؤَافِلِهِ، وَيُوجِبُهُ صَعَابُ الْحَيَاةِ بِقَرْبِهِ مِنْ اللَّهِ لَا بَعْدَهُ عَنْهُ، بِالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ بِمَا أَوْجِبَ عَلَيْهِ لَا بِالْفِرَارِ مِنْ وَاجِبَاتِهِ. يَرْتَقِي بِنَفْسِهِ إِلَى الْخَيْرِ الْعَامِّ وَيَنْتَشِلُهَا مِنَ السَّقَاسِفِ وَالْأَوْهَامِ، وَيَحْمِلُ إِلَى الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ لَوَاءَ الْفَضِيلَةِ، وَيَنْشُرُ قَوَاعِدَ الْعِلْمِ وَالْعُرْفَانِ، يَقْبَلُ وَلَا يَدْبِرُ، لَا يَدْرِكُهُ مَلَلٌ، وَلَا يَعْتَرِيهِ يَأْسٌ. إِنَّ شَخْصِيَّةَ الصَّوْفِيِّ لَا تَتَأَكَّدُ وَلَا تَتَوَطَّدُ دُونَ أَخْلَاقٍ. إِنَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ هِيَ صِمَامُ الْحَيَاةِ الْفَاضِلَةِ، وَشِعَارُ حَيَاةِ الشَّرَفَاءِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّمَا بَعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ".

والتصوف ليس خمولا ولا تواكلا. إن الإسلام يلحّ على أتباعه أن يجعلوا العمل قاعدة حياتهم الاجتماعية، وأن يعتزوا به ولا يفرطوا فيه. لقد اعتبر الإسلام تارك العمل المتعطل أقلّ شأنًا ممن يعوله وينفق عليه، وجعل أطيّب الكسب ما كان من عمل الرّجل بيديه، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليد العليا المعطية خيرا من اليد السفلى الآخذة، وبذلك قضى على المتعطلين والمتسولين باسم الدين. إن الصوفي إذا تنازعت فيه النوازع الأرضية والنّداءات السّمّائية، فعليه أن يؤثر الجانب الأسمى والأبقى. إن التصوّف انقطاع عن الباطل وانتفاء للحق، إنه ابتعاد عن المنكرات وفعل للخيرات، إنه ترك للمعاصي وانهماك في الطاعات، وأخذ بالأسباب من غير اعتماد عليها، إنه فرار إلى الله، به يعبر الصوفي عن حبه لله وشوقه إليه، فهو أحبّ إليه من نفسه وأهله وولده والناس أجمعين. كلّ ذلك حبّا في الله وطمعا في قربهِ، كلّ ذلك يحقق له سعادة روحية يستغني بها عن جميع الشّروط الماديّة التي يتوهم النّاس أنّها سبب سعادتهم. سعادة المرء تتبع من داخله لا مما يحيط به نفسه، لأن الدنيا كلّها لا يمكنها أن تسعده بعيدا عن الله، فينطلق لسانه بشكل عفويّ: ماذا فقد من وجدك، وماذا وجد من فقدك. إن الصّوفي يشعر بمشاعر مقدّسة: إنه يشعر أنّه يطوف حول محبوبه، لأنّه نحر شهوته التي حجبته عن ربّه، إنّهُ يعادي الشيطان معادّة أبدية.

1 — اسم الصوفية: اشتقاقه ومعناه.

1 — 2 — اشتقاقه: لم تكن كلمة "تصوّف" شائعة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أهل هذا الطريق يطلق عليهم أسماء دلّت عليها أحوالهم مثل: عبّاد، وزهّاد، وفقراء، ومتوكّلين، وسيّاحين، وورعين. والذي يتأمل في معنى التصوّف يلاحظ أن اللفظ استخدم أول الأمر للعبارة عن الكمال الديني بالتمسك بالشرع والزّهد في الدّنيا حينما أخذ النّاس في مخالطة زخارف الدّنيا وكاد يطغى حبّ المال على ما غرسه الدين في النفوس من ورع. فكان الصّوفي مخالف لعامة الناس بورعه وزهده وفقره، لا يرضى ما يرضى به الفقيه من تطبيق أحكام الشّرع، بل يزيد على ذلك صفاء وحسن الخلق. فأصبح الكمال الديني الذي يعبر عنه المتصوّف شيئا وراء ما يدعو إليه الفقيه، ويصرف إليه جهده صفاء القلب وتأثره بالعبادة. ولما ظهر البحث في العقائد والتماس الإيمان من طريق النّظر العقلي، توجّهت هم المسلمين إلى طلب المعرفة بأساليب المتكلّمين. أصبح الكمال الديني عند الصّوفي التماس الإيمان والمعرفة على طريق التّصفية والمكاشفة، وشاعت بعد ذلك أقوال الفلاسفة والمتكلّمين في الصّانع وصدور الموجودات عنه، فتكلّم الصّوفية في كلّ ذلك على طريقتهم ومنهجهم الذي لا يعتمد على نظر ولا على نصّ إلّا من ذاق ما ذاقوا وعرف ما عرفوا. ولما أراد النّاس أن يضعوا لهذه الطائفة اسما يدلّ عليهم اختاروا كلمة "تصوّف" لأنّ هذه الكلمة أليقّ بحالهم ولكون الصّوّف لباس الأنبياء. وقد ذكر الله طائفة من خواصّ أصحاب عيسى عليه السّلام، فنسبهم إلى ظاهر اللبسة، فقال عزّ وجلّ: "إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ" وكانوا قوما يلبسون البياض، فنسبهم الله تعالى إلى ذلك، وروي أنّ عيسى عليه السّلام كان يلبس الصّوّف والشّعْر. وقال الحسن البصري رضي الله عنه: "لقد أدركت سبعين بدريا كان لباسهم الصّوّف". وهذا أحد الاشتقاقات في كلمة "تصوّف"، أمّا اشتقاقه من حيث اللغة فمن أحد أمور أربعة:

أ- من الصّوفانة: بالضمّ وهي بقلة قصيرة من الفطر تنبت على ساق الشجر.

ب- من صوف القفا: وهي الشّعرات النابتة في مؤخره.

ج- من صوفة: وهي قبيلة كانت تجبر الحاج وتخدم الكعبة.

د- يرى فريق أنّ تسميتهم "صوفيّة" جاءت من الصّف الأول.

يمكن أن نصف الصّوفي بهذه المعاني كلّها فنقول: الصّوفي مكتف بوجوده بالله لأنه يشبه النبتة التي تعتمد في وجودها على خالقها، وهو قد ترك الدنيا وراء ظهره كالشّعرات التي تنبت خلف القفا واتّجه بكليته إلى ربّه. فلا تتعلّق نفسه بمتاع الدنيا وتعلقت بخالقها، ولا ينتظر من الآخرين مساعدة بل إنه يقبل على خدمتهم وقضاء حوائجهم من غير أن ينتظر منهم جزاء ولا شكورا، لأنه يطمع أن يكون في الصف الأول قريبا من ربه لا يبعده عنه شيء. فكلّ هذه المعاني غايتها القرب من الله، والحظوة برضاه. هذه الصفات: التشبّه بالنبتة التي تعتمد على خالقها ليست لها إرادة في الاعتماد على نفسها، التوكّل على الله في كلّ شيء، ترك الدنيا وراء الظهر، خدمة الناس من غير مقابل، المسارعة إلى الصف الأول، هذه الصفات يختلف فيها الناس، فهناك من يتصف بصفة دون صفة، فهل هذه الأوصاف تكون تعريفا جامعا مانعا للتصوّف؟ وهل إذا اتصف الصوفي بصفة دون صفة يمكن القول بأنه صوفي؟ من هنا تعذر إيجاد تسمية تجمع هذه الأوصاف وغيرها، لأن الصوفي قد يتّصف بحال دون حال وقد يجمع الأوصاف المذكورة. لهذا رأى قوم أن التصوّف مأخوذ من الصفاء، قال بشر بن الحارث: "الصوفي من صفا قلبه لله" أي خلص من كدر الأغيار وجاهد نفسه فانتصر عليها وتغلّب على أهوائها بطريق التّدريب فيصير ودوعا مسالما، متّصفا بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلّم وآدابه وأفعاله وأقواله وأحواله وحقائقه، إذ كلّ طريق سوى طريق رسول الله مسدود وكلّ عمل سوى ما أذن به مردود.

ورأى "جوزيف فون هامر" أن كلمة "تصوّف" ترجع إلى أصل يوناني، فهي مشتقة من كلمة "سوفوس" "Sophos". وقد ردّ نيكلسون هذا الرأي بقوله: "وقد قرّر المسألة ووضعها في نصابها نهائيا" تولبكه "Nolbeke" في سنة 1894 في الوقت الذي كان فيه أستاذا للغة العربية بجامعة ستراتبورخ، فقد قال: "إن كلمة 'سوفوس' غير معروفة في اللغة الأرميّة، فمن غير المحتمل أن توجد في اللغة العربية. أمّا الذي يوجد في اللغتين الأرميّة والعربيّة فكلمتا 'سوفسطيس'، وفيلوسوفوس" وقد كان الحرف "0" اليوناني يمثّل في العصور المتأخّرة دائما بحرف "س" العربي في جميع الكلمات اليونانية التي عربّت، لا بحرف "ص". فلو كانت كلمة صوفي مشتقة من أصل يوناني لكان بقاء الصاد في أولها خروجاً على القياس على أقلّ تقدير، زد على ذلك أنه لا يوجد دليل إيجابي يرجّح افتراض أن الكلمة مشتقة من الأصل اليوناني "سوفوس"، في حين أن نسبته إلى الصّوف يؤيّدتها نصوص من أقوال الكتّاب المسلمين أنفسهم.

ثمّ يمضي "تولدكه" فيسرد طائفة من العبارات التي تدلّ على أن المسلمين أنفسهم في القرنين الأولين للإسلام كانوا يلبسون الصّوف، وبخاصّة من سلك منهم في حياته طريق الزّهد، وأنهم كانوا يقولون: لبس فلان الصّوف. بمعنى: ترهّد ورغب عن الدّنيا. فلما انتقل الزّهد إلى التصوّف قالوا: لبس فلان الصوف. بمعنى: أصبح صوفيا. وكذلك الحال في اللغة الفارسيّة، فإنّ قولهم "بشمينا بوش" معناه يلبس لباس الصّوف" (في التصوّف الإسلامي وتاريخه، ص 67). وإذا كان "نيكولسون" قد رأى أنّ كلمة "التصوّف" ليست يونانية فإنّ هانري كوربان "يقرّر أن كلمة "Sophos" اليونانية تبدو أكثر قبولا للوهلة الأولى، ويذكر أن هذه الكلمة منسوخة عن كلمة "Sophos"، وأنّ أكثر

المستشرقين لا يطمئنون لهذا التفسير مع أن البيروني وهو من المسلمين يثبتها عنده برغم تغاير حرفي "ص" و "س". ثم يخلص "هنري كوربان" إلى القول بأن النحويين العرب قادرين على إيجاد اشتقاق سامي لكلمة مستوردة. من ثمة فقد رأى أن كلمة صوفي عربية مشتقة بحسب الاشتقاق المتعارف عليه عموماً من الصوف وهذا الاشتقاق يلمح إلى عادة الصوفيين في لبس الخرق وتمييزهم بها (تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص 282). إذن فالكلمة عربية وكانت مستعملة قبل شيوعها في أواخر القرن الثاني الهجري لتكون علماً على طائفة من الناس، يقول صاحب "اللمع": "وأما قول القائل إنه اسم محدث أحدثه البغداديون فمحال، لأن في وقت الحسن البصري رحمه الله، كان يعرف هذا الاسم، وكان الحسن قد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام فقد روي أنه قال: رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً، فلم يأخذ وقال: معي أربع دنانير يكفيني ما معي". وروي عن سفيان أنه قال: لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرباء (اللمع).

1-2- معنى التصوف عند الصوفية:

قال الجنيد: "الصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح". وقال أيضاً: "هو كالأرض يطؤها البرّ والفاجر، وكالسحاب يظل كل شيء، وكالقطر يسقي كل شيء. ويعرّف الجنيد التصوف فيقول: "التصوف حفظ الأوقات. ومعناه أن لا يطالع العبد غير حده ولا يوافق غير ربه، ولا يقارن غير وقته. ويقول معروف الكرخي: التصوف هو الأخذ بالحقائق، والياس مما في يد الخلائق. وقال محمد بن علي القصاب: التصوف أخلاق كريمة ظهرت في زمن كريم، من رجل كريم، مع قوم كرام. وعرفه أبو محمد الجريدي بأنه: الدخول في كل خلق سني، والخروج من كل خلق دني. وقال أبو حفص: التصوف كله آداب. لكل وقت أدب، ولكل حالة أدب، ولكل مقام أدب. فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال، ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظنّ القرب، ومردود من حيث يرجو القبول.

وقال أيضاً: حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لو خشع قلبه لخشعت جوارحه". قال ذو النون الصوفي: الصوفي من لا يتبعه طلب، ولا يزعه سلب. وقال أيضاً: الصوفية آثروا الله تعالى على كل شيء فأثّرهم الله على كل شيء، فكان من إثارهم أن آثروا علم الله على نفوسهم، وإرادة الله على إرادة نفوسهم. وقال بعضهم: الصوفي من إذا استقبله حالان حسنان أو خلقان حسنان، يكون مع الأحسن. وقال رويم: التصوف استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد. قال بعضهم: التصوف أوله علم، وأوسطه عمل، وآخره موهبة من الله تعالى.

وقال عمر بن عثمان المكي: التصوف أن يكون العبد في كل وقت مشغولاً بما هو أولى في الوقت. ورأى قوم أن: التصوف ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع، وعمل مع اتباع. وقال سهل بن عبد الله: الصوفي من صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر، وانقطع إلى الله من البشر واستوى عنده الذهب والمدر. وسئل بعضهم عن التصوف فقال: تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقة واتباع الرسول في الشريعة. وأقوال الصوفية في معنى التصوف كثيرة يصعب حصرها.

ومهما اختلفت هذه الأقوال التي ذكرناها فإن المعاني متقاربة: فإن الصوفي من كان دائم التصفية، لا يزال يصفّي الأوقات من شوب الأكدار بتصفية القلب عن شواغل النفس، مستعيناً في ذلك بالافتقار إلى خالقه، يعينه ذلك الافتقار في التخلص من الأكدار، فإذا تحركت النفس تطلب لذة قاتلة أدركها ببصيرته النافذة وفرّ منها إلى خالقه، فهو قائم بربه على قلبه وقائم بقلبه على نفسه.

2- آراء حول مصادر التصوف:

2-1- إرجاع مصادر التصوف إلى أصول مسيحية:

حاول بعض المستشرقين أن ينزعوا عن التصوف زيّه الإسلامي ويخرجوه من بيئته الطبيعية، ولهم في ذلك محاولات كثيرة تدفع إليها عصبية دينية أو جنسية. وأغلب دراساتهم في الإسلام تسير في هذا الاتجاه إلا قليلاً منهم، فبعضهم مغرم بالشك، وبعضهم مغرم بالتجريح الخفي، من ثمة فلا غرابة أن نجد بعضهم يدّعي أن التصوف الإسلامي اثر من آثار المسيحية، وأن العرب قبل الإسلام لم يعرفوا حياة الزهد ولم يكن لهم تفكير ديني. فلم يشغل العربي ذهنه بشيء من القضايا، إنما كانت حياة العربي حياة حرية ومرح وسرور ومجون، وكانت الخمر والنساء والحرب هي الأشياء الثلاثة التي يحبها العربي ويهتم بها. فهو إما أن يستغرق في الخمر، أو ينصرف إلى الفسق، أو يستنفذ قوته وطاقته في الحروب القبلية. وكانت حياته حياة مرح، لا يعكّر صفوها أفكار خطيرة أو تأملات دينية، لم يكن هنالك ميل للصدق أو رغبة في عمل الخير، "كان كل هدفهم في الحياة أن يتمتعوا بحاضرهم.."، فلم يستعدوا لحياة أخرى غير تلك الحياة التي كانوا يحيونها، ولكن اتباع المسيح الذين كانوا في شمال الجزيرة العربية، تعلم منهم بعض العرب حياة الزهد واحتقار متع الحياة. وعندما ظهر الإسلام، رأينا أن النبي نفسه، تأثر بالحنفاء الذين هم اثر من آثار المسيحية، فقد لبسوا الصوف وحرّموا على أنفسهم انواعاً من الطعام. وإذا نظرنا إلى الإسلام عند نشأته الأولى، نجد أن النبي وبعض أتباعه، كانوا يقومون الليل كله أو بعضه تهجدًا، ثم بدأ الزهد والتقشف يتقلص شيئاً فشيئاً، وخاصة بعد أن استقر النبي وأصحابه في المدينة وبدأت الدنيا تقبل عليهم. فلم يكن الزهد صفة من صفات الإسلام، إذ المأثور عن النبي، أنه أخذ بنصيب من اللذات ومتع الحياة التي كانت في متناول يده، ولم يحرم على أتباعه زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق. صحيح أن الإسلام قد فرض على أتباعه قواعد تشبه أفعال الزهاد، لكنها لا تمت إلى الزهد بصلة كالصوم، وتحريم الخمر، والصلاة، وغيرها.

وهذه الفروض لها دلالتها، فهي تبرز روح الإسلام الاجتماعية والعملية، وهي صفات تتنافى مع حياة الزهد والابتعاد عن الدنيا. فالإسلام يربط بين العمل والعبادة بين الدنيا والآخرة. فإذا قرأنا قوله تعالى: "فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض" ترى الروح العملية للإسلام. وإذا نظرنا بصورة عامة إلى الآيات التي تشير إلى حقارة الدنيا، فإننا لا نجد إلا قليلاً من الآيات التي لها صبغة خاصة في الزهد. وكلمة "زهد" لم ترد في القرآن بمعناها الحقيقي، بل وردت في مقام اللوم والتأنيب، وهي الآية العشرون من سورة يوسف: "وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين". وجميع الألفاظ التي وردت في وصف الزهاد مثل: الذّاكرين، والسّائحين، والتّائبين، والبكّائين، فهذه الألفاظ لا يقصد بها معنى من معاني التصوف، إنما المسلمون هم الذين حملوها معنى التصوف.

- الرد على هذه الشبهة يقوم على أساسين:

أ- إن الناظر إلى أثر المسيحية يمكن قبوله لو كانت المسيحية خارجة عن ديارها، ومنطلقة في بساطة تناسب نفسية العربي المنطلقة بلا تعقيد تبعاً لبيئته التي يحي فيها حياة بسيطة هادئة، ليس له فيها إلا رمال صفراء وعين من ماء. هذه الحياة جعلت العربي لا يفكر في فلسفة دينية، وأنا له أن يدرك ما عليه المسيحية من تعقيد. إنه يريد اتصالاً بالله بسيطاً لا تعقيد فيه، بساطة الهواء الذي يتنفسه، والماء الذي يشربه. "وإذا كانت المسيحية قد دخلت الجزيرة العربية، فإنها بقيت رهينة لغتها السريانية أو الرومانية فلم تنتشر انتشاراً ملحوظاً... ولم ينتشر كتابها المقدس لأنه لم يترجم إلى اللغة العربية، كذلك شعائر صلاتها (القدّاس) لم تترجم". من ثمة لم ينتفع بها العربي، ولم تكن له ديناً رغم تعدد مراكزها، ما عدا بعض العرب اعتنقوها ترفاً سياسياً، ولعلّ عدم اعتناقها راجع إلى الأسباب الآتية:

1 — التّنافس بين مذاهبها.

2 — عدم رضا بعض رجال الكنائس في التّوفيق بين المسيحية والتّراث الفلسفي اليوناني، لأنّ ذلك التّوفيق يجعل المسيحية في نظرهم مجرد معارف رومانية يونانية، فيفقدونها صبغتها الدّينية.

3 — انشقاقاتها العقائدية حول طبيعة المسيح والمواضيع المتعلقة بها.

هذه العوامل كلّها أو بعضها جعلت النّاس "يرغبون عنها".

ب- أما أنّ الإسلام لا يشتمل على الزّهد، فهذا صحيح إن قصدوا بالزّهد تعذيب النّفس وحرمانها مما أحل الله مما يساعدها على القوة والحركة. إن الزّهد بهذا المعنى، لا يقرّه الإسلام ولا يرضاه. "إن القرآن وسيرة النبي صلى الله عليه وسلّم أشارا إلى الزّهد في الدنيا لا إلى هجرها والخروج منها والعيش فيها عيشة الأموات. لا يحرم الإسلام التمتع بالحلال، ولكن الذي حرّمه هو الانغماس في شهواتها التي تشغل القلب عن ذكر الله "كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا" [2، سورة البقرة، الآية 168] "قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ" [7، سورة الأعراف، الآية 32].

الإسلام دين يأخذ بفضيلة الوسط، لا إفراط ولا تفريط. يدعو الزّهد في الدّنيا، أي القصد في الشّهوات لا إلى الحرمان واعتزال الدّنيا ومن فيها وما فيها. يدعو إلى التمتعّ بالحلال واجتناب الحرام، لأن الإسلام، قبل كل شيء وبعد كل شيء، دين عملي اجتماعي والزّهد، بالمعنى المسيحي، مخالف لروح الحياة الاجتماعية.

3- إرجاع مصادر التّصوّف إلى أصول فارسيّة:

ولم يقف المستشرقون عند إرجاع مصادر التّصوّف الإسلامي إلى أصول مسيحيّة، بل اعتبر بعضهم أنّ التّصوّف الإسلامي يرجع إلى أصل فارسي. وبنوا هذا الحكم على فكرة التعصّب للشّعوب الآرية زاعمين أنّ العقليّة السامية ليست أهلا للنظر الفلسفي ولا للتصوّف أو العلوم. من ثمة فقد أنكروا كلّ نتاج فكري للشعوب السامية، وما وجد عند هذه الشعوب من علوم وفلسفة، إنّما هي نتاج للتفاعل السلافي والثقافي للشعوب الآرية التي غزاها الإسلام. فالتصوّف إنّما يرجع إلى ردّ فعل عنصري، ولغوي وقومي من الشّعوب الآرية المقهورة، التي غلب عليها سلطان السّاميين.

وممن قال بهذه النّظرية "جوبينو" و "فريدرش دلتش" "F. Delizsch" و "رينان" "Renan". ويربط هؤلاء بين التّصوّف الإسلامي عند السّهروردي المقتول وبين الزرادشتية، ومن المتأخّرين الذين ساروا في هذا الفلك "هنري كوربان" يقول: ولنفهم ما قصد إليه السّهروردي من تسميته لكتابه بـ "الحكمة الإشرافية" وهي حكمة لدّنية مشرقية سيتابعها السّهروردي بتصميم واضح كإحياء لحكمة فارس القديمة. والوجه الكبير التي تتحكّم في سير المذهب هي "هرمس - وأفلاطون - وزرادشت" (تاريخ التّصوّف الإسلامي، بدوي، ص 3. تاريخ الفلسفة الإسلامية، كوربان، ص 304). وإذا سلمنا بهذه المقولة، على حدّ رأي د. عفيفي، فإنّها تنكر على الفارسيين كلّ صدق وإخلاص في مجهودهم الإسلامي. فمن ذا الذي ينكر ما قام به الطّبري وسبويه وابن سينا والغزالي من جهود جبّارة في ميادين العلوم الإسلامية المختلفة، من تفسير ولغة وفلسفة وتصوّف. كان هؤلاء جميعا من أصل فارسي ولم نلاحظ فيهم انتصارا لعقائدهم القديمة على حساب العقائد الإسلامية، بل بذلوا جهدا في فهم الإسلام ونشر عقائده.

4- إرجاع مصادر التصوف إلى التأثير الأفلاطونية الحديثة:

وممن صرح بهذا القول "نيكولسن" عندما تحدّث عن تصوف ذي النون المصري. فرأى أنه تأثر بالأفلاطونية الحديثة التي كانت شائعة في عصره "ومعنى ذلك أنه تتلمذ للعلم الهلنستي.. وأكثر آرائه تتفق وما نجد في كتابات "ديونيسيوس" هذا يجعلنا نجزم بأن الأفلاطونية الحديثة قد صبغت على الإسلام صبغة من العناصر الصوفي عينه الذي صبغت به المسيحية من قبل" (الصوفية في الإسلام، نيكولسن، ترجمة د. عفيف، ص 18).

التصوف في الإسلام، بدوي، ص 45). ويقول أيضا: إننا إذا نظرنا إلى الظروف التاريخية التي أحاطت بنشأة التصوف بمعناه الدقيق استحالة علينا أن نرد أصله إلى عامل هندي أو فارسي، ولزم أن نعتبره وليدا لاتحاد الفكر اليوناني والديانات الشرقية، أو بمعنى أدق وليد اتحاد الفلسفة الأفلاطونية الحديثة والديانة المسيحية والمذهب الغنوصي. نعم من المحتمل أن يكون اثنان على الأقل من هذه المصادر الثلاثة قد تأثرا بأفكار فارسية أو هندية... أما الأثر المباشر الذي وصل إلى التصوف من ناحية الهند، فقد كان لا شك كبيرا، ولكنه أتى متأخرا، وإذا قيس بما في التصوف من أثر للفكر اليوناني والسرياني عد في المنزلة الثانية".

إنه إذا كان "نيكولسون" قد قرّر هذا في سنة 1906 فالظاهر أنه تحول عن نظريته "فخفف من حدة هذه التوكيدات القاطعة، وإن لم ينكرها صراحة"، حيث قال في دائرة معارف الدين والأخلاق: "لا نفترض أنهم لم يتأثروا إطلاقا بأفكار غير صوفية عندما نعرض للبحث في كيفية انتقالهم من دور الزهد إلى دور التصوف الذي ظهرت فيه وحدة الوجود، فإن أثر المسيحية والفلسفة الأفلاطونية الحديثة والفلسفة البوذية عامل لا سبيل إلى إنكاره في تكوين التصوف الإسلامي. وقد كانت هذه المذاهب والفلسفات متغلغلة في الأوساط التي عاش فيها الصوفية، فلم يكن بد أن نتترك طابعها في مذاهبهم. ولدينا أدلة كافية توضح أثرها في التصوف ومكانتها منه ولو أن المادة التي بين أيدينا لا تمكن من تتبع أثرها بالتفصيل. وبالجملية يمكن القول بأن التصوف في القرن الثالث - شأنه في ذلك شأن التصوف في أي عصر من عصوره - ظهر نتيجة لعوامل مختلفة أحدثت أثرها فيه مجتمعة، أعني بهذه العوامل: البحوث النظرية في معنى التوحيد الإسلامي والزهد والتصوف المسيحيين، ومذهب الغنوصية والفلسفة اليونانية والهندية".

ثم يبدو له خطأ إرجاع نشأة التصوف الإسلامي إلى أصل واحد فيقول: "وقد عولجت مسألة نشأة التصوف في الإسلام إلى الآن معالجة خاطئة إلى عهد قريب جدًا. فقد ذهب كثير من أوائل الباحثين في هذا الموضوع إلى القول بأن هذه الحركة العظيمة، التي استمدت حياتها وقوتها من جميع الطبقات والشعوب التي تألفت منها الإمبراطورية الإسلامية، يمكن تفسير نشأتها تفسيراً علمياً دقيقاً بإرجاعها إلى أصل واحد كالفيدانكا الهندية أو الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، أي بوضع فروض أكثر ما يقال فيها أنها تفسر جانباً من الحقيقة، لا الحقيقة بأكملها وذلك كقولهم، بأن التصوف كان رد فعل للعقل الآري ضد دين سامي فرض عليه فرضاً وأنني أرى الآن أننا بدلاً من أن نصيغ الوقت عبثاً في البحث عن مصدر واحد للتصوف، يجدر بنا أن ندرس العوامل المختلفة التي ساعدت -مجتمعة- على تشكيل المذهب الصوفي، وأن نضع كلاً من هذه العوامل في موضعه اللائق به وندرس الصلة بينها، ثم نميز - قدر المستطاع - ما كان لكل منها من أثر فإن هذه العوامل في جملتها تكون الظروف التي نشأ فيها التصوف وترعرع، سواء في ذلك العوامل السياسية أو الاجتماعية أو العقلية، كالاضطرابات والفتن الداخلية الدامية في عصر بني أمية، وموجات الشك والتعصب العقلي التي طغت على المسلمين في العصر العباسي الأول، وكالتطاحن المرّبين أصحاب المقالات والفرق أو الجمود على مذهب أهل السنة من جانب العلماء".

بعد هذا الجهد المضني، يقرّر "نيكلسون" أنّ مسألة التصوّف مسألة معقّدة، يصعب إرجاعها إلى مذهب معيّن "أو تيار ثقافي أجنبي، أو نزعات دينية معيّنة". أمّا المستشرق الكبير "ماسنيون" فإنّه يقرّر بعد دراسة مستفيضة لما قيل من آراء في نشأة التصوّف الإسلامي ومدى تأثره بعوامل خارجيّة، يخلص إلى أنّ التصوّف الإسلامي صدر من مداومة تلاوة القرآن والتأمّل فيه، يقول: لقد قام التصوّف الإسلامي على أساس التلاوة المستمرة والقراءة الشاملة لهذا النص... ومنه استمدّ خصائصه المميّزة: التلاوة المشتركة بصوت مرتفع، إقامة مجالس الذكر الذي فيه تتلى آيات القرآن، وموضوعات للتأمّل مناسبة منظومة ومنثورة. وبعد هذا النص يقول في دائرة المعارف الإسلامية عن التصوف ما نصّه: "إن الدراسة النقدية لمصادر التصوف لم تتم بعد. والباحثون في الإسلاميات قد أدهشهم الافتراق العقدي العميق الذي يفصل وحدة الوجود الحالية في التصوف عن العقيدة السنية الدقيقة، ظنّوا ان في وسعهم تصور التصوف على أنه مذهب مستورد من الخارج، نشأ عن الرهبانية السريانية (ماركس) أو الأفلاطونية المحدثة اليونانية أو المزدكية الفارسية أو مذهب الفيدانتا الهندوكي (جونز). وقد بيّن "نيكلسون" أن افتراض كون التصوف مستعارة من الخارج، هو افتراض لا يمكن قبوله في صورته المبسطة هذه، ذلك أنه منذ بداية الإسلام يمكن مشاهدة ان تكوين الآراء الخاصة بالصوفية المسلمين قد تمّ من الدّاخل، خلال التلاوة المتواصلة المتأمله للقرآن والحديث، وتحت تأثير الأزمات الاجتماعية او الفردية، في داخل المجتمع الإسلامي نفسه. لكن إذا كانت البنية الأولى للتصوف إسلامية وعربية بوجه خاص.

فإنّه ليس من غير المفيد تحديد العناصر التّرويقية الأجنبية التي استطاعت الالتصاق به والانتشار فيه، وهكذا أمكن العثور أخيرا على عدّة عناصر تقويّة مستمدة من الرهبانية المسيحية (أستين بلاتشوس، فنسك، تور أندرية) وكثير من المصطلحات الفلسفية الهلينية المترجمة عن السريانية والنظائر الإيرانية (التي افترضها بلوشيه Blochet) لم تفحص أبدا، أما العناصر السنسكريتية (رأي هورتن) فإن قليلا من الحجج قد اضيفت إلى الافتراضات القديمة للتناظر التي قال بها البيروني ودراشيكوه عن النظائر بين الأوبنشاد او اليوجا سوترا وبين عقائد الصوفية الأوائل، وفي مقابل ذلك فإنّه من المحتمل ان تبيّن الدراسة النقدية للعمليّات المادية لإيقاع الذكر عند الطّرق الصوفية الحديثة - عن نفوذ بعض طرائق الزهد الهندوكية" (الصوفية في الإسلام، نيكلسون، ترجمة د. عفيفي، تاريخ التصوف في الإسلام، بدوي، بحث في نشأة المصطلح الفني للتصوف الإسلامي، لويس ماسنيون، دائرة المعارف الإسلامية، سنة 1929م). وخلاصة ما قرّره "ماسنيون" أنّ: التصوف الإسلامي نشأ من إدامة النّظر في القرآن والسنة، وبذلك يرجع التصوف إلى أصوله الإسلامية، ثمّ بفعل الزّمن وتلاقح الأفكار أضيف إلى التصوف الإسلامي أفكار أجنبية، وأبرزها ما كان مستمداً من الفلسفة اليونانية والرهبنة المسيحية، أما التأثير الفارسي فلم يصل البحث فيه إلى دليل، وكذلك التأثير الهندي الذي ذكره "البيروني"، ما هو إلا مجرد تشابهات عامة وليس ثمة دلائل على وقوع تأثير وتأثر.

5- إرجاع مصادر التصوّف إلى أصول هندية:

لم يقف الفكر بالمستشرقين عند هذا الحد، بل زعم بعضهم أن التصوف الإسلامي نشأ من أصل هندي، وأول من صرّح بذلك المستشرق "وليام جونز" ثم تبعه في ذلك "تولك" ثم "الفرد كريم" ثم "جولد تسيهر"، الذي قال عن التأثير الهندي ما نصّه: "عند إلقاء نظرة عن تاريخ التصوف، لا يمكن أن نتجاهل هذه المؤثرات بصفاتها عوامل ذات أثر نافذ، وأقصد بها المؤثرات الهندية التي بدت بصورة محسوسة منذ العصر الذي انتشر فيه الإسلام شرقا حتى حدود الصين، فتخطّت أفقه تدريجا تلك الآراء الهندية التي ظهر بعضها في الآثار الأدبية والبعث الآخر في الفكر الديني الإسلامي. ففي القرن الثاني الهجري، عندما قام المترجمون بترجمة كتب الأعجمية، نقلت بعض المؤلفات البوذية إلى الأدب العربي...".

وبعد هذا العرض يخلص إلى ما يلي: "... إنَّ الفكرة الدِّينية، المسماة بالزَّهد، التي صادفت الإسلام السَّني والتي لا تتفق مع السَّمات المألوفة التي نعرفها في التصوِّف الإسلامي، تكشف عن آثار قويَّة تدلُّ على تسرُّب المثل الأعلى للحياة عند الهنود إلى الإسلام.... وبهذا تأثَّرت حركة التصوِّف الإسلامي في بدايتها تأثُّراً يكشف لنا بسبب نزعتها الأصلية، عن صلتها الوثيقة بالأفكار الهندية...." (العقيدة والشريعة في الإسلام، جولد تسيهر، ص 134).

ثمَّ عقد مقارنة بين بوذا وإبراهيم بن آدم، حيث تخلَّى عن إمارته وأصبح درويشاً يتنقَّل، وبذلك أشبه بوذا في سيرته. وذلك لأنَّ متصوفة الإسلام، على حد رأيه، قد تأثَّروا بالعقائد الهندية مما أكسب التصوف الإسلامي قوة وعمقا ونفاذاً. أرنولد جولد تسيهر من كبار المستشرقين، وقد حضر إلى مصر وسمع محاضرات في الجامع الأزهر، وله كتب في الإسلام "ما أظنَّه في واحد منها تخلَّى عن نزعتيه اليهودية، أو استطاع أن يزيل من وعيه أنَّ الإسلام من وضع محمد، وأنَّ محمد صلى الله عليه وسلَّم كان تلميذا لليهود".

وهو كغيره من المستشرقين يفسِّرون نصوص القرآن على غير وجهها، ويضعون المعاني التي يريدون تمريرها من غير مراعاة لروح الإسلام وجوهره، معتمدين على ما رسخ في أذهانهم من أنَّ الإسلام خليط من الأفكار الدِّينية والبشرية، وشأن التصوف كشأن الإسلام نفسه، لم يكن وليد الإسلام، كما أنَّ الإسلام لم يكن وحياً إلهياً بل هو من صنع خيال محمد صلى الله عليه وسلَّم. ونحن ندرك أنَّهم "لا يؤمنون بما يقولون، وإنما هو كلام يجارون به هواهم أو يجارون به الأوساط التي تستريح لهذا الكلام". قال المستشرق الإنجليزي "ألفرد جيوم" وتابعه آخرون، أنَّ محمداً كان دارساً مبتدئاً للكتاب المقدَّس، فظنَّ أنَّ مريم أمَّ عيسى عليه السَّلام هي مريم أخت هارون، مع أنَّ بين عيسى وهارون زمناً طويلاً. يشير هذا المستشرق إلى الآية الكريمة "يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغية" [سورة مريم، الآية 28]. إنَّ هذا المستشرق فسَّر النصَّ بشكل لا يتفق ومقتضيات اللغة العربية، فما قال محمد صلى الله عليه وسلَّم أنَّ مريم أخت هارون.

والغاية التي يسعى إليها هؤلاء، إثبات أنَّ محمداً صلى الله عليه وسلَّم استقى أفكاره من أهل الكتاب ووضعها في قالب لغويٍّ أدهش بعض العرب ليجلبهم إلى أفكاره، وقد بدأ الفكر ساذجاً يتلاءم وطبيعة البدوي، غير أنَّ محمداً كان يضيف من حين إلى حين بعض الأفكار التجديدية، التي لم يكن للعرب إحاطة بها، وقد اكتسبها محمد من شعوب أخرى، انضمَّ أفرادها إلى دعوته. يقول "فليب حتّي": "إنَّ محمداً استقى معلوماته من مصادر كثيرة، منها من صاحبيه صهيب الرومي وسلمان الفارسي، وزوجه مارية القبطية التي سمَّاها "حتّي" حظية. إنَّ الباحث لا يستطيع أن يصادم حقائق التاريخ بكلِّ هذه البساطة، إنَّ صهيباً الرومي كان عربياً من بني النمر بن قاسط، فأخذ من ربيعة بن النَّزار. سبَّته الروم وهو صغير وباعته، ونشأ بمكة، فمأذا عسى أن تكون ثقافة طفل حتى يستقي منه محمد صلى الله عليه وسلَّم أفكاره". أمَّا سلمان، فأصله من فارس كان يطلب دين الله، ويتبع من كان يرجو ذلك عنده، اتَّصل بالنبِيِّ صلى الله عليه وسلَّم، وأعلن إسلامه بعد أن بلغت الدعوة الإسلامية أوجها، ولم يستفد منه النبيُّ صلى الله عليه وسلَّم إلا من خبرته القتالية، إذ أشار على النبيِّ صلى الله عليه وسلَّم بحفر خندق حول المدينة أما مارية، فقد كانت رقيقاً ساذجاً لا ثقافة لها، وليس لها علم حتَّى يستفيد منه رسول الله صلى الله عليه وسلَّم.

هذا ما دأب عليه المستشرقون في دراستهم للإسلام، فهم لا يذكرون علماً من علوم المسلمين إلا ونفثوا سموهم فيه. وإذا ما عدنا إلى "جولد تسيهر"، لنرى هل كانت دراسته للتصوف الإسلامي دراسة موضوعية أم هي دراسة متأثرة بأفكاره المسبقة عن الإسلام. لا شك أنَّنا نرجح الرأْي الأخير، ونورد هنا بعضاً من أخطائه في الإسلام عموماً، من ذلك: زعمه أنَّ الإسلام يكره التجديد، إذ "كلَّ بدعة في نظر الجماعة الإسلامية هي موضع للشك والشبهة وظهورها

مدّعاة للأسى، إذ أنّها تهدّد وحدة الجماعة وتؤدّي إلى انهيار الشريعة"، لم يبيّن في هذا النص معنى البدعة: أهى في الدين، أم في العلوم والأفكار؟

ثم يقول بعد هذه الفقرة بسطور: أنّ المسلمين قد انتحلوا من البلاد التي فتحوها نظاماً قضائية وإدارية، وأن هذه النظم مستمدة من نظم شتى هي: القانون الروماني، والفارسي، والتلموذ، وقانون الكنائس الشرقية. ألا ترى أنه في الفقرة الأخيرة قد نقض ما صرح به في الفقرة الأولى، إذ كيف تكون لهم نظم فارسية ورومانية وهم أهل جمود.

وكلامه في التصوّف الإسلامي يصبّ في هذا الاتجاه. فتارة يعقد مقارنة بين إبراهيم بن أدهم وبوذا، وتارة يتكلّم عن الفناء الصوفي والنرفانا.

خاتمة:

وأخيراً نقول لقد توهم "جولد تسيهر" كما توهم غيره من المستشرقين أنّ التصوّف الإسلامي نشأ من عوامل خارجيّة، وحاولوا في شيء من التعسف أن يقدّموه على هذه الصورة مع أن التصوف الإسلامي نشأ، كغيره من العلوم الإسلامية، من القرآن والسنة. وإذا ما تركنا القرآن والسنة، باعتبارهما وحياً إلهياً، ونقّبنا في أقوال المسلمين وأفعالهم في شتى مناحي الحياة، فإننا نجد على سبيل المثال خالد بن الوليد في رسمه للخطة الحربية وتنفيذها، وما أحدثه عمر بن الخطّاب في الإدارة والسياسة والتشريع، وأنّه يتعذّر أن تجد مثلهما على مرّ العصور. وإذا ضربنا مثلاً بالتشريع، فإننا نجد تيّارين يسيران متجاورين من أهل الرأي وأهل الحديث.

فقد كان هؤلاء وهؤلاء يسيران جنباً إلى جنب منذ أن نشأت الدولة الإسلامية. كان هنالك ربيعة الرأي وابن المسيّب. والأول يمثل مدرسة الرأي، والثاني يمثل مدرسة الحديث. وكان هنالك إبراهيم النخعي، وبجواره المحدث شريح الشّعبى. ثم كان أبو حنيفة يمثل مدرسة الرأي، ومالك يمثل مدرسة الحديث. وإذا ما ألقينا نظرة على التيّار الفلسفي، فإننا نجد المشبهة يسرون جنباً إلى جنب مع المعتزلة والكندي، والفارابي.

ونجد ابن ماجه وابن الطّيفل متأخرين في النشأة عن الفارابي وابن سينا، لم يبلغا شأوهما. والتصوف الإسلامي شأنه شأن هذه العلوم، مرّ بأدوار مختلفة، لكلّ دور خصائصه وميزاته، وظهرت فيه مدارس، انفردت كل مدرسة بلون خاص، من حيث تعاليمها النظرية والعملية ومن حيث اصطلاحاتها. فمدرسة البصرة غير مدرسة الكوفة، وهما غير مدرسة بغداد ومدرسة خراسان، وهذه كلّها غير مدرستي مصر والشّام.

وما يقال على المتصوّف في إحدى هذه المدارس قد لا يقال على آخر في نفس المدرسة، فما يقال على إبراهيم بن أدهم غير ما يقال عن معروف الكرخي، وما يقال عن أبي يزيد البسطامي غير ما يقال عن ذي النّون المصري، وما يقال عن الجنيد والمحاسبي غير ما يقال عن الحلاج.

والذي نريد أن نقرّره هنا، أن تاريخ التصوّف في الإسلام جزء لا يتجزأ من تاريخ الإسلام نفسه، ومظهر من مظاهره. وليس شيئاً اجتلب من الخارج دون أن تكون له صلة بالدين الإسلامي، وروحه، وتعاليمه.

المصادر والمراجع:

1. تاريخ التصوف الإسلامي، بدوي، ص 3.
2. تاريخ الفلسفة الإسلامية، كوربان، ص 304
3. الصوفية في الإسلام، نيكولسن، ترجمة د. عفيف، ص 18.
4. التصوف في الإسلام، بدوي، ص 45.
5. بحث في نشأة المصطلح الفني للتصوف الإسلامي، لويس ماسنيون، دائرة المعارف الإسلامية ، 1929م
6. العقيدة والشريعة في الإسلام، جولد تسيهر، ص 134

التمثيلات الاجتماعية للطلبة الجامعيين (ما بعد التدرج)

لفرص العمل بعد التخرج

(دراسة على عينة من طلبة ما بعد التدرج جامعة قاصدي مرباح ورقلة)

د. مليكة جابر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

المخلص:

تأتي هذه الدراسة حسب أهميتها للكشف عن تمثيلات طلبة ما بعد التدرج في نظام ل م د (LMD) بجامعة ورقلة لواقع استثمار مؤسسات المجتمع لمخرجات الجامعة من الإطارات ذوا الشهادات العالية، بما يتواءم مع متطلبات سوق العمل، والكشف عن وجود التبادل المشترك في عملية التأثير والتأثر بين الجامعة ومحيطها، انطلاق من استحداث الآليات الناجحة لربط خريجي الجامعات بالمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية التي توفر فرص العمل، و تدور معالم المشكلة البحثية حول سؤال محوري مؤداه:

ما هو استشراف طلبة ما بعد التدرج لفرص العمل المتاحة بعد التخرج؟

الكلمات المفتاحية: التمثيلات - الطلبة الجامعيين - طلبة ما بعد التدرج - فرص العمل - روح المبادرة.

Abstract:

This research aims at studying the situation of the investment of various society institutions in the field of postgraduate students who have already got their diploma of the "LMD" system from Ouargla University. So, it deals with renewing the successful methods of linking university graduates with the different social and economic institutions, which offer employment opportunities, according to the requirements of job market. In other words, our objective behind this study is to spotlight the exchange between the university and economic institutions at the level of affecting/to be affected process. Hence, the main problematic of our investigation is as follows: *to what extent can postgraduate students be ready to employment opportunities after their graduation?*

Keywords: representations- university students-postgraduate students- employment opportunities – initiative.

أولاً: تحديد الإشكالية:

تترجم التحولات العميقة التي عرفها المجتمع الجزائري على الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية وكذا السياسية والثقافية عدم مواءمة وقدرة النظام التعليم العالي القديم على الاستجابة بفعالية للتحديات الكبرى التي يفرضها التطور غير المسبوق في العلوم والتكنولوجيات، وتلك التي نجمت عن عولمة الاقتصاد وظهور مجتمع المعلومات و بروز المهن الجديدة فضلا عن التحديات المتمثلة في عولمة منظومات التعليم العالي خاصة في الجزائر، فهذه المنظومة مدعوة في كل مرحلة من مراحل تطورها إلى التكيف باستمرار مع هذه التحولات العميقة، و أن تكون قادرة على استيعاب نتائج التحولات الاجتماعية و الاقتصادية التي ميزت البلاد من جهة، والتحولات الإقليمية و الدولية الملاحظة من جهة أخرى، مما جعلها تركز على مقارنة جديدة للعلاقات البيداغوجية والتعليمية بتخليها تدريجيا عن النظام الكلاسيكي وإتباعها النظام الجديد LMD .

حيث تولي مؤسسات التعليم العالي أهمية بالغة لنظم الابتكار والاختراع خاصة فيما يتصل بتكوين الموارد البشرية الفاعلة والمتخصصة لتوظيف المعرفة في خدمة احتياجات سوق العمل، بصفتها تستقطب الطلبة كمداخلات من مختلف شرائح المجتمع، حيث تقوم بتحويلها إلى مخرجات، تقدمها الجامعة من خلال آلاف الخريجين ذوي الشهادات العليا في جميع التخصصات، لشغل مناصب العمل، حيث شهدت الجامعة الجزائرية مراحل إصلاحات متعددة ركزت في مجملها على إمداد القطاع الاقتصادي في أسرع وقت بالإطارات الخريجة القادرة على شغل مناصب العمل المتوفرة (كميا وكيفيا) والمساهمة في مناصب جديدة واتخاذ القرار حولها بما يتوفر لديهم من معرفة لتلبية متطلبات التنمية الشاملة وإيجاد الحلول للمشكلات المختلفة في الميدان العملي، لذلك تجسد التعاون بين الجامعة ومحيطها في مجال سوق العمل الذي كان يشهد فائض في مناصب العمل.

وتعتبر مؤسسة التعليم العالي أهم التنظيمات الإستراتيجية في المجتمعات الحديثة، بصفتها المنتج الرئيسي الفاعلين المؤهلين لا سيما أهميتها في المجتمع الجزائري السائر في طريق النمو، والذي تأثر بالتغيرات والتحولات العالمية والمحلية الجديدة التي شهدتها مختلف القطاعات الاجتماعية والاقتصادية، المتوجهة نحو اقتصاد السوق، خاصة في السنوات الأخيرة التي شهدت فيها المؤسسة الجزائرية تحولا إلى نمط الخصوصية، و بذلك تحولت إلى مؤسسات رأسمالية تنتج ثقافة تستند إلى العقلانية، لكن هذه الثقافة لم تتبلور ولم تزل تشكل خليطا من ثقافة النظام الاشتراكي وثقافة النظام الرأسمالي، لهذا فالجامعة الجزائرية اتبعت سياسة الإصلاحات الجديدة بتطبيقها لنظام LMD وتخلت تدريجيا عن النظام الكلاسيكي، وكانت نتيجته في السنوات الأخيرة أنه أغرق سوق العمل بالكُم الهائل من المتخرجين في مختلف التخصصات لمواكبة التغيرات الحاصلة، حيث أصبح الاهتمام بهم ضروري في هذه المرحلة التي تسعى إلى ضمان مواءمة خريجي الجامعات للمناصب المفتوحة في سوق العمل، للاستثمار الجيد والفعال في مخرجاتها من الإطارات ذوي الشهادات العالية بما يتناسب مع متطلبات فرص العمل في مختلف مؤسسات المجتمع بوصفهم فاعلين، كما أطلق عليهم ميشال كروزي M.Crosier والذين لا يمكن تحليلهم خارج محيطهم، أو مجتمعهم الذي يتطور وفق إستراتيجية عقلانية محددة الهدف، تترك هامشا من الحرية للفرد.

ولهذا تأتي هذه الدراسة الراهنة حسب أهميتها للكشف عن تمثيلات طلبة مابعد التدرج بجامعة ورقلة لفرص العمل عن وجود التبادل المشترك في عملية التأثير والتأثر بين الجامعة ومحيطها، انطلاقا من إيجاد وتوفير الآليات الناجحة لربط خريجي الجامعة بالمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية التي توفر فرص العمل، و تدور معالم المشكلة البحثية حول سؤال محوري مؤداه:

كيف يستشرف طلبة ما بعد التدرج فرص العمل المتاحة بعد التخرج؟

وللإجابة عن هذا التساؤل الرئيس استعانت الدراسة بالتساؤلات الفرعية التالية:

- 1- هل يوائم التكوين الجامعي متطلبات واحتياجات سوق العمل؟
- 2- هل تساهم البحوث والتربصات الميدانية في استكشاف حاجات سوق العمل؟
- 3- هل يتحلى خريجوا الجامعة بروح المبادرة في صنع فرص العمل وفق الآليات الجديدة التي يحددها اقتصاد السوق؟

ثانيا: أهداف الدراسة:

- استشراف أوضاع سوق العمل، التي تتمثل في التعرف على تمثيلات عينة من الطلبة لمخرجات الجامعة الجزائرية الكمية والنوعية وتحليلاتها.
- تحديد مستوى موازنة مخرجات الجامعة الجزائرية لاحتياجات سوق العمل، وربطها مع خصائص التكوين الذي تتبناه الجامعة حالياً وجدوى محتوياته.
- التنبؤ بمتطلبات سوق العمل الجزائري وفرص العمل الجديدة والمتوقعة للوقوف على توجهات السوق نوعاً وكماً، لحصر الاحتياجات المستقبلية من خريجي الجامعة الجزائرية لاقتراح الأساليب والإستراتيجيات المناسبة في رسم السياسة التعليمية.
- معرفة رأي طلبة مابعد التدرج لآفاق التوظيف بعد الحصول على الشهادة.
- معرفة مدى إقبال الطلبة المتخرجين على المبادرات الفردية في إيجاد فرص العمل خارج الوظيفة.

ثالثاً: المفاهيم الإجرائية:

- 1- مفهوم التمثيلات الاجتماعية: يستخدم هذا المصطلح ليشير إلى فكرة معينة توجه الفهم، وهناك منظورات مختلفة للتمثيلات، في العلوم الاجتماعية حيث تعتبرها أدوات تستخدم في البحث، يفكر الباحث في ضوءها، فهي مركبات عقلية، تعكس وجهة نظر معينة، وتركز على بعض جوانب الظواهر، في الوقت الذي تتجاهل فيه ظواهر أخرى، ولذلك فإن التمثيلات التي يستخدمها شخص معين لها تأثير هام في إدراكه للواقع. (محمد عاطف غيث، 2002، ص ص 89-90).

والتمثل هو عملية استرجاع ذهني لموقف أو ظاهرة مؤثرة في حياة الفرد بواسطة صورة أو رمز أو علامة، وبالنسبة لقاموس علم الاجتماع تعد التمثيلات الاجتماعية شكلاً من أشكال المعرفة الفردية والجماعية المتميزة عن المعرفة العلمية، فالتمثيلات الاجتماعية حسب المنظور الاجتماعي هي نمط من التفكير التعميمي والوظيفي من طرف جماعة اجتماعية بهدف التواصل مع محيطها الاجتماعي وبتأثير منه، بغية فهم هذا المحيط ومحاولة التحكم فيه. ويرجع الفضل في اكتشاف عبارة التمثيل الاجتماعي إلى إميل دوركايم سنة 1898، حينما قارن بين التمثيلات الفردية والتمثيلات الجماعية، وذلك في مقال مشهور له نشر في مجلة المتأفزيقيا والأخلاق، (Ferréol Gilles, 1995, pp 242-249) حيث يرى دوركايم أن الفرد يتصرف من خلال الجماعة، ويعتبر التمثيل أو التصور كتأثير من طرف مظاهر المجتمع على أفكار الفرد، فهو معرفة اجتماعية متعلقة بالتنشئة الاجتماعية ونتيجة عنها للبناء الاجتماعي وما يحمله من ظواهر. (Duponthieux Mireille, 2001, p 08)

حيث يرى دوركايم أن الفرد يتصرف من خلال الجماعة، ويعتبر التمثيل كتأثير من طرف مظاهر المجتمع على مظاهر الفرد، ولا يقتصر التمثيل الاجتماعي على تصور الأفراد الذين يكونون المجتمع، فهو يتكون من مجموعة ظواهر نفسية و اجتماعية تقتضي عزل الجانب الفردي عن الجانب الاجتماعي، والتمييز بين الجانب الإدراكي والجانب العقلي للعمل الجماعي.

ويقصد بالتمثلات الاجتماعية في هذه الورقة البحثية أنها نظام معرفي يحوي النظرة الاجتماعية لطلبة ما بعد التدرج (الماستر) المقبلين على التخرج إلى فرص العمل في ظل نظام (ل م د) التي تتيحها مؤسسات المجتمع، والذي نتج عن طريق نشاط عقلي يعتمد في بنائه على معايشة الواقع من خلال التربصات والخرجات الميدانية خاصة في المرحلة الأخيرة من تكوينه الجامعي.

2- الطلبة الجامعيين: يقصد بهم الطلبة الذين اشرفوا على التخرج في مرحلة ما بعد التدرج من طلبة الماستر، ويعتبرون أحد العناصر الأساسية والفاعلة في العملية التعليمية والتربوية طيلة التكوين الجامعي، إذ أنهم يمثلون عدديا النسبة المتخرجة في المؤسسة الجامعية، (فوضيل دليو وآخرون، 1995، ص 226) كما أنهم سيصبحون عن قريب من مخرجات العملية التعليمية الجامعية، (عبد الله محمد عبد الرحمان، 1991، ص 26) وأهم مورد بشري للجامعة المزودون بالمهارات والمعارف والقدرات في فترة تكوينهم بالجامعة وتسد لهم عملية نقل وتوظيف المعارف والتجارب إلى المجتمع الذي يعيشون فيه.

3- سوق العمل: يقصد به الوظائف الشاغرة التي يعلن عنها في مختلف المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والتربوية من خلال الإعلان عنها عن طريق الوظيف العمومي عبر الموقع الرسمي له أو الجرائد الرسمية، والفرص المتاحة التي يصنع من خلالها خريج الجامعة نشاط خاص استثماري تجاري أو اقتصادي معين بالتعامل مع البنوك.

4- فرص العمل: مدى توفر إمكانية شغل هذه الوظائف من طرف هؤلاء الطلبة المقبولون على التخرج عن طريق مسابقات التوظيف أو إيجاد التسهيلات اللازمة من اجل فتح مشاريع مصغرة أو متوسطة عن طريق البنوك.

رابعا- طبيعة المؤسسة الجامعية

1- مقومات الجامعة:

يتوقف أداء المؤسسة الجامعية لوظائفها على ثلاث عناصر رئيسية هي:

أ- هيئة التدريس: يعتبر الأساتذة نقطة تحقيق أهداف الجامعة فإذا كانت الجامعة تحتاج في أداء وظيفتها إلى خلفية تربوية تنظيمية تتصف بالمرونة والقابلية للتطور مع مراعاة البعد الإنساني في العلاقات الاجتماعية، فإن الطرق الأكثر أهمية دون شك هي هيئة التدريس، فالجامعة لا تضع الخبرة بواسطة الهيكل الإداري والتشريعات فحسب، بل لا بد أن تجمع في مخابرها ومدرجاتها أعدادا من الأساتذة والباحثين.

والمدرس كما يرى جون ديوي هو: "ذلك الذي يدرّب طلابه على استخدام الآلة العلمية وليس الذي يتعلم بالنيابة عنهم، وهو الذي يشترك مع طلابه في تحقيق نمو ذاته ليصل إلى أعماق الشخصية ويمتد إلى أسلوب الحياة" (محمد العربي ولد خليفة، سنة 1989م، ص 197).

ب- الجماعة الطلابية:

يعتبر الطلبة نقطة تطبيق أهداف المؤسسة الجامعية ولذلك فالتعليم الجامعي يهدف إلى تطوير مهارات الطالب وتحسين قدراته من جميع النواحي الجسمية والعقلية والنفسية، لكي يتجلى فيما بعد في سلوك متزن ومتكامل، يؤهل عن طريقه إلى خدمة المجتمع في التخصصات المتعددة.

فنجذ أن الطالب اليوم له أهدافه وطموحاته، يرغب في الحصول على العلم والمعرفة من جهة، ويريد أيضا أن يحصل على العمل الذي يساعده على الحياة الكريمة من جهة أخرى (حبيب الله بن محمد التركستاني، خريف 1999م، ص ص 85-86).

ج- الهيكل التنظيمي والإداري الذي يحتويها: وهو نقطة الارتكاز لتحقيق الأهداف وضمان السير الحسن للجميع (زليخة طوطاي، سنة 1996م، ص 65).

وما يمكن أن نلاحظه عن الجامعة كمؤسسة، فهي تتميز بتنظيم وإدارة وهيكل وأهداف خاصة بها، والتي تقوم على العلاقات الموجودة بين مختلف فئات الأسرة الجامعية والوظائف الموكلة لكل منها.

2- أهداف المؤسسة الجامعية:

باعتبار أن الجامعة مؤسسة تتأثر بمختلف الأوضاع الاجتماعية والإقتصادية والسياسية والثقافية الموجودة في المجتمع، فهي تتلقى أهدافها من أهداف المجتمع الذي توجد فيه.

والجامعة الجزائرية كغيرها من الجامعات تقوم بمجموعة من الوظائف منها: (عبد الله بوخلخال، 1997)

- المساعدة في تعميم نشر المعارف وإعدادها وتطويرها.
- تكوين الإطارات اللازمة لتنمية البلاد وفقا للأهداف المحددة في التخطيط الوطني.
- تضطلع بترقية الثقافة الوطنية وتساهم في تطوير البحث وتنمية الروح العلمية.
- تتولى تلقين الطلاب المناهج الخاصة بالبحث.
- تقوم بأي عمل لتحسين المستوى وتجديد المعارف والتكوين الدائم، كما تقوم بنشر الدراسات ونتائج البحوث.
- ومن خلال ما سبق ذكره نلاحظ أن الجامعة تسعى إلى تحقيق أهداف أساسية تختلف باختلاف أنواعها: اقتصادية أو خدمية أو تعليمية، تدور في مجملها حول التعليم والتدريس، والبحث العلمي، وتنمية المجتمع وهي على الشكل التالي:

أ- التعليم والتدريس:

إذا كان التعليم هو أبرز وظائف الجامعة فإن دورها في تكوين وإعداد الإطارات أمر لا يستهان به، نظرا لما يلعبه الرأسمال البشري في عملية التنمية والتدريس.

إن الجامعة تعمل دوما على تجديد نظمها وبرامجها التعليمية لتبقى وثيقة الصلة بالمجتمع الذي تنتمي إليه وذلك لتلبية حاجاته من الكوادر الفنية. فعن طريق التعليم تتمكن الجامعة من مجاراة عصر التكنولوجيا باتساع تطبيقاته الالكترونية والبيولوجية والمعلوماتية وتلك هي منطلقات تقدم مجتمعات القرن الحادي والعشرين.

وهكذا فإن التعليم العالي ليس مجرد نقل للمعرفة، بل هو المساعدة على إنتاجها من خلال البحث لتكوين رأسمال بشري وثقافي قادر على مواجهة تحديات العصر والعولمة والحياة الاجتماعية بصفة عامة.

ب- البحث العلمي:

يعرف حسانة محي الدين البحث العلمي على انه: "سلوك إنساني منظم يهدف إلى إستقصاء صحة معلومة أو حادثة هامة أو توضيح موقف أو ظاهرة معينة، أو الوصول إلى حل ناجح لمشكلة أكاديمية أو إجتماعية تهم الفرد والمجتمع، فالبحث العلمي نشاط منظم وطريقة في التفكير وأسلوب لتقصي الحقائق اعتمادا على مناهج موضوعية محققة لمعرفة الارتباط بين هذه الحقائق ثم استخلاص المبادئ العامة أو القوانين التفسيرية" (حسانة محي الدين، خريف 1999م، ص 106).

و البحث العلمي هو مسؤولية الأساتذة والخريجين والحركة الطلابية أي هو عمل تقوم به الجامعة وبدعم من طرف الدولة ورجال الأعمال. ومن شروط البحث العلمي الطاقة الفكرية والتفرغ لإنجازه والجو الأكاديمي الملائم لنقده وتصحيحه ورصد الأموال الكافية له.

ويعتبر البحث العلمي من أكثر الوظائف التصاقاً بالجامعة، وذلك لأن الجامعة هي التي تتوفر لديها الموارد الفكرية والبشرية المؤهلة للبحث العلمي، كما أنها تعد المؤسسة الوحيدة التي يمكن عن طريقها القيام بنشاطات الأبحاث بصورة منضبطة، وهي التي يمكن لها تقديم خدمات استشارية تحتاجها قطاعات المجتمع. وفي الجزائر بصفة خاصة هناك مبادرات وهناك صعوبات تحول دون تحقيق الموائمة بين ما تنتجه المؤسسة الجامعية من أبحاث علمية وبين ما تحتاجه المؤسسات الشريكة الاقتصادية منها والاجتماعية، أضف إلى ذلك عدم تنسيق نتائج الأبحاث العلمية والمؤسسات الأخرى في المجتمع (رياض الزغل، 1985، ص 131).

ج- تنمية المجتمع:

لا يمكن للجامعة تأدية دورها ما لم تكن ملتزمة بقضايا المجتمع ومتطلبات نموه وازدهاره، ولذا فإن الخدمة العامة أصبحت وظيفة أساسية للجامعة لا يقل شأنها عن الوظيفتين السابقتين، وحين يتناول بيليكان واجبات الجامعة يوجه الإهتمام أولاً إزاء المجتمع المحلي والقومي والإنساني، مؤكداً أن معالجة مشكلات المجتمع وحاجات البيئة التي غيرت كلياً نتيجة التقدم التقني تتطلب أخذ الكفاية التقنية والمنفعة الاجتماعية والقيمة الإنسانية مع بالحسبان. كما أن لها واجبات إزاء الإصلاح التربوي عامة والإصلاح الذاتي خاصة (بيليكان، ياروسلاف، ديسمبر 1993م، ص 128). ومجالات خدمة الجامعة للمجتمع كثيرة جداً وذلك من خلال المعاهد الزراعية والتجارية والتكنولوجية الصناعية والطبية والاجتماعية والأدبية والفنية، أما في قطاع الخدمات فإن أكثر العوامل صلة بالتنمية هي وجود القوى العاملة للقيام بوظائف سائر الخدمات المالية والإدارية والصحية والإسكان. وتعمل الجامعة على فهم المشكلات الشخصية والأسرية والاجتماعية للأفراد ومساعدتهم على حلها من خلال علمائها ومفكرها. كما أنها تأخذ بعين الاعتبار حاجيات الإقتصاد الوطني من اليد العاملة في سوق العمل أي ضرورة وجود توازن بين مخرجات التعليم وحاجيات التنمية، ونجد أن التعليم الجامعي بحكم رسالته يسعى لتحقيق أهداف معينة تتمحور حول التنمية الشاملة، وتماشياً مع المتغيرات العالمية زاد إنشغال الجامعة في رسالتها بالتكنولوجيا والحاسوب واللغات الأجنبية، كما أن السعي إلى إنشاء جامعات مفتوحة ودراسات عن طريق التعليم عن بعد والجامعة الافتراضية من خلال الوسائط التكنولوجية المختلفة الذي لازال قائماً كهدف متوقع (حامد عمار، أوت 2002م، ص 16). وتستطيع الجامعة تحقيق أهدافها إذا توافرت لديها جملة من المدخلات، والطلاب أهم تلك المدخلات والأساتذة أهم مقوماتها، فالجامعة تحتاج لنوعية متميزة من أعضاء هيئة التدريس ذلك لأن "الجامعة بأساتذتها لا بمبانيها و الجامعة بفكر هؤلاء الأساتذة وعلمهم وخبرتهم وبحوثهم قبل كل شيء" (وفاء محمد البرعي، سنة 2002م، ص 302).

ويرى علي أحمد مذكور أن من أهداف التعليم العالي الوفاء باحتياجات سوق العمل من التخصصات المختلفة بالكم والكيف المناسبين لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، فهناك مؤشرات يمكن استخدامها لقياس فاعلية التعليم العالي منها معدل البطالة بين الخريجين، والهجرة الخارجية لخريجي الجامعة، والتراكم التكنولوجي المحلي، ومدى قدرة الخريج على القيام بواجباته عند اندماجه في سوق العمل (علي أحمد مذكور، سنة 2000م، ص 198). وعلى العموم فإن الجامعة الجزائرية على غرار الجامعات العالمية تسعى إلى تحقيق الأهداف التالية:

- تكوين إطارات ذات قدرات فنية متشعبة بالشخصية الوطنية، وتجهيزهم للاضطلاع بمسؤولياتهم وفق مقتضيات التنمية.

- تطوير البحث العلمي وتنمية وبعث الروح العلمية لدى الطلاب والمدرسين على حد سواء، والعمل على إرساء قواعده واستمراريته.

- ترقية الثقافة الوطنية والإنسانية والنشاط الفكري بصفة عامة، باعتبار أن الثقافة أصبحت رهينة القدرات البشرية التي تعدها الجامعة.

- العمل على توثيق الروابط الثقافية وذلك بإنشاء علاقات بحثية وعلمية بين مختلف الجامعات، وتبادل الوثائق والمطبوعات عن طريق وسائل الاتصال الحديثة كالإنترنت.

- إثراء المعارف وتطوير التقنيات وتهيئة الكفاءات مستفيدة بذلك من الحصيلة العلمية.

د- إصلاح التعليم العالي:

تجدر الإشارة إلى أن ظهور الجامعة في الجزائر جاء للتخلص من الموروث الاستعماري، فقد حددت الجامعة لنفسها عدة أهداف، وخاصة ما تعلق بتكوين إطارات كافية من حيث العدد مؤهلة تقنيا وعمليا للقيام بمهامها على أحسن وجه، في مختلف المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية... محافظة على الشخصية الجزائرية وثوابتها مفتتحة بمبادئ الثورة واختياراتها الكبرى للتغلب على التخلف ورواسبه الذهنية وانحرافاته السلوكية (محمد العربي ولد خليفة، سنة 1989م، ص207).

وقد جاء تحديد هذا الهدف من خلال إصلاح 1971م الذي كان الهدف منه هو إنهاء نظام التعليم الموروث، وقد تبنى الأهداف التالية:

- تكوين أكبر قدر ممكن من الإطارات لتلبية حاجات كل قطاعات التنمية باستخدام أكثر الوسائل فعالية وملائمة لواقع البلاد وتطلعاتها.

- جعل التكوين واحد من الاستثمارات الأساسية السريعة المردود في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وإتمامه بأقل تكلفة ممكنة.

- استجابة التكوين للحاجات الحقيقية للبلاد ينبغي أن تنعكس فيه مقومات الشخصية الجزائرية، مع وصوله إلى درجة من العمق تجعل الإطارات المتخرجة قادرة على الإلتقان في العمل والتطور في المعارف باستمرار.

ولتحقيق أهداف هذا الإصلاح تم تحديد عدة منطلقات إستراتيجية لسياسة التربية والتعليم والتكوين في الجزائر هي:

- ديمقراطية التعليم العالي.

- جزأة الهياكل والمناهج والمضمون والأطر الجامعية.

- تخريج أكبر عدد ممكن من الإطارات الكفوءة، في أقصر مدة ممكنة بواسطة عدد من الإجراءات التنظيمية و البيداغوجية التي تؤدي إلى الحد من الإخفاق والتسرب. والعمل على تدعيم وتوسيع التعليم العلمي والتقني.

- التعريب.

- البحث العلمي (محمد العربي ولد خليفة، سنة 1989م، ص209).

جاءت الأهداف والمبادئ السابقة نتيجة للمرحلة الإنتقالية التي عاشتها الجزائر بصفة عامة من الاستعمار إلى الاستقلال، ولكن بعد ذلك أصبحت المؤسسة الجامعية الجزائرية تسعى لتحقيق مجموعة من الأهداف التي تتماشى والتطورات الجديدة للبلاد ويمكن تلخيصها فيما يلي:

▪ ربط التعليم الجامعي بالحقائق الوطنية لمعالجة المشكلات الوطنية، مع إعطائه أبعاد تقنية وعلمية خدمية لمختلف الأهداف المجتمعية.

▪ الجمع بين التربية والتعليم لإعداد إطار متشبع بالثقافة الوطنية.

▪ القيام بنشر المعرفة العليا والعمل على تطوير البحث العلمي بما يتلاءم والتطورات التكنولوجية.

3- الجامعة وتحديات القرن الواحد والعشرون:

تعيش المؤسسة الجامعية في هذا العصر عصر التحديات والتناقضات والتحوليات في كل المجالات لاسيما مجال القوة والمعرفة وتغير نظم التفكير وأساليب الإنتاج والتوزيع، إنه قرن التحدي العلمي والمعرفي والتقني والاقتصادي والإعلامي، لذا فإن الجامعة في هذا العصر تواجه تحديات كثيرة أهمها مايلي:

أ- التحديات الاجتماعية:

يواجه التعليم العالي الجزائري تزايدا كبيرا في عدد الطلاب، بسبب النمو السكاني السريع واتساع فئة العمر بين (18- 23 سنة)، واعتبار الدراسة في الجامعة قيمة في حد ذاتها، بغض النظر عن الشهادة التي يتحصل عليها الطالب، إضافة إلى ذلك اهتمام الدولة بتعليم أبنائها، وتطبيق مبدأ الديمقراطية في التعليم وتكافؤ الفرص التعليمية، والطموح التعليمي المتزايد للأبناء والأبناء، الأمر الذي ترتب عليه تزايد في مستوى المقبولين في الجامعة، ويتضح هذا في الزيادة المتنامية لنسبة الملحقين بالجامعة الذي أدى إلى زيادة إنشاء الجامعات والمعاهد العليا، خاصة المراكز الجامعية في المدن الصغيرة، لتخفيف الضغط على الجامعات الكبرى.

ب- التحديات الاقتصادية (التمويلية):

يواجه التعليم العالي أزمات مالية واقتصادية باستمرار، وذلك بسبب تزايد الحاجة للموارد المالية للإنفاق على مؤسسات التعليم. التي تتوسع باستمرار، سواء في عدد الطلاب أو الهياكل، لكن في المقابل هناك تقلص في ميزانياتها السنوية، نتيجة عدة عوامل خاصة منها ضغوط النقش وترشيد الإنفاق وارتفاع الديون الخارجية. وأمام هذه الصعوبات المالية، لا بد من التفكير في بدائل وأساليب جديدة لتمويل التعليم العالي. بحيث تقوم على مشاركة جميع الذين يجنون فائدة من التعليم العالي، سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة، بما في ذلك القطاع الاقتصادي (علي أحمد مذكور، سنة 2000، ص157)، وإلا ستظل الجامعة في هذه الحلقة لا تستطيع الخروج منها.

ج- تحديات مسيرة البحث العلمي:

يعتبر البحث العلمي من الوظائف الأساسية للجامعة الهادفة إلى ربطها بمحيطها من خلال تشخيص ومعالجة مختلف الظواهر الموجودة في هذا المجتمع سواء اقتصادية أو اجتماعية أو تكنولوجية، وغيرها. ولا يتقدم البحث العلمي إلا بتوفر شروطه الأساسية كالترافق المعرفي والمستلزمات المادية والمعنوية، وتخصيص ميزانية خاصة به، وقد حاولت الجامعة الجزائرية الاهتمام بميدان البحث العلمي منذ إنشائها ومع مختلف المراحل التي مرت بها ذلك بتوسيع هياكلها وبناء مراكز جديدة باعتماد مواصفات الجودة الشاملة في التعليم العالي، ورغم ذلك تبقى المقارنة بما توصل إليه الغير في الدول المتقدمة بعيدة نوعا ما، والمثال على ذلك نجد أنه في إحصائية للأمم المتحدة تشير إلى أن عدد الباحثين لكل مليون نسمة في عام 2000 حوالي 250 إلى 450 باحثا في الوطن العربي يقابلها 2000 إلى 2500 في أوروبا الغربية (محمد مصطفى الأسعد، سنة 2000، ص189).

4- المؤسسة الجامعية وعلاقتها بسوق العمل:

إن أبرز التحديات التي تواجه المؤسسات مهما كانت طبيعتها هو سعيها لامتلاك القدرة على التأقلم والتكيف السريع، في ظل ما يشهده العالم من تحولات كبرى مرتبطة بالتطورات العلمية والتقنية الهائلة، ورغم أن المؤسسات الجزائرية ومنها الجامعية شرعت في عمليات التحديث والعصرنة للمعدات والأجهزة، واعتمدت على التكنولوجيا وإدخال الذكاء الإلكتروني في أساليب الإدارة والتسيير، إلا أن العنصر البشري هو أهم العناصر الفاعلة فيها، ومحركها الأساسي نحو تحقيق أهدافها.

إذا كان العامل البسيط يهتم بإنتاج المواد والسلع، فالمؤسسة الجامعية تهتم بإنتاج الأفكار والمعرفة التي تحملها الموارد البشرية المتمثلة في خريجي الجامعات والمعاهد في مختلف التخصصات ليتم استثمارها من طرف المجتمع ولهذا كان لها دور كبير في تهيئة الأجيال المختلفة لتحمل مسؤوليات المجتمع.

ولا يمكن أن تكون في المستوى المطلوب إلا إذا أخذ بعين الاعتبار متطلبات مقوماتها الأساسية ومنها الطالب في نهاية التخرج وحاجاته الأساسية المختلفة النفسية والاجتماعية والإقتصادية، فما أحوجه إلى استثمار كفاءته في الأداء وروح معنوياته العالية بإيجاد استقبال مناسب في ميدان سوق العمل فتكون الفائدة عامة بالنسبة له ولمجتمعه.

فخريج الجامعة يعتبر فاعلا بارزا في تنمية رأس المال البشري الذي يدفع بعجلة التنمية، لأنه يعتبر من أدوات التغيير في المجتمعات، باعتبارها تتعامل مع القوة البشرية المتمثلة في فئة الشباب بعمر (18) سنة فما فوق، التي يقع على عاتقها مهمات مباشرة داخل المجتمع بمجرد انقضاء السنوات الدراسية.

نستج ما سبق ذكره من العناصر النظرية لموضوع الدراسة أن الطالب الجامعي خاصة في النظام الجديد يجب عليه تغيير النظرة حول كيفية إيجاد فرص العمل خارج الوظيفة التي تضمنها الدولة، والتوجه نحو إنشاء مبادرات فردية بالبحث عن أفكار جديدة يجسدها في مشاريع خاصة تساهم في تنمية المنطقة والمجتمع الذي يعيش فيه والاستفادة مما توفره الدولة في هذا المجال في شتى المجالات الاقتصادية والاجتماعية، بفتح مؤسسات خاصة داعمة لتنمية المجتمع والبلاد شرط ترشيدها نحو ما يدفع إلى التقدم لا إلى التخلف وهشاشة المجتمع.

خامسا- الجانب الميداني

1 - مجال الدراسة:

أ- **المكاني:** أجريت الدراسة بالكليات الموجودة بالقطب الجامعي رقم 02 بجامعة قاصدي مرباح ورقلة، وهي كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية الحقوق والعلوم السياسية وكلية الآداب واللغات.

ب- **الزماني:** أجريت الدراسة الميدانية خلال السنة الجامعية 2013/2014.

ج- **العينة وطريقة اختيارها:** اتبعت الدراسة العينة غير الاحتمالية عرضية (موريس أنجريس، ص 311) من طلبة ما بعد التدرج الدفعات المتخرجة من كليات القطب الجامعي الثاني (رقم 02) وتتمثل في 30 طالب من كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير و 30 طالب من كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية و 30 طالب من كلية الحقوق والعلوم السياسية و 30 طالب من كلية الآداب واللغات ويتمثل إجمالي العينة في 120 طالب من مستوى الدفعات المتخرجة LMD (ماستر 2) في التخصصات المختلفة.

2- **المنهج:** اتبعت الدراسة المنهج الوصفي لملائمته مع موضوع الدراسة الموسوم بتوقعات الطلبة الجامعيين لفرص العمل بعد التخرج- دراسة على عينة من طلبة ما بعد التدرج بجامعة قاصدي مرباح.

3- أدوات الدراسة

أ- **الملاحظة:** لطبيعة الموضوع المدروس اخترنا الملاحظة بالمشاركة وذلك لمعرفة توقعات الطلبة الجامعيين المقبلين على التخرج في الماستر لفرص العمل بعد التخرج.

ب- **المقابلة:** اعتمدت الدراسة على استمارة المقابلة التي وزعت على طلبة ما بعد التدرج السنة الثانية ماستر بجامعة قاصدي مرباح ورقلة، لمعرفة آرائهم وتوقعاتهم حول فرص العمل بعد التخرج. (أنظر الملحق رقم

(1).

4- عرض وتحليل الجداول الإحصائية

أ- البيانات العامة:

جدول رقم (01): يوضح بيانات عينة البحث المتعلقة بالجنس، الحالة العائلية والوظيفة.

النسبة %	التكرار	الإجابة المحتملة البيانات الشخصية	
		الجنس	الحالة العائلية
31.66 %	38	ذكور	الجنس
68.34 %	82	إناث	
100 %	120	المجموع	
85.84 %	103	أعزب	الحالة العائلية
14.16 %	17	متزوج	
100	120	المجموع	
19.16 %	23	لديه عمل	الوظيفة
80.84 %	97	طالب جامعي	
100 %	120	المجموع	

من خلال الجدول المبين أعلاه الذي يوضح بعض البيانات الشخصية لعينة البحث المتمثلة في الجنس، الحالة العائلية والوظيفة، يتضح بأن عينة البحث تنتمي إلى جنس الإناث بنسبة 68.34 % بعدد أفراد العينة يمثل 82 ونسبة الذكور 31.66 %، بعدد أفراد العينة يمثل 38 وأن أفراد عينة البحث أكثرهم عزاب أي بنسبة 85.84 % ويقدر عددهم 103 مفردة ولا تتعدى نسبة المتزوجون نسبة 14.16 % ويقدر عددهم 17 مفردة و يتوزع المبحوثين حسب الوظيفة 19.16 % موظفون ويقدر عددهم 23 مفردة، و 80.84 % غير موظفين أي يزاولون دراستهم فقط وهذه نسبة تعتبر نسبة كبيرة من المبحوثين ويقدر عددهم 97 مفردة.

جدول رقم (02): يوضح بيانات عينة البحث المتعلقة بمحل الإقامة والأصول الجغرافية للطلاب.

النسبة %	التكرار	الإجابة المحتملة البيانات الشخصية	
		محل الإقامة	الأصل الجغرافي
37.5 %	45	الأسرة	محل الإقامة
62.5 %	75	الإقامة الجامعية	
100 %	120	المجموع	
29.16 %	35	ولاية ورقلة	الأصل الجغرافي
35 %	42	ضواحي ولاية ورقلة	
24.16 %	29	خارج ولاية ورقلة (الساحل)	
11.66 %	14	خارج ولاية ورقلة (الصحراء)	
100 %	120	المجموع	

من خلال الجدول المبين أعلاه الذي يكمل توضيح بعض البيانات الشخصية لعينة البحث المتمثلة في محل الإقامة، الأصل الجغرافي، يتضح أن أغلبية عينة البحث تقيم في الإقامات الجامعية بمدينة ورقلة وقدر عددهم 75 مفردة بنسبة 62.5 %، أما 45 مفردة بنسبة 37.5 % فهي تقيم عند أسرهم في مدينة ورقلة، أما فيما يخص توزيع العينة حسب الأصل الجغرافي فهي كما يلي ولاية ورقلة 35 مفردة ومثلت نسبة 29.16 %، ضواحي ولاية ورقلة

42 مفردة ومثلت 35 %، خارج ولاية ورقلة (الساحل) كان عددهم 29 ومثلت 24.16 % وفي الأخير خارج ولاية ورقلة (الصحراء) عددهم 14 ومثلوا نسبة 11.66 %.

جدول رقم (03): يوضح البيانات المتعلقة بمواكبة برامج التعليم الجامعي لمتطلبات واحتياجات سوق العمل

الاحتمالات	التكرار	النسبة %
ملائمة المقاييس التي تدرس في الجامعة لاحتياجات الوظيفة.	نعم	43
	لا	77
	المجموع	120
مدى تطبيق نتائج البحوث العلمية التي يقوم بها الطلبة في المؤسسات الاقتصادية	نعم	18
	لا	102
	المجموع	120

من خلال الجدول المبين أعلاه الذي يوضح البيانات المتعلقة بمواكبة برامج التعليم الجامعي لمتطلبات واحتياجات سوق العمل نجد أن 77 مفردة وتمثل نسبة 64.16 % يرون أن المقاييس التي تدرس في الجامعة لا توائم احتياجات الوظيفة، أما 43 مفردة وتمثل 35.84 % ترى أنها موائمة لاحتياجات الوظيفة، في حين يرى 102 مفردة الذين يمثلون نسبة 85 % وهم أغلب أفراد عينة البحث أن نتائج البحوث العلمية التي يقوم بها الطلبة في المؤسسات الاقتصادية لا تؤخذ بعين الاعتبار ولا تطبق، وهذا راجع إلى القطيعة بين الجامعة والمؤسسات الاقتصادية، لهذا نجد أن البحوث العلمية التي تجرى في الجامعات الجزائرية نذكر على سبيل المثال مذكرات الماستر والدكتوراه التي ينجزها الباحثين ويتوصلون إلى عدة نتائج علمية يحتاجها المجتمع وسوق العمل، تبقى في رفوف المكتبات الجامعية ليستفيد منها الطلبة في إعدادهم للبحوث كدراسات سابقة، أما نسبة 15% وهم يمثلون 18 مفردة فهم يرون أن نتائج البحوث العلمية التي يقوم بها الطلبة في المؤسسات الاقتصادية تطبق في المؤسسات وذلك راجع إلى تطبيق سياسة نظام ل. م. د الذي يهتم بالبرامج التي تساهل تطور المجتمع خاصة في المجالات التقنية نذكر على سبيل المثال مقياس إعلام الآلي، الإحصاء، التكنولوجيا... نضيف إلى ذلك هناك بعض المقاييس في النظام الجديد ل.م.د أدخلت عليها تغيرات جديدة تتواءم مع سوق العمل ومع التغيرات التي يشهدها المجتمع .

جدول رقم (04): يوضح البيانات المتعلقة بمدى وجود مصادر لاستكشاف سوق العمل

الاحتمالات	التكرار	النسبة %
- مدى تصفح الجرائد	نعم	52
	لا	40
	أحيانا	28
	المجموع	120
- مدى تصفح مواقع التوظيف بالانترنت	نعم	63
	لا	21
	أحيانا	36
	المجموع	120
المصادر الموثوق بها في الإعلان عن التوظيف.	- الجرائد اليومية	18
	- الجريدة الرسمية	34
	- موقع التوظيف العمومي	68
	المجموع	30

من خلال الجدول المبين أعلاه الذي يوضح البيانات المتعلقة بمدى وجود مصادر لاستكشاف سوق العمل، يتضح بأن 33.34% من عينة البحث لا تتصفح الجرائد وقدّر عددهم 40 مفردة، بالمقارنة مع نسبة 43.33 % منها فهي تتصفح الجرائد وتقدر 52 مفردة، و نسبة 52.5 % والمقدر عددهم 63 من أفراد العينة تتصفح مواقع التوظيف بالانترنت، بالمقارنة مع 21 مفردة وتمثل نسبة 17.5 % فهي لا تتصفح هذه المواقع بالانترنت في حين عبرت 36 مفردة وتمثل 17.5 % بأنها أحيانا ما تتصفح مواقع التوظيف بالانترنت، بينما نجد أكثر المصادر الموثوق بها في الإعلان عن التوظيف فهو موقع الوظيف العمومي بنسبة 56.66 % وعبرت عن ذلك 68 مفردة وذلك لسهولة الاطلاع عليه من جهة، كما انه يعتبر موقعا رسميا يتميز بمصداقية أعلى من المصادر الأخرى، ثم الجريدة الرسمية بنسبة 34 % وعبر عن ذلك 34 مفردة (بمبرر عدم الاطلاع عليها على الدوام) وأخيرا تأتي الجريدة اليومية بنسبة 15%. أما عن المصادر الأخرى التي ذكرتها عينة البحث أثناء المقابلة فتتمثل فيما يلي: مكتب التشغيل + وسائل الإعلام السمعية والبصرية + الإعلان بالمؤسسة المعنية بالتوظيف خاصة الصناعية.

جدول رقم (05): يوضح البيانات المتعلقة بروح المبادرة في صنع فرص العمل لدى خريجي الجامعة الجزائرية

النسبة %	التكرار	الاحتمالات	
36.67 %	44	نعم	زيارة شركات في ميدان تخصصكم عن طريق الخرجات الميدانية
63.33 %	76	لا	
100 %	120	المجموع	
10.84 %	13	نعم	تلقي دعوات من مؤسسات المجتمع
89.16 %	107	لا	
100 %	120	المجموع	
37.5 %	45	نعم	هل لديك رغبة في تكوين مؤسسة خاصة
62.5 %	75	لا	
100 %	120	المجموع	
20.83 %	25	نعم	المبادرة في إيجاد فرصة للشغل
79.17 %	95	لا	
100 %	120	المجموع	
69.17 %	83	نعم	الاعتماد كلية على رهن المستقبل بالوظيفة
30.83 %	37	لا	
100 %	120	المجموع	
30.83 %	37	الزواج وتكوين الأسرة	مدى وجود فرص أخرى غير الوظيفة توضع في الحسبان
15.83 %	19	إنشاء مشروع خاص (عمل حر + تجارة + قروض مؤسسات صغير ومتوسطة)	
11.66 %	14	مواصلة الدراسات العليا	
25 %	30	الانخراط في الجيش	
16.66 %	20	الهجرة	
100 %	120	المجموع	

من خلال الجدول المبين أعلاه الذي يوضح البيانات المتعلقة بروح المبادرة في صنع فرص العمل لدى خريجي الجامعة الجزائرية، يتضح أن عينة البحث لديهم الاستعداد للمبادرة في إيجاد فرص العمل أما عن زيارة شركات في ميدان تخصصهم عن طريق الخرجات الميدانية فكانت إجاباتهم بنعم 44 مفردة بنسبة 36.67 % أما المجيبين بلا فكانوا 76 مما يمثل 63.33 % وذلك كون أغلب التخصصات لا تعتمد على هذا النوع من الخرجات أثناء التكوين الجامعي للطلبة.

في حين أجاب 13 مبحوث بالإيجاب عن تلقي دعوات من مؤسسات المجتمع وهو ما يمثل 10.84 % بينما 107 مبحوث أجابوا بالسلب أي ما نسبته 89.16 %

وبالنسبة لرغبة المبحوثين في تكوين مؤسسة خاصة فكانت الإجابة بنعم لدى 75 مبحوث أي بنسبة 62.5 % أما الإجابة بلا فكانت لدى 45 مبحوث أي 37.5 % من العينة المبحوثة، أما عن رغبتهم في المبادرة في إيجاد فرصة للشغل فتوزعت الإجابات بين نعم لدى 25 مبحوث ما يمثل نسبة 20.83 % من مفردات العينة ولا لدى 95 مبحوث أي نسبة 79.17 %، كما عبر المبحوثون عن اعتمادهم كلية على رهن مستقبلهم المهني بالوظيفة من خلال إجاباتهم بنعم من طرف 83 مفردة تمثل 69.17 % بينما لم تتجاوز الإجابة بلا 37 مفردة تمثل 30.83 % من العينة المدروسة.

أما عن مدى وجود فرص أخرى غير الوظيفة توضع في الحسبان ، فتوزعت إجابات المبحوثين كما يلي:

- الزواج وتكوين الأسرة بتكرار 37 يمثل 30.83 % من العينة.
- إنشاء مشروع خاص (عمل حر + تجارة + قروض مؤسسات صغير ومتوسطة) لدى 19 مبحوث يمثلون نسبة 15.83 % من حجم العينة
- مواصلة الدراسات العليا وتمثله نسبة 11.66 %
- اختار 30 مبحوث الانخراط في الجيش ويمثلون نسبة 25 % من العينة المدروسة
- أما 20 مبحوث فاختاروا الهجرة وهم يمثلون نسبة 16.66 % من مجموع أفراد العينة.

5- النتائج الجزئية:

النتيجة الجزئية الأولى: يتضح من خلال إجابات المبحوثين على الأسئلة من (07 إلى 10) والمتعلقة بالمحور الأول من محاور الاستمارة أن الطلبة الجامعيين يرون أن الجامعة منعزلة عن محيطها الاقتصادي والاجتماعي وبالتالي عن سوق الشغل الذي يمكن أن يتجه إليه الطلبة المتخرجين منها على اعتبار أن طرفي التكوين الجامعي من محتويات دراسية في عروض التكوين والأبحاث التي يقومون بها في الجامعة لا تتوافق مع متطلبات مؤسسات المجتمع وحاجات سوق العمل، بالرغم أنه يفترض في التكوين الجامعي تقديم وتكوين المورد البشري ليصبح فاعلا في أداء مسؤولياته التي تقتضيها التنمية، فكما يرى هربرت بوك Herbert Buck الألماني أن " المواد التدريسية يجب أن تنسجم بحق مع الواقع ومع المطالب والحاجات الاجتماعية " (عبد اللطيف صوفي، 2002، ص 24)، وهو ما يغيب في جامعاتنا ويشكل فجوة بين ما يتلقاه الطلبة وما هم مطالبون بإنجازه بعد التخرج، على اعتبار التكوين الجامعي هو عملية تهدف إلى إعداد كفاءات ومؤهلات علمية وتقنية قابلة للترجمة الميدانية مهنيا (لحسن بو عبد الله، محمد مقداد، 1998، ص ص 10 - 21)، فيفترض أن الكفاءة العلمية للطلبة كفاعلين مستقبليين هي التي تفرض قيمها على المركز الوظيفي، فكفاءة الفرد في انجاز الأعمال المنوطة به ترتكز على الكفاءة العلمية التي يحوزها.

النتيجة الجزئية الثانية: يعتمد الطلبة الجامعيون في استكشاف سوق العمل على المصادر الرسمية وهو ما توضحه إجاباتهم على أسئلة المحور الثاني (11- 13) والمتمثلة بشكل خاص في مواقع التوظيف عن طريق الانترنت

خاصة موقع التوظيف العمومي الذي يطلع عليه أغلب الطلبة الفاعلين كونهم يعتبرونه مصدرا رسميا وأكثر موثوقية في الاطلاع على فرص التوظيف المعلن عنها والمتعلقة بصفة خاصة بالقطاع العام، ثم تأتي بدرجة ثانية الاتصال المباشر بمكاتب التشغيل أو المؤسسات المعنية بالتوظيف مباشرة خاصة بالنسبة لمؤسسات القطاع الخاص. ويدل هذا على أن الطلبة يربطون مستقبلهم الوظيفي بالمصادر الرسمية وخاصة الوظيفة كمجال أساسي للعمل/ ويمكن أن يرجع ذلك إلى نظرة المجتمع وتمثلاته الايجابية للوظائف الإدارية بصفة خاصة دون الوظائف المهنية التي تعتبر أدنى مرتبة في سلم التقدير الاجتماعي.

النتيجة الجزئية الثالثة: من خلال النتائج الجزئية للمحور الثالث والمتعلق بالأسئلة (14 إلى 19) فإن إجابات الباحثين تتمحور حول عدم زيارتهم لمؤسسات وشركات في ميدان تخصصهم عن طريق الخرجات الميدانية، كما أنهم لم ينفقوا دعوات من مؤسسات المجتمع وهذا يؤكد ما تم التوصل إليه في النتيجة الجزئية الأولى من أن الجامعة كنظمة غير منفتحة على محيطها الاجتماعي، ومن جهة أخرى فإن نسبة معتبرة منهم لا يميلون إلى تكوين مؤسسة خاصة أو المبادرة في إيجاد فرصة عمل وهو ما يؤكد ما جاء في النتيجة الجزئية الثانية من أن اهتمام الطلبة منصب ومنحصر على الوظيفة العمومية وخاصة الإدارية منها وهو ما يظهر في إجاباتهم حول سؤال اعتمادهم على رهن مستقبلهم بالوظيفة، أما عن الفرص الأخرى غير الوظيفة التي توضع في الحسبان ففي المرتبة الأولى الزواج وتكوين أسرة (بالنسبة للإناث) ثم الانخراط في الجيش يليه الهجرة وفي المرتبة الرابعة مواصلة الدراسات الأكاديمية العليا، أما في المرتبة الأخيرة يأتي اختيار إنشاء مشروع خاص ضمن الصيغ المختلفة الموجودة.

ويتضح مما سبق أن هؤلاء الطلبة ليست لديهم المبادرة في صنع فرص العمل ليكونوا فاعلين كما أنهم لا يمارسون هامش الحرية لديهم في التفكير في محالات عمل خارج الوظيفة لأنهم يقيدون اختياراتهم المستقبلية بما يمليه عليهم المجتمع من تمثلات نحو الوظيفة والمهن.

6- النتائج العامة:

نستنتج مما سبق ذكره أن تمثلات الطلبة من خلال إجابات الباحثين على تساؤلات الدراسة جاءت لتثبت أن برامج التعليم العالي لا تواكب متطلبات واحتياجات سوق العمل، فرغم أن الجامعة الجزائرية عرفت تغيرات جديدة ومن بينها النظام الجديد LMD الذي كان من الأسباب التي جعلت الجزائر ككل بلدان العالم تطبقه، بما يتميز من هيكلية جديدة للتعليم وإعادة تنظيم التعليم ، ومحتويات جديدة للبرامج وهذا ما نأمل في الواقع أن يتحقق من هذا النظام، لكي يواكب ويتلاءم مع كل التطورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

كما استخلصنا من الدراسة أن الآليات المتبعة في استكشاف سوق العمل وما يتضمنه من متطلبات لفرص العمل، ومن خلال إجابة الباحثين نجدها متنوعة، فيها من مواقع للانترنت، مدى تصفح الجرائد، والجريدة الرسمية، كما أن نظرة الباحثين تتمثل في الاعتماد فقط على التوظيف في القطاع العمومي لإيجاد مناصب شغل، دون الاعتماد على تشجيع الدولة للشباب الخريج من الجامعات والمراكز الجامعية على إنشاء وتكوين مؤسسات صغيرة والمتوسطة وإتاحة الفرص لهم في شتى المجالات، وذلك لبث روح المبادرة الفردية لدى هؤلاء الفاعلين وما توفره الدولة كذلك من آليات لدعم وتشغيل الشباب الخريج من الجامعة والذي يعاني من البطالة .

ومن خلال كل ما سبق نستنتج أن هذه الدراسة الراهنة ألفت الضوء من خلال الدراسة الميدانية مع مجموعة من الطلبة الجامعيين، الذين هم في مرحلة ما بعد التدرج للتعرف على تمثلاتهم حول فرص العمل المتاحة بعد التخرج و بث روح المبادرة فيهم في إنشاء وتكوين مؤسسات صغيرة ومتوسطة، صف إلى ذلك أن الشباب ألان متأثر بطريقة

أو بأخرى بما تفرضه العولمة وتمثلات المجتمع في شتى مناحي الحياة وهذا ما يدفعهم للعيش في إطار حياة كريمة تضمن لهم التواصل مع العالم الحديث.

التغيرات الاجتماعية والاقتصادية الحالية تفرض على الطالب أن يكون فاعلا في اختياراته وأن يوجد لنفسه فرص عمل ضمن الصيغ المختلفة لكن ليحقق ذلك لابد من أن نحقق له عنصرين أساسيين أولهما التكوين الجامعي الجيد والمعزز بالمعارف التقنية والواقعية، وثانياً تقبل المجتمع له ولما تلقاه من تكوين من خلال منحه الفرصة لاستغلال هامش حريته لصنع فرص العمل المتلائمة مع تطلعاته وما يفرضه الواقع الحالي.

الهوامش:

- 1- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2002.
- 2- Ferréol Gilles: Dictionnaire de sociologie, 2^{eme} ed, Armand collin, paris, 1995 .
- 3- فوزيل دليو وآخرون، مجلة الباحث الاجتماعي، مجلة دورية تصدر عن دائرة البحث بمعهد علم الاجتماع، جامعة قسنطينة، 1995.
- 4- عبد الله محمد عبد الرحمان، سوسيولوجيا التعليم الجامعي (دراسة في علم الاجتماع التربوي)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991.
- 5- محمد العربي ولد خليفة: المهام الحضارية للمدرسة والجامعة الجزائرية، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، سنة 1989.
- 6- حبيب الله بن محمد التركستاني: دور التعليم العالي في تلبية إحتياجات سوق العمل السعودي، مجلس النشر العلمي، مجلة العلوم الاجتماعية، ع3، مج37، جامعة الكويت، خريف 1999.
- 7- زليخة طوطاي: النسق التربوي في الجزائر. - رهانات التغير، حوليات جامعة الجزائر، عدد خاص، سنة 1996.
- 8- عبد الله بوخلخال: نظرة على التعليم العالي والبحث العلمي في الجزائر، مسيرة الماضي وآفاق المستقبل. يومية الخبر، ع2039، 2040، الجزائر، 03/08/97-12/08/1997.
- 9- حسانة محي الدين: التعليم العالي والبحث العلمي في الجامعة اللبنانية، بيروت: خريف 1999.
- 10- رياض الزغل: التعليم الجامعي والتنمية العلمية، دراسات عربية، ع12، 1985.
- 11- بيليكان، ياروسلاف: فكرة الجامعة- نظرة جديدة، المركز العربي للتعليم والترجمة والتأليف، التعريب، ع6، دمشق: ديسمبر 1993.
- 12- حامد عمار: إستقلالية الجامعة، المؤسسة العربية الحديثة، الهلال، القاهرة، أوت 2002.
- 13- وفاء محمد البرعي: دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري، دار المعرفة الجامعية، مصر، سنة 2002.
- 14- علي أحمد مذكور: التعليم العالي في الوطن العربي الطريق إلى المستقبل، دار الفكر العربي، مصر، سنة 2000.
- 15- محمد مصطفى الأسعد: رسالة الجامعة في الألف الثالث، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، سنة 2000م، ص189.
- 16- مورييس أنجرس، ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون: منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تدريبات عملية، دار القصة للنشر، الجزائر، ط2، 2006.
- 17- نقلا عن موقع الأنترنت: محمد ناجي الدعيس: أنماط السلوك الإداري لدى مديري عموم ومديري الإدارات ورؤساء الأقسام بجامعة صنعاء وعلاقته برضا موظفي الجامعة عن العمل، رسالة ماجستير، 2002م، صحيفة 26 سبتمبر.
- 18- <http://www.26sep.net/newsweekarticle.php?lng=arabic&sid=2951>, 09/06/2008, 09h:45.
- 19- Mireille Duponthieux: La représentation, Ed hachette supérieur, 2001.

(الملحق رقم 01)

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح - ورقلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع والديمقراطية

إستمارة المقابلة

تمثيلات طلبية ما بعد التدرج لفرص العمل بعد التخرج
(دراسة على عينة من طلبة جامعة ورقلة)

الطالب (ة) الكريم (ة):

تقوم الباحثة بإجراء دراسة ميدانية حول توقعات الطلبة الجامعيين لفرص العمل بعد التخرج، وقد اختارت الباحثة إجراء دراستها على عينة من طلبة نهاية ما بعد التدرج.

أشكرك جزيل الشكر أخي: الطالب (ة) المحترم (ة) على تعاونك وأستسمحك في تخصيص جزء من وقتك للإجابة عن أسئلة هذه الاستمارة بكل موضوعية حرصا على التوصل إلى نتائج تخدم الهدف العلمي لهذا البحث
ملاحظة:

* المعلومات الواردة في الاستمارة سرية ولا تستخدم إلا لغرض البحث العلمي.

* ضع الإشارة (X) أمام الإجابة التي تراها مناسبة، كما يمكنك ترتيب الإجابات حسب الأهمية بالأرقام في بعض الأسئلة.

السنة الجامعية: 2013 - 2014

بيانات عامة :

- 1- الجنس : ☐ ذكر ☐ أنثى
- 2- الحالة العائلية : ☐ أعزب ☐ متزوج ☐ مطلق
- 3- الوظيفة :
- 4- محل الإقامة :
- 5- المستوى الدراسي : 1- مدرسة دكتوراه ☐ 2- ماجستير ☐ 3- م.تير ☐
- 6- التخصص :

المحور الأول: البيانات المتعلقة بمواكبة برامج التعليم الجامعي لمتطلبات واحتياجات سوق العمل

- 7- هل المقاييس التي تدرس في الجامعة تتلاءم مع احتياجات الوظيفة ؟ ☐ نعم ☐ لا ☐
- 8- هل نتائج البحوث العلمية التي يقوم بها الطلبة في الجامعات تطبق في المؤسسات الاقتصادية؟ ☐ لا ☐
- 9- هل محتوى المقاييس المدرسة مستوحاة من احتياجات سوق العمل ؟ ☐ نعم ☐ لا ☐
- 10- هل تلقيت عروض التوظيف من قبل مؤسسات المجتمع؟ ☐ نعم ☐ لا ☐

المحور الثاني: البيانات المتعلقة بمدى وجود مصادر لاستكشاف سوق العمل

- 11- هل تتصفح الجرائد ☐ نعم ☐ لا ☐
- 12- هل تتصفح مواقع التوظيف بالانترنت ☐ نعم ☐ لا ☐
- 13- ماهي المصادر الموثوق بها في الإعلان عن التوظيف.
- أ - الجريدة الرسمية ☐ نعم ☐ لا ☐
- ب- موقع التوظيف العمومي ☐ نعم ☐ لا ☐
- ج- الجرائد اليومية ☐ نعم ☐ لا ☐

أخرى

تذكر.....

المحور الثالث: البيانات المتعلقة بروح المبادرة في صنع فرص العمل لدى خريجي الجامعة الجزائرية

- 14- هل زرتم شركات في ميدان تخصصكم عن طريق الخرجات الميدانية ☐ نعم ☐ لا ☐
- 15- هل تتلقون دعوات من مؤسسات المجتمع؟ ☐ نعم ☐ لا ☐
- 16- هل لديك رغبة في تكوين مؤسسة خاصة؟ ☐ نعم ☐ لا ☐
- 17- هل تبادر في إيجاد فرصة للشغل؟ ☐ نعم ☐ لا ☐
- 18- هل تعتمد كلية على رهن مستقبلك بالوظيفة؟ ☐ نعم ☐ لا ☐

مثلا.....

- 19- هل هناك فرص أخرى غير الوظيفة تضعها في الحسبان ؟

.....

مصدر الضبط الصحي وعلاقته بالكفاءة الذاتية لدى مرضى السكري

أ.عليوة سميرة

أ.جباري نورالدين

جامعة الحاج لخضر باتنة (الجزائر)

Résume:

Le but de cette étude est de révéler la relation entre le lieu de contrôle de santé et l'auto-efficacité chez les sujets diabétiques ...

répondre aux questionnement de l'étude (spss13), et la présentation et la discussion des résultats (auxquels cette étude a abouti).

1/ nous avons trouvé qu'il existe une corrélation significative entre les dimensions de lieu de contrôle de la santé (phlc, chlc) et l'auto-efficacité chez les malades diabétiques.

2/ nous avons trouvé qu'il n'existe pas une corrélation significative entre le lieu de contrôle de la santé et l'auto-efficacité par rapport à l'âge et la chronicité chez les malades diabétiques.

Il reste que nos résultats manifestent des insuffisances.

Abstract :

The main purpose of the following study is to investigate the relationship between health locus of control and self-efficacy.

The practical part was reserved for repending the questioning of the study, and includes: the methodology of the study, the delimitation of the characteristic of the sample, which consisted of 86 diabetic individuals and the definition of scales that have been used to answer questions of the study (spss13) and the presentation and discussion of the results (which this study resulted).

1_We have found that there is a significant correlation between the dimensions of place control of health (PHLc, chlc) and self-efficacy in diabetic patients.

2_ we have found that there is no significant correlation between the place of control of health and self-efficacy by contribution of age and chronicity in diabetic patients

الملخص :

لقد كان هدف الدراسة الحالية هو معرفة العلاقة الكامنة بين مصدر الضبط الصحي والكفاءة الذاتية لدى مرضى السكري

وقد اشتملت العينة على 86 مريضا بالسكري ، وبتطبيق مقياس مصدر الضبط الصحي ومقياس الكفاءة الذاتية، الدراسة الى انه لا

توجد علاقة ارتباطية بين البعد الداخلي لمصدر الضبط الصحي ، والكفاءة الذاتية

، لكن ترتبط ببعدي ذوي النفوذ والحظ والصدفة ، كما انه لا توجد علاقة ارتباطية بين كل من مصدر الضبط الصحي

والكفاءة الذاتية بكل من مدة المرض، والسن.

الكلمات المفتاحية: مصدر الضبط الصحي ، الكفاءة الذاتية.

تقديم إشكاليات الدراسة :

الانتشار السريع الأمراض المزمنة والعبء النفسي والاجتماعي والاقتصادي لرعاية المصابين بها، أدى بالباحثين إلى الاهتمام بالمتغيرات الفاعلة في المرض المزمن، سواء المتغيرات التي تنتج جراء الإصابة بهذا المرض على الصعيد الحياتي أي ما تخلقه من آثار اجتماعية كسوء في العلاقات الاجتماعية داخل أو خارج الأسرة، أو الاقتصادية، حيث يجبر المريض في كثير من الأحيان على التنازل أو التعاقد من عمله، هذا يؤدي إلى تغيير في المستوى الاقتصادي على مستوى الأسرة، وكذا مستوى العمل.

ومن ناحية أخرى اهتموا بالأعراض التي تصيب شخصية المصاب بمرض مزمن فهي ستظهر عليه تبعاً لتكوين شخصية، فكلما كان بناؤها سليم فالأعراض ستكون أقل حدة وشدة والعكس إذا كان تكوين الشخصية ضعيف فالأعراض ستكون أكثر حدة وشدة، وبالتالي يصعب لاحقاً تحديدها أو تخطيها، ومن هذه الأعراض التي تظهر على المصاب بمرض مزمن: القلق، الاكتئاب، الإحباط، الخوف من الموت. والتي ستلعب دوراً مهماً في تغيير شخصية هذا المصاب. وقد تسرع في القضاء على حياته، خاصة عند مرضى القلب، ارتفاع ضغط الدم، السرطان، السكري... الخ.

ويعتبر هذا الأخير (مرض السكري) من الأمراض المزمنة الأكثر انتشاراً والتي لها دلائل خاصة على هؤلاء الذين يعانون منه، وكذا على عائلاتهم. فالمرض هنا يمثل حالة طويلة الأمد، كما أنه يحمل دلالات مهددة للحياة نفسها، وقد يكون رد الفعل النفسي عند اكتشاف المرض سبباً لما تواتر واستقر في الأذهان من سنين طويلة عن مضاعفات المرض الضارة. ويكفي لمرض السكر أن يحدث مضاعفاته على أحد الأفراد في محيط الأسرة أو المجتمع الصغير لتبقى ذكراه السيئة عالقة بالأذهان.

ورود الفعل النفسية تختلف من مريض لآخر، وتتمثل في أن تكون الرفض والإنكار وهو رد الفعل الشائع، كما أن بعض المرضى قد يعتمدون عدم إتباع النظام الغذائي أو الإهمال في علاج المرض أو عدم تناول الأدوية كأنما يتحدى نفسه. وهناك أيضاً التمرد على العلاج وهو جانب من جوانب الرفض، خاصة إذا كان المحيطون بالمريض من أفراد الأسرة ينتحلون صفة الوصاية الكاملة على مأكلاً ومشرب المريض. فما من أحد يقبل التحكم الكامل وطوال الوقت ولمدة طويلة في تفاصيل معيشته وتذكيره باستمرار بمرضه. أو قد ينشأ خوف شديد من المرض وآثاره كرد فعل عند بعض المرضى. وإذا زاد الخوف عن حده فإنه يسبب للمريض اكتئاب ويحول حياته إلى حياة منعزلة عن نفسها. (أحمد محمد الحسين هلال)

قد لا يكون بالضرورة المرض هو الذي يظهر هذه الأعراض، فقد تلعب متغيرات أخرى تتعلق بنواحي سمات الشخصية لدى الفرد في ظهورها. فاعتقد الفرد وإيمانه بقدراته تحدد وتنبئ بسلوكه اللاحق، ومدى قدرته على التحكم فيه. وكما هو معروف، فإن الاعتقاد في أي موضوع سواء تعلق بالذات أو بموضوع خارجي، يحدد بدرجة كبيرة السلوك الذي سيتبعه الفرد في الحاضر أو المستقبل. كما أن اعتقاد الفرد وإيمانه بقدراته الذاتية يعمل من خلالها على مواجهة المواقف والتكيف معها، ومدى نجاحها في هذه الخبرات سيعمل لاحقاً على تعزيز هذه السلوكات، وعلى العكس. وتؤثر الكفاءة الذاتية أو فاعلية الذات Self efficacy في سلوكنا اليومي عن طريق المعارف والدوافع والوجدان، وانتقاء المعلومات من بيئتنا (رمضان زعطوط : 2005، ص43). فمن الناحية المعرفية يؤدي الاعتقاد في الكفاءة إلى التأثير في تقييمنا لأهداف الحياة واستقبال المعلومات بطريقة خاصة بنا. كما أن الاعتقاد في الكفاءة له دور في تحديد مدى قدرة الفرد على التواصل الاجتماعي، وإقامة علاقات ناجحة. وتؤثر كذلك الكفاءة في طريقة تعاملنا مع الاضطرابات النفسية، إضافة إلى تأثيرها على الجانب الحيوي الوظيفي للانفعالات وجهاز المناعة. وكلما كان الاعتقاد قوي في الكفاءة استطاع الفرد تجاوز التحديات والمواقف التي تواجهه.

وعملية الاستمرار في النجاح ومواجهة المواقف الخطرة (كالمرض) تتوقف على مدى التدعيم أو التعزيز الذي يتلقاه الفرد، فقد يعمل الفرد نفسه على تعزيز سلوكياته بطريقة ايجابية و أعزاء نجاحه في تخطي مرض أو مهنة إلى قدراته الذاتية وجهده المبذول (مصدر الضبط الداخلي)، وقد يعزو سلوكياته ونجاحه إلى قوى خارجية أو راجعة للحظ والقضاء والقدر والآخرين، وهنا سيكون على عكس الحالة الأولى، فأى سلوك يقوم أو يرتب عليه من نتائج لا يرجعه إلى قدراته، وإنما إلى مصادر أخرى. وهذا ما أطلق عليه روتر (Rotter) بمصدر الضبط، حيث قدم مفهومي التحكم الداخلي للتدعيم والتحكم الخارجي للتدعيم في إطار نظرية التعلم الاجتماعي (معتز سيد عبد الله: ص81)، وهذا للإشارة إلى الطريقة التي يدرك بها الفرد مصدر التدعيمات التي يتلقاها.

ومنذ أن ظهر هذا المفهوم وهو يمدنا بنتائج تساعد على دقة التنبؤ بالسلوك الإنساني في المواقف المختلفة، سواء في المواقف العملية التجريبية أو في المواقف الاجتماعية الطبيعية. ثم دخل مجال الصحة، حيث توصلت البحوث والدراسات التي أجريت في هذا الشأن إلى أن السلوك الصحي للفرد يتأثر بمعتقداته حول مصدر صحته. أي أن مصدر الضبط الصحي الذي يتبناه الفرد في حياته يحدد إلى حد بعيد قدرة الفرد على تقدير ذاته، وكذا توقع سلوكياته، وتخطيه للالتزامات على اختلافها.

هذه التباينات في إدراك الفرد لقدراته وإلى أي مصدر يعزوها (داخلية - خارجية) كانت من اهتمامات العديد من الباحثين، لاسيما ارتباط هذه المتغيرات : الكفاءة الذاتية، الضبط المدرك بالمجال الصحي، حيث أشارت العديد من الدراسات إلى أهمية الاتجاهات والكفاءة الذاتية والعلاقات الاجتماعية، وقيم الفرد ومعاييرها في توجيه السلوك. لأن المريض خاصة المصاب بمرض مزمن كالسكري، لا يتمثل للتعليمات الطبية وقيامه بسلوكيات تتعارض ووضع الصحي بل تزيد من خطورة المرض واحتمالات مضاعفة خطيرة سواء نفسية أو جسدية.

وحسب إطلاع الباحثة فإن مثل هذه المتغيرات درست أو تناولتها بحوث في بيئة غربية وبعضها تم تناولها في دراسات عربية لكنها قليلة. وعليه أردنا أن نطرح تساؤل أو إشكال هو: هل هناك علاقة بين أبعاد مصدر الضبط الصحي والكفاءة الذاتية لدى مرضى السكري؟

وهل هناك علاقة ارتباطية بين أبعاد مصدر الضبط الصحي ومدة المرض (الإزمان) والسن لدى مرضى السكري؟.

و هل هناك علاقة ارتباطية بين الكفاءة الذاتية ومدة المرض (الإزمان) و السن لدى مرضى السكري ؟.

الدراسات السابقة: فيمايلي عرض لبعض من هذه الدراسات:

قام "نورمان" Norman وزملاؤه بدراسة العلاقة بين استراتيجيات المواجهة والضبط المدرك لدى عينة من 115 بالغاً (65 إناث و 50 ذكور) من المصابين بالنوع الثاني من السكري، ودلت النتائج على ارتباط موجب بين الانشغال الوجداني واستراتيجيات الهروب والقلق والاكتئاب، كما أن المواجهة الذاتية مؤشر تنبؤي بانخفاض نسبة الاكتئاب، وأن الضبط المدرك متغير معدل بين الاستجابة وكل من القلق ومستوى ارتفاع الأنسولين (زعطوط رمضان: 2005، ص 18).

أما دراسة Rodolfo (1984)، فهدفت على معرفة إمكانية التنبؤ بالسلوك الصحي الوقائي بالاعتماد على مركز الضبط الصحي بوجود أو غياب بعض المتغيرات النفسية الاجتماعية على عينة من 71 من طلبة علم النفس، وتم قياس مركز الضبط الصحي باستبيان مكون من 11 بنداً، يمكنه التمييز بين من يعتبرون أنفسهم مسؤولين عن وضعهم الصحي وبين من يعزون ذلك للظروف والحظ والقوى الخارجية، واستعمال السلوك الفعلي الملاحظ كمحك خارجي، كما تم قياس سلوك العائلة الصحي وسلوك الأصدقاء الصحي، ودلت النتائج على علاقة مركز الضبط الداخلي بالسلوك

الصحي، وكذا على علاقة بين البيئة (العائلة + الأصدقاء) وبين السلوك الصحي (زعطوط رمضان: 2005، ص ص 28, 29).

أما دراسة Lemos فهدفت إلى كشف العلاقة بين كل من مركز الضبط الصحي والاتجاه نحو السلوك الصحي وبين أبعاد الشخصية كما تظهر في نموذج الخمسة الكبار Big Five، وحددت الدراسة 22 سلوكا، وشملت العينة 1184 طالبا من 12 جامعة وكلية، وتبين من النتائج أن الضمير الحي والانسجام هما سمتان تتبئان بالسلوك الصحي أو الاتجاه نحوه.

وفي دراسة أخرى قام بها كل من Ajzen و Timko لاستكشاف العلاقة بين الاتجاه والسلوك الفعلي لدى 113 طالبا وتراوحت أعمارهم ما بين (18 - 44 سنة) وشمل القياس المعتقدات نحو الصحة والاتجاه. ودلت النتائج على ارتباط كل من الضبط المدرك أو كفاءة الذات والاتجاه نحو الصحة وبين السلوك الفعلي. (رالف سفارتسر: 1994، ص 86).

وبالنسبة للدراسات المقارنة فقد قام Gotay وزملاؤه بدراسة الفروق في الاتجاهات نحو السلوك الصحي بين اليابانيين والأمريكيين ذوي الأصل الياباني أو الأوروبي، وشملت العينة 357 يابانيا و 223 أمريكيا حيث تم قياس السلوك الفعلي، ولاحظ الباحثون من خلال النتائج أن اليابانيين يميلون إلى التقليل من شأن الصحة وعدم الامتثال إلى التعليمات الطبية كما أنهم ذوو مركز ضبط خارجي ويعتمدون على الحظ وعلى الأطباء عكس العينة الأمريكية دراسة "كوليتي" و "سوينك" و "بايني" (1985) قاموا فيها بتطوير سلم توقع الكفاءة للمدخنين وطبقوه في إطار برنامج تعديل السلوك وقد قاموا باستخدام قيم السلام في نهاية البرنامج ككواشف لسلوك الخطر اللاحق، أي لسلوك التدخين المنتكس في الشهور اللاحقة، ولقد ارتبط توقع الكفاءة بالانتكاس بعد 3 شهور بمقدار ($R = 0.39$).

فرضيات الدراسة:

بعد استعراض إشكالية البحث و الإطار النظري المتعلق بمتغيرات البحث يمكن صياغة الفرضيات التالية .

1. توجد علاقة ارتباطية بين أبعاد مصدر الضبط الصحي و الكفاءة الذاتية لدى مرضى السكري.
2. توجد علاقة ارتباطية بين أبعاد مصدر الضبط الصحي و مدة المرض (الازمان) و السن لدى مرضى السكري
3. توجد علاقة ارتباطية بين الكفاءة الذاتية و مدة المرض و السن لدى مرضى السكري.

أهمية الدراسة :

تبرز أهمية الدراسة الحالية في أنها تتناول اعتقادات الفرد، وكيفية إدراكه للواقف التي يواجهها في حياته. وكيفية تفسيره لنتائج هذه الاعتقادات، هل يثق في قدراته، وبالتالي يعزو كل النتائج إلى قدراته الشخصية، أم أنه يلقي المسؤولية على عاتق الآخرين، لاسيما في المجال الصحي، فمثل هذه الاعتقادات قد تبطئ من عملية العلاج والشفاء، خاصة لدى المرضى المزمنين، فالمرض بالنسبة لهم ملازم لهم طوال حياتهم.

لذلك نرى أن هذا البحث تكمن أهميته كذلك في أنه يساهم و لو جزئيا في البحث عن العوامل التي تساهم في تنمية القدرات الذاتية و المهارات السلوكية للفرد و تغيير اعتقاده نحو الموضوعات بطريقة ايجابية لمواجهة الأحداث و المواقف المتعددة، خاصة الصحية منها.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة الحالية إلى:

1. محاولة معرفة العلاقة الكامنة بين مصدر الضبط الصحي و الكفاءة الذاتية.
2. محاولة معرفة فيما إذا كانت هناك علاقة بين كل من أبعاد مصدر الضبط الصحي و الكفاءة الذاتية بالعوامل التالية

(السن، مدة المرض).

التعريف الإجرائي لمتغيرات الدراسة

مصدر الضبط الصحي (Health Locus of Control):

عرف مفهوم التحكم الذاتي أو مصدر الضبط تطوراً ملحوظاً في العقود الثلاثة الماضية، حيث قام العديد من الباحثين والدارسين بتطبيقه في مجال الصحة السلوكية، ولقد توصلت البحوث والدراسات التي أجريت في هذا الشأن إلى أن السلوك الصحي للفرد يتأثر بمعتقداته حول مصدر صحته أي بمفهومه حول مصدر صحته. (عثمان خلف : 2001، ص 93 - 94).

ويرجع الفضل في جعل هذا المفهوم يحتل مركز الصدارة في التراث العلمي الصحي بربارا وكنيث والستون (Walston) حيث قاما بإعداد أداة خاصة بقياس معتقدات الأفراد حول مصدر صحتهم وتعرف Multidimensional Health locus of control وهذا انطلاقاً من أعمال "جوليان روتر" حول مصدر الضبط الذي قدمه من خلال نظريته في التعلم الاجتماعي، والذي يقيس أو يبحث في إدراك الفرد في كيفية التحكم أو مراقبة صحته من خلال سلوكه (داخلي) أو من خلال القوة أو الحظ عوامل خارجية تتحكم في سلوكه، ويتضمن مفهوم مصدر الضبط الصحي التربية الصحية، وترقية إدراكه الفرد من أن صحته أكثر احتمالية أن تكون داخلية الضبط وبالتالي تحمله وإدراكه لمسؤولياته اتجاه ذلك يعكس ذوي التحكم الخارجي أي أنهم يعتقدون أن صحتهم يتحكم فيها ذو النفوذ من الأطباء والمرضات أو عوامل خارجية أخرى مثل الحظ والصدفة (Gregory I : 1990 p 122).

إجرائياً:

هي الدرجة الكلية المتحصل عليها على كل بعد من أبعاد مصدر الضبط الصحي (البعد الداخلي لمصدر ضبط الصحة، بعد ذوي النفوذ لمركز ضبط الصحة، بعد الصدفة لمركز ضبط الصحة) من مقياس مصدر الضبط الصحي الذي اعده جبالى نور الدين

الكفاءة الذاتية:

تعتبر توقعات الكفاءة الذاتية من البناءات النظرية التي تقوم على نظرية التعلم الاجتماعي المعرفي والتي باتت تحظى في السنوات الأخيرة بأهمية متزايدة مجال علم نفس الصحة Health psychology لإسهامها كعاماً وسيط في تعديل السلوك (غالب بن محمد علي المشيخي، 2009، ص 75)

وتستخدم المراجع المتخصصة مفاهيم توقعات الكفاءة "competency expectancies" وتقدير توقعات الكفاءة "self efficacy assessment" وتوقعات الكفاءة الذاتية "self efficacy expectancies" في السياق نفسه.

كما أن بعض المراجع تستعمل مرادف آخر للكفاءة الذاتية وهو «الفاعلية الذاتية» self efficacy (فتحي محمد الزيات: 2001، ص 501). وفيما يلي سنورد بعض التعاريف حول الكفاءة الذاتية:

- ويذكر Shell 1989 : "أن الكفاءة الذاتية هي الميكانيزم الذي من خلاله يتكامل الأشخاص ويطبقون مهاراتهم المعرفية والسلوكية والاجتماعية الموجودة على أداء المهام بنجاح في مستوى معين (عبد المنعم أحمد الدرديري: 2004، ص 210).

- أما شنفرانيسر 1994 : "فينظر لتوقعات الكفاءة الذاتية أيضاً أنها عبارة عن بعد ثابت من أبعاد الشخصية، تتمثل في قناعات ذاتية في القدرة على التغلب على المتطلبات والمشكلات الصعبة التي تواجه الفرد من خلال التصرفات الذاتية (ندى عبد باقر الدباح، ص 567).

- باندورا **Bandura** : " فيعرف الكفاءة الذاتية بأنها اعتقادات الفرد حول قدرته على تحقيق مستويات من الأداء تؤثر على الأحداث التي تمس حياته وشعور الفرد بأنه قادر على فعل شيء ما في مواجهة الأحداث وأنه تحت سيطرته غالباً" (احمد يحيى الزق، 2009، ص40).

ويحدد الاعتقاد بكفاءة الذات طريقة إدراكنا للأشياء مما يدفعنا إلى السلوك بطريقة فعالة، فذوو الكفاءة المرتفعة يشعرون أن حياتهم أفضل ومشاعرهم أكثر إيجابية، وبأن الكروب امتحان وتحد لإمكانات الفرد، فإذا أصيبوا بمرض سرعان ما يتعافون منه ويرون أن المواقف الضاغطة تدفعهم إلى التكيف الإيجابي والتغلب عليها .
اجرائيا:

هي الدرجة الكلية المتحصل عليها من استبيان الكفاءة الذاتية لدى مرضى السكري والذي هو من إعداد الباحثة

اجراءات الدراسة الميدانية:

منهج الدراسة: تم الإعتماد على المنهج الوصفي الارتباطي لكونه الأنسب لدراسة العلاقات الارتباطية
الحدود البشرية:

عينة البحث:

لتحقيق أهداف البحث تم تطبيق أدوات الدراسة على عينة قوامها 86 فردا (50 ذكرا، 36 اناث)، يتراوح المدى العمري لهم من 18 — 72 سنة بمتوسط عمري قدره 49 سنة وقد استخدمت الباحثة طريقة العينات العرضية لكونها الطريقة المناسبة، وذلك للصعوبات التي واجهتها الباحثة عند اختيارها للعينة في بداية البحث باعتمادها على المجتمع الاصلي (جمعية مرضى السكري بباتنة) لذلك لجأت لمثل هذه العينة

الأدوات المستخدمة في الدراسة:

مقياس مصدر الضبط الصحي:

تم الاعتماد في هذه الدراسة الميدانية على استبيان مصدر ضبط الصحة الذي اسسه والتسون وزملائه (1978) واعد جبالى نور الدين، ويتكون الاستبيان من 18 عبارة تقيس ثلاثة ابعاد
مقياس الكفاءة الذاتية:

تم الاعتماد على مقياس الكفاءة الذاتية لدى مرضى السكري، والذي اسسه كل من : nancy (2004) /roben /margaret little والذي اعدته فيما بعد الباحثة ليخدم دراستها وهو يتكون من 38 بندا

الخصائص السيكومترية لأدوات القياس:

مقياس مصدر الضبط الصحي

صدق الاستبيان:

تم حساب الصدق عن طريق الاتساق الداخلي وقد كانت النتائج على النحو التالي:

تم حساب صدق الاستبيان عن طريق الاتساق الداخلي (صدق التكوين)، وذلك من خلال حساب معامل الارتباط الخطي لـ بيرسون (Pearson) بين البنود والدرجة الكلية لكل بعد، وقد كانت النتائج على النحو الموضح في الجداول التالية:

جدول رقم 01: يبين معامل الارتباط بين البعد الأول (IHL) وبنوده

البند 1	البند 6	البند 8	البند 12	البند 13	البند 17
قيمة معامل الارتباط	0.63**	0.20	0.48**	0.58**	0.73**
					0.66**

يتضح من هذا الجدول أن معاملات الارتباط بين كل بند وبعده دالة عند مستوى (0.01)، ما عدا البند 6 فهو غير دال، أي عدد البنود الدالة هي 6/5 من المجموع الكلي للبنود الممثلة لهذا البعد (IHLC) وهذا دليل على وجود نوع من الاتساق الداخلي للاستبيان.

جدول رقم 02: يبين معامل الارتباط بين البعد الثاني (PHLC) وبنوده

البند 3	البند 5	البند 7	البند 10	البند 14	البند 18
0.4*	0.67**	0.29	0.70**	0.74**	0.63*

يتضح من هذا الجدول أن معاملات الارتباط بين كل بند وبعده دالة عند مستوى (0.01)، وعند مستوى (0.05)، ما عدا البند 7 فهو غير دال، أي عدد البنود الدالة هي 6/5 من المجموع الكلي للبنود الممثلة لهذا البعد (PHLC) وهذا دليل على وجود نوع من الاتساق الداخلي للاستبيان.

الجدول رقم 03: يبين معامل الارتباط لـ (بين البعد الثالث (CHLC) وبنوده

البند 2	البند 4	البند 9	البند 11	البند 15	البند 16
0.62**	0.75**	0.30	0.27	0.35	0.47**

يتضح من هذا الجدول أن معاملات الارتباط بين البنود (2، 4، 6) وبعده (CHLC) دالة عند مستوى الدلالة (0.01)، أما البنود (9، 11، 15) فهي غير دالة، وهذا يعني أن معامل الاتساق الداخلي في هذا البعد نوعاً ما غير موجود (6/3) دالة، و (6/3) غير دالة.

من خلال هذه النتائج الموضحة في هذه الجداول لمعاملات الارتباط بين أبعاد مصدر الضبط الصحي وبنوده، يمكن أن نقول أنه هناك نوعاً من الاتساق الداخلي للاستبيان.

ب.2- ثبات الاستبيان: تم حساب ثبات الاستبيان بطريقتين هما: حساب معامل (α) لكرونباخ، وعن طريق التجزئة النصفية.

1- الثبات بحساب معامل α كرونباخ:

- البعد الداخلي لمصدر الضبط الصحي (IHLC): بلغت درجة معامل α كرونباخ (0.63) وهي درجة مقبولة، مما يدل على أن هذا البعد يمتاز بالثبات.

- بعد ذوي النفوذ لمصدر الضبط الصحي (PHLC): بلغت درجة معامل α كرونباخ (0.59) وهي درجة مقبولة، مما يدل على أن هذا البعد يمتاز بالثبات.

- البعد الداخلي لمصدر الضبط الصحي (CHLC): بلغت درجة معامل α كرونباخ (0.38) وهي درجة منخفضة نوعاً ما عن المستوى المطلوب لاعتبار هذا البعد ثابتاً.

نلاحظ من خلال حساب معامل (α) لكرونباخ للأبعاد الثلاثة أن استبيان مصدر الضبط الصحي يمتاز بالثبات.

2- الثبات بالتجزئة النصفية (معامل الاتساق الداخلي):

وذلك من خلال حساب معامل الارتباط بين البنود الفردية والبنود الزوجية لكل بعد، وكانت النتيجة بعد تصحيح الطول بمعادلة (سبيرمان براون) كما هي موضحة في الجدول رقم 04.

جدول رقم 04: يبين حساب معامل الارتباط بين البنود الفردية والبنود الزوجية لكل بعد

المعامل الثبات	البعد الأول	البعد الثاني	البعد الثالث
	0.65	0.66	0.30

يتضح من هذا الجدول أن معظم معاملات الثبات الخاصة بأبعاد الاستبيان درجات مقبولة، وهذه القيم تعكس ثبات الاختبار.

مقياس الكفاءة الذاتية:

صدق الاستبيان:

لقد قمنا بحساب صدق هذا المقياس عن طريق صدق المقارنة الطرفية و ذلك بأخذ 27 % من كل طرف حيث بلغت قيمة $t = 6.03$ و هي دالة عند المستوى 0.01 و المستوى 0.05 مما يدل على الصدق التمييزي لهذا المقياس.

ثبات المقياس:

فيما يخص ثبات الاختبار فقط استخدمنا معامل الاتساق الداخلي (طريقة الثبات بالتجزئة النصفية) حيث تم حساب معامل بيرسون و بلغ معامل الارتباط $r = 0.36$ و بعد تصحيح الطول بمعادلة سبيرمان براون أصبح $r = 0.45$ يدل على ثبات الاختبار

الأساليب الإحصائية المستخدمة في الدراسة:

جرى اختبار التحليلات الإحصائية طبقاً لسمات العينة و فرضيات الدراسة ، و قد تم التحليل الإحصائي بمساعدة الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS

عرض ومناقشة نتائج الدراسة:

2-1 عرض ومناقشة نتائج الفرضية الأولى: تشير الفرضية إلى أنه: «توجد علاقة ارتباطية بين أبعاد مصدر الضبط الصحي والكفاءة الذاتية لدى مرضى السكري».

عرض النتائج: يوضح الجدول التالي معامل الارتباط بين أبعاد مصدر الضبط الصحي والكفاءة الذاتية لدى مرضى السكري.

جدول رقم 05: يبين معامل الارتباط بين أبعاد مصدر الضبط الصحي والكفاءة الذاتية لدى مرضى السكري

CHLC	PHLC	IHLC	معامل الارتباط	الكفاءة الذاتية
-0.24*	0.29**	0.20	الدالة الإحصائية	
دال 0.05	دال عند 0.01	غير دالة	العينة (N)	
86	86	86		

يتضح من الجدول أن:

- ❖ إن معامل الارتباط بين البعد الداخلي لمصدر الضبط الصحي (IHLC) والكفاءة الذاتية يساوي 0.20 وهي قيمة غير دالة، هذا يعني عدم وجود علاقة ارتباطية بين البعد الداخلي لمصدر الضبط الصحي (IHLC) والكفاءة الذاتية.
- ❖ ومعامل الارتباط بين بعد ذوي النفوذ لمصدر الضبط الصحي (PHLC) والكفاءة الذاتية يساوي 0.29^{**} وهي قيمة دالة عند مستوى 0.006، وهذا يعني أنه توجد علاقة ارتباطية بين بعد ذوي النفوذ لمصدر الضبط الصحي (PHLC) والكفاءة الذاتية.
- ❖ ومعامل الارتباط بين بعد الحظ والصدفة لمصدر الضبط الصحي (CHLC) والكفاءة الذاتية يساوي -0.24^{*} وهي قيمة دالة عند مستوى 0.025، وهذا يعني أنه توجد علاقة ارتباطية سالبة بين بعد الحظ والصدفة لمصدر الضبط الصحي والكفاءة الذاتية.

مناقشة نتائج الفرضية الأولى: بعد عرض نتائج الفرضية الأولى، تبين بعد تفسير النتائج أنه:

لا توجد علاقة ارتباطية بين البعد الداخلي لمصدر الضبط الصحي والكفاءة الذاتية، حيث كان معامل الارتباط يساوي (0.20)، في حين أن بعد ذوي النفوذ، والحظ والصدفة لمصدر الضبط الصحي ارتباطا بالكفاءة الذاتية، حيث كان معامل الارتباط بين بعد ذوي النفوذ لمصدر الضبط الصحي والكفاءة الذاتية يساوي (0.29^{**}) وهي قيمة دالة عند مستوى الدلالة (0.05)، في حين أن معامل الارتباط بين بعد الحظ والصدفة والكفاءة الذاتية يساوي -0.24^{*} وهي قيمة دالة عند مستوى الدلالة (0.01).

والملاحظ لنتائج الفرضية الأولى أنه هناك تناقض أو نتيجة غير متوقعة بين البعد الداخلي والكفاءة الذاتية، لأنه كان من المتوقع أن تكون هناك علاقة ارتباطية بينهما.

وهذا ما توصلت إليه معظم نتائج الدراسة التي بحثت في هذا الجانب، فقد أظهرت نتائج دراسة — A.M.S WUA و TANG من جامعة هونغ كونغ الصينية (1جانفي 2004) والتي أجريت للبحث في العلاقة بين الكفاءة الذاتية ومصدر الضبط الصحي والضيق النفسي، على عينة من النساء الصينيات اللواتي يعانين من مرض مزمن، وقد بلغ عددهن 159 امرأة، وكشفت النتائج إلى أنه توجد علاقة ارتباطية بين مركز الضبط الصحي الداخلي والكفاءة الذاتية، وأظهرت أنه هناك علاقة بين ارتفاع مصدر الضبط الخارجي وانخفاض الكفاءة الذاتية (حنان بنت حمادي سليم اللهبي الحربي، 2006، ص 61).

وبالرجوع إلى الجانب النظري سنجد كذلك أن هذه النتيجة تبدو غير منطقية لأن السمات التي يتميز بها أفراد ذوي الضبط الصحي الداخلي توحى وبدرجة عقلانية أن لها علاقة بالكفاءة الذاتية، خاصة وأن الأشخاص الذين يتميزون بكفاءة ذاتية عالية (مرتفعة) هم أكثر قدرة على تحمل مسؤولياتها اتجاه أنفسهم واتجاه الأحداث التي تواجههم مهما كان نوع الحدث الذي يواجهونه.

وبما أننا بصدد البحث في المجال الصحي، فكان اعتقادنا أن الأفراد أو الكفاءة الذاتية العالية سيكون مصدر الضبط الصحي لديهم داخلي، وهذا ما توصل إليه بالفعل Lemos في دراسته التي كان يهدف من خلالها إلى الكشف عن العلاقة بين كل من مركز الضبط الصحي والاتجاه نحو السلوك الصحي وبين أبعاد الشخصية، كما يظهر في نموذج الخمسة الكبار Big Five، وقد توصلت هذه الدراسة إلى أنه هناك ارتباط بين الكفاءة الذاتية والضبط الصحي المدرك والاتجاه نحو السلوك الصحي.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى وحسب اطلاع الباحثة، فإنه لا توجد أي دراسة توصلت إلى أنه هناك علاقة ارتباطية بين الكفاءة الذاتية وبعدي ذوي النفوذ والحظ والصدفة لمصدر الضبط الصحي، إلا من خلال نتائج هذه الدراسة.

وفي رأي الباحثة ربما ترجع هذه النتائج إلى تبدو بعض الشيء متناقضة مع الدراسات السابقة وما كان يحويه الجانب النظري، إلى الخصائص التي تتميز بها عينة البحث، فهي أولا اختيرت بطريقة عرضية، كما أن أغلب أفراد العينة المتوسط العمري لهم سواء للذكور أو الإناث يقارب 50 سنة، وهذا قد يؤثر على إدراك الفرد للأحداث وكيفية تفسيره لهذه المواقف، ومدى إيمانه بقدراته على مواجهتها، كما أن مدة المرض بالنسبة لأفراد العينة تبدوا من خلال ما عرضناه في الجداول المتعلقة بخصائص العينة قد بلغت إلى 20 سنة من الأزمان، وهذا ربما يفسر النتائج المتوصل إليها في البحث والتي تؤكد وجود علاقة ارتباطية بين بعدي ذوي النفوذ (PHLC) والحظ والصدفة (CHLC) والكفاءة الذاتية، فطول المدة قد يغير من إدراك الفرد لنتائج الأحداث، وهذا ما تم ملاحظته بالفعل أثناء إجراء البحث وتطبيق مقياس مصدر الضبط الصحي على عينة البحث خاصة كبار السن، فكل ما يمكن تلخيصه من استجاباتهم نحو البنود أنهم يعلقون آمالا كبيرة على الطبيب والممرضين في شفائهم من المرض، أو إرجاع هذا الشفاء إلى القدر أو المكتوب.

دون أن ننسى أن المستوى التعليمي لهذه الفئة غير متجانس، فنسبة الأميين مثلا عند الذكور قدرت بـ 12% وعند الإناث بـ 38.88%، والجامعيين الذكور 22% والإناث 19.4%، فلهذه الأولى توجي لنا أن هذه النسب أو نتوقع من خلالها أن يتميز أفرادها بمستوى ضبط داخلي وكفاءة ذاتية مرتفعة، إلا أن النتائج أسفرت عن العكس.

وربما يفسر كذلك هذه النتائج هو البيئة الثقافية الاجتماعية السائدة التي تؤمن بالحظ والصدفة والقدر والمكتوب، ولا تعني معنى المسؤولية الداخلية للشخص نحو نتائج سلوكه، وبتفحص الجانب النظري سنجد أن البيئة الثقافية والتنشئة الاجتماعية لها دور كبير في توجيه إدراك الفرد وتفسيره لنتائج سلوكه، سواء في البيئة العربية أو الغربية.

ففي دراسة قام بها ماهلر (1980) على عينة أمريكية وألمانية ويابانية من طلاب المرحلة الثانوية، وتبين أن هناك فروقا دالة إحصائية بين العينات في مصدر الضبط، حيث كان الأمريكيون أعلى في الضبط الداخلي من الألمانين واليابانيين.

وهذا ما تراه الباحثة أنه قد يفسر هذه النتائج، فمجتمعا المحلي يتميز بثقافة تسود جميع الطبقات سواء المثقفة أو غيرها، وأن كل ما يحدث هو من فعل أشخاص آخرين أو راجع للحظ والصدفة، خاصة في مجال الصحة، ومن خلال واقعنا نجد أن أغلب ما يقدم لهؤلاء المرضى فيما يخص الوعي الصحي من ملتقيات أو أيام دراسية، لا يدركها الفرد (خاصة الأميين) على أنها لصالحه وعليه أن يثق في قدراته لتجاوز المشاكل الصحية، بل يزيد اعتقاده ويترسخ في ذهنه أن هؤلاء المسؤولين (من أطباء وممرضين و... إلخ) هم المسؤولون عن صحته، وبالتالي يكون الشفاء من طرفهم، وليس من خلال ما يدركه من امتلاكه لقدرات شخصية تؤهله لهذا الفعل أو الالتزام بالسلوك الصحي المناسب.

2.2 عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثانية: تشير الفرضية إلى أنه:

« توجد علاقة ارتباطية بين أبعاد مصدر الضبط الصحي ومدة المرض (الازمان) والسن لدى مرضى السكري». وقد قسمت الباحثة هذه الفرضية إلى فرضيتين جزئيتين:

1.2.2 توجد علاقة ارتباطية بين أبعاد مصدر الضبط الصحي ومدة المرض (الازمان) لدى مرضى السكري
عرض النتائج

جدول رقم 06: يبين معامل الارتباط بين أبعاد مصدر الضبط الصحي ومدة المرض لدى مرضى السكري

CHLC	PHLC	IHLC	معامل الارتباط	السن
-0.19	0.12	-0.20	معامل الارتباط	
غير دال	غير دال	غير دال	الدالة الإحصائية	
86	86	86	العينة (N)	

يتضح من الجدول:

◀ إن معامل الارتباط بين البعد الداخلي لمصدر الضبط الصحي (IHLC) ومدة المرض (الازمان) يساوي (-0.20)، وهي قيمة غير دالة، وهذا يعني عدم وجود علاقة ارتباطية بين البعد الداخلي لمصدر الضبط الصحي (IHLC) ومدة المرض (الازمان).

◀ إن معامل الارتباط بين بعد ذوي النفوذ لمصدر الضبط الصحي (PHLC) ومدة المرض يساوي (0.12)، وهي قيمة غير دالة، وهذا يعني عدم وجود علاقة ارتباطية بين بعد ذوي النفوذ لمصدر الضبط الصحي (PHLC) ومدة المرض (الازمان).

◀ إن معامل الارتباط بين بعد الحظ والصدفة لمصدر الضبط الصحي (CHLC) ومدة المرض يساوي (-0.19)، وهي قيمة غير دالة، وهذا يعني عدم وجود علاقة ارتباطية بين بعد الحظ والصدفة لمصدر الضبط الصحي (CHLC) ومدة المرض.

2.2.2 توجد علاقة ارتباطية بين أبعاد مصدر الضبط الصحي والسن لدى مرضى السكري
عرض النتائج

جدول رقم 07: يبين معامل الارتباط بين أبعاد مصدر الضبط الصحي والسن لدى مرضى السكري

CHLC	PHLC	IHLC		
-0.44	0.18	-0.02	معامل الارتباط	السن
غير دال	غير دال	غير دال	الدلالة الاحصائية	
86	86	86	العينة (N)	

يتضح من الجدول:

◀ إن معامل الارتباط بين البعد الداخلي لمصدر الضبط الصحي (IHLC) والسن يساوي (-0.02) وهي قيمة غير دالة، هذا يعني عدم وجود علاقة ارتباطية بين البعد الداخلي لمصدر الضبط الصحي (IHLC) والسن.

◀ إن معامل الارتباط بين بعد ذوي النفوذ لمصدر الضبط الصحي (PHLC) والسن يساوي (0.18) وهي قيمة غير دالة، هذا يعني عدم وجود علاقة ارتباطية بين بعد ذوي النفوذ لمصدر الضبط الصحي (PHLC) والسن.

◀ إن معامل الارتباط بين بعد الحظ والصدفة لمصدر الضبط الصحي (CHLC) والسن يساوي (-0.44) وهي قيمة غير دالة هذا يعني عدم وجود علاقة ارتباطية بين بعد الحظ والصدفة لمصدر الضبط الصحي (CHLC) والسن.

مناقشة نتائج الفرضية الثانية:

بعد عرض نتائج الفرضية الثانية والتي تشير إلى أنه توجد علاقة ارتباطية بين أبعاد مصدر الضبط الصحي ومدة المرض (الازمان) والسن لدى مرضى السكري، تبين بعد تفسير النتائج أنه:

أ- لا توجد علاقة ارتباطية بين أبعاد مصدر الضبط الصحي ومدة المرض

فقد كان معامل الارتباط بين البعد الداخلي لمصدر الضبط الصحي (IHLC) ومدة المرض يساوي (-0.20) وهي قيمة غير دالة، وكان معامل الارتباط بين بعد ذوي النفوذ ومدة المرض (0.12)، في حين كان معامل الارتباط بين بعد الحظ والصدفة (-0.19) وهي قيمة غير دالة إحصائياً.

والنتائج المتوصل إليها في هذه الفرضية من إلغاء الارتباط بين أبعاد مصدر الضبط الصحي ومدة المرض، توصلت إليها الباحثة بعد توقعها أن تجد عكس هذه النتيجة، وتوقعها هذا كان بناءً على أن مدة المرض كلما كانت طويلة في رأيها سيؤثر حتماً على خبرات الفرد في إدراكه لنتائج سلوكه، فخبرات المرض ولمدة طويلة ليست كخبرات المرض لمدة قصيرة بالنسبة لأي فرد، وفي هذه المدة من المرض تتبعها نجاح أو فشل في الالتزام بالسلوك الصحي بالنسبة لمرضى السكري.

لكن النتيجة جاءت بعكس هذا التوقع، وهو أن مدة المرض لا علاقة لها أبداً بمعتقدات المريض حول مصدر صحته، وبما أنه وحسب إطلاع الباحثة فإنه لا توجد دراسات سابقة تناولت علاقة الازمان (مدة المرض) بأبعاد مصدر الضبط الصحي.

فيمكن مناقشة نتائج هذه الفرضية بناءً على نتائج الفرضية الأولى خاصة عندما تأكدنا من أنه لا توجد علاقة ارتباطية بين الكفاءة الذاتية والبعد الداخلي لمصدر الضبط الصحي، وقلنا بأن هذا راجع ربما لخصائص العينة، خاصة من الجانب التعليمي لهم، هذا ربما في اعتقاد الباحثة قد يفسر ولو جزئياً نتائج هذه الفرضية.

انخفاض المستوى التعليمي للعينة وما يصاحبه من جهل يرتبط ارتباطاً وثيقاً بانخفاض المستوى الصحي في المجتمع، فالفرد الذي لا يعرف القراءة أو الكتابة لا يستفيد من الإرشادات والمعلومات الصحية المنشورة في الصحف أو المجلات أو النشرات الصحية، كما أنه غير مهتم بالسماع أي برامج إذاعية فيما يتعلق بالصحة، وهو غير مهتم أيضاً بحضور الاجتماعات والندوات الصحية، بالإضافة إلى ذلك فإن الفرد غير المتعلم تكون فرصة لإيمانه في البدع والخزعبلات كبيرة، وقد يعتمد في علاجه على تلك الخرافات بصورة أساسية، وهذا يؤثر على الحالة الصحية في المجتمع (بهاء الدين ابراهيم سلامة: 2001، ص208)، وعلى نفسه أيضاً.

وهناك بعض العوامل الاجتماعية السلبية التي تؤثر في اعتقاد الفرد بمصدر صحته أكثر من ارتباط مدة المرض بمصدر الصحة، فمهما كانت مدة المرض قصيرة أو طويلة فهي لا تؤثر في اعتقاد الفرد بمصدر صحته، وهذا في بيئتنا طبعاً.

ب- توجد ارتباطية بين أبعاد مصدر الضبط الصحي والسن لدى مرضى السكري

بعد تفسير النتائج الجزئية من الفرضية الثانية تبين عدم وجود علاقة ارتباطية بين أبعاد مصدر الضبط الصحي والسن. حيث كان معامل الارتباط بين السن والبعد الداخلي يساوي (-0.02) قيمة غير دالة. وكان معامل الارتباط بين بعد ذوي النفوذ لمصدر الضبط الصحي والسن يساوي (0.18)، في حين كان معامل الارتباط بين بعد الحظ والصدفة لمصدر الضبط الصحي والسن يساوي (-0.44) وكلها قيمة غير دالة إحصائياً.

كما نعلم أن مصدر الضبط هو متغيرات الشخصية غير الثابتة، فهو يتغير بتغير المواقف، ففي المراحل العمرية الأولى قد يتبنى الشخص وجهة نظر داخلية على سبيل المثال، لكن مع مرور الوقت والتعرض للمواقف المتعددة خلال

حياة الفرد قد تغير من اعتقاده في مصدر ضبطه، وهذا بالطبع من خلال ما يمر به من خبرات نجاح وفشل في حياته، وكيفية إدراكه لمصدر التعزيزات المقدمة له، وقد لا يتغير أبداً.

وهذه النتائج توفق نتائج الدراسة المقدمة من طرف Zdanowicz، وكان موضوع هذه الدراسة هو البحث في الفروق في أبعاد مركز الضبط الصحي عند عينة سوية وعينة مرضية لدى عينة من الشباب تتراوح أعمارهم بين 13 و 25 سنة، وكشفت الدراسة على أن أفراد العينة السوية يتميزون بمستوى ضبط عال بالمقارنة مع العينة المرضية التي تتميز بارتفاع في مستوى الضبط الخارجي، وكشفت إلى أن السن ليس له أي تأثير على تطور مصدر الضبط الصحي. وهي نفس النتائج التي توصل إليها Stanton، حيث وجد أن مصدر الضبط الداخلي للصحة لا يتطور بتقدم السن، وبعبارة أخرى لا يتأثر بالسن، وبهذا يمكننا أن نقول أن السن لا يؤثر بدرجة ك بيرة في اعتقاد الفرد حول مصدر الضبط الصحي لديه.

2-3- عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثالثة: تشير الفرضية إلى أنه: «توجد علاقة ارتباطية بين الكفاءة الذاتية ومدة المرض والسن لدى مرضى السكري». وقد قسمت الباحثة هذه الفرضية إلى فرضيتين جزئيتين:

3.2.1- توجد علاقة ارتباطية بين الكفاءة الذاتية ومدة المرض (الازمان) لدى مرضى السكري
عرض النتائج:

جدول رقم 08: يبين معامل الارتباط بين الكفاءة الذاتية ومدة المرض لدى مرضى السكري

الكفاءة الذاتية	معامل الارتباط	مدة المرض
0.09	الدالة الاحصائية	
غير دال	العينة (N)	
86		

يتضح من الجدول أن: أن معامل الارتباط بين الكفاءة الذاتية ومدة المرض (الازمان) يساوي (0.09)، وهي قيمة غير دالة. وهذا يعني عدم وجود علاقة ارتباطية بين الكفاءة الذاتية ومدة المرض.

2.3.2- توجد علاقة ارتباطية بين الكفاءة الذاتية والسن لدى مرضى السكري

عرض النتائج:

جدول رقم 09: يبين معامل الارتباط بين الكفاءة الذاتية والسن لدى مرضى السكري:

الكفاءة الذاتية		
-0.04	معامل الارتباط	السن
غير دال	الدلالة الاحصائية	
86	العينة (N)	

يتضح من الجدول: إن معامل الارتباط بين الكفاءة الذاتية والسن يساوي (-0.04) وهي القيمة غير دالة، وهذا يعني عدم وجود علاقة ارتباطية بين الكفاءة الذاتية والسن.

مناقشة الفرضية الثالثة:

بعد عرض نتائج الفرضية الثالثة التي تشير إلى أنه لا توجد علاقة ارتباطية بين الكفاءة الذاتية ومدة المرض والسن لدى مرضى السكري، تبين بعد تفسير النتائج إلى أنه:

أ- لا توجد علاقة ارتباطية بين الكفاءة الذاتية ومدة المرض (الازمان) لدى مرضى السكري:

نتائج هذه الفرضية مناقضة للنتائج التي توصل إليها chang وآخرون من خلال دراسته التي بحثت في تأثير السن والجنس والازمان في الكفاءة الذاتية لدى المرضى المزمنين، حيث كشفت النتائج إلى أن ارتفاع درجة الكفاءة الذاتية يقابله انخفاض في درجة الألم لدى المرضى المزمنين وبيئت أيضا أنه بالرغم من الخبرات الطويلة في المرض المزمن يؤدي فيما بعد إلى انخفاض في الكفاءة الذاتية، ووصلت كذلك إلى أنه لا توجد علاقة واضحة بين الكفاءة الذاتية والسن والجنس لدى المرضى المزمنين (Chong GS ;2001)

ولو تفحصنا الجانب النظري لوصلنا إلى استنتاج عام خاصة فيما يتعلق بمصدر الكفاءة الذاتية، وحول تأثير اعتقادات الفرد حول كفاءته الذاتية، لوجدنا أن هناك ارتباط بين الكفاءة الذاتية ومدة المرض، هذا إذا قمنا بإسقاط فكرة مدة المرض على تلك الرسومات البيانية التي تبين وعي الفرد بكفاءته الذاتية، ولنأخذ على سبيل المثال: علاقة الفكرة المسبقة بالكفاءة الذاتية، فكلما مالت الفكرة المسبقة عن إمكانات الفرد وقدراته ومعلوماته نحو الايجابية، كلما كان شعوره بارتفاع مستوى كفاءته الذاتية أكبر، وبما أن عينة البحث هي مرضى السكري لو كانت فكرتهم المسبقة عن مرض السكري بأنه مزمن وملزم لهم طوال حياتهم، أي أن فكرتهم عن المرض ومدته قد تكون سليمة، هذا سيؤثر حتما على فكرتهم حول إمكاناتهم وقدراتهم ومعلوماتهم في تخطي هذا المرض، وقد تكون النتيجة انخفاض أو انعدام للكفاءة الذاتية، ويمكن أن نواصل على بقية الرسومات على نحو هذه الفكرة.

لكن نتائج الدراسة أثبتت العكس أي أنه لا توجد علاقة ارتباطية بين الكفاءة الذاتية والمرض. وفي رأي الباحثة ربما يرجع هذا إلى الحالة الفسيولوجية، وكما عبرنا عن عنها في الجانب النظري إلى أنها تؤثر على الانتباه، وعلى تفسير الفرد للأحداث وإدراكها وتنظيمها وتخزينها واسترجاعها فيما بعد. أي في الحالة الفسيولوجية تؤثر على إدراك الفرد لكفاءته أو فاعليته الذاتية وعلى الأحكام التي يصدرها، فالنسبة لمرضى السكري فإنهم يتميزون بأعراض نفسية قد تؤثر على حالة الإدراك لديهم، فهم دائما قلقون، سريعيوا الاستشارة (هذا ما لاحظناه أثناء إجراء الدراسة).

ب- لا توجد علاقة ارتباطية بين الكفاءة الذاتية والسن: حيث كان معامل الارتباط بينهما يساوي (-0.04) وهي قيمة غير دالة

نتائج هذه الفرضية تتفق مع ما توصلت إليه نتائج chang حيث توصل إلى أنه لا توجد علاقة واضحة بين الكفاءة الذاتية والسن والجنس لدى المرضى المزمنين.

إلا أن نتائج دراسة أخرى أجريت للكشف عن العلاقة بين السن والرغبة في السيطرة على الصحة على عينة تتراوح أعمارهم بين 20-99 عامان فتوصلت النتائج إلى أن الأفراد فوق 60 عاما لديهم رغبة أقل في السيطرة على صحتهم مقارنة مع الشباب، وبالنسبة للكفاءة الذاتية للأفراد فوق 60 عاما كانت منخفضة

لكن نتائج هذه الدراسة أسفرت على أنه لا توجد علاقة أصلا بين الكفاءة الذاتية وعامل السن، وربما هذا راجع إلى أن كل أفراد العينة من كبار السن، وبالتالي فإن رؤيتهم إلى قدراتهم تختلف عن رؤية الشباب كما أن المستوى التعليمي يلعب دورا كبيرا، حيث وجدت الباحثة صعوبة كبيرة أثناء تطبيق المقياسين، وأن أفراد العينة لم يفهموا حقيقة المعنى للبند المعبر عنها، لذلك أسفرت على مثل هذه النتائج.

الخلاصة

لقد كان هدف الدراسة الحالية هو معرفة العلاقة الكامنة بين مصدر الضبط الصحي والكفاءة الذاتية لدى مرضى السكري، وقد تم تناول متغيرات الدراسة في الجانب النظري في فصول مستقلة هي: مصدر الضبط الصحي، الكفاءة الذاتية، وكذا مصدر الضبط الصحي والكفاءة الذاتية وعلاقتهما بالصحة، وقد خصص الجانب الميداني للإجابة على تساؤلات الدراسة، ولقد قسم الجانب الميداني إلى فصلين: أما الفصل الأول فقد تضمن التعريفات الإجرائية لمتغيرات الدراسة، ومنهج الدراسة، تحديد خصائص العينة، والتي اشتملت على 86 مريضاً بالسكري. والمقاييس التي تم اعتمادها في الدراسة، وكذا الأساليب الإحصائية التي تم استخدامها للإجابة على تساؤلات الدراسة، أما الفصل الثاني فقد اشتمل على عرض وتفسير ومناقشة النتائج المتحصل عليها من البحث.

وخلصت الدراسة إلى أنه لا توجد علاقة بين البعد الداخلي والكفاءة الذاتية، لكن ترتبط ببعدي ذوي النفوذ والحظ ولصدفة، كما أنه لا توجد علاقة ارتباطية بين كل من مصدر الضبط الصحي والكفاءة الذاتية بكل من مدة المرض والسن.

وأظهرت الدراسة كذلك أنه لا توجد فروق في أبعاد مصدر الضبط الصحي باختلاف الجنس والمستوى التعليمي، ولا توجد فروق في درجة الكفاءة الذاتية بين الجنسين. في حين أثبتت أنه توجد فروق في درجة الكفاءة الذاتية بين أفراد العينة باختلاف مستواهم التعليمي.

قائمة المراجع:

- 1/ غالب بن محمد علي المشيخي، قلق المستقبل وعلاقته بكل من فاعلية الذات ومستوى الطموح لدى عينة من طلاب جامعة الطائف، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى، 2009،
- 2 /عثمان يخلف (2001) ، علم نفس الصحة :الأسس النفسية و السلوكية للصحة، دار الثقافة، الدوحة، قطر
- 3/معتز سيد عبد الله، بحث في علم النفس الاجتماعي، ج1، القاهرة، دار غريب للطباعة
- 4/الف شفاتر (1994)، التفاؤلية الدفاعية الوظيفية كشرطين للسلوك الصحي، ترجمة سامر رضوان، مجلة الثقافة النفسية، العدد 18، مجلد 5، بيروت، دار النهضة العربية
- 5/زعطوط رمضان (2005)، علاقة الاتجاه نحو السلوك الصحي ببعض المتغيرات النفسية والاجتماعية، لدى المرضى المزمنين، ورقة، رسالة ماجستير غير منشورة
- 6/فتحي محمد الزيات (2001)، علم النفس المعرفي، ج1، ط1، مصر، دار النشر للجامعات
- 7/عبد المنعم احمد الدريبري (2004)، دراسات معاصرة في علم النفس المعرفي، ج2، ط1، القاهرة، عالم
- 8/ احمد يحيى الزق، الكفاءة الذاتية الأكاديمية المدركة لدى طلبة الجامعة الأردنية في ضوء متغير الجنس والكلية والمستوى الدراسي، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلد العاشر، العدد 2، يونيو 2009.

9/Gregpry L ;Weiss and all(1990);health value,health locus of control and prediction of health protective behaviours,social behavior,vol18,n6

10/حنان بنت حمادي سليم اللهبي الحربي، معتقدات الكفاية العامة والأكاديمية واتجاه الضبط وعلاقتهما بالتحصيل الدراسي في ضوء بعض المتغيرات الديموغرافية الأكاديمية لدى عينة من طلاب وطالبات جامعة أم القرى، جامعة أم القرى، رسالة ماجستير، 2006،

11_Chong GS et all; La douleur chronique et l'auto-efficacité: les effets de l'âge, le sexe, et la chronicité ; Douleur Pract. 2001 décembre; 1 (4): 338-43.

الولاء التنظيمي لدى أساتذة الجامعات

دراسة ميدانية بجامعات (ورقلة-غرداية-الوادي-بسكرة)

الطالبة : عبادو خديجة

إشراف :أ.د. الشايب محمد الساسي

تخصص علم النفس العمل و التنظيم

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

ملخص الدراسة:

استهدفت الدراسة الحالية الكشف عن مستوى الولاء التنظيمي لدى أساتذة الجامعات بالجزائر، و ما مدى اختلاف هذا المستوى تبعاً لمتغير التخصص والرتبة والأقدمية ومكان العمل ولتحقيق أهداف هذه الدراسة، اعتمدت الباحثة على : أداة "بورتير" لقياس مستوى الولاء التنظيمي وتحتوي 14 بنداً منها 3 فقرات سلبية. وبعد التحقق من صلاحية الأداة ومن صدقها وثباتها، تم تطبيق الدراسة على عينة من الأساتذة تتكون من 447 أستاذاً وأستاذة. تم اختيارها بطريقة عشوائية طبقية بولايات ورقلة والوادي وغرداية وبسكرة بالجنوب الجزائري وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

1. مستوى الولاء التنظيمي لدى أساتذة الجامعات مرتفع.
2. لا توجد فروق - ذات دلالة إحصائية - بين أساتذة الجامعات في مستوى الولاء التنظيمي باختلاف التخصص.
3. لا توجد فروق - ذات دلالة إحصائية - بين أساتذة الجامعات في مستوى الولاء التنظيمي باختلاف الرتبة.
4. لا توجد فروق - ذات دلالة إحصائية - بين أساتذة الجامعات في مستوى الولاء التنظيمي باختلاف الأقدمية.
5. لا توجد فروق - ذات دلالة إحصائية - بين أساتذة الجامعات في مستوى الولاء التنظيمي باختلاف الجامعات .

Abstract:

The present study aimed at detection of level of organizational loyalty university professors in Algeria, and how this level differs according to the specialization , the rank,the seniority , and the place of work

To achieve the objectives of this study, the researcher relied on the questionnaire, namely:

- the tool "Porter" to measure the level of organizational loyalty and contains 14 items, including 3 paragraphs negative.

After verifying the validity of the instrument and Sedk and Thbat, was applied to a sample of the study consists of 447 professors, Professor and professor

Were selected randomly stratified States Ouargla and Ghardaia and El Oued and Biskra in The southern Algeria the study found the following results:

1. Level of organizational loyalty to the university teachers is high.
2. There are no differences - statistically significant - between university professors in the level of organizational loyalty depending on specialization.
3. There are no differences - statistically significant - between university professors in the level of organizational loyalty according to rank.
4. There are no differences - statistically significant - between university professors in the level of organizational loyalty depending on seniority.
5. There are no differences - statistically significant - between university professors in the level of organizational loyalty in different States.

مقدمة :

إن الولاء في الفكر الإداري المعاصر تعبير يشير بشكل عام إلى مدى الاخلاص والاندماج والمحبة التي يبديها الفرد تجاه عمله، وانعكاس ذلك على تقبل الفرد لأهداف المنظمة التي يعمل بها وتفانيه لها. وقد عرف بلكنان (Buchanan, 1974) الولاء التنظيمي بأنه ارتباط الفرد القوي والفعال بأهداف المنظمة وقيمتها، بغض النظر عن القيم المادية المتحققة منها، وقد فرق بين ثلاثة مرتكزات رئيسية يقوم عليها الولاء التنظيمي : التماثل (Identification) والاندماج (involvement)، والاخلاص (loyalty) (السعود وسلطان 2009، ص 196)

ومن جهة أخرى نجد أن فعالية الأفراد في التنظيم لا تعتمد فقط على الاعداد والتدريب والتطوير فحسب بل تعتمد بقدر اكبر على درجة ومستوى ولاء هؤلاء الأفراد للتنظيمات التي يعملون بها. وقد ذكر أوشي في دراسة له : "أن سعي المنظمات لكسب ولاء موظفيها امر مبرر بل ضروري لما يترتب على الولاء من مكاسب كثيرة بالنسبة للمنظمة تتمثل في رضاهم الوظيفي وزيادة قدرتهم على الإبداع والانتاجية، واحترامهم لأنظمة وقوانين العمل"

ويشير الباحثون على أن المنظمات التي يوجد بها ولاء تنظيمي مرتفع تتميز بانتاجية عالية وأداء مالي جيد، وفعالية تنظيمية أكثر من المنظمات التي يكون ولاء الموظفين فيها منخفضا (الفوزان 2003، ص 15) وفي ظل غياب الدراسات حول هذا الموضوع بالمكتبة العربية، جاءت هذه الدراسة الميدانية إثراء لذلك، والتي سوف نتناول فيها واقع الولاء التنظيمي في الجامعات بورقلة، الوادي، غرداية، بسكرة، وما يرتبط به من عوامل مؤثرة

1- مشكلة الدراسة

ارتبط مفهوم الولاء التنظيمي بمفاهيم العلاقات الانسانية والمدرسة السلوكية في الإدارة وبتقافة المنظمة وغيرها من مفاهيم الإدارة العلمية التي تقدر في المقام الأول العنصر البشري في المنظمات. وقد اكد العديد من العلماء ان فعالية المنظمة تكمن في القدرة على الاحتفاظ بالعاملين لديها من خلال اشباع حاجاتهم وتلبية رغباتهم عن طريق ايجاد مناخ تنظيمي ملائم وسليم وخلق الولاء التنظيمي لدى هؤلاء، إن اتباع النهج الإداري السليم المعتمد على المنهجية العلمية من سياسات و أنظمة وحوافز، كل ذلك يعتبر من الأدوات القادرة على المساهمة في خلق ما يعرف بالولاء للمنظمة، ففكرة الإدارة على تنمية روح الولاء والإخلاص والكفاءة عند الأفراد والعمل على تهيئة أنظمة الرواتب والمكافآت سيؤدي بصورة حتمية الى نجاح واستمرار المنظمة لماله من تأثير مهم في كثير من سلوكيات الأفراد وماله من انعكاسات على الفرد والمنظمة على حد سواء (تير 2002، ص 62) يرى أميل دور كايم في كتابه تقسيم العمل الاجتماعي المنظمة كالأسرة يسودها الوئام والولاء بين افرادها غير انه اكد على ان العلاقة داخل المنظمات قد تكون موضوع خلاف بسبب طبيعته العلاقة بين المديرين والموظفين، ويرى أنه يمكن التحكم في هذا الخلاف من خلال القواعد والإجراءات المعمول بها داخل المنظمة والتي تسهل عملية الانسجام والتجانس بين اعضاء المنظمة (الأكحلي 2010، ص 02)

وأكد الشلوي (2005) بأن النظام الإداري الياباني وكذلك الكوري إمتاز بالتأكيد على الولاء المطلق للرؤساء والمنظمات من خلال السياسات والإجراءات المحققة للأهداف وذلك على عكس الإدارة الأمريكية والتي تؤكد على الربحية والفردية والمنافسة، في حين ذكر غياث (2010) أن المؤسسات بالدول النامية تعرف صعوبات متعددة ومتشابهة إلا أن أغلبها ناتج عن صعوبات تسيير الموارد البشرية وذلك ناتج عن غياب قيم ثقافية صناعية تتماشى مع متطلبات التنظيمات الحديثة وفشل المسيرين في فهم دوافع العمال وإيجاد أساليب للتسيير مسيطرة للواقع القيمي للمجتمع.

ونظرا لأهمية الموضوع وحساسيته وأهمية الدور الذي تؤديه الجامعات في تنمية المجتمعات البشرية وصنع حاضرها والتخطيط لمعالم مستقبلها فقد جرتنا الحاجة الى الكشف عن واقع الولاء التنظيمي بجامعاتنا والعوامل المرتبطة به من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية:

- 1- ما مستوى الولاء التنظيمي لدى أساتذة الجامعات؟
- 2- هل يختلف مستوى الولاء التنظيمي لدى أساتذة الجامعات باختلاف تخصصهم؟
- 3- هل يختلف مستوى الولاء التنظيمي لدى أساتذة الجامعات باختلاف رتبهم العلمية؟
- 4- هل يختلف مستوى الولاء التنظيمي لدى أساتذة الجامعات باختلاف الأقدمية؟
- 5- هل يختلف مستوى الولاء التنظيمي لدى أساتذة الجامعات باختلاف الجامعات؟

2- فرضيات الدراسة:

من خلال الطرح المتضمن في إشكالية الدراسة وتساؤلاتها يمكن صياغة الفرضيات الآتية، والتي تسعى هذه الدراسة للإجابة عنها:

1. مستوى الولاء التنظيمي منخفض لدى أساتذة الجامعات.
2. توجد فروق - ذات دلالة إحصائية- بين أساتذة الجامعات في مستوى الولاء التنظيمي باختلاف تخصصهم.
3. توجد فروق - ذات دلالة إحصائية- بين أساتذة الجامعات في مستوى الولاء التنظيمي باختلاف رتبهم العلمية.
4. توجد فروق - ذات دلالة إحصائية - بين أساتذة الجامعات في مستوى الولاء التنظيمي باختلاف الأقدمية.
5. توجد فروق - ذات دلالة إحصائية - بين أساتذة الجامعات في مستوى الولاء التنظيمي باختلاف الجامعات.

3- أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن التساؤلات المطروحة، أي التعرف عن مستوى الولاء التنظيمي لأساتذة الجامعات، وما مدى اختلاف هذا المستوى تبعا لمتغير التخصص والرتبة العلمية والأقدمية و الجامعات.

4- أهمية الدراسة

تبرز أهمية الدراسة الحالية في أهمية موضوع الولاء التنظيمي الذي يعد أحد المتغيرات المهمة التي تحدد درجة إنجاز الفرد للأهداف، إذ أن الفرد الذي يشعر بمستويات عالية من الولاء التنظيمي للمؤسسة التي يعمل فيها يكون متفانيا في العادة وي بذل قصارى جهده في أداء مهماته وواجباته .

كما تتبثق أهمية هذه الدراسة في كونها تبحث في مثل هذا الموضوع في الجامعات، ذلك انها مؤسسات تربية وأكاديمية وبحثية تنموية في آن واحد، ومتميزة عن مؤسسات المجتمع الأخرى، ومما لاشك فيه أن أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات من أهم مدخلات العملية التربوية والأكثر قربا من الطلبة الذين يشكلون محور العملية التربوية.

5- المفاهيم الإجرائية للدراسة

الولاء التنظيمي: هو رغبة الأساتذة في البقاء في الجامعات التي يعملون بها، وانتمائهم لها والمحافظة على سمعتها ومصيرها، واعتزازهم بأنهم أعضاء فيها. ويشير مفهوم الولاء التنظيمي في هذه الدراسة إلى مجموع استجابات الأساتذة محل الدراسة لمقياس الولاء التنظيمي الذي صممه بورتر.

6- الخلفية النظرية للمفاهيم

أ- مفهوم الولاء التنظيمي: مع أن مفهوم الولاء قديم في مجال العلوم الإنسانية، إلا أنه في مجال الإدارة لم يحظ بالاهتمام اللازم إلا بعد ظهور المدرسة السلوكية، والتي أكدت على العلاقات الإنسانية وأهميتها، في مجال المنظمات المختلفة فزاد اهتمام الباحثين في هذا المجال في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، حيث كانت الإدارة تطالب بعدم تجزئة ولاء العاملين، بل يجب أن يكون هذا الولاء متمثلاً في الانتماء لهذه المنظمات، والإخلاص في العمل، وبذل أقصى جهد لزيادة إنتاجيتها.

إن حداثة الاهتمام بموضوع الولاء التنظيمي في مجال الإدارة كان سبباً في قلة الدراسات التي بحثت فيه مما أدى إلى الصعوبة في تحديد مفهومه، فقد تعددت تعريفاته بتعدد الباحثين في هذا المجال، واختلاف مداخل دراسته، ونتائج الدراسات التي تناولته.

- الولاء لغة: يعني العهد، والقرب والنصرة والمحبة والالتزام. (تير 2002، ص 62)

والولاء كلمة ذات قيمة عالية، ومعنى سام ونبيل فهو الانتماء (evotion)، والانتساب (Affiliation)، وعندما نقول بأن للأبناء ولاء لآبائهم فإن ذلك يعني انتماءهم وانتسابهم وإخلاصهم لهم، والولاء بهذا المعنى ينطوي على الالتزام (Commitment)، والانسجام (Cohesiveness) والجذب (Enticement) تجاه الغير. (الرواشدة 2007، ص 86)

- الولاء اصطلاحاً:

يعتبر مفهوم الولاء مفهوماً قديماً تطرق إليه علماء الاجتماع والسلوك في أوقات سابقة حيث حاولوا إعطاء التفسيرات والاجتهادات القائمة على أن الإنسان كائن اجتماعي يعيش مع أفراد في بيئة اجتماعية منظمة تتطلب الحياة فيها التعاون والانتماء والإخلاص للوصول إلى الغايات والأهداف، وقد أشار هؤلاء الباحثون في مجال العلوم الاجتماعية إلى أن الولاء التنظيمي هو امتداد للولاء الاجتماعي المتمثل في مشاعر الفرد وولائه وانتمائه للمجتمع الذي يعيش فيه.

(اللوزي 2003، ص 118)

ومن أهم التعاريف التي توضح مفهوم الولاء التنظيمي ما يلي: عرف الولاء التنظيمي "بأنه استعداد الفرد على بذل درجات عالية من الجهد لصالح التنظيم، والرغبة القوية في البقاء في التنظيم، وقبول القيم والأهداف الرئيسية للتنظيم". (العزاوي وجواد 2010، ص 426)

- كما عرفه شيلدون (Shelden) على أنه التقويم الإيجابي للمنظمة، والنية للعمل من أجل تحقيق أهدافها. في حين يرى التو وهرينيك (Allutto, Herbinia) أن الولاء هو عدم الاستعداد لترك المنظمة بسبب الأجور، أو الوضع الوظيفي، أو الحرية المهنية، أو علاقات الصداقة.
- ويرى بوشنان (Buchanan) بأن الولاء التنظيمي هو اقتران فعال بين الفرد والمنظمة، بحيث يبدي الموظفون الموالون للمنظمة رغبتهم في خدمة المنظمة بشكل كبير برغم حصولهم على مردود أقل، وقد قدم ثلاث مرتكزات رئيسية يركز عليها الولاء التنظيمي وهي:

- الإحساس بالانتماء (Identification): ويظهر في التعبير عن الفخر بالمنظمة، والقناعة الذاتية بأهدافها وقيمتها.

- المشاركة والمساهمة الفعالة (Involvement): من قبل الفرد النابعة من رضاه النفسي بأهمية الأنشطة والأدوار التي يقوم بها.

- الإخلاص (loyalty): والمعبر عنه برغبة الفرد الأكيدة بالاستمرار والعمل في المنظمة في كل الظروف.

- كما يرى جورج (George, 1999) بأن الولاء التنظيمي هو حالة وجدانية، وذو أبعاد مختلفة، ولكن مترابطة ومن الصعب تحديد العنصر الأقوى أثراً، ولكن من المؤكد تأثيره الكبير على تصرفات العامل، وعلى مشاعره واعتقاداته حيال العمل بالمؤسسة، وعلى مدى استمراره في عمله أو التخلي عنه.
(حمدان 2008، ص ص 30-31)

- أما روبنز (Robbins) فيرى بأنه "سلوك ليس من ضمن متطلبات، العمل الرسمية إلا أنه يؤثر على فعالية الأداء في المنظمة."
(المحتسب وجلعود 2007، ص ص 108-109)

- ويعرفه كل من هول وشنيدر ونيجرن بأنه العملية التي يتم من خلالها الارتقاء بمستوى تكامل واتساق كل من أهداف الفرد والتنظيم، حيث يستشعر الفرد الاستغراق مع جماعة العمل والتوحد مع أهداف يسعى إلى إنجازها مما يعود عليه بالرضا.
(العتيبي 2008، ص 53)

ويمكن القول بأن الولاء التنظيمي شعور يمتلك الفرد تجاه المنظمة ينتج عنه قبول أهداف وقيم المنظمة والرغبة في البقاء بها والحرص على تحقيق أهدافها باخلاص والافتخار بالانتماء لها وعدم الاستعداد لتركها لأي سبب من الأسباب. وقد تبنت الباحثة في هذه الدراسة تعريف كل من موداي وستيرز وبورتر (Mowday, steers and porter, 1974) وهم من أهم الباحثين الذين اهتموا بموضوع الولاء التنظيمي وماهيته، وقد عرفوا الولاء التنظيمي بأنه "مدى قوة اندماج الموظف أو العامل مع المنظمة التي يعمل بها".

وأوضحوا أن الفرد الذي يمتلك انتماء للتنظيم الذي يعمل به، يتمتع بحالة من الانسجام والرضا والتفاعل مع مؤسسته والعاملين بها، وأشاروا إلى صفات محددة يتصف بها هؤلاء الأفراد ولها أثر في تحديد مدى ولاء الفرد التنظيمي، ومن هذه الصفات:

1. اعتقاد قوي بقبول أهداف المؤسسة وقيمها.

2. استعداد ورغبة قوية لبذل أقصى جهود ممكنة لصالح المؤسسة نيابة عنها.

3. الرغبة الجادة في المحافظة على استمرار عضويته في المؤسسة.

(حمدان 2008، ص 30).

ب- **المداخل النظرية لدراسة الولاء التنظيمي:** يمكن تقسيم المداخل النظرية في دراسة الولاء التنظيمي إلى المداخل التالية:

- **المدخل السلوكي:** ويعني العملية التي من خلالها يؤدي السلوك الماضي للفرد إلى ارتباطه بالمنظمة من خلال الاستثمارات المادية وغير المادية التي يستثمرها في المنظمة، فالولاء هنا ينبع من المكاسب التي يرى الموظف أنه يحققها نتيجة استمراره في المنظمة، أو التكاليف التي يتكبدها نتيجة تركه لها.

- **مدخل الاتجاهات:** وفقاً لمدخل الاتجاهات فإنه ينظر إلى الولاء التنظيمي على أنه يتمثل في طبيعة العلاقة بين الموظف ومنظمته، فعندما تصبح قيم الموظف ومعتقداته وأهدافه متطابقة مع أهداف المنظمة والقيم السائدة فيها فإن هذا الموظف سوف يبذل جهود إضافية في عمله للرفي بمنظمته، ولا يفكر في تركها والانتقال إلى منظمة أخرى، ويرى أنصار هذا المدخل أن هناك ارتباطاً قوياً للأفراد بمنظمتهم بغض النظر عن المصالح المادية أو المكاسب التي يمكن أن يحصلوا عليها مقابل عملهم، ومن هذا المنطلق فإن هؤلاء الموظفين يفعلون ذلك لأنهم يشعرون أنه يجب عليهم أن يقوموا بذلك. (أبو العلا 2009، ص 38)

ج. مراحل تطور الولاء التنظيمي: بين بوشنان (Bulchanan) أن الولاء التنظيمي عند الأفراد يتطور من خلال ثلاث مراحل متعاقبة وهي:

1- **مرحلة التجربة والإعداد:** وهي فترة ما بعد التعيين تمتد إلى سنة من تاريخ إلحاق الفرد بعمله، ولكنها تعتبر فترة تجريبية، ويكون العامل خاضعا خلالها إلى التدريب والإعداد والاختبار، ويهتم الفرد بالحصول على الرضا والقبول من مؤسسته التي يعمل بها، لذا يبذل أقصى جهد عنده ليدع ويبرز في عمله ويكون محط أنظار وإطراء كل من حوله، ويرى بوشنان أيضا أن هناك خبرات تظهر ضمن هذه المرحلة منها: تضارب الولاء، ووضوح الدور، وتحديات العمل، وفهم التوقعات.

2- **مرحلة العمل والانجاز:** وهي الفترة اللاحقة للفترة التجريبية وتمتد من سنتين إلى أربع سنوات ويسعى الفرد خلالها إلى إثباته ذاته من خلال عمله والتأكيد على الانجاز الذي حققه، وتتميز هذه المرحلة ببعض الخبرات والتي منها: الأهمية الشخصية والخوف من العجز، وظهور قيم الولاء للتنظيم والعمل.

3- **مرحلة الثقة بالتنظيم والانتماء له:** وتبدأ هذه الفترة بعد السنة الخامسة من إلحاق الفرد بعمله ويبدأ فيها بترسيخ اتجاهات الولاء نحو المؤسسة التي يعمل بها، بحيث تصبح متينة الرباط، شديدة الوثاق، ويشعر الإنسان حينها أنه يريد أن يعمل ويعمل دون كلل أو ملل، لصالح مؤسسته، ليعلو بها ومعها، وتتصهر مصالحه الشخصية من لهيب مشاعر الحب والإخلاص لمنظمتها، وتنتقل هذه الفترة بالفرد من مرحلة التكوين إلى مرحلة النضج (غنام 2005، ص ص 40-41).

7- الإجراءات التطبيقية للدراسة

1. **المنهج:** تماشيا مع أهداف هذه الدراسة وطبيعتها الاستكشافية تم اعتماد المنهج الاستكشافي الذي يتم فيه القيام بالدراسة في ظروفها الطبيعية كما هي في الواقع وتحليلها وتفسيرها.

2. **عينة الدراسة:** تكونت العينة من (447) أستاذا وأستاذة. حيث أخذت نسبة 20% من كل من جامعة ورقلة وبسكرة، أما في جامعتي الوادي وغرداية فقد اعتمدنا على طريقة العينة النسبية نظرا لصغر حجم المجتمع الأصلي ونقدر هذه النسبة المختارة بـ 30%

3- الحدود الزمانية والمكانية للدراسة : تتحدد الدراسة الحالية بالمواصفات الآتية:

اقتصرت الدراسة على أساتذة الجامعات نظرا لما لو وظيفة التعليم من أهمية خاصة وحيوية، فهي أساس قيام الجامعات وعمودها الفقري.

أجريت الدراسة بولايات ورقلة وغرداية والوادي وبسكرة لسهولة الاتصال وقربها من مكان تواجد الباحثة، وعليه فإن صحة نتائج الدراسة تتوقف على مدى تمثيل العينة للمجتمع الأصلي.

تتحدد الدراسة زمنيا بالموسم الدراسي 2011-2012 .

تتحدد نتائج الدراسة الحالية بخصائص الأدوات المعتمدة في قياس: القيم التنظيمية، الولاء التنظيمي لدى أساتذة الجامعات، ويمدى تفهم أفراد العينة وجديتهم في الإجابة عن بنود المقاييس.

4- **أداة المقياس:** اعتمدت الباحثة في قياس الولاء التنظيمي على الأداة التي أعدها كل من موداي بورتر، وستيرز (1979)، وترجمها إلى العربية عدد من الباحثين العرب منهم الدرويش (1999)، الفضلي (1997).

(تير 2002، ص 130)

المير (1995) وتتألف هذه الأداة من 14 فقرة فيها منها 11 فقرة موجبة و3 فقرات سالبة تم استخدام مقياس ليكرت الخماسي بحيث كان كل بند متبوعا بخمسة بدائل وهي: (دائما، غالبا، أحيانا، نادرا، أبدا)

أما بالنسبة لتصحيح المقياس فقد تم إعطاء التقديرات (5، 4، 3، 2، 1) لل فقرات الموجبة أما الفقرات السالبة فكانت تقديراتها (1، 2، 3، 4، 5).

5- الخصائص السيكومترية لأداة الولاء التنظيمي:

أ- صدق الأداة: تم الاكتفاء بنوعين من الصدق.

1- الصدق الذاتي: والذي يحدد بالجذر التربيعي لمعامل ثبات الأداة أي $\sqrt{0,805}$ وعليه فإن الصدق الذاتي لهذه الأداة هو 0,89 وهو معامل صدق عال يمكننا من الثقة في الأداة.

2- صدق المقارنة الطرفية: تم حساب صدق الأداة كذلك باعتماد طريقة المقارنة الطرفية (باستخدام البرامج الاحصائية SPSS, v17)، حيث تم ترتيب الدرجات الكلية تنازليا ثم تمت المقارنة بين 33% من المستوى العلوي بـ 33% من المستوى السفلي فكانت قيمة (ت) المحسوبة تساوي 12,018 وقيمة (ت) المجدولة 3,385 عند درجة الحرية 32 وهي قيمة دالة عند 0,01، مما يعني أن هناك فروقا دالة بين المستوى العلوي والسفلي للدرجات وبالتالي فإن المقياس يميز بين المفحوصين.

ب- ثبات الأداة: لقد أظهرت الدراسات العربية والأجنبية على أن هذه الأداة تتصف بدرجة عالية من الثبات ومنها:

- الدراسات العربية: الدرويش 1999 (0,86)، الفضلي 1997 (0,89)، المير 1995 (لم يتم حساب معامل الثبات واكتفى بالقول أن الأداة ذات ثبات عالي بناء على دراسات سابقة).

- الدراسات الأجنبية: وهي متعددة الشيء الذي يبين المصادقية الكبيرة التي يتمتع بها مقياس الولاء التنظيمي لموداي (1979) وهي: بيشوب Bishop 2000 بمعامل ثبات (0,89)، وريتشاردس Richards 1998 بمعامل (0,90)، وفي دراسة فان إيران وآخرون Vanyperen et al 1999 بلغ معدل ثبات الأداة (0,89)، وفي دراسة أخرى لبرسون وآخرون Pearson et al بلغ هذا المعامل (0,96).

وتجدر الإشارة إلى أن معاملات الثبات هذه حسبت باستخدام معادلة ألفا كرونباخ.

(تبر 2002، ص 130)

1- ثبات التجزئة النصفية: وقد كان معامل الثبات باستعمال التجزئة النصفية يقدر بـ 0,67 وبعد التعديل بطريقة سبيرمان براون أصبح معامل الثبات 0,80، وهو معامل ثبات عال مما يدل على ثبات الأداة.

2- معامل ألفا كرونباخ: كانت قيمة ألفا كرونباخ 0,87 مما يدل على ثبات الأداة.

8- الأساليب الاحصائية المستخدمة: تم استخدام أساليب الإحصاء الاستدلالي للإجابة عن التساؤلات المطروحة هما:

- اختبار ت : لتقدير الفروق بين متوسطين

اختبار تحليل التباين : لتقدير الفرق بين عدد من المتغيرات ذات البيانات الكمية

9- عرض النتائج و تفسيرها :

1- عرض وتفسير نتائج الفرضية الأولى: وتنص هذه الفرضية على ما يأتي: مستوى الولاء التنظيمي منخفض لدى أساتذة الجامعة.

ولاختبار هذه الفرضية ، تم حساب المتوسط الحسابي للولاء التنظيمي لدى أساتذة الجامعات والانحراف المعياري، كما هو موضح في الجدول رقم (01).

جدول رقم (01): يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري للولاء التنظيمي.

الولاء التنظيمي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
	54,02	07,74

يتبين من الجدول أن متوسط الولاء التنظيمي هو (54,02) والانحراف المعياري (7,74).

ومقارنة بمتوسط المقياس نجد أن مستوى الولاء التنظيمي مرتفع.

وهذا يعني رفض فرضية البحث و قبول الفرض الصفري أي أن مستوى الولاء التنظيمي لدى أساتذة الجامعة مرتفع.

وترى الباحثة أن مستوى الولاء التنظيمي لأساتذة الجامعات كان مرتفعاً لعدة أسباب: فقد يكون هذا الولاء نتيجة

اهتمام الأساتذة بمصير الجامعة التي يعملون بها، واستعدادهم لتقديم مجهود أكبر لإنجاح العمل فيها.

وقد يؤول سبب ذلك أيضاً إلى إدراك الأساتذة بأن الجامعات جديرة بالعمل فيها، لذلك يتفخرون أمام أصدقائهم

ومعارفهم بأنهم يعملون فيها ويمتلكون هذه المهنة المحترمة ذات المكانة المرموقة في مجتمعنا، مما يدفع الأساتذة للحفاظ

على هذه الفرصة التي لم تيسر للكثيرين وتصريحهم بأنهم سعداء باختيارهم، واستعدادهم لقبول أي عمل في جامعاتهم

للبقاء فيها.

وفي نفس السياق، فقد أظهرت النتائج أنه يمكن للمؤسسة أن تزيد من الولاء التنظيمي من خلال ما تقدمه للفرد

من امتيازات، كما هو الحال في الجامعات، وقد قسمت العوامل التي تساعد على الشعور بمشاعر الولاء لدى العاملين

إلى قسمين: شخصية، وتنظيمية، فالعوامل الشخصية من شأنها أن تزيد من درجة الولاء والتي تتمثل بخلفية الموظف،

وثقافته، والنظرة الإيجابية لذاته، والرغبة في تحقيق ذاته ومدى أهمية العمل له، أما العوامل التنظيمية التي من شأنها أن

تزيد من درجة الولاء، تتمثل في محتوى العمل، طبيعته، خصائصه، نمط القيادة الإدارية، بيئة التنظيم والمناخ التنظيمي

بشكل عام. (سلامة 2003، ص 40)

عرض وتفسير نتائج الفرضية الثانية: والتي تنص: توجد فروق – ذات دلالة إحصائية بين أساتذة الجامعات في

مستوى الولاء التنظيمي باختلاف التخصص.

تم حساب المتوسطات الحسابية وكذا الانحرافات المعيارية لمستوى الولاء التنظيمي لدى أساتذة الجامعات، حسب

تخصصهم، وكانت النتائج كما هو موضح في الجدول رقم (2 0).

جدول رقم (2 0): يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى الولاء التنظيمي لدى أساتذة الجامعات

حسب تخصصهم.

المتغير	التخصص	عدد الأفراد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
الولاء التنظيمي	العلوم الإنسانية والاجتماعية + الآداب واللغات	145	54,02	7,94
	العلوم الاقتصادية والتسيير + الحقوق والعلوم السياسية	106	53,59	8,58
	العلوم التكنولوجية وعلوم المادة + علوم الطبيعية والحياة	196	54,26	7,11

يوضح الجدول أن مجموعة العلوم التكنولوجية والحياة تمتلك أعلى متوسط (54,26) بانحراف

معيارى (7,11)، وجاءت مجموعة العلوم الإنسانية والاجتماعية والآداب واللغات في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي

(54,02) وانحراف معياري (7,94)، أما المجموعة الثالثة، فهي مجموعة العلوم الاقتصادية والحقوق بمتوسط حسابي (53,59) وانحراف معياري (8,58).

- واختبار هذه الفروق تم استخدام أسلوب تحليل التباين البسيط، كما هو موضح في الجدول رقم (03).

جدول رقم (03): يبين تحليل التباين لثلاث مجموعات في مستوى الولاء التنظيمي باختلاف التخصص.

المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	متوسط المربعات	ف	الدالة الإحصائية
الولاء التنظيمي	بين المجموعات	30,505	15,253	0,253	غير دالة
	داخل المجموعات	26718,224	60,176		
	الكلية	26748,729	/		

يبين الجدول أن قيمة ف هي (0,25) وهي غير دالة مما يعني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أساتذة الجامعات في مستوى الولاء التنظيمي باختلاف التخصص أي رفض فرضية البحث وقبول الفرض الصفري.

وتفسر الباحثة ذلك بأن أعضاء هيئة التدريس يشعرون بأنهم يقومون بعمل مهم في الجامعة بشكل عام بغض النظر عن التخصص، ويرون أن رؤسائهم يعترفون بأهمية العمل الذي يقومون به، كما يشعرون بشكل عال أيضا بوجود فرص حقيقية للنمو الشخصي والتطور في العمل، وهم يدركون تماما أن المزايا التي يحصلون عليها داخل الجامعة تفوق ما يحصل عليه زملاؤهم في المنظمات الأخرى خاصة التربوية منها كما وكيفا .

كما يمكن تفسير عدم الاختلاف هذا بالعدالة التنظيمية في الإجراءات المتخذة، مثل توزيع مكافآت العمل بين كليات العلوم الاجتماعية والآداب والعلوم التكنولوجية وعلوم الاقتصاد والحقوق، وفي معظم الجامعات والتي ينجم عنها ارتفاع في مستوى الولاء .

وكذلك الاستقلالية التي يتمتع بها الأساتذة في جميع الكليات ودرجة الحرية التي تتاح لهم في اختيار الطرق و الإجراءات التي يتبعونها في أداء عملهم، مما يتيح لهم التعبير عن ذاتهم و شخصيتهم كل حسب تخصصه .

عرض وتفسير نتائج الفرضية الثالثة: وتنص على: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أساتذة الجامعات في مستوى الولاء التنظيمي باختلاف الرتبة.

وقد تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمجموعتي الأساتذة: المساعدين والمحاضرين، وتم حساب دلالة الفروق بينهما، كما هو مبين في الجدول رقم (04).

جدول رقم (04): يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية رقيم (ت) للفروق بين متوسطي الأساتذة

المساعدين والمحاضرين في مستوى الولاء التنظيمي.

متغير الرتبة	عدد الأفراد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت	الدالة الإحصائية
الأساتذة المساعدون	357	54,06	7,82	0,231	غير دالة
الأساتذة المحاضرون	90	53,85	7,44		

يبين الجدول أن المتوسط الحسابي لمستوى الولاء التنظيمي لدى الأساتذة المساعدين كان أعلى من الأساتذة المحاضرين، حيث قدر بـ (54,06) بانحراف معياري (7,82)، بينما قدر المتوسط الحسابي لمستوى الولاء التنظيمي لدى الأساتذة المحاضرين بـ (53,85) بانحراف معياري (7,44).

-ولمعرفة دلالة الفرق بين هذين المتوسطين استخدمت الباحثة اختبار (ت) لعينتين غير متجانستين، حيث كانت قيمة ت (0,23) وهي غير دالة.

مما يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أساتذة الجامعات في مستوى في مستوى الولاء التنظيمي باختلاف الرتبة وهذا يعني رفض فرضية البحث وقبول الفرض الصفري.

وترى الباحثة أن الأستاذ المحاضر أو أستاذ التعليم العالي له ولاء مرتفع للجامعة لما يكتسبه من امتيازات ومكانة مرموقة في الجامعة، وضرورة الحفاظ عليها ومصطلح المكانة الاجتماعية يقصد به المرتبة والوضع الذي يتمتع به شخص ما مقارنة مع الآخرين في أي نظام اجتماعي، وهذه المكانة قد تكون المركز الرسمي لشخص ما كما حدده المسمى الوظيفي في المؤسسة التي يعمل بها . وكما ذكرنا في الجانب النظري أنه كلما زادت مكانة الفرد ضمن مجموعته أو منظمته، كلما شعر بأهمية دوره، وزادت قوة ولائه واندفاعه للتعاون و التماسك مع الآخرين .

وبالمقابل كذلك الأستاذ المساعد له ولاء مرتفع لجامعته بغية النمو الوظيفي والتطور في العمل والوصول إلى الامتيازات والمكانة التي يتمتع بها الأستاذ المحاضر أو أستاذ التعليم العالي، وهو مدرك تماما أن فرصة التطور الوظيفي غير متوفرة لزملائه في المؤسسات التعليمية الأخرى، الا بصفة محدودة ومجففة مقارنة بما هو موجود في الجامعات .

كما تعزو الباحثة عدم اختلاف مستوى الولاء التنظيمي بين الأساتذة المساعدين والأساتذة المحاضرين، وأساتذة التعليم العالي إلى العلاقات التعاونية التي تعتبر من العوامل المساهمة في زيادة الولاء، حيث يزداد ولاء الأساتذة اذا كان هناك فهم مشترك بينهم، وأدركوا عدد كبير من الموضوعات من نفس المنظور وتم تحديد الأهداف، ووضع المعايير التي يجب أن يلتزموا بها جميعا، ومن بين أهم هذه العلاقات التعاونية بين أساتذة الجامعات علاقة الاشراف عرض وتفسير نتائج الفرضية الرابعة: وتتص على: توجد فروق - ذات دلالة إحصائية- بين أساتذة الجامعات في مستوى الولاء التنظيمي باختلاف الأقدمية.

وقد تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمجموعتي الأساتذة الذين تتراوح مدة أقدميتهم (من 5 - 10 سنوات) و(أكثر من 10 سنوات)، وتم حساب دلالة الفروق بينهما، كما هو مبين في الجدول رقم (05).

جدول رقم (05): يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيم (ت) للفروق بين متوسطي الأساتذة الذين تتراوح مدة أقدميتهم (من 5 - 10 سنوات) و(أكثر من 10 سنوات) في مستوى الولاء التنظيمي.

متغير الرتبة	عدد الأفراد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت	الدلالة الإحصائية
من 5 - 10 سنوات	327	53,96	7,65	-0,290	غير دالة
أكثر من 10 سنوات	120	54,02	8,01		

يبين الجدول أن المتوسط الحسابي لمستوى الولاء التنظيمي لدى الأساتذة الذين تتراوح مدة أقدميتهم (أكثر من 10 سنوات) كان أعلى من الأساتذة الذين تتراوح مدة أقدميتهم (من 5 - 10 سنوات) حيث قدر بـ (54,02) بانحراف معياري (8,01)، بينما قدر المتوسط الحسابي لمستوى الولاء التنظيمي لدى الأساتذة الذين تتراوح مدة أقدميتهم (من 5 - 10 سنوات) بـ (53,96) بانحراف معياري (7,65).

-ولمعرفة دلالة الفرق بين هذين المتوسطين استخدمت الباحثة اختبار (ت) لعينتين غير متجانستين، حيث كانت قيمة ت (-0,290) وهي غير دالة.

مما يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أساتذة الجامعات في مستوى الولاء التنظيمي باختلاف الأقدمية، وهذا يعني رفض فرضية البحث وقبول الفرض الصفري.

وتعزو الباحثة ذلك إلى أن الولاء صفة ملازمة للمنظمات الناجحة التي يحدث فيها توافق وانسجام بين العاملين وأهدافهم والمنظمة وأهدافها بغض النظر عن الموظفين القدامى والجدد. وجميع أساتذة الجامعة بغض النظر عن

أقدميتهم ينظرون الى الولاء رؤية سلوكية وذلك بضرورة الحفاظ على المكاسب التي يحققونها في الجامعة والتي قد يخسرونها نتيجة تركهم الجامعة ،و محاولة الحفاظ على كل التصرفات التي تضمن لهم استمرارية هذه المكاسب والامتيازات .

وهذه الرؤية للولاء تضم ثلاثة عناصر: العنصر الوجداني والذي يشعر فيه الأستاذ بالارتباط بالجامعة لدرجة أنه يعرف بها فيقال الشخص الذي يدرس في الجامعة .

والعنصر الاستمراري والذي يتمثل في التكليف التي يرى الأستاذ أن سببها هو تركه للجامعة، والعنصر المعياري والذي يشعر فيه الأستاذ بالالتزام بالبقاء في الجامعة .

كما يمكن تفسير ذلك بثبات السياسات و الاجراءات المتخذة في الجامعات، كما ذكرنا سابقا

عرض وتفسير نتائج الفرضية الخامسة: وتتص على: توجد فروق - ذات دلالة إحصائية - بين أساتذة الجامعات في مستوى الولاء التنظيمي باختلاف الجامعات.

تم حساب المتوسطات الحسابية وكذا الانحرافات المعيارية لمستوى الولاء التنظيمي لدى أساتذة الجامعات، حسب الجامعات وكانت النتائج كما هو موضح في الجدول رقم (06).

جدول رقم (06): يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى الولاء التنظيمي لدى أساتذة الجامعات حسب الجامعات.

الجامعات	عدد الأفراد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
ورقة	176	54,67	8,51
الوادي	99	52,21	8,59
غرداية	52	54,00	8,01
بسكرة	120	54,58	5,09

يبين الجدول أن جامعة ورقلة لها أعلى متوسط حسابي (54,67) بانحراف معياري (8,51)، تليها جامعة بسكرة بمتوسط حسابي (54,58) وانحراف معياري (5,09) وجاءت جامعة غرداية في المرتبة الثالثة من حيث مستوى الولاء التنظيمي بمتوسط حسابي (54,00) وانحراف معياري (8,01) وأخيرا جامعة الوادي في المرتبة الرابعة بمتوسط حسابي (52,21) وانحراف معياري (8,59).

- ولاختبار هذه الفروق تم استخدام أسلوب تحليل التباين البسيط، كما هو موضح في الجدول رقم (07).

جدول رقم (07): يبين تحليل التباين لأربع مجموعات في مستوى ولائهم التنظيمي باختلاف الجامعات.

المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	متوسط المربعات	ف	الدالة الإحصائية
الولاء التنظيمي	بين المجموعات	436,131	145,377	2,448	غير دالة
	داخل المجموعات	26312,598	59,396		
	الكل	26748,729	/		

يبين الجدول أن قيمة ف هي (2,448) وهي غير دالة وهذا يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أساتذة الجامعات في مستوى الولاء التنظيمي باختلاف الجامعات، وهذا يعني رفض فرضية البحث وقبول الفرض الصفرية.

وتعزو الباحثة عدم اختلاف مستوى الولاء لدى الأساتذة في الجامعات الى تبني هذه الجامعات سياسات ناجعة تساعد على اشباع حاجات الأساتذة وتكوين سلوكهم التنظيمي (كما ذكرنا سابقا) والنتائج عن المدخلات التالية :

المكانة في الجامعة، الاستقلال في العمل، العلاقات الاجتماعية، نظام الحوافز، فعالية الإدارة، تحديد الأدوار، الرضا عن العمل وغيرها من القيم الايجابية والتي تؤدي الى الحصول على مخرجات الولاء التنظيمي منها : سلوك ايجابي تجاه الجامعة، تدني نسبة الغياب و الدوران الوظيفي و الشعور بالاستقرار، و ارتفاع الروح المعنوية و معدلات الاداء . بالإضافة إلى تحديد الأهداف، والمشاركة في صنع القرار لتحقيق الأهداف الجماعية وإيجاد مناخ تنظيمي ملائم، والذي يمثل شخصية المنظمة الناجحة، والاهتمام بثقافة الجامعة باعتبارها نسق مفتوح يتأثر بثقافة المجتمع الذي تنتمي اليه هذه الجامعة، وضرورة فهمها .

خلاصة:

يتبين لنا من خلال عرض وتفسير النتائج العامة للدراسة، أنها توصلت إلى نتائج هامة ومنطقية، فيما يتعلق بمستوى الولاء التنظيمي لدى أساتذة الجامعة، وتأثير المتغيرات الوسيطة المعتمدة في الدراسة عليه وجاءت كالاتي:

1. مستوى الولاء التنظيمي لدى أساتذة الجامعات مرتفع
 2. لا توجد فروق - ذات دلالة إحصائية - بين أساتذة الجامعات في مستوى الولاء التنظيمي باختلاف التخصص.
 3. لا توجد فروق - ذات دلالة إحصائية - بين أساتذة الجامعات في مستوى الولاء التنظيمي باختلاف الرتبة.
 4. لا توجد فروق - ذات دلالة إحصائية - بين أساتذة الجامعات في مستوى الولاء التنظيمي باختلاف الأقدمية.
 5. لا توجد فروق - ذات دلالة إحصائية - بين أساتذة الجامعات في مستوى الولاء التنظيمي باختلاف الجامعات .
- وهذه النتائج التي توصلت إليها الدراسة مفيدة للرؤساء والمسؤولين ، وحتى الأساتذة في الجامعات والتي تساهم في توضيح مفهوم الولاء التنظيمي، وتحديد علاقته بمتغيرات التخصص، والرتبة العلمية ،والأقدمية ،ومكان العمل .
- وتوصي الدراسة بضرورة إجراء دراسات مستقبلية في مجال الولاء التنظيمي والعوامل التي تزيد من شأنه كالمكافآت المعنوية والمادية والترقيات، وعلاقته بمتغيرات أخرى كالأسلوب القيادي والرضاء الوظيفي، والمناخ التنظيمي.

وتطوير أداء المديرين والمسؤولين وتدريبهم بشكل مستمر، وتنمية مهاراتهم وقدراتهم وزيادة اطلاعهم على التطورات في البيئة الخارجية.

لتعزيز ولاء أساتذة الجامعات من خلال إجراء ندوات وملتقيات للتعريف بأهمية الولاء التنظيمي والعوامل التي تساهم في تكوينه وتنميته وترسيخه، وما ينجم عنه من فوائد تعود عليهم بالنفع الكبير.

قائمة المراجع :

- 1- البهي السيد فؤاد (2006) علم النفس الإحصائي وقياس العقل البشري، دار الفكر العربي، القاهرة .
- 2- تير رضا (2002) الولاء للإدارة ودور عدالة النظام الإشرافي في بناءه، دراسة ارتباطية مطبقة على موظفي قطاع المالية العمومية، ماجستير في علم نفس العمل والتنظيم (غير منشورة) كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر.
- 3- حمدان دانا لطفي (2008) (العلاقة بين الحرية الأكاديمية والولاء التنظيمي لدى أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات الفلسطينية، رسالة ماجستير في الإدارة التربوية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين.
- 4- الرواشدة خلف سليمان (2007) صناعة القرار المدرسي والشعور بالأمن والولاء التنظيمي، ط1، دار ومكتبة الحامد، عمان الأردن .
- 5- السعود راتب وسلطان سوزان (2009) درجة العدالة التنظيمية لدى رؤساء الأقسام الأكاديمية في الجامعات الأردنية الرسمية وعلاقتها بالولاء التنظيمي لأعضاء الهيئات التدريسية فيها، مجلة جامعة دمشق، المجلد 25، العدد (1+2).
- 6- سلامة رتيبة محمد حسن (2003) (الممارسات الإدارية لمديري المدارس الثانوية العامة في الأردن وعلاقتها بالرضا الوظيفي والولاء التنظيمي للمعلمين، دكتوراة في الإدارة التربوية بكلية الدراسات التربوية العليا في جامعة عمان العربية.
- 7- العزاوي نجم عبد الله وجواد عباس حسين (2010) (الوظائف الاستراتيجية في إدارة الموارد البشرية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان الأردن.
- 8- العتيبي مشعل بن حمس (2008) (دور البرامج التدريبية في رفع مستوى الولاء التنظيمي، دراسة مسحية على العاملين بمجلس الشورى، رسالة ماجستير في العلوم الإدارية، جامعة نايف للعلوم الأمنية .
- 9- غياث بوفلحة (2008) (مبادئ التسيير البشري، ط3، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران .
- 10- غنام ختام عبد الله علي (2005) (السمات الشخصية والولاء التنظيمي لدى معلمات المرحلة الأساسية في المدارس الحكومية في محافظة نابلس، رسالة ماجستير في الإدارة التربوية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين.
- 11- اللوزي موسى (2003) (التطوير التنظيمي، أساسيات ومفاهيم حديثة، ط2، دار وائل للنشر، عمان الأردن.
- 12- مقدم عبد الحفيظ (2003) (الإحصاء والقياس النفسي والتربوي، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- 13- المحتسب لينة حسام وجلعود مروان سعيد (2007) (أبعاد الولاء التنظيمي والعوامل المؤثرة عليه لدى موظفي البنوك في محافظة الخليل فلسطين، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد 11.

مواقع الكترونية :

- 1- أبو العلا محمد صلاح الدين (2009) (ضغوط العمل وأثرها على الولاء التنظيمي لدى المدراء العاملين في وزارة الداخلية في قطاع غزة، الجامعة الإسلامية غزة:

<http://Library.iugaza.edu.ps/thesis/86834.pdf>.

- 2- أيمن عبد الحق وآخرون (2011) (أثر بعض المتغيرات التنظيمية على الولاء التنظيمي لدى موظفي البنوك وشركات التأمين في مدينة نابلس، جامعة النجاح الوطنية نابلس :

<http://eco.najah.edu/sites/eco.najah.edu/files>.

- 3- بشاوري لمياء (2009) (المعلم السعودي: هل لديه ولاء تنظيمي لمهنته... والوزارة :

<http://www.shraka.org/showthread.php?t=1692>.

- 3- الكايد جعفر احمد محمد (1999) (الولاء التنظيمي في الجامعات الرسمية الأردنية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، جامعة اليرموك الأردن:

<http://www.veecos.net/portal/indesc.php?option=com.contentview=article>.

5-Adeyinka tella and C.O.Ayeni and S.O.popoola (2007) work motivation, job satisfaction and organizational commitment of library personnel in academic and research libraries in oyo state, nigeria: <http://unllib.unl.edu/Lpp/tella2.pdf>.

6-Ioana Lavinia Ras CA and Al escandrina deaconi (2007) The importance of loyalty of highly performing Employees for organizational performance, Institue for business and public administration form Bucharest, Asebuss: <http://www.managementmarketing.ro/pdf/articole/101.pdf>.

7-Kyle Le Malfa (2007) The top 11 ways to increase your Employee loyalty: <http://www.customerservicegroup.com/pdf/allegianceincreaseloyalty.pdf>.

البعد الاجتماعي لنظرية الكاوس 1

أ. سعيدي عبد الفتاح

أستاذ مساعد "أ" قسم العلوم الاجتماعية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة الوادي (الجزائر)

Résumé:

On ne peut pas parler de la fin du XX^{ème} sans parler de la théorie du chaos comme théorie a pour objet l'étude des systèmes dynamiques non linéaires. Ce qui est important, c'est sa fiabilité comme approche épistémologique imposant son influence rapide sur toutes les spécialités scientifiques, et notamment sur les recherches et les études sociologiques qui souffrent de tant de difficultés sur le plan épistémologiques et méthodologiques. Les questions qui se posent : quelles sont les principes de la théorie du chaos ayant aidé beaucoup les scientifiques à décrire la complexité de la réalité sociale actuelle ? Quelles sont les caractéristiques qui ont marqué la nature de la société contemporaine ? et comment les concepts de la théorie du chaos ont pu interpréter ces caractéristiques ?

ملخص:

لا يمكن الحديث عن نهاية القرن العشرين دون الحديث عن نظرية الكاوس بصفاتها كنظرية ركزت اهتمامها البالغ على دراسة المنظومات الديناميكية اللاخطية. ما يهمنا في هذا الموضوع على وجه الخصوص، هو تلك الجدارة التي تميزت بها هذه النظرية منظوراً إليها كمقاربة إبستمولوجية سرعان ما بسطت نفوذها وفرضت تأثيرها القوي على مختلف التخصصات العلمية، ولاسيما في مجال الأبحاث والدراسات السوسيولوجية، هذه الدراسات التي كانت تعاني من الكثير من العوائق والإشكاليات على المستوى الإبستمولوجي والمنهجي على حد سواء. وما يمكن طرحه من أسئلة يتمثل فيما يلي: ما هي أهم المبادئ التي قامت عليها نظرية الكاوس وعملت على مساعدة العلماء كثيراً من أجل توصيف تعقيد الواقع الاجتماعي الحالي؟ وما هي أهم الخصائص التي ميزت طبيعة المجتمع المعاصر؟ وكيف كان لهذه التصورات التي استندت إليها نظرية الكاوس من القدرة على تفسير مثل هذه الخصائص؟

تمهيد:

من أهم ما يميز ظاهرة العلم الحديث كظاهرة ثقافية بسطت هيمنتها على مختلف ميادين الحياة الأوروبية ابتداء من القرن السابع عشر قيامه على مقاربات إبستمولوجية كان لها دوراً حاسماً في بلوغ هذا العلم درجة عالية من الدقة واليقين والقدرة على التنبؤ والتحكم على مستوى التصورات النظرية وكذلك على مستوى التطبيقات العملية الميدانية، الأمر الذي جعل الاهتمام بمثل هذه المقاربات الإبستمولوجية يتجاوز حدود البحث العلمي المنصب على دراسة الظواهر الفيزيائية إلى محاولة تطبيقها كذلك على الظواهر الإنسانية وعلى رأسها الظواهر الاجتماعية، وكان من ثمرتها قيام علم الاجتماع كعلم مستقل له مناهجه وفروعه، وكميدان بحث يحاول أن يثبت موضوعيته بمقدار تشبثه بنفس المقاربات الإبستمولوجية التي أثبتت لدراسة ظواهر الطبيعة دقتها وبقينها وموضوعيتها. ولكن ظهور نظرية الكاوس في النصف الثاني من القرن العشرين فرضت وجودها من خلال تطبيقها على الكثير من الظواهر الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية، كما أحدثت انقلاباً ثورياً على مستوى التصورات والمبادئ والمسلمات التي ألف العلماء والباحثون الاعتماد عليها في أثناء دراسة أي ميدان من ميادين العلم وفروعه. والسؤال الذي يفرض وجوده هنا: ما هي هذه التصورات الأساسية التي جاءت بها نظرية الكاوس كتحول إبستمولوجي وكنقلاب فكري على تلك التصورات التي كان يعتقد أنه

لا يمكن الحديث عن علمية بحث بدونها؟ ومن جانب آخر: إلى أي مدى يمكن للمقاربة الاستمولوجية لنظرية الكاوس أن تنطبق على ظواهر المجتمع المعاصر؟ وهل يوجد على مستوى الظواهر الاجتماعية الراهنة - وعلى غرار الظواهر الفيزيائية - ظواهر تتجاوز حدود تطبيق تلك التصورات الاستمولوجية التقليدية؟

للإجابة على هذه الأسئلة ننظر أولاً إلى أهم المبادئ التي قامت عليها نظرية الكاوس والتي تعتبر بديلاً لتلك التصورات التي كانت سائدة في العلم الكلاسيكي التقليدي:

1- مبادئ ومسلمات نظرية الكاوس

1-1- الحساسية للشروط الابتدائية

بالرغم من الأبحاث الجادة التي قام بها هنري بوانكاري وهنري بينار إلا إن أول من بحث في مشكلة الكاوس بشكل جدي هو عالم الأرصاد الجوية إدوارد لورنتز، ففي العام 1960، كان لورنتز يعمل على حل مشكلة التنبؤ بحالة الطقس، وكان لديه برنامج إلكتروني محمل في حاسوبه، وقد تم تحميله باثنتي عشرة معادلة، وكل واحدة منها تصف حالة من حالات الطقس، إلا أن هذه المعادلات لم تكن لتصف حالة الطقس بالشكل الصحيح والدقيق تماماً. وكان هذا البرنامج يتنبأ - بشكل نظري - بالحالة التي يمكن أن يكون عليها الطقس تقريباً. وفي أحد الأيام من العام 1961، كان لورنتز يريد أن يراجع نسقاً معيناً من سلسلة الموجات في أحد القياسات التي كان قد حصل عليها. واختصار الوقت، قرر المراقبة بدءاً من منتصف النسق الموجي بدلاً من مراقبته من النقطة التي حصل عليها في وقت سابق. فأدخل لورنتز الرقم الذي كان قد حصل عليه من قياسات ليلة البارحة من ورقة النتائج الإلكترونية المطبوعة وترك البرنامج يتابع عمله. عاد لورنتز بعد مضي ساعة واحدة من عمل البرنامج الإلكتروني، وعند مراجعة النتائج لاحظ شيئاً فاجأه، كان النسق الموجي قد تغير بشكل كامل بدلاً من أن يأخذ مجراه الذي كان قد اتخذ ليلة البارحة. كان قد تشعب عن مسار النسق السابق، وانتهى بمسار مختلف ومتباعد بشكل كبير عن مسار النسق الأصلي. ثم اكتشف لورنتز بعد ذلك ما الذي حدث حقاً، كان الحاسوب قد خزّن الأرقام ضمن ست خانات كسرية في ذاكرته. ولتوفير الورق، كان الحاسوب قد أخرج النتائج مؤلفة من ثلاث خانات كسرية، حيث أن الرقم كان في النسق الأصلي يساوي 0.506127، ولكن الحاسب كان قد أخرج في النتيجة الأرقام الثلاثة الأولى فقط 0.506 (1).

وبناء على نتائج هذه الملاحظات توصل لورنتز إلى أول مبدأ من المبادئ التي تحكم نظرية الكاوس وهو ما عُرف بمبدأ أثر الفراشة ومضمون هذا المبدأ أن أي تغير مهما كان طفيفاً في الشروط الابتدائية يمكن أن ينتج عنه تغير كبير وبعيد المدى في سلوك المنظومة المرصودة. ومثل هذا التغير الطفيف والصغير في القياس يمكن أن يُعدّ ضجيجاً يشوش التجربة. وقد أطلق عليه لورنتز اسم مبدأ "أثر الفراشة" بعد تصريحه أن ضربة جناح واحد للفراشة اليوم، ينتج تغيراً طفيفاً في حالة الجو. وبعد فترة من الزمن يبتعد ما يفعله الجو فعلاً عما كان سيفعله، وهكذا خلال شهر من الزمن لن يحدث الإعصار الذي كان سيضرب شاطئ أندونيسيا، وربما يحدث إعصار ما كان له أن يحدث لولا حركة جناح الفراشة. (2)

لقد بدأ الاهتمام بجِدَّة في النصف الثاني من القرن العشرين في دراسة الفوضى وسلوك المنظومات البعيدة عن التوازن وكان من رواد علماء الفوضى لورنتز الذي اكتشف رياضياً كيف أن الاختلاف الطفيف للشروط الابتدائية يؤدي في الأخير إلى نتائج جد متباينة حتى أطلق على هذا السلوك الغريب للظواهر التي تتسم بالفوضى اسم "تأثير الفراشة" (3)

لقد كان للاعتراف بمبدأ "أثر الفراشة" دوراً خطيراً على التصورات الأساسية التي يقوم عليها العلم الحديث، وعلى رأس هذه التصورات مبدأ السببية بصفته المبدأ الذي يشكل حجر الزاوية في تفسير الظواهر وصياغة القوانين

العلمية، فإذا كان مبدأ السببية ينطلق من مسلمة أن هناك تناسباً بين الأسباب والنتائج، فإذا كان التناسب طردياً كانت كل زيادة في الأسباب ترافقها نفس النسبة من الزيادة على مستوى النتائج.⁽⁴⁾ وإذا كان من أهداف العلم هو التنبؤ فإن هذه العملية إنما تقوم على دقة التناسب بين الأسباب والنتائج، ومن جهة أخرى فإن قابلية الصياغة الرياضية للقوانين العلمية تنطلق من طبيعة العلاقة التناسبية بين الأسباب والنتائج. لكن ما جاء به مبدأ أثر الفراشة يحتم على العلماء عدم إهمال أي سبب مهما كان هذا السبب تافهاً، لأنه يمكن أن تكون له نتائج رهيبية. ولذلك فأول صعوبة أو إشكالية تتجر عن هذا المبدأ عدم إمكانية التنبؤ مع توفر مبدأ الحتمية. وهكذا يحدث ولأول مرة نوع من انعدام التلازم بين مبدأ الحتمية وبين إمكانية التنبؤ، فإذا كان في نظرية العلم الكلاسيكي تعتبر الحتمية الشرط الضروري والكافي لأن تكتسب قوانين العلم سلطة تنبؤية، لكنه ومع مبدأ "أثر الفراشة" صحيح أن مبدأ الحتمية قد حافظ على وجوده لكنه فقد كل إمكانية لأن يصبح مؤشراً لعملية التنبؤ.

1-2- علاقة الكل بالأجزاء

إن النزعة الاختزالية للعلم قد جعلته ينظر إلى الظواهر الطبيعية كبنى مركبة، وأن تفسير حقيقة هذه البنى قائم على تحليلها وتفكيكها إلى أجزائها، وذلك لأن المفهوم التقليدي لمصطلح البنية يقوم أساساً على فكرة أن الكل يساوي تماماً مجموع الأجزاء. وبالتالي فإذا أردنا فهم الكل يجب فهم حقيقة وخصوصيات الأجزاء، كل على حدى. لكن عيوب هذا المنهج تكمن في إهمال تلك الروابط التي تحكم الأجزاء، وما تعكسه هذه الروابط من حقائق على الكل، لأن النظر إلى الكل على أنه مجموع أجزاء فيه نظرة تجميعية للبنية، ولكن النظرة الوظيفية تفرض أخذ تلك الروابط بعين الاعتبار، حيث لا تستقل وظيفة أحد أجزاء البنية عن الآخر، وهذا ما سوف نراه مع نظرية التعقيد، حيث تصبح علاقة الكل بالأجزاء وفق المنظور التالي:

- الكل أكثر من مجموع الأجزاء: وتعني هذه العبارة أن الكل أكبر من أن يكون وحدة كلية، فالكل هو دينامية تنظيمية لها مفعول رجعي على الأجزاء أو الأفراد. يكون لهذا المفعول الراجع دور تحويلي للأجزاء، حيث تعمل هذه الأجزاء على تحويل الكل، وهكذا. ومثال ذلك ما نراه من علاقة بين الجزيء والخلية، بين الخلية والجسم العضوي، وبين الفرد والمجتمع، فإذا كان المجتمع يتوقف الفرد، فإن كل فرد من أفرادها يعمل من جهته على تنمية الثقافة الاجتماعية من جهة أخرى.⁽⁵⁾
- الكل أقل من مجموع الأجزاء: وهذا كذلك صحيح، لأن هناك الكثير من الصفات الموجودة في الأجزاء - في حالة الانعزال - تكف وتكبح في إطار المنظومة ككل. فعلى مستوى الخلية يتخلل الجزئي على الكثير من خصائصه ليتكيف وخصائص الكل (الخلية)، وعلى مستوى الجسم العضوي تكبح الخلية جزء كبير من معلوماتها، وتتخصص في وظيفة معينة. ومنه فكل منظومة تفرض بعض الإكراهات على الأجزاء أو العناصر التي تكونها. فعلى المستوى الاجتماعي تظهر هذه الإكراهات على شكل رقابة، وقمع أو على شكل طابوهات، محرمات تفرضها الجماعة البشرية على أفرادها. وقد تصل هذه الإكراهات إلى درجة منع كل حرية مثلما نراه في أنظمة الحكم المطلقة والديكتاتورية.⁽⁶⁾

1-3- التنظيم الذاتي

المقصود بالتنظيم الذاتي ذلك الانبثاق التلقائي والديناميكي لبنية مكانية، لإيقاع، أو لبنية زمنية مكانية تكون تحت تأثير مزدوج متكون من مستجلب خارجي من الطاقة ومن التفاعلات الوظيفية بين عناصر منظومة ما.⁽⁷⁾ ومن خلال هذا التعريف يمكن أن نستشف أن عملية التنظيم الذاتي تظهر بشكل تلقائي فجائي لا يمكن التنبؤ به، كذلك أن هذه العملية تتوقف على عاملين أحدهما خارجي والآخر داخلي: ويتعلق العامل الخارجي بالطاقة المجلوبة من الخارج، حيث

تشكل هذه الأخيرة الضامن الوحيد لبقاء البنية ثابتة، فإذا نظرنا مثلاً إلى بنية الإعصار الاسطوانية نراها ساكنة ولكن هذا السكون يتوقف على الكم الهائل من الطاقة التي يقوم الإعصار باستنشاقها من جهة ثم تبديدها من جهة أخرى، ونفس الشيء يمكن رؤيته مع المجتمعات المعاصرة، إذ يستطيع المجتمع اليوم المحافظة على ثباته بمقدار الكم المعرفي والعلمي الذي يستجلبه من جهة ويستنفده من جهة أخرى. وهذه الوجهة من النظر مغايرة تماماً للتصورات العلمية التقليدية لمفهوم البنية، حيث أن هذه الأخيرة تشكلها عناصر ثابتة تجمعها روابط ثابتة، وأي تفكك أو تجدد لهذه الروابط تحتاج من أجل ذلك إلى قوى خارجية تربطها وفق مقدار محدد ومضبوط من الطاقة. ولهذا السبب فالمجتمع - وفق التصور التقليدي- هو عبارة عن مجموعة أفراد تجمعهم روابط وعلاقات ثقافية ثابتة، كاللغة والدين والتاريخ والقوانين والعادات والتقاليد... الخ. ويمكن النظر إلى هذه الروابط على أنها مؤسسات ثقافية سنانتيكية، أي أنها تحمل مضموناً ثابتاً. بينما ظاهرة الانتظام الذاتي فهي قائمة على قوى باطنية تتولد من الفوضى. وبالتالي فهي ظاهرة تؤدي إلى تزايد النظام على حساب الفوضى، وهذا يعني أنها ظاهرة ضد اتجاه الأنتروبيا، أي تزايد الفوضى على حساب النظام: فإذا كانت الأنتروبيا عبارة عن ظاهرة تؤدي إلى تبديد الطاقة فإن ظاهرة الانتظام الذاتي تستغل هذه الطاقة من أجل المحافظة على بقاء بنية المنظومة. (8) ولعل من أشهر الأمثلة على نسبية علاقة الفوضى بالنظام ظاهرة الإجماع والانحراف بصفتها ظواهر فوضوية تقدم الطاقة الكافية للتشريع القانوني. وهذه النظرة المعاصرة التي تقوم على علاقة الاتصال-انفصال بين النظام والفوضى هي علاقة مفارقة تماماً لوجهة النظر العلمية التقليدية التي تقوم على مبدأ الانفصال المطلق بين النظام والفوضى. ولعل النزعة العلمية الاختزالية تقوم على اختزال الفوضى إلى النظام، حيث أن كل ما هو غامض هو مركب يجب تبسيطه وتحليله حتى نرى ما يحتويه من نظام. وهكذا تجلى النموذج العلمي في تفكيك وتبسيط المفاهيم الحركة والقوى والظواهر إلى ما هو أبسط. لكن هذا التفكيك هو على حد تعبير إدغار موران عبارة عن عملية بتر وتقطيع لروابط بإمكانها أن تؤدي إلى بروز حقائق على المستوى الكلي عن طريق عملية الانبثاق. (9)

1-4-الانبثاق:

المقصود بظاهرة الانبثاق L'émergence مجموع الخصائص والصفات والوظائف التي تظهر فجأة وبشكل تلقائي عن عملية التنظيم الذاتي، وبالتالي فظاهرة الانبثاق هي ظاهرة لصيقة بظاهرة التنظيم الذاتي. ومن أهم ما تتميز به ظاهرة الانبثاق أنها تحدث بشكل ذاتي تلقائي لا يمكن التنبؤ به. والأمر المميز لظاهرة الانبثاق أنها تحدد علاقة اتصال - انفصال بين الأجزاء والكل: فإذا كانت علاقة الكل بالأجزاء وفق التصور العلمي الكلاسيكي هي علاقة أسباب بنتائج، حيث يمكن التنبؤ بالنتائج بالاعتماد على العلاقة الخطية التناسبية البسيطة بين الأسباب والنتائج أو ما يمكن التعبير عنه بمدخلات المنظومة ومخرجاتها؛ فيمعرفة مقدار القوى التي تؤثر بها على منظومة ميكانيكية يمكن استنباط تغيرات الحركة التي تحدث لها. لكن ظاهرة الانبثاق تمثل اتصالاً وانفصالاً يحدثان في نفس الوقت: هي اتصال من حيث أن الخصائص والوظائف المنبثقة ما كانت لتكون لولا وجود الأجزاء، وهي انفصال من حيث أن هذه الخصائص والوظائف تختلف جذرياً عن خصائص الأجزاء، وأبسط مثال على ذلك أننا لا يمكن أن نستنبط خصائص الماء من خصائص الهيدروجين والأكسجين، بالرغم من أن جزئي الماء هو نتيجة حتمية لترابط ذرتين هيدروجين مع ذرة أكسجين. وعلى المستوى الاجتماعي لا يمكن التنبؤ بخصائص الجماعات والأحزاب والمنظمات من خلال معرفة طبيعة الأعضاء المكونين لها.

1-5- التشعب

يرتبط التشعب La bifurcation من جهة أخرى بظاهري التنظيم الذاتي والانبثاق، حيث يحدث الجميع في نفس اللحظة. والتشعب يعني لغة الانفصال إلى فرعين أو أكثر (bi-furcation)⁽¹⁰⁾. أما في نظرية الكاوس فهو يعني: عندما تصبح المنظومة ديناميكية شواشية معقدة، غير مستقرة في بيئتها بسبب الاضطراب أو التشوش أو الضغط فإن حالة جاذبة تقود مسارات هذا الضغط. وهذا يعني أن المنظومة اللاخطية تمتلك حرية الاختيار بين المسارات الممكنة، وهي هنا تشبه إلى حد كبير لحظة اتخاذ القرار، وهي ما يطلق عليه "نقطة التحول الطوري"، وعند هذه النقطة تنتشعب المنظومة وتُدفع إما إلى حالة من نظام جديد عبر التنظيم الذاتي أو إلى الانحلال والفوضى. ومرحلة التحول الطوري هي الموضع الذي تحصل فيه الأحداث التحولية. وهذا المصطلح يعني نظرياً، أن هناك مؤثراً على المنظومة بكاملها ينتج عن داخلها وله آثار تحويلية. أما من الناحية العملية فإنه يعني إشارة إلى تذبذب أو اندفاع مفاجئ. وقد وصف كامبل الكاوس وسريانه في الموجودات بأنه يحدث التعقيد في المنظومات الفيزيائية وفي المنظومات البشرية الصنع، وكذلك في البنيات الاجتماعية والشؤون البشرية.⁽¹¹⁾ وهو ما يفسر القرارات الإرادية والخيارات البشرية واللحظات الثورية التي تشكل نقاط انعطاف تاريخية. كل هذه الظواهر التي كانت وفق مقاربة العلم التقليدي تشكل عائقاً ابستمولوجياً يفصلها فصلاً جذرياً عن الظواهر الفيزيائية. لكن المقاربة الابستمولوجية لنظرية الكاوس تبرع في تفسير وتبرير مثل هذه اللحظات الاستثنائية في سيرورة المنظومات الاجتماعية. ولهذا السبب فلقد عبّر إرون لاشلو من أكاديمية فيينا العالمية بخصوص وصف نظرية الكاوس بقوله أن من بين جميع المصطلحات التي تحتويها نظرية الكاوس ونظرية المنظومات العامة، يبدو أن مصطلح التشعب هو الأهم: أولاً لأنه يصف وصفاً مناسباً النوع الأهم من الخبرات التي يشترك فيها أغلب الناس في عالم اليوم، وثانياً لأنه يصف بدقة الحدث الفاصل الذي يشكل مستقبل مجتمعاتنا المعاصرة.⁽¹²⁾

2- الخصائص العامة لبنية المجتمع المعاصر:

يعرف أندري لالاند البنية بقوله: إن البنية هي كل متكوّن من ظواهر متضامنة، بحيث إن كل منها يتوقف على الأخرى، ولا يمكنه أن يكون ما هو عليه إلا في علاقته معها، وبهذه العلاقة.⁽¹³⁾ وهذا يعني أن كل بنية إنما تتألف من أجزاء أو عناصر تربطها علاقات بشكل تصبح وظيفة كل واحد من هذه العناصر تتوقف على وظيفة الأخرى. وإذا كان مؤسسي علم الاجتماع قد تعاملوا مع المجتمعات البشرية والظواهر السوسولوجية على أساس أنها بنى يمكن إخضاعها للدراسة العلمية الموضوعية. والسؤال المطروح: ما هي أهم الخصائص التي تميّزت بها بنية المجتمع العالمي المعاصر؟ وهل يوجد على مستوى البنية الراهنة لمجتمع القرن الحادي والعشرين - وعلى غرار الظواهر الفيزيائية - ظواهر تتجاوز حدود تطبيق تلك التصورات الابستمولوجية التقليدية؟ ووفق هذه الخصائص كيف يمكن تبرير مقاربة نظرية الكاوس كمقاربة قادرة على تجاوز المقاربات الابستمولوجية التقليدية؟

2-1- التواصل:

إن أهم ما تتميز به بنية المجتمع الراهن هي تلك الروابط القوية والكثيفة التي تربط بين أفراد ومجتمعات الكرة الأرضية إلى درجة قضت على تلك الفواصل المكانية التي تميز بين هذه المجتمعات إلى درجة أصبح معها كل مجتمع محلي يتوقف طبيعة بنيته على بنية مجتمع آخر. لقد عملت تكنولوجيا الاتصال المعلوماتي اليوم على القضاء على عائق المسافة، وجعلت من الإنسان يجري كل اتصالاته وفق حدود "الآن" وهذا قد أدى بدوره إلى إلغاء الحدود بين المجتمعات البشرية، ولم يعد هناك عوائق اجتماعية تمنع أو تراقب الاتصال بين أفراد المجتمعات المختلفة التي كانت في السابق تفصل فيما بينها مسافات الشهور. إذ أصبح اليوم يعيش الناس كلهم في عالم افتراضي (خصوصاً الانترنت) تتساوى فيه

المسافات بينهم. يقول إدغار موران: إن من البديهي أن تطور العولمة الثقافية شيء لا ينفصل عن التطور العالمي لشبكات وسائل الاتصال ونشر صيغ الإنتاج على الصعيد العالمي (البكرات والأقراص المدمجة والفيديوهات)، وأن الانترنت ووسائل الاتصال ستُسرع وتوسع من نطاق العمليات المتنوعة والمتنافسة والمتعارضة (أعني المعقدة).⁽¹⁴⁾ فهل يجوز للباحث الاجتماعي المتمرس أن يتجاهل مثل هذه الروابط التي تحدد العلاقات الوظيفية والبنائية بين المجتمعات؟ الظاهرة الاجتماعية في منهج العلم الحديث

لقد ولد علم الاجتماع يوم أن وُلد بذهنية النزعة الاختزالية الديكارتية التي تربط الفهم بآلية التحليل المُغدق، فكانت البداية بالنظر إلى المجتمع على أنه مجموع أفراد وأطلق دوركايم المؤسس اسم "وحدة اجتماعية" على الفرد، ونُظر إلى السلوكات الاجتماعية على أنها ميكانيزمات، وهي نظرة آلية قائمة على ذهنية: تحليل/تركيب، وأبسط مثال على ذلك أنك إذا أخذت سيارتك إلى الميكانيكي، تشكوه عطباً في محركها فإن عمله الأساسي إزاء المحرك قائم على عملية (تفكيك/ تركيب)، وبنفس النظرة يتناول عالم الاجتماع الظاهرة - سواء أراد أن يفهمها أو أن يعالجها- بالتحليل ثم التركيب؛ يفككها إلى عناصرها البسيطة فيفهمها، وبناء على ذلك يقوم بتركيبها، بتغيير أو استبدال عناصر الزيف فيها. وهكذا راح ينظر للثقافة كمؤسسات ثابتة وقارة في المجتمع، تتمثل في اللغة والدين والعادات والتقاليد والأخلاق والقوانين والأعراف.. الخ غير آبه للطابع التطوري الذي يحكم هذه الظواهر، وإلى النسيج الضام الذي تربط وشائجه بشكل وظيفي مثل هذه الظواهر. ولذلك فإن النظرة التحليلية لظواهر المجتمع تقوم على تشويه صورته الحقيقية من خلال بتر مختلف الروابط التي تحكم عناصر البنية الاجتماعية بشكل ديناميكي، والنظر إليها على أنها مجرد بنى ثابتة. لقد كان هربرت سبنسر جد متأثر بالنزعة التطورية التي تحكم الكائنات الحية من وجهة نظر داروين ولامارك، وكان يرى بضرورة التعامل مع الظاهرة الاجتماعية وفق المقاربة البيولوجية التطورية لأنه كان مدركاً لدور الروابط الوظيفية بين عناصر المجتمع ودورها الديناميكي في جعل دراسة البنية الاجتماعية يكشف عن بعد تاريخي تهمله أو لا تستطيع أن تكتشفه مختلف المناهج التحليلية التي ترى أن عملية العزل (الفصل) من الشروط الموضوعية لإنجاح التجربة العلمية. ولكن إذا كان التواصل الشديد الذي تشهده المجتمعات المعاصرة يفرض علينا تجنب تطبيق المناهج التحليلية فعلى أي أساس إذن يمكننا فهم مثل هذه الظواهر الراهنة؟

2-2- التعقيد:

إن أول ما يمكن للباحث فعله عند محاولة توصيف ظواهر المجتمعات المعاصرة هو التعامل معها بشكل يمنع تماماً المماس بتلك الروابط والصلالة التي تشد عناصر البنى الاجتماعية بشكل تراتبي Hiérarchique وهذا ما يفرض وجود سمة أساسية تتوفر في مجتمعاتنا الحالية والتي تتمثل في التعقيد La complexité ففيما يتمثل؟ للإجابة على هذا السؤال يحاول إدغار موران أن يستشف معناه من الجانب الاشتقاقي حيث يرى أن التعقيد هو نسيج (com-plexus): ما نُسج (ككل) من المكونات المتنافرة المجمعَة بشكل يتعذر معه التفريق بينها.. إن التعقيد-يضيف- هو نسيج من الأحداث والأفعال والتفاعلات والارتدادات والتحديدات والمصادفات التي تشكل عالماً الظاهراتي.⁽¹⁵⁾ وأول ما نفهمه من هذا التعريف أن الواقع الاجتماعي الذي نعيشه ونلاحظه هو نسيج، تتوقف حقيقة وجوده على تلك الروابط التي تحبك عناصره وبالتالي فكل تفكيك (تحليل) هو قضاء مبرم على عناصره. كذلك أن هذا الواقع لا ينبغي أن يُحلل حتى نكتشف ما فيه من نظام بعد أن نضبط له صورة منطقية تُقضي كل ما فيه من تناقض، بل يجب أن يُقبل هذا الواقع المُعقد بتناقضاته لأنها لا تمثل فيه وجهاً مزيفاً بل تدخل فيه كخاصية حقيقية لا يجب اختزالها. ومن المؤكد أن هذا التناقض يكشف عن الطابع الجدلي الذي يتميز به الواقع الاجتماعي، فعندما نتكلم اليوم عن صدام الحضارات كما عبّر عن ذلك الفيلسوف الأمريكي هانتينغتون أو عن حوار الحضارات كما يصورها آخرون غيره فنحن هنا لا نتكلم عن ظواهر

صحية وأخرى مَرَضِيَّة، بل كلها ظواهر متكافئة تدخل في صميم الواقع الاجتماعي العالمي. وينبه إدغار موران إلى أن جدلية التعقيد لا يجب أن تُفهم بمعنى هيجلي ماركسي، حيث أن كل تناقض يؤدي إلى مركب جديد فيه تجاوز ديناميكي يقضي على هذا التناقض، بل يضل هذا التناقض كامناً في الواقع بنفس الصورة التي عبّر عنها هيراقليطس قديماً بقوله: تولد الحياة من الموت كما تولد الموت من الحياة، فكل شيء إنما يتولد من نقيضه. ولقد عبّر نيبيل علي عن هذا التعقيد المتناقض بقوله: لقد أصبح التعقيد سمة غالبية من سمات الوجود الإنساني. والمنظومات الاجتماعية-شأنها في ذلك شأن كل المنظومات المفتوحة- تتحرك دوماً صوب مزيد من التعقيد. وقد جاءت تكنولوجيا المعلومات لتزيد الأمر صعوبة، فقد جعلت من جل أمور حياتنا إشكاليات تستوجب إعادة النظر إليها: من الترفيه إلى الإعلام، ومن اللغة إلى الهوية، ومن سلطة الحكم إلى مفهوم الديمقراطية. وهناك من يرى أن منظومات الكمبيوتر والمعلومات لم تجعل حياتنا أكثر تجانساً، كما توقع البعض، بل كانت هذه المنظومات مصدراً لتوليد الاختلاف، وزيادة الخيارات والبدائل، مما أضاف إلى الإشكالية المجتمعية مزيداً من التعقيد.⁽¹⁶⁾

3-3-الحوارية:

الحوار عموماً هو حديث يجري بين شخصين أو أكثر في العمل القصصي، أو بين ممثلين أو أكثر على المسرح.⁽¹⁷⁾ وكلمة الحوار التي تقابل : dia-logos وهو مصطلح مركّب من كلمتين: Dia وتعني اثنين، Logos وتعني الكلام. والمعنى هو التحوار بين اثنين. ويتطلب هذا التخابر قبول كل متحاور بالآخر على أنه مساو له في فهم الحقائق وإدراكها وتقبلها. وفي حقبة تالية، تقدم الحوار ليصبح الجدل أو الديالكتيك dia-lectique، وهو التفاعل الفكري بين متحاورين متساويين في الملكات والقدرات العقلية.⁽¹⁸⁾ والحوارية Dialogique - على حد تعبير إدغار موران - هي وحدة معقدة بين منطقيين، وكيانين أو سلطتين تكمليتين، ومتنافسين ومتعارضين يتغذى أحدهما على الآخر، ويكملان بعضهما، لكنهما يتعارضان ويتحاربان أيضاً. وينبغي تمييز هذه الحوارية عن الديالكتيكية الهيجلية. فلدّي هيجل، تجد المتناقضات حلولاً لها، ويتجاوز بعضها البعض ويلغي بعضها بعضاً داخل وحدة عليا. في الحوارية، تكون المتناقضات دائمة وتشكل كيانات أو ظواهر معقدة.⁽¹⁹⁾ وهكذا نرى أنه وبالرغم من صياغة هيجل للمنطق الجدلي إلا أنه لم يتخلص كلية من سلطان المنطق الأرسطي الذي يقوم على أحادية التصور. وإذا كان العلم الحديث قد استطاع أن يتخلص من التصورات العلمية والابستمولوجية الأرسطية إلا أنه لم يستطع أن يتخلص من جبروت المنطق صوري الذي يركز على مبدأ الهوية وعدم التناقض، ولهذا فقبول التناقض في المقاربات التحليلية كان يُعتبر من طابوهات الدراسات الموضوعية للظاهرة الاجتماعية. وعلى هذا الأساس يمكن أن نفهم مبدأ الحوارية على أنه مبدأ ابستمولوجي يمكنه أن يقبل أكثر من منطق ضمن نفس البناء التصوري.

وخاصية الحوارية تتجلى في مجتمع القرن الواحد والعشرين بصفته منظومة معقدة من خلال عملية "التلقيح الرجعي" أو "التغذية العكسية" The feedback. والمقصود بها تلك العمليات الخاصة بتوجيه ومتابعة وتقويم المدخلات inputs ومعالجتها أولاً بأول، إضافة إلى العمليات الخاصة بتنفيذ المخرجات Outputs. فالنظم المفتوحة تستلم باستمرار معلومات من بيئتها الخارجية والداخلية. هذه المعلومات تساعد النظام على التكيف وأخذ الفعل التصحيحي المناسب، أي الفعل الذي يقلل من حالات الانحراف عن مساره الطبيعي أو مساره المرسوم مسبقاً، وبالتالي تحقيق أهدافه بشكل جيد.⁽²⁰⁾

يمكن النظر إلى أفراد المجتمع كأجزاء ووحدات فاعلة أو منظومات تحتية sous-systèmes ضمن المجتمع كمنظومة كلية شاملة système وتفاعل هذه الوحدات فيما بينها هو الذي ينبثق عنه المجتمع كحقيقة متميزة عن حقيقة أفرادها، ومن خلال مقدار ودرجة هذه التفاعلات المتمثلة في اللغة والدين والعادات والتقاليد والأعراف والقوانين والقيم

الأخلاقية تتحدد ثقافة المجتمع الذي يحدد ثقافة أفراده الذين يحددون بدورهم طبيعة ودرجة ثقافة هذا المجتمع الذي يوجد فيه مثلما يوجدون فيه. ولهذا فلا معنى لأن نعتبر المؤسسات الثقافية (كاللغة والدين والعادات والتقاليد والقيم الأخلاقية والجمالية، والقوانين..) كمؤسسات مشكّلة ومهيكلّة لبنية المجتمع بشكل مستقل تماماً عن الأفراد، ولا معنى لأن نحدد مكان تواجد العناصر الثقافية: أهى داخل المجتمع أم داخل كل فرد من أفراده؟ والجواب الذي تقدمه المنظومات التي يميّزها التعقيد - كمجتمع القرن الحادي والعشرين - أن عناصر الثقافة موجودة داخل المجتمع، لأنها موجودة داخل الأفراد، لأنهم موجودون داخل المجتمع، هذا الأخير الذي يوجد بدوره بداخلهم. ومن هنا يبرز الطابع الحوارى الجدلى الذي تتحدد من خلاله عناصر ثقافة مجتمع من المجتمعات بشكل ديناميكي مفتوح. فمفهوم الثقافة الذي يتصوره الفرد يتجلى بعد صراعه مع تصورات الأفراد الآخرين في تصور اجتماعي كلي شمولي، ثم يأخذ هذا التصور طريق العودة ليتجلى في تصور كل فرد من الأفراد. ومن هنا فالنزعة التحليلية التقليدية تعتمد عملية الفهم على تفكيك الأجزاء، ففهم الأجزاء أو العناصر المكونة يؤدي إلى فهم الكل، ولكن مقارنة التعقيد تجعل عملية فهم الكل والأجزاء وفق منطقتين؛ منطق اتصالي ومنطق انفصالي، حيث يجب فهم الكل من خلال فهم الأجزاء وفهم الأجزاء من خلال فهم الكل، ومنطق انفصالي قائم على فكرة أن فهم الكل يجب أن يتم بشكل منفصل عن الأجزاء، والعكس صحيح. لكن الصعوبة الابستمولوجية هنا تكمن في هدم البناء الانطولوجي للحقيقة الواحدة التي - ووفق هذا المنطق الجديد - يمكن النظر إليها على أنها مجموع حقائق مختلفة.

لقد كان الفيلسوف اليوناني القديم سقراط محقاً حينما اعتبر الحوار التوليدي هو طريق العلم وآلة إنتاج التصورات التي لا توصلنا في نهاية المحاوراة إلى أي تحديد نهائي لها، بل يبقى باب الحوار مفتوحاً، وكان الجميع يتساءل عن المغزى من ذلك. ولكن الطابع الديناميكي للحوار هو الذي يتميز بخاصية الانفتاح، ولكن الانفتاح على ماذا؟ الانفتاح هنا يكون على كل ما هو ممكن. ولا يمكن بأي حال التنبؤ بما سوف يكون.

3-4- الانفتاح:

بمجرد الحديث عن الانفتاح كخاصية تميز بنية المجتمعات المعاصرة يتبادر إلى أذهاننا السؤال عن الوسط الذي تفتح عنه هذه المجتمعات، والذي نستخدم عليه باسم "البيئة". فما هي هذه البيئة؟ وما خصوصيات هذا الانفتاح؟ يُعرّف مؤيد سعيد سالم البيئة بأنها ذلك المجال الذي تحدث فيه الإثارة والتفاعل لكل وحدة حيّة، أو هي كل ما يحيط بالإنسان (أو بالمنظومة) من طبيعة ومجموعات بشرية ونظم بشرية وعلاقات شخصية.⁽²¹⁾ فمن المتعارف عليه أن للمنظومة بيئة داخلية تجري في إطارها مختلف العمليات والتفاعلات، كما ولها بيئة خارجية تتفاعل معها تفاعلاً تبادلياً حيث تتأثر بالتغيرات الحاصلة فيها. وعلى عناصر البيئة الداخلية ومكونات البيئة الخارجية وتفاعلها معاً تعتمد فاعلية المنظومة، ولا يمكن فهم المنظومة أو تحليل سلوكها بشكل موضوعي إلا بدراسة البيئة التي تنتمي إليها وتوجد بداخلها. وما بين البيئة والمنظومة توجد حدود، وبدون حدود لا توجد منظومة. وهذه الحدود هي التي تقرر أين تقف وأين تبدأ المنظومة أو المنظومات الفرعية فيها. وهذه الحدود يمكن أن تكون مادية مثل الحدود التي تفصل دولة عن جيرانها، أو أن تكون حدود سيكولوجية (ثقافية) تتجسد في الرموز والقيم والعادات والتقاليد التي يتعلمها الإنسان، كالألقاب، والزي الموحد، والطقوس.⁽²²⁾ ولقد ركز الباحثون على مبدأ الفصل بين المنظومة والبيئة المحيطة بها من أجل اعتبار المنظومة أو أي ظاهرة موضوع دراسة موضوعاً محدداً له خصائص تفصله عن غيره من الظواهر، لكن ابستمولوجيا التعقيد تقبل فكرة الانفصال بشكل لا يستبعد البتة فكرة الاتصال، ولذلك ففهما تصورنا المجتمع أو المنظومة عموماً على أنها وسط مغلق إلا أنه يجب التعامل معها على أنها وسط مفتوح من جهة أخرى. ومن الملاحظ أن المنظومات المفتوحة تسعى إلى التوفيق بين نشاطين متعارضين في أغلب الأحيان. هذان

النشاطان يتمثلان فيما يلي: أنشطة متعلقة بالمحافظة على المنظومة وصيانتها، وهي مختلف الأنشطة التي تحقق لنا استقرار مختلف المنظومات الفرعية التي تدخل بحوزة المنظومة الكلية، وأن يمكن للمنظومة الكلية أن تعمل بانسجام مع البيئة التي توجد فيها. أما النوع الثاني من الأنشطة فيتمثل في عمليات التكيف، وهي أنشطة ضرورية تمكن المنظومة من التكيف والاستجابة للتغيرات الحاصلة في البيئة الداخلية والخارجية في الوقت المناسب. وعليه ففي الوقت المناسب الذي تسعى فيه أنشطة الصيانة إلى تحقيق الثبات للمنظمة وحفظ الحالة على ما هي عليه من خلال ممارسة أنشطة المشتريات والصيانة والفحص الدقيق للموارد البشرية مثلاً، تركز الأنشطة الأخرى على التغيير من خلال التخطيط، وبحوث السوق، وتطوير المنتج الجديد وما شابه ذلك. هذه الأنشطة بمجموعها يحتاجها النظام الذي يريد البقاء. فالمنظومات القادرة على تحقيق ثبات وصيانة مختلف منظوماتها الفرعية بشكل جيد سوف لن تعمر طويلاً إن كانت غير قادرة على التكيف مع المتغيرات البيئية. وبالمثل فإن المنظومات القادرة على التكيف مع المتغيرات البيئية المحيطة بها ولكنها في الوقت نفسه غير قادرة على الثبات، هي منظمات فاشلة وغير كفؤة، ومن غير المتوقع أن تستمر طويلاً في عالم الأعمال المتغير باستمرار.⁽²³⁾

إن شبكة الاتصالات العميقة التي تعيشها اليوم المجتمعات الراهنة في خضم الثورة العارمة التي تشهدها تكنولوجيا الاتصالات، تفرض على هذه المجتمعات مستوى عالي من التعقيد والانفتاح يجعل المنظومة الاجتماعية في حوار دائم بين الثقافة المحلية التي تشكل البيئة الداخلية لها والثقافة المحيطة التي تشكل بدورها البيئة الخارجية لها. وبصفة هذه المجتمعات الراهنة كمجتمعات مفتوحة يستلزم ذلك أن تقوم بنشاطين رئيسيين - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - ويتمثل هذان النشاطان في عمليتي الصيانة والتكيف؛ وصيانة المنظومة الاجتماعية لذاتها يتمثل في مدى تمسكها بعناصر ثقافتها الأصيلة ومدى تعلقها بالتاريخ والماضي، بينما يتجلى النشاط الثاني في مدى مواكبتها للتطورات المستجدة خصوصاً على المستوى العلمي والحضاري. وخلاصة القول أن انفتاح المجتمعات اليوم يفرض عليها، لكي تحافظ على وجودها داخل هذا الزخم الثقافي المتباين، أن تحسن التوفيق بين الأصالة والمعاصرة. يقول إدغار موران بأنه ستكون المفارقة التي ستطبع القرن الحادي والعشرين؛ أي أنه ينبغي أن نحافظ على الثقافات ونفتحها على غيرها في وقت واحد. وليس هذا الأمر في المحصل بالجديد في شيء؛ ففي أصل الثقافات جميعاً بما فيها الثقافات التي تبدو أشد تفرداً، يوجد لقاء واشتراك وتوفيق واختلاط. وجميع الثقافات تنطوي على إمكانية لاستيعاب ما يكون في البداية غريباً عنها، أو على الأقل إلى عتبة معينة، تتفاوت حسب حيويتها، وإذا تجاوزتها فإما أن تستوعبها ثقافات أخرى أو أن تتعرض للفتن والاضمحلال.⁽²⁴⁾

ومن جهة أخرى فإن المنظومات المفتوحة تتميز باستمرارية أنشطتها، أو أحداثها - وبشكل متتابع - فالمنتجات تطرح للمجتمع، وبايراداتها يتم تزويد المنظمة بالمدخلات - مواد أولية مثلاً - التي تتحول بدورها إلى مخرجات.. وهكذا، في دورة مستمرة. وخاصية تتابع الأحداث هي التي تعطي للمنظومة شكلها البنوي.⁽²⁵⁾ كما توفر لها نمطاً معيناً من التوازن الحركي، القائم على تكافؤ المتناقضات، لأن توفر عنصر التوازن الحركي له أهميته في مجال تحقيق المنظومة لأهدافها الأساسية والخاصة بالتوسع والنمو والتفاعل، إلى جانب أخذ المتغيرات البيئية بعين الاعتبار، والتكيف معها بشكل متوازن.⁽²⁶⁾

إن خاصية الاستقرار والتوازن الحركي هي حالة وصفية لمنظومات بسيطة، لكننا في النظم المعقدة، نجد أن المنظومات تتحرك باتجاه معاكس لحالة التلاشي أو الموت، تتحرك نحو النمو والتوسع. وهذه بالطبع ليست حالة متقاطعة مع حالة أو خاصية الاستقرار. فمن أجل ضمان البقاء، تلجأ المنظومات الكبيرة والمتحورة إلى الحصول على شيء من الأمان لكي يصونها مستقبلاً. فهي إن كانت متوازنة اليوم، فقد لا تكون كذلك مستقبلاً، لذلك نجد الأنظمة الفرعية الموجودة في المنظومة - لكي تتجنب حالة التلاشي - فهي تميل باستمرار إلى استيراد طاقة أكثر من

متطلباتها، لإنتاج وظيفتها الأساسية، وذلك من أجل الحفاظ على وجودها والابتعاد عن التلاشي. وهذه الحالة موجودة عند الإنسان والحيوان وموجودة في منشآت الأعمال أيضاً. فأجسامنا تحتزن الدهون مثلاً، والمنشآت تحتفظ باحتياطي نقدي كاف لمواجهة تقلبات الاقتصادية أو فقدان سوق معينة. كما أن المنظومات التي لا ترتاح لوضعها الحالي تحاول أن تزيد من فرص بقائها عن طريق التفتيش المتواصل عن بدائل أخرى تضمن لها تحقيق النمو والتوسع.⁽²⁷⁾

3-5- التاريخية:

يمكن أن نصف المنظومة بصفة التاريخية متى تخلصت هذه المنظومة من السلوكيات التكرارية. وتلجأ المنظومة إلى تكرار الذات، من خلال اجترار الثقافة في حالة المنظومات الاجتماعية متى انغلقت المنظومة على ذاتها، فغياب عنصري الاتصال والانفتاح يختفي لدى المنظومة طابع الحوار، وتصبح المنظومة الاجتماعية تعيش في حلقة ثقافية مفرغة، تتطابق فيها وتتساوى المدخلات مع المخرجات.

ومن جهة أخرى فإذا كان المقصود بالتاريخية L'historicité التعارض التام مع التكرار، فإن المقصود بها كذلك التفرد La singularité والملاحظ أن الميزة الثانية تنبع من الميزة الأولى، لأن التكرار هو صفة الشيء الذي يعيد نفسه باستمرار، أي أن تتطابق خصائصه في أي لحظة زمنية مع نفسها في أي لحظة أخرى. بينما التاريخية فهي صفة الشيء الذي تختلف خصائصه في أي لحظة عن خصائص أي لحظة أخرى، فهو يتغير باستمرار، في كل لحظة يتفرد بصفات لم تكن موجودة في أي لحظة أخرى. وهذا يعني أن كل وضعية تكون فيها المنظومة ترتبط بلحظة زمنية فريدة.

والواقع أن المنظومة المفتوحة تكون في اتصال دائم بالبيئة المحيطة بها، وهذا الاتصال يتمثل في أن للمنظومة جملة مدخلات وجملة مخرجات، وطالما أن هذا الاتصال مستمر فإن هذه المخرجات تتحول بدورها إلى جزء من المدخلات، وهذا ما يُعرف بظاهرة التلقيم العكسي The feedback. لكن إذا تحولت كل مخرجات المنظومة إلى كل مدخلاتها فإن المنظومة تشرع في التدهور والتلاشي، وهو ما يعرف بظاهرة الانتروبيا Entropie، وهي خاصية طبيعية في النظم الحية. واستمرار النظام المفتوح في الحياة يعتمد بشكل أساسي على ما يستطيع الحصول عليه من طاقة في البيئة المحيطة للقضاء على الخلل أو الاضطراب الموجود فيه ويحافظ على نفسه من التدهور أو التلاشي. فحينما يجد الإنسان خللاً معيناً في نظام جسمه نتيجة لاحتراق طاقات حرارية معينة ويشعر بالجوع نجده يبحث عن مدخلات جديدة متمثلة في الطعام والشراب. وعليه فإن النظام الحي، من خلال خاصية التأثير السلبي، يستطيع إصلاح نفسه، ويصون بنيانه، ويتجنب الموت، ويستطيع أن ينمو لأنه قادر على استيراد طاقة أكثر من الطاقة التي يصدرها.⁽²⁸⁾⁽²⁹⁾ ويمكن ترجمة هذا الكلام أثناء الحديث عن المنظومة الاجتماعية المعاصرة بقولنا أن اكتفاء مجتمع معين بعناصر ثقافته فقط فإن هذا يؤدي به فوراً إلى التلاشي والاضمحلال.

3-6- التحضر:

تمثل ظاهرة التحضر ظاهرة نظرية لظاهرة التاريخية، فإذا كانت سمة التكرار تعارض ما هو متفرد في تاريخيته فإنها تعارض كذلك ما هو متفرد في تحضره وقدرته على التجديد والإبداع، على أن هذا العنصر الأخير مرتبط بمستقبل المنظومة، التي يمكنها أن تفاجئنا في كل لحظة وتأتينا بالجديد، حيث تصبح كل لحظة زمنية مفارقة في مضمونها لأي لحظة زمنية أخرى، فإذا انتقلت هذه اللحظة وصارت في الماضي فإنها تعكس بعمق تاريخية المنظومة، وبعبارة أخرى يكون أكثر اختصاراً فإنه بقدر ما يكون ماضي المنظومة أكثر ثراء وتاريخية فإن مستقبلها (أي المنظومة) يكون أكثر استعداداً لأن يكون مفعماً بالجديد، لأن ظاهرة التلقيم العكسي تكون أكثر قوة ودوراناً.⁽³⁰⁾ وكما هو معلوم

فإن الحضارة هي ثمرة أي مجهود يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته على وجه الأرض مادياً أو معنوياً، وإن مقياس الحضارة هو مدى ذلك التحسن مادياً ومعنوياً.⁽³¹⁾

ويمكن النظر إلى الثقافة كذلك على أنها قدرة خلّاقة، هذا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الحقيقة التي تقول إن الإنسان ليس مستهلكاً لثقافته الثقافي فحسب، بل إنه كذلك مستمر في الإبداع والزيادة على ما وصلنا إليه، فإننا في هذه الحالة سنرى أن الإنسان قادر دائماً على توسيع رحاب نفسه عن طريق النشاط الإبداعي الأصيل.⁽³²⁾ ولقد ذهب جون ديوي - من جهة أخرى - إلى أن الثقافة هي ثمرة التفاعل Interaction بين الإنسان وبيئته، وهذا هو المعنى الذي أعطاه أرنولد توينبي للحضارة كلها، أي أنها ثمرة تحدي البيئة للإنسان ونوع استجابته لها.⁽³³⁾ ونخلص من هذا إلى أن ظاهرة التحضر والإبداع تتجلى أساساً في ظاهرة الثقافة، خصوصاً في شكلها الديناميكي.

الخاتمة:

إن أهم ما نخلص إليه في هذا المقال هو ظهور نظرية الكاوس كنظرية معاصرة تستند إلى عدد من المبادئ كانت وإلى وقت ليس ببعيد من طابوهات البحث العلمي، لكن الاعتراف بهذه المبادئ لم يكن من باب الثورة على كل ما هو تليد ولو كان ذلك مجدياً، إذ أن من المؤكد أن هذه النظرية قد حلت إشكاليات كانت من الصعوبة بمكان وفق المقاربة الابستمولوجية الكلاسيكية. ولكن والأهم من ذلك بالنسبة لموضوعنا أن تطبيق المناهج الاجتماعية الكلاسيكية قد جعل علم الاجتماع يعاني من وضعية مزرية تتمثل في الكثير من الإشكاليات التي عجزت مناهجها عن تفسيرها وفهمها وعلى رأس هذه الإشكاليات الضخمة تلك المظاهر والسمات التي ميّزت المجتمعات المعاصرة بعد النجاح الباهر الذي حققته تكنولوجيا الاتصال. ومن جهة أخرى إشكالية الشرخ الكبير الموجود بين علوم الطبيعة والعلوم الإنسانية، وقد استطاعت مقاربة نظرية الكاوس احتواء كل هذه الظواهر ابتداء من الظواهر الفيزيائية إلى غاية الظواهر النفسية والاجتماعية. ومن جانب آخر فلقد تمكنت من اختزال الكثير الاتجاهات كالبنائية والوظيفية والصراعية.. الخ. ولكن اعتمادها على وصف الواقع الخام بتعقيداته ونتاقضاته قد جعل من الدراسات العلمية مطية للغموض والعجز عن التنبؤ وبالتالي التحكم في الظاهرة الاجتماعية. وفي الأخير تبقى هذه المقاربة كخيار بحث علمي سوسيولوجي قادر على كشف الجوانب التي تعجز المقاربات الأخرى عن كشفها، وعلى رأسها توصيف الواقع المعقد بشكله الخام.

المصادر والمراجع:

- ⁽¹⁾ - إبراهيم قيس جركس: نظرية الشواش، مجلة معابر، الموقع الإلكتروني: (www.maaber.org)، ديسمبر 2009.
- ⁽²⁾ - جايمس غليك: نظرية الفوضى، علم اللامتوقع، ترجمة: أحمد مغربي، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، 2008، ص 23 وما بعدها.
- ⁽³⁾ - نفس المصدر.

⁽⁴⁾ - Lucien Sève : Emergence, complexité et dialectique, Odile Jacob, Paris, 2005, pp. 20-21.

⁽⁵⁾ - Robin Fortin: comprendre la complexité: introduction à la méthode d'Edgar Morin, édition 2, presses université Laval, 2005, p.26.

⁽⁶⁾ - Ibid.

⁽⁷⁾ - Dictionnaire des idées & Notions en Sciences de la vie et de la Terre, Encyclopaedia Universalis, 2014.

- ⁸⁾- Jean Francis Gréhaïne : Autour du temps ; apprentissage, espaces, projets dans les sports collectifs, PUF, 2009, p. 141.
- ⁹⁾- Cité par Robin Fortin : comprendre la complexité, Op. Cit., p.05.
- ¹⁰⁾- c'est a dire deux fourches
- ¹¹⁾- معين الرومية: مدخل إلى نظرية التعقيد والشواش، مجلة معابر، الموقع الالكتروني: (www.maaber.org)، ديسمبر 2003.
- ¹²⁾- نفس المرجع
- ¹³⁾- اندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد 2، ت: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001، ص 1341.
- ¹⁴⁾- إدغار موران: هل نسير إلى الهاوية؟ ترجمة: عبد الرحيم حزل، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2012، ص 105.
- ¹⁵⁾- إدغار موران: الفكر والمستقبل، ترجمة: أحمد القصور ومنير الحجوجي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة 1، 2004، ص 17.
- ¹⁶⁾- نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات، مجلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 265، يناير 2001، ص ص 128-129.
- ¹⁷⁾- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الرابعة، 2004، ص 205.
- ¹⁸⁾- ريمون غوش: الفلسفة السياسية في العهد السقراطي، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، 2008، ص 11.
- ¹⁹⁾- إدغار موران: النهج، إنسانية البشرية، الهوية البشرية، ترجمة: هناء صبحي، كلمة، أبو ظبي، الطبعة الأولى، 2009، ص 349.
- ²⁰⁾- مؤيد سعيد السالم: نظرية المنظمة، مرجع سابق، ص 37.
- ²¹⁾- نفس المرجع، ص 110.
- ²²⁾- نفس المرجع، ص 36.
- ²³⁾- Michèle Pichon: Esthétique et épistémologie du naturalisme abstrait; avec Bachelard, rêver et peindre les éléments, Editions L'Harmattan, 2005, p.236.
- ²⁴⁾- إدغار موران: هل نسير إلى الهاوية؟ مرجع سابق، ص 104.
- ²⁵⁾- مؤيد سعيد السالم: نظرية المنظمة، مرجع سابق، ص 37.
- ²⁶⁾- نفس المرجع، ص 38.
- ²⁷⁾- نفس المرجع، ص ص 38-39.
- ²⁸⁾- ب.س.ديفيز: المفهوم الحديث للمكان والزمان، ترجمة السيد عطا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996، ص 77.
- ²⁹⁾- مؤيد سعيد السالم: نظرية المنظمة، مرجع سابق، ص 37.
- ³⁰⁾- Miguel Espinoza: Théorie du déterminisme causal, L'Harmattan, 2006, p.121.
- ³¹⁾- حسين مؤنس: الحضارة، مجلة عالم المعرفة، العدد: 237، سبتمبر 1998، الكويت، ص 48.
- ³²⁾- نفس المرجع، ص 227.
- ³³⁾- نفس المرجع، ص 225.

علاقة الاضطرابات السيكوسوماتية بالتوافق لدى طلبة الجامعة

أ.بولجراف بختاوي

كلية العلوم الاجتماعية

قسم علم النفس وعلوم التربية

جامعة وهران (الجزائر)

ملخص:

سعت هذه الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين الاضطرابات السيكوسوماتية والتوافق بأبعاده النفسية والاجتماعية والأسرية، وتكونت عينة الدراسة من 484 طالب وطالبة من جامعة وهران نصفهم من الأسوياء ونصفهم الآخر من المرضى طبق عليهم استبيانين، أحدهما للاضطرابات السيكوسوماتية والآخر للتوافق وانتهت النتائج إلى ما يلي:

- ✓ وجود فروق دالة احصائيا بين الطلبة الأسوياء والطلبة المضطربين سيكوسوماتيا في التوافق النفسي والاجتماعي لصالح الطلبة الأسوياء وفي التوافق الأسري لصالح الطلبة السيكوسوماتيين.
- ✓ وجود فروق دالة احصائيا بين الطلبة المصابين باضطرابات سيكوسوماتية بسيطة والطلبة المصابين باضطرابات سيكوسوماتية حادة في التوافق النفسي والاجتماعي لصالح طلبة الفئة الأولى، وفي التوافق الأسري لصالح طلبة الفئة الثانية.
- ✓ عدم وجود فروق دالة احصائيا بين الطلبة في التوافق بأبعاده النفسية والاجتماعية والأسرية تبعا لاختلاف أنواع الاضطرابات السيكوسوماتية الذي يعانون منها.

Abstract:

This study sets up to investigate the relationship between psychosomatic disorders and adjustment with its psychological, social, and familial dimensions.

The sample contains 484 students from Oran university including both genders fifty percent of them are normal, the other 50% are not, two tests were administered to the sample. The first one is concerned with psychosomatic disorders while the other test is about adjustment the results were as follows:

- There are statistically significant differences between normal students and those with psychosomatic disorders in psychological, social adjustment in favour of normal students. Concerning familial adjustment it was in favour of students with psychosomatic disorders.
- There are statistically significant differences between students with weak psychosomatic disorders and those with severe ones in psychological and social adjustment in favour of the first category of students. and in favour of the second category of students concerning familial adjustment.
- There are not statistically significant differences between students in adjustment with its psychological, social and familial dimensions according to the difference in the types of psychosomatic disorders

مقدمة

يشهد عالمنا المعاصر ثورة كبيرة في مجال العلم والاكتشافات التكنولوجية، وكان لذلك أثر كبير في تحقيق الرفاهية للبشرية قاطبة، بيد أن الانسان سرعان ما دفع ضريبة هذه الثورة إذ أصبحنا نعيش عصر السرعة وأخذت حياتنا اليومية في التعقيد والتصدع وسادت فيها عوامل الصراع والتطاحن والتنافس العدواني وعمت فيها الفردية الطاغية وحالات من الاغتراب والعزلة الوجدانية لا عهد لعصر من العصور السابقة بها كما وكيفا . ومع ازدياد سرعة نمط الحياة الحديثة وتعقدها وزيادة حدة المنافسة و الصراع وانتشار القلق والتوتر شاعت الاضطرابات السيكوسوماتية وازدادت حدة وانتشارا، إذ توضح التقارير التي يقدمها الخبراء في المجال الطبي أن ما بين 40-60 % من المترددين يوميا على عيادة الأطباء يعانون من اضطرابات سيكوسوماتية وأن ما بين 50-75 % من الأمراض بكل أنواعها ترجع إلى عوامل مرتبطة بالضغوط النفسية (Hunsaker.1986.237). ويشير تقرير آخر في ميدان الطب الصناعي أن نسبة كبيرة جدا من حالات التغيب عن العمل ترجع أساسا إلى شكاوي سيكوسوماتية. والدليل على نقشي هذه الأمراض تلك الأدوية الرائجة والتي تصرف دون تذكرة طبيب مثل المسهلات وأدوية المعدة والصداع (محمود الزيايدي.1964.135). ويشير تقرير صادر عن إحدى شركات التأمين في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1984 أن هناك مليون عامل يتغيبون يوميا بسبب الاضطرابات السيكوسوماتية وبتكلفة بلغت 150 بليون دولار سنويا. ويشمل هذا الرقم تكاليف الغياب وانخفاض مستوى الانتاجية وطلبات التعويض و التأمين ونفقات العلاج الصحي (Tang.j.1992.23).

نلمس من خلال هذه البيانات أن للاضطرابات السيكوسوماتية انعكاسات سلبية على حياة الأفراد والجماعة، وهي تزداد انتشارا واتساعا في عصرنا هذا بفعل عمليات التحضر والتحديث وما يصاحب ذلك من تعقيدات في شبكة العلاقات الاجتماعية وضغوطات لا يستطيع بعض الأفراد التكيف معها مما يجعلهم عرضة للقلق ولاضطرابات انفعالية أخرى.

إلا أنه على الرغم من أهمية هذا الموضوع وخطورته على صحة الأفراد وحياتهم فإنه لم يحض بالاهتمام الكافي من طرف الباحثين. وعليه فإن الحاجة تقتضي اجراء العديد من الدراسات والبحوث في هذا المجال وهو ما نهدف إليه من خلال هذه الدراسة التي سنقصر فيها اهتمامنا على بحث العلاقة بين بعض أنواع الاضطرابات السيكوسوماتية والتوافق بأبعاده النفسية والاجتماعية والأسرية لدى طلبة الجامعة، وهذا موضوع له خصوصيته وأهميته في حياة الفرد و حياة المجتمع ومن ثم فهو يمثل مشكلة جديرة بالبحث والدراسة.

مشكلة الدراسة:

- تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين بعض الاضطرابات السيكوسوماتية والتوافق النفسي والاجتماعي والأسري لدى عينة من طلبة الجامعة ممن يعانون من هذه الاضطرابات وتحاول الاجابة عن الأسئلة التالية:
- هل هناك فروق دالة احصائية في التوافق بأبعاده النفسية والاجتماعية والأسرية بين الطلبة المصابين باضطرابات سيكوسوماتية والطلبة الأسوياء؟
 - هل هناك فروق دالة احصائية في التوافق بأبعاده النفسية والاجتماعية والأسرية بين الطلبة المصابين باضطرابات سيكوسوماتية بسيطة والطلبة المصابين باضطرابات سيكوسوماتية حادة؟
 - هل تختلف العلاقة الارتباطية بين الاضطرابات السيكوسوماتية والتوافق بأبعاده النفسية والاجتماعية والأسرية لدى طلبة الجامعة باختلاف نوع الاضطراب السيكوسوماتي الذي يعانون منه؟

فرضيات الدراسة:

- في ضوء هدف الدراسة ومشكلتها أمكن وضع الفرضيات التالية:
- توجد فروق دالة احصائيا في التوافق بأبعاده النفسية والاجتماعية والأسرية بين الطلبة المصابين باضطرابات سيكوسوماتية والطلبة الأسوياء لصالح طلبة المجموعة الأخيرة.
 - توجد فروق دالة احصائيا في التوافق بأبعاده النفسية والاجتماعية والأسرية بين الطلبة المصابين باضطرابات سيكوسوماتية بسيطة والطلبة المصابين باضطرابات سيكوسوماتية حادة لصالح طلبة المجموعة الأولى.
 - تختلف العلاقة الارتباطية بين الاضطرابات السيكوسوماتية والتوافق بأبعاده النفسية والاجتماعية والأسرية لدى طلبة الجامعة باختلاف نوع الاضطراب السيكوسوماتي الذي يعانون منه.

التعريف بمصطلحات البحث:

- 0 **الاضطرابات السيكوسوماتية:** هي الأمراض التي يحدث بها تلف في جزء من أجزاء الجسم أو خلل في وظيفة عضو من أعضائه وتكون من الجدة و الاصرار بحيث لا يفلح العلاج الطبي المعروف في شفاؤها شفاء تاما لاستمرار الاضطراب الانفعالي المسبب لها.
- 0 **التوافق النفسي:** هو الرضا عن النفس والثقة بها وخلو الحياة من التوترات والصراعات النفسية التي تقترب بالقلق الدائم والسخط على الذات والنفور منها.
- 0 **التوافق الاجتماعي:** هو القدرة على مجارات قوانين الجماعة ومعاييرها وعقد صلات اجتماعية تتسم بالتعاون والتسامح وتخلو من العدوان والتسلط والانكفاء على النفس.
- 0 **التوافق الأسري:** هو قدرة الفرد على إقامة علاقات عاطفية تحقق له قدرا من الرضا والتفاعل الايجابي مع من يعيش معهم.
- 0 **الطلبة المضطربون سيكوسوماتيا:** هم الطلبة الذين يحصلون على درجات تزيد عن الدرجة الدنيا في أحد أبعاد اختبار الاضطرابات السيكوسوماتية.
- 0 **الطلبة المصابون باضطراب سيكوسوماتي حاد:** هم الطلبة الذين يحصلون على درجات مرتفعة في أحد أبعاد اختبار الاضطرابات السيكوسوماتية.
- 0 **الطلبة المصابون باضطراب سيكوسوماتي بسيط:** هم الطلبة الذين يحصلون على درجات منخفضة في أحد أبعاد اختبار الاضطرابات السيكوسوماتية.

الدراسات السابقة:

قد تسبب الاضطرابات السيكوسوماتية للإنسان العديد من الاضطرابات النفسية من مثل القلق والخوف وعدم الشعور بالأمن وانخفاض في تقدير الذات والعصابية والاعتماد على الغير وهي كلها أعراض لها انعكاسات سلبية على التوافق لديه.

والدراسات التي تناولت الاضطرابات السيكوسوماتية من حيث مسبباتها متوفرة وكثيرة إلى حد ما ، لكن الدراسات التي تناولت الاضطرابات السيكوسوماتية من حيث تأثيرها على حياة الأفراد وخاصة في جوانبها التوافقية فهي قليلة ونادرة. وقد تم الاطلاع على البعض من هذه الدراسات وجرى إنتقاء ما نعتقد أن له علاقة أكثر قربا بموضوع بحثنا وما يمكن توظيفه واستثماره بصورة أكبر لخدمة هذه الدراسة . وفيما يلي عرض لملاحظات بعض هذه الدراسات:

- **دراسة حسن مصطفى عبد المعطي (1984.171)** عن العوامل النفسية المرتبطة ببعض الاضطرابات السيكوسوماتية لدى المراهقين، حيث استخدم الباحث في هذه الدراسة التي تقوم على أساس تشخيص العوامل

النفسية المرتبطة ببعض الاضطرابات السيكوسوماتية لدى المراهقين المنهج الاكلينيكي واشتملت العينة على ثلاثين (30) حالة من طلاب المدارس نصفها يعاني من مرض الربو السيكوسوماتي والنصف الآخر لا يشكو من أي مرض، وانتهت الدراسة إلى النتائج التالية:

✓ وجود فروق ذات دلالة احصائية بين المراهقين السيكوسوماتيين والمراهقين الأسوياء في:

* الحاجات النفسية المشبعة.

* الحاجات النفسية غير المشبعة.

* العوامل الانفعالية والوجدانية.

* الضغوط البيئية.

✓ عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية بين المراهقين المصابين باضطراب سيكوسوماتي حاد والمراهقين المصابين باضطراب سيكوسوماتي بسيط في :

* الحاجات النفسية المشبعة.

* الحاجات النفسية غير المشبعة.

* العوامل الوجدانية والانفعالية.

* الضغوط البيئية.

كما أوضحت هذه الدراسة أن المراهقين السيكوسوماتيين يختلفون عن المراهقين الأسوياء في صورة الذات حيث أظهر السيكوسوماتيون صورة سلبية وأنا ضعيفة، بينما أظهر المراهقون الأسوياء قدرا كبيرا من الايجابية والنضج، ويختلفون أيضا في العلاقة مع الآخرين حيث تميزت علاقة السيكوسوماتيين مع غيرهم بالتوتر و الاضطراب وبالمازوخية في حين تميزت علاقة الأسوياء مع الآخرين بالثراء وبالسواء.

● دراسة كاميليا علي (1981.77) عن العصائية والانبساط والنضج الاجتماعي لدى مرضى الربو الشعبي، حيث أجريت هذه الدراسة على عينة من تلاميذ الاسكندرية المصابين بالربو الشعبي وغير المصابين به قصد معرفة الفروق بينهم في كل من العصائية والانبساط والنضج الاجتماعي. وتبين من خلال النتائج أن مرضى الربو الشعبي أظهروا مقارنة بالمجموعة الضابطة درجة مرتفعة من العصائية وأن درجة العصائية هذه تزداد مع زيادة شدة المرض بوجه عام.

أما فيما يخص الانبساط والانطواء فقد دلت النتائج على أن مرضى الربو الشعبي أقل انبساطا من المجموعة الضابطة بمعنى أن درجة الانبساط ترتبط سلبيا بشدة المرض بوجه عام، فكلما زادت شدة المرض انخفضت الدرجة في الانبساط.

وكشفت الدراسة كذلك عن وجود اختلاف في درجة النضج الاجتماعي بين مجموعة مرضى الربو الشعبي والمجموعة الضابطة المقابلة لها وكان الفرق بينهما دال احصائيا.

● دراسة محمود السيد أبو النيل (1985.277) عن علاقة الاضطرابات السيكوسوماتية بالتوافق المهني في الصناعة، حيث يدور الفرض الرئيسي لهذه الدراسة حول كون المرضى السيكوسوماتيين أقل توافقا من أفراد المجموعة الضابطة وهم من نفس سن ومهن ومستوى اجتماعي واقتصادي وظروف عمل المجموعة التجريبية فيما عدا أنهم ليست لديهم اضطرابات سيكوسوماتية. واقتصرت الدراسة على قياس متغيرات تتعلق بالتوافق المهني وهي الاستعدادات والقدرات المطلوبة في العمل، والنواحي الانفعالية، والروح المعنوية التي تتمثل في

شعور الفرد بانتمائه وتوحده في العمل وشعوره بأنه مقدر وله مكانة . وفيما يلي نتائج الدراسة بالنسبة لهذه المتغيرات المقاسة:

- بالنسبة للاستعدادات والقدرات الخاصة: تبين من خلال الاتجاه العام للمتوسطات أن أداء المجموعة التجريبية أقل من أداء المجموعة الضابطة في أكثر من ناحية.
- بالنسبة للعوامل الانفعالية : بينت النتائج أن جميع مقاييس قائمة كورنل المطبقة في هذه الدراسة ميزت تمييزاً دالاً بين المجموعتين التجريبية والضابطة مما يدل على أن النواحي العصابية السيكوسوماتية التي تقيسها هذه المقاييس الفرعية هي الميزة لهؤلاء المرضى وأن هذه العوامل الانفعالية تلعب دوراً كبيراً في سوء توافقهم المهني.
- بالنسبة للروح المعنوية: إن الاتجاه العام للمتوسطات يشير إلى أن الروح المعنوية عموماً لدى المرضى منخفضة عنها لدى الأسوياء، وأن أفراد هذه المجموعة الأخيرة يتمتعون بدرجة عالية من التوافق الاجتماعي في العمل وفي مجال الاتصال والعلاقات بين زملائهم خارج العمل عكس أفراد المجموعة التجريبية الذين بدوا أقل توافقاً في هذا المجال إلى جانب أنهم أقل في المكانة والتقدير وقدرة الإشراف على تنظيم العمل وكفاءة الإدارة.

● **دراسة غادة سليمان العتيبي (220.1988)** عن العلاقة بين الأعراض السيكوسوماتية وكل من الشخصية والتوافق الدراسي، حيث أجريت هذه الدراسة على عينة من التلاميذ بمدارس الكويت ذكورا وإناثا وشملت أدوات الدراسة اختبار كورنل للأعراض السيكوسوماتية، واختبار الشخصية الاسقاطي الجمعي، واختبار التوافق الدراسي. ودلت النتائج على وجود فروق دالة بين الذكور والإناث لصالح الإناث في بعض متغيرات الدراسة مثل الأعراض السيكوسوماتية والعلاقة بالاساتذة . كما بينت الدراسة وجود ارتباطات دالة بين الأعراض السيكوسوماتية والتوافق الدراسي بحيث كلما ارتفعت درجة الإصابة بالاضطرابات السيكوسوماتية كلما انخفضت درجة التوافق لدى التلاميذ.

نخلص من هذا العرض حول الدراسات التي تناولت بعض جوانب الظاهرة موضوع هذه الدراسة إلى أن هناك ندرة في الدراسات التي جعلت هدفها المباشر دراسة الاضطرابات السيكوسوماتية في علاقتها بالتوافق باستثناء دراسة محمود السيد أبو النيل من مصر، وغادة سليمان العتيبي من الكويت . وقد جاءت الدراسة الحالية لقياس التوافق لدى الطلبة المصابين باضطرابات سيكوسوماتية و مقارنة ذلك بالتوافق لدى الطلبة الأسوياء ومن ثم المساهمة في توسيع دائرة الدراسات التي مست نفس الموضوع بصورة مباشرة.

منهج الدراسة:

تم القيام بهذه الدراسة وفق المنهج الوصفي التحليلي القائم على جمع المعلومات والبيانات عن الظاهرة المدروسة ووصف النتائج الصادرة عنها وتفسيرها وفق الأهداف المحددة.

عينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة من 484 طالب وطالبة من جامعة وهران السانيا وجامعة العلوم والتكنولوجيا محمد بوضياف، موزعين على تخصصات أدبية وعلمية وعلى مستويات دراسية مختلفة. واعتمد الباحث على اختبار الاضطرابات السيكوسوماتية كأداة رئيسية في تحديد هذه العينة الذي يتشكل نصفها من الطلبة المضطربين سيكوسوماتياً ونصفها الآخر من الطلبة الأسوياء.

أدوات الدراسة:

استخدم الباحث في الدراسة الحالية الأدوات التالية :

1- مقياس الاضطرابات السيكوسوماتية: أعد الباحث مقياسا للاضطرابات السيكوسوماتية ثم عرضه على مجموعة من المحكمين¹ من جامعة وهران لأخذ آرائهم حول مدى صلاحيته وشموليته في قياس ما أعد لقياسه. ولقد أبدى المحكمون بعض الملاحظات القيمة التي اقتنع بها الباحث وأدخل على ضوءها التعديلات اللازمة والضرورية. ويتكون المقياس في صورته النهائية من ستة وثلاثين (36) عبارة موزعة على الأبعاد التالية:

البعد الأول: اضطرابات الجهاز المعدي معوي (07 عبارات).

البعد الثاني: اضطرابات الجهاز التنفسي (08 عبارات).

البعد الثالث: اضطرابات الجهاز القلبي والأوعية الدموية (08 عبارات).

البعد الرابع: اضطرابات الجهاز الغددي (06 عبارات).

البعد الخامس: اضطرابات الجهاز العضلي والهيكلية (07 عبارات)

وللإجابة عن فقرات المقياس، على المفحوص أن يحدد مدى انطباق كل فقرة من هذه الفقرات بوضع علامة (+) على واحد من أربعة اختيارات للإجابة وهي:

موافق جدا : وتأخذ أربع درجات.

موافق : وتأخذ ثلاث درجات.

غير موافق: وتأخذ درجتين.

غير موافق جدا: وتأخذ درجة واحدة.

وتشير الدرجات المرتفعة في كل بعد على وجود الاضطراب السيكوسوماتي الذي يقيسه هذا البعد عكس الدرجات المنخفضة التي تدل على انعدام واختفاء هذا الاضطراب.

صدق المقياس :

تحقق الباحث من صدق المقياس باستخدام مقياس آخر باعتباره محكا خارجيا وهو مقياس التوافق لهيوم بل . وقد طبق المقياسان على عينة من الطلبة نصفهم يعاني من اضطرابات سيكوسوماتية والنصف الآخر ليس لديه هذه الاضطرابات، وحسب معامل الارتباط بين درجاتهم على مقياس الاضطرابات السيكوسوماتية ودرجاتهم على مقياس التوافق فبلغ معامل الصدق المرتبط بالمحك بين المقياسين 0.860 وهو دال احصائيا عند مستوى 0.01.

ثبات المقياس:

تم حساب ثبات المقياس بطريقة التجزئة النصفية بين نصفي المقياس (العبارات الزوجية مقابل العبارات الفردية) باستخدام معادلة سبيرمان براون وكان معامل الثبات 0.90 وهذا يعد دليلا على ارتفاع ثبات المقياس وصلاحيته للتطبيق.

2-اختبار التوافق:

صمم هذا الاختبار في الأصل هيوم بل وقام بإعداده وتقنيته عباس محمود عوض، وهو يتكون في مجموعه من 160 سؤال وينقسم إلى خمسة مقاييس هي: مقياس التوافق الأسري ، مقياس التوافق الصحي ، مقياس التوافق الاجتماعي، مقياس التوافق النفسي وأخيرا مقياس التوافق المهني.

وقد اكتفى الباحث في هذه الدراسة بثلاثة مقاييس هي: التوافق الأسري ، التوافق النفسي ، والتوافق الاجتماعي ، وذلك نظرا لاقتران الدراسة الحالية على هذه الأبعاد الثلاثة من التوافق.

وقد اشتملت تقنية الاستجابة على بنود الاختبار باختيار الاجابة المناسبة ويكون التصحيح طبقا للأوزان التالية:

لا : وتأخذ درجة واحدة.

¹ - السادة المحكمون هم : أ. معروف أحمد - أ. ماحي ابراهيم - أ. عبادة عبد العزيز - أ. هاشمي أحمد.

لا أدري: وتأخذ درجتين.

نعم : وتأخذ ثلاث درجات.

ومن مجموع الدرجات التي يحصل عليها المفحوص على هذه المقاييس يمكن الحصول على درجة التوافق العام لديه. وكلما ارتفعت هذه الدرجة كلما دل ذلك على حسن التوافق وكلما انخفضت كلما كان ذلك مؤشرا على سوء التوافق.

صدق الاختبار:

تم حساب الصدق الخارجي للاختبار وفقا لآراء المحكمين السالف ذكرهم ، وقد عدلت بعض الفقرات وفقا للملاحظات التي أبدتها السادة المحكمون ، كما حذفت بعض الفقرات التي لم تحض بموافقتهم إما لعدم بساطتها ووضوحها أو لأنها لا تحقق درجة عالية من الارتباط مع مجالات الدراسة المعنية. وبذلك أصبح الاختبار في صورته النهائية مكونا من 94 فقرة موزعة على الأبعاد السابقة .

ثبات الاختبار:

حسب ثبات هذه الأداة بطريقة إعادة الاختبار وذلك بأن أعيد تطبيق الاختبار على عينة من الطلبة بعد مضي أسبوعين على التطبيق الأول. وباستخدام معادلة بيرسون كان معامل الارتباط (0.94) ذات دلالة احصائية عند مستوى 0.01. وهذه النتيجة كفيلة بإثبات أن هذا الاختبار على درجة كبيرة من الثبات.

نتائج الدراسة :

الفرضية الأولى:

توجد فروق دالة احصائية في التوافق بأبعاده النفسية والاجتماعية والأسرية بين الطلبة المصابين باضطرابات سيكوسوماتية والطلبة الأسوياء لصالح طلبة المجموعة الأخيرة. للتأكد من صحة هذه الفرضية قام الباحث بحساب الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية للتوافق بأبعاده النفسية والاجتماعية والأسرية لدى الطلبة المصابين باضطرابات سيكوسوماتية والطلبة الأسوياء، ومن ثم إجراء المقارنة بينهم باستخدام اختبار "ت" والجدول رقم (1) يوضح ذلك

جدول رقم (1) يبين الفروق بين الطلبة المصابين باضطرابات سيكوسوماتية والطلبة الأسوياء في التوافق بأبعاده النفسية والاجتماعية والأسرية.

أبعاد التوافق	العينة	الطلبة المضطربون سيكوسوماتيا		الطلبة الأسوياء		قيمة "ت"	درجة الحرية	مستوى الدلالة	اتجاه الفروق لصالح
		ع	م	ع	م				
التوافق النفسي		16.23	57.27	15.40	62.38	3.55	482	0.01	الطلبة الأسوياء
التوافق الاجتماعي		15.94	58.44	15.17	63.92	3.87	482	0.01	الطلبة الأسوياء
التوافق الاسري		14.66	70.03	11.99	67.18	2.33	482	0.05	الطلبة السيكوسوماتيين

يتضح من الجدول رقم (1) أن متوسط درجات الطلبة الأسوياء أكبر من متوسط درجات الطلبة المصابين باضطرابات سيكوسوماتية في التوافق النفسي والتوافق الاجتماعي وبلغ الفرق بينهما في ضوء اختبار "ت" حد الدلالة الاحصائية عند مستوى 0.01، في حين أن متوسط درجات الطلبة المصابين باضطرابات سيكوسوماتية ظهر أكبر من متوسط درجات الطلبة الأسوياء في التوافق الأسري وكان الفرق بينهما دالا احصائيا عند مستوى 0.05. وعلى ضوء هذه النتائج يمكن القول بأن الفرضية الأولى قد تحققت فيما يتعلق بالتوافق النفسي والتوافق الاجتماعي لأن الفرق في هذين المتغيرين كان لصالح الطلبة الأسوياء، ولم تتحقق بالنسبة للتوافق الأسري لأن الفرق في درجات الطلبة على هذا المتغير كان لصالح الطلبة المصابين باضطرابات سيكوسوماتية.

ويؤكد هذه النتيجة بعض ما ذكرناه من دراسات في الخلفية النظرية لهذه الدراسة مثل دراسة كاميليا (77.1981) التي بينت وجود مستوى للتوافق لدى الأسوياء أكبر منه لدى المرضى، ودراسة عويد المشعان (505.2000) التي أظهرت وجود علاقة ارتباطية دالة بين التشائم والسخط على الحياة وكل من الاضطرابات السيكوسوماتية وضغوط أحداث الحياة، وأيضا دراسة غادة سليمان العتيبي (216.1988) التي توصلت إلى أن الأعراض والاضطرابات السيكوسوماتية مسؤولة عن بعض جوانب سوء التوافق الذي يتعرض له الإنسان في حياته. والسبب في أن المرضى سيكوسوماتيا أقل توافقا من الأسوياء فيعود إلى أن المضطرب سيكوسوماتيا كما يذهب إلى ذلك حسن مصطفى عبد المعطي (171-1984) يعاني من اضطرابات حادة في تكوين شخصيته، واحباطا لحاجاته النفسية، وصراعات لا شعورية قد تؤثر على علاقته بنفسه وعلاقته بالآخرين.

فهو يظهر سلبية عن ذاته وأنا ضعيفة تنفقر إلى الإيجابية والنضح، ويبدو أكثر عصابية وأقل اتزان على المستوى الانفعالي والوجداني وهي كلها عناصر من شأنها أن تفقده قدرا كبيرا من الثقة بالنفس وتجعله منطويا على نفسه دائم القلق والتوتر منعزلا في مجال الاتصال والعلاقات الاجتماعية. ومثل هذه الاضطرابات النفسية كما يشير إلى ذلك الكسندر (Alexander M.1987.236) من شأنها أن تترك آثارا ذات دلالة مرضية في الذاكرة مما يؤثر في قدرة الإنسان على تحقيق التوافق المطلوب في نواحي كثيرة ومنها على الخصوص توافقه النفسي والاجتماعي.

بينما على النقيض من ذلك يتصف الإنسان السوي بشيء من الثبات والاتزان الانفعالي والثقة بالنفس وعدم التناقض الوجداني والعاطفي، وهو أكثر نضجا وانبساطا وأقل عصابية، وتتميز علاقته بالآخرين بالثراء وبالسواء مما يجعله أكثر توافقا مقارنة بالمرضى وخاصة على المستوى النفسي والاجتماعي.

أما بخصوص ارتفاع درجة التوافق الأسري لدى الطلبة المصابين باضطرابات سيكوسوماتية عنه لدى الطلبة الأسوياء فيمكن تفسير ذلك أن الطالب المضطرب سيكوسوماتيا بسبب المعانات التي يسببها له المرض قد يحضى بمعاملة خاصة من طرف الأسرة حيث تقترب منه أكثر فتحيطه بالرعاية والعطف وتعامله بلطف ورقة وتهنيئ له جوا مريحا ملؤه التسامح والتفاهم اعتقادا منها بأن ذلك سيخفف من معاناته ويقلل من مأساته. وفي مقابل هذا الموقف الأسري المفعم بقيم الحب والتعاطف والتشجيع يكون رد فعل الطالب هو التقرب من أسرته والعمل على ارضائها وتجنب كل ما من شأنه أن يدخله في دوامة الصراع معها. وهذا التقرب من الأسرة والارتباط بها ارتباطا عاطفيا من شأنه أن يوفر له توافقا أسريا مرضيا.

وعلى الطرف الآخر فالطالب السوي نظرا لأنه يتمتع بصحة جيدة تنمي لديه شعورا قويا بالثقة والاستقلال العاطفي فإنه ينزع نحو الاستقلالية الكاملة، ويرغب في التحرر من الاعتماد على الوالدين (زهرا عبد السلام.1977.373). وهذه النزعة للاستقلال تتضمن تطلع الطالب ورغبته في تحمل المسؤوليات الاجتماعية وفي صوغ ذات مستقلة له وتكوين فلسفة خاصة به يواجه بها الحياة ويشق طريقه بالشكل الذي يناسب رغباته ويوافق إمكاناته. ولا شك أن تطلع الطالب إلى هذه الشخصية المستقلة قد يؤدي في أغلب الأحيان إلى سوء تفاهم بينه وبين

والديه خاصة حول اختيار أوجه النشاط والرفاق والتعليم والمهنة ويحفز لديه مشاعر الغضب والثورة نحو مصادر السلطة في الأسرة خاصة تلك التي تحول ينة وبين تطلعاته إلى التحرر والاستقلال (حمزة مختار 324-1982).
الفرضية الثانية:

توجد فروق دالة احصائيا في التوافق بأبعاده النفسية والاجتماعية والأسرية بين الطلبة المصابين باضطرابات سيكوسوماتية بسيطة والطلبة المصابين باضطرابات سيكوسوماتية حادة لصالح طلبة المجموعة الأولى.
لقياس دلالة الفروق في التوافق بأبعاده النفسية والاجتماعية والأسرية بين الطلبة المصابين باضطرابات سيكوسوماتية بسيطة والطلبة المصابين باضطرابات سيكوسوماتية حادة ، والتأكد من صحة هذه الفرضية تم استخدام اختبار "ت" والجدول التالي يظهر نتائج ذلك.

جدول رقم (2) يبين الفروق في التوافق بأبعاده النفسية والاجتماعية والأسرية بين الطلبة المصابين باضطرابات سيكوسوماتية بسيطة والطلبة المصابين باضطرابات سيكوسوماتية حادة

العينة	الطلبة المصابون باضطرابات سيكوسوماتية بسيطة		الطلبة المصابون باضطرابات سيكوسوماتية حادة		قيمة "ت"	درجة الحرية	مستوى الدلالة	اتجاه الفروق لصالح الطلبة ذوي
	ع	م	ع	م				
التوافق النفسي	63.18	14.69	51.38	16.54	4.13	118	0.01	الاضطرابات السيكوسوماتية البسيطة
التوافق الاجتماعي	65.38	14.60	53.38	16.13	4.27	118	0.01	الاضطرابات السيكوسوماتية البسيطة
التوافق الأسري	64.85	18.30	74.62	15.43	3.16	118	0.01	الاضطرابات السيكوسوماتية الحادة

يظهر من خلال نتائج جدول رقم (2) أن هناك فروق جوهرية بين المجموعتين على جميع متغيرات البحث. فهي تشير إلى أن المتوسط الحسابي للطلبة المصابين باضطرابات سيكوسوماتية بسيطة في التوافق بأبعاده النفسية والاجتماعية أعلى من نظيره للطلبة المصابين باضطرابات سيكوسوماتية حادة وهذه الفروق دالة إحصائيا عند مستوى 0.01 ولصالح المجموعة الأولى، مما يعني أن الطلبة ذوي الاضطرابات السيكوسوماتية البسيطة أكثر توافقا بالنسبة لهذه الأبعاد من الطلبة ذوي الاضطرابات السيكوسوماتية الحادة. أما الفروق في التوافق الأسري فهي تشير إلى أن الطلبة المصابين باضطرابات سيكوسوماتية حادة أكثر توافقا من الطلبة المصابين باضطرابات سيكوسوماتية بسيطة وهي فروق دالة احصائيا عند مستوى 0.01.

نستنتج من خلال هذه النتائج أن الفرضية الثانية قد تحققت بالنسبة للتوافق النفسي والتوافق الاجتماعي ، من حيث أن اتجاه الفروق كان لصالح الطلبة ذوي الاضطرابات السيكوسوماتية البسيطة، ولم تتحقق بالنسبة لبعد التوافق الأسري لأن الفرق بين متوسط درجات المجموعتين كان لصالح الطلبة المصابين باضطرابات سيكوسوماتية حادة.

أما الأسباب التي يمكن أن تكون وراء هذا الاختلاف والتفاوت بين الطلبة المضطربين سيكوسوماتيا وفق درجة الاضطراب الذي يعانون منه وذلك فيما يخص التوافق بأبعاده النفسية والاجتماعية، فإنها تعود كما سبق أن فصلنا في ذلك إلى ما للاضطراب السيكوسوماتي من تأثير سلبي على حياة الانسان على أكثر من صعيد. غير أن هذا التأثير كما دلت على ذلك النتائج التي توصلنا إليها يختلف باختلاف درجة الاضطراب السيكوسوماتي بمعنى أنه كلما زادت حدة الاضطراب السيكوسوماتي كلما كان التأثير أشد وأكبر. والعكس صحيح كلما كان الاضطراب السيكوسوماتي بسيطا كلما كان التأثير بسيطا أيضا. ويبدووا هذا منطقيا ومتوقعا إلى حد كبير. فالشخص الذي يعاني من اضطرابات

سيكوسوماتية حادة لا يكون في نفس المستوى من التوافق مع الشخص الذي يعاني من اضطرابات سيكوسوماتية بسيطة. فهذا الأخير يقترب من السواء، ولقربه من السواء تقل معاناته النفسية والانفعالية ويرتفع تبعاً لذلك مستوى التوافق لديه ليقتررب من مستوى توافق الطالب السوي وبيتعد كثيراً عن مستوى توافق الطالب غير السوي.

أما عن الأسباب أو المبررات التي قد تكون مسؤولة عن التوصل إلى نتائج عكسية في هذه الدراسة بشأن العلاقة بين الاضطرابات السيكوسوماتية والتوافق الأسري فإن ذلك يعود إلى مجموعة من الافتراضات والتفسيرات المختلفة سبق وأن عالناها عند حديثنا عن الفروق بين الطلبة المضطربين سيكوسوماتيا والطلبة الأسوياء فيما يخص نفس المتغير. الفرق الوحيد هو أن الأمر يتعلق في هذه المرة بفروق بين الطلبة من نفس المجموعة لا يختلفون إلا في درجة الإصابة بالاضطراب، وهم الطلبة المصابون باضطراب سيكوسوماتي حاد، والطلبة المصابون باضطراب سيكوسوماتي بسيط. ومن ثم فإن مناقشتنا وتفسيراتنا السابقة لهذه النتيجة تصلح أيضاً لأن تكون أساساً للتعليل بالنسبة لنتائج هذه الفرضية. وعلى ذلك يمكننا القول بأن الاضطراب الذي يعاني منه الطلبة وخاصة إذا كان شديداً وحاداً وما ينجر عنه من معانات نفسية وجسدية غالباً ما يرعب الآباء ويستجدي عطفهم ويجعلهم يميلون إلى استعمال أسلوب يتسم بالتسامح والود والرفق والقبول والابتعاد عن أسلوب القهر والطغيان في التعامل معهم وذلك قصد التخفيف من معاناتهم ومنحهم الدعم العاطفي والمساندة للتحرر من مشاعر الخوف والقلق والشعور بالذنب والاستياء في علاقتهم بمن يحيط بهم. ولا شك في أن لهذا النوع من أساليب المعاملة الوالدية دور كبير في تكوين اتجاهات إيجابية لدى الطلبة السيكوسوماتيين إزاء أسرهم، وكأن هؤلاء الطلبة أدركوا حقيقة الرعاية الوالدية لهم ومدى تقبل الآباء لهم فدفعهم ذلك إلى التقرب أكثر من أسرهم والارتباط بها ارتباطاً من شأنه أن يحقق لهم قدراً كبيراً من التوافق والاستقرار في علاقتهم الأسرية.

الفرضية الثالثة:

تختلف العلاقة الارتباطية بين الاضطرابات السيكوسوماتية والتوافق بأبعاده النفسية والاجتماعية والأسرية لدى طلبة الجامعة باختلاف نوع الاضطراب السيكوسوماتي الذي يعانون منه.

لاختبار صحة هذه الفرضية وتحديد طبيعة الفروق الاحصائية بين الطلبة في التوافق بأبعاده النفسية والاجتماعية والأسرية وفقاً لنوع الاضطراب السيكوسوماتي الذي يعانون منه، تم استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول رقم (3) يوضح نتائج تحليل التباين للفروق بين الطلبة في التوافق بأبعاده النفسية والاجتماعية والأسرية وفق الاضطراب السيكوسوماتي التي يعانون منه.

أبعاد التوافق	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة "ف"	الدالة الاحصائية
التوافق النفسي	بين المجموعات	233.149	4	58.287	0.351	غير دالة
	داخل المجموعات	39364.703	237	166.096		
	الكلي	39597.851	241			
التوافق الاجتماعي	بين المجموعات	177.082	4	44.270	0.308	غير دالة
	داخل المجموعات	34093.860	237	143.856		
	الكلي	34270.942	241			
التوافق الأسري	بين المجموعات	1383.245	4	345.811	1.940	غير دالة
	داخل المجموعات	42249.106	237	178.266		
	الكلي	43632.351	241			

يبين تحليل التباين في الجدول رقم (3) عدم وجود فروق دالة احصائية بين الطلبة في التوافق بأبعاده النفسية والاجتماعية والأسرية تبعا لاختلاف أنواع الاضطرابات السيكوسوماتية التي يعانون منها والمعنية بهذه الدراسة. هذه النتيجة لا تتسق مع نص الفرضية الثالثة مما يعني أن الاضطرابات السيكوسوماتية وإن اختلفت أنواعها فهي تؤثر على الحياة النفسية للطلبة ومن ثم على توافقهم بكل أبعاده سواء بالسلب كما هو الحال بالنسبة للتوافق النفسي والتوافق الاجتماعي، أو بالإيجاب كما هو الشأن مع التوافق الأسري. وتفسير ذلك يرجع إلى أن الطلبة المضطربين سيكوسوماتيا وبدون تمييز بسبب الضغوطات المستمرة التي يعيشونها جراء الاضطراب وما يسببه لهم من أذى، تتعدم لديهم الثقة بالنفس وتتمو عندهم مشاعر الامتناع والاستياء من الحياة وينتشر بينهم القلق انتشارا واسعا وذلك بغض النظر عن نوع الاضطراب الذي يعانون منه. ومن الطبيعي والمنطقي أن يؤثر ذلك على حياة الطالب ويجعل توافقه صعبا ومجهدا. غير أن هذه النتيجة وإن بدت متسقة ومتوافقة مع ما توصلت إليه العديد من الدراسات (أحمد عكاشة 1980، مدحت عبد الحميد 1990، غادة سليمان 1988) التي تناولت شخصية المصاب باضطرابات سيكوسوماتية، فإنها لا تبدوا كذلك مع ما توصل إليه محمود السيد أبو النيل (140.1994) من نتائج تؤكد وجود فروق دالة احصائية بين فئات الاضطرابات السيكوسوماتية المختلفة على محكات عديدة مثل الروح المعنوية والنواحي الانفعالية والتوافق في العمل والحوادث والاصابات والتمارض.....الخ

وربما كان هذا التضارب في النتائج التي أسفرت عنها الدراسة الحالية وتلك التي توصل إليها محمود السيد أبو النيل راجعا لعوامل تتعلق بطبيعة العينات وبالإطار الثقافي والاجتماعي الذي أجريت فيه الدراسات والذي يختلف من مجتمع لآخر.

وفي الأخير أقول بأن دراستنا هذه ستشكل اضافة واسهاما جديدا لما هو متوافر من أبحاث ودراسات تناولت الاضطرابات السيكوسوماتية في علاقتها ببعض أبعاد التوافق كدراسة غادة سليمان العتيبي (1988) التي ركزت على التوافق الدراسي دون الأبعاد الأخرى، ودراسة محمود السيد أبو النيل (1994) التي اهتمت بالجانب المهني للتوافق فقط. ومع ذلك فما زال هناك الكثير من التساؤلات المتعلقة بهذا الموضوع الحيوي والتي تحتاج إلى المزيد من البحوث والدراسات خاصة في مجتمعنا الذي تعرض لهزات عنيفة كانت وراء انتشار الكثير من الاضطرابات السيكوسوماتية والانفعالية.

المقترحات:

في ضوء نتائج البحث يقترح الباحث ما يأتي:

1- اجراء المزيد من البحوث والدراسات حول موضوع الاضطرابات السيكوسوماتية لما لهذا الموضوع من أهمية على الصحة النفسية ولا سيما أن مسببات هذه الاضطرابات في مجتمعنا آخذة في الازدياد والتنوع والانتشار.

2- اجراء المزيد من البحوث والدراسات حول أوضاع الطلبة المضطربين سيكوسوماتيا بجميع فئاتهم لمعرفة ما يواجهونه من مشكلات أيا كان نوعها سواء أكانت صحية أو انفعالية أو عاطفية أو دراسية أو غيرها، وهذا للاستفادة من نتائجها في وضع توجهات مستقبلية مناسبة لهم وإزالة الكثير من العقبات التي تعمل على اعاقهم على التحصيل والتفوق.

قائمة المراجع:

باللغة العربية:

- 1- أبو النيل، محمود السيد. (1985). علم النفس الصناعي. مصر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- 2- أبو النيل، محمود السيد. (1994). الأمراض السيكوسوماتية. المجلد الأول. مصر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- 3- أبو النيل، محمود السيد. (1994). الأمراض السيكوسوماتية. المجلد الثاني. مصر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- 4- المشعان، عويد سلطان. (2000). التفاوض والتشاور وعلاقتها بالاضطرابات النفسية الجسمية وضغوط أحداث الحياة لدى طلاب الجامعة. مجلة دراسات نفسية. المجلد العاشر، العدد الرابع.
- 5- الزيايدي، محمود. (1964). دراسة تجريبية عن العلاقة بين التوافق والتحصيل الدراسي لدى مجموعة من الطلاب الجامعيين. رسالة دكتوراه في علم النفس، جامعة عين شمس: مصر.
- 6- عكاشة، أحمد. (1080). الطب النفسي المعاصر. (ط4). مصر: مكتبة الإنجلو المصرية.
- 7- علي، كاميليا وعبد الخالق، أحمد. (1981). العصائية والانبساط والنضج الاجتماعي لدى مرضى الربو الشعبي. المجلد الأول. القاهرة.
- 8- زهران، عبد السلام. (1977). علم النفس النمو الطفولة والمراهقة. (ط4). القاهرة: عالم الكتب.
- 9- سليمان العتيبي، غادة. (1988). علاقة الأعراض السيكوسوماتية بالتوافق الدراسي لدى الطلاب المراهقين. رسالة ماجستير في علم النفس، جامعة عين شمس: مصر.
- 10- مختار، حمزة. (1976). ارشاد الآباء والأبناء. (ط2). القاهرة: مكتبة الخانجي.
- 11- عبد المعطي، مصطفى حسن. (1984). دراسة العوامل النفسية المرتبطة ببعض الاضطرابات السيكوسوماتية لدى المراهقين. رسالة دكتوراه في علم النفس، جامعة عين شمس: مصر.
- 12- يوسف، عبد الفتاح. (1992). العلاقة بين الرعاية الوالدية كما يدركها الأبناء وتوافقهم وقيمهم. مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد العشرون، العدد 4/3.

باللغة الاجنبية:

- 1-Hunsaker, P et Cook, C. (1986). Managing Organizational behavior. Mass ; Addison. Wesley publishing company.
- 2-Miitscherlick, Alexander. (1987). the mechanism of Biphasic defence in psychosomatic disease. international journal of psychoanalysis, vol 49.
- 3-Tang, j et Hammontree, M. (1992). the effects of hardiness, police stress and life stress on police officers illness and absenteeism. public personnel management.

الجسد والعناية الصحية به في رحاب حضارات الماء: قراءة أنثروبولوجية لعادات الاغتسال في التراث المتوسطي

أ. بن عبد الله زهية

باحثة بالمركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ،

علم الانسان والتاريخ

CNRPAH

Abstract:

Beyond its vital importance, water plays a major role in the rituals of body maintenance. From an anthropological point of view, as well as religious and moral, water means fertility, beauty, cleanliness and purification. Although a collective "water-phobia" existed during the medieval times, it did not prevent the Hammam or steam bathing tradition from surviving in the Mediterranean basin. The practice was known since antiquity when the Greek and Roman civilizations idealized the human body. Under the Ottoman Empire, the Hammam remained a temple of spirituality and aesthetics thanks to the moors who gave it a style and an architecture which is appreciated in North Africa up until today.

Résumé:

Au-delà de son importance vitale, l'eau occupe une place majeure dans les rituels de l'entretien du corps. D'un point de vue anthropologique, religieux et moral, l'eau est fertilité, beauté, propreté et purification. Bien que l'époque médiévale ait connu une « phobie collective » de l'usage de l'eau, cela n'a pas entièrement entravé la tradition du bain dans le bassin méditerranéen, incarnée dans la pratique du « hammam ». Connue depuis l'antiquité par les civilisations qui ont idéalisé le corps telles que la civilisation grecque et la civilisation romaine, l'espace du hammam n'a cessé d'être un monument de spiritualité et d'esthétique sous la gouvernance ottomane grâce au savoir-faire des maures qui lui ont donné un style et une valeur architecturale connue au Maghreb jusqu'au jour d'aujourd'hui.

الملخص :

على غرار كونه اكسير الحياة، يشغل استعمال الماء في ممارسات العناية الصحية بالجسد دورا أنثروبولوجيا مهما في مزاول طقوس الطهارة والنظافة الموحى بها دينيا واجتماعيا انطلاقا من نظرة أخلاقية إلى الجسد. وبالرغم من أن العصر الوسيط عرف "رهاب جماعي" من استعمال الماء، إلا أن هذا الاستثناء، لم يكن ليؤثر على حضارة الماء المعروفة منذ القدم في المحيط المتوسطي والمتجسدة من خلال فضاء الحمام. فمما لا شك فيه، أن فضاء الحمام قديم، قدم الحضارات التي مرت من هناك والتي قدست الحياة، الجمال والجسد، كالحضارة الاغريقية والرومانية، إلا أن الحضارة الاسلامية أضافه له بعدا روحيا وجمالا معماريا ألبسه حلة اسلامية من خلال اليد العاملة الأندلسية العارفة بثقافة الماء والتي أعطته شكله المغربي الحالي.

الكلمات المفتاحية : أنثروبولوجيا الجسد، العناية الصحية بالجسد، استعمال الماء، رهاب الماء، الحمام، العصر الوسيط، حضارات المتوسط، ...

مقدمة:

يعد الماء عنصراً حيوياً من أجل توازن النظام الكوني. وإلى جانب دوره البيولوجي والجيولوجي في الحياة، يلعب الماء أيضاً دوراً اجتماعياً وأنثروبولوجياً كبيراً، فهو عصب الحياة ومصدر نشأة المجتمعات والهوام معتقداتها. ولذلك، فأغلبية التجمعات البشرية تستقر أمام أول نقطة للمياه، حول الآبار والينابيع¹، لأجل شربها وغذاءها ولتدبير شؤونها اليومية. ولذلك، فهو على الدوام رهان ومصدر صراع اقتصادي وسياسي وثقافي.

من جهة أخرى، وفي المخيال الشعبي، يرتبط الماء كذلك بتمثيلات الألوهة وبقصص وأساطير الخلق والبدائية وبتمثلات الجسد، الخصوبة والجمال، ولذلك فإن له رمزية كبيرة وقوية في صناعة الذات الاجتماعية والمعتقدات الدينية. في هذا الشأن، يعد الماء مادة ضرورية لأجل التخلص من كل نجس ودرن، إما لأجل إقامة شعائر العبادة أو لأجل الزينة. وبالتالي، فإن للماء ارتباطاً وثيقاً بطقوس التطهير وممارسات الاغتسال والاستحمام.

I. مفهوم العناية الصحية بالجسد وارتباطاته بحقول الطهارة والاغتسال:

1. مفهوم العناية بالجسد موضوع المقال

بما أن الجسد في تجدد مستمر، فالعناية به، هي الحرص على صيانتها بما يحفظه ويجنبه التلف والهلاك، ويكون ذلك من خلال سلسلة من الممارسات الصحية أولاً ثم الجمالية ثانياً التي تعزز مكانته الإنسانية والحضارية. في هذا الإطار، تقول « Christine Detrez » أن العناية بالجسد في مفهومها العام، "تجمع الممارسات اليومية، من غداء ورياضة وزينة، وممارسات صحية وأخرى جمالية..."، وكل ما يرتبط بالسلوكيات المتعلقة بالحياة اليومية التي تحدد نمط معيشة الفرد « l'hygiène de vie »². من خلال هذا التعريف، يصبح مفهوم العناية بالجسد يشمل مفهوم المظاهر الجسدية التي تخص ما هو "طبيعي، بيولوجي، خلقي، بشري (من بشرة)"، وتخص ما هو "ثقافي، مختلق، غلافي"، لباساً للجسد.

مما تقدم، تعتبر العناية الصحية بالجسد، ممارسات ثقافية مختلقة تسمح بصيانة الجسد البشري البيولوجي عن طريق سلسلة من الممارسات التي تسعى إلى تنظيفه وتطهيره وتنزيهه من كل القاذورات والافرازات والفضلات التي ينتجها خلال دورته الحياتية. وعلى عادة الشعوب والأمم، تكون هذه الصيانة باستعمال الماء.

1. الطهارة والنظافة والاغتسال: مفاهيم واحالات اجتماعية

من خلال تحديد مفهوم العناية الصحية بالجسد، ظهر لنا جلياً، عدم كون كل من مفهوم "الاغتسال"، "الاستحمام"، "النظافة" و"الطهارة"، من المفاهيم المتطابقة المعنى وإن كانت تبدو كذلك. ذلك أن جسد الإنسان مراتب تحددها مجموعة من الأعضاء، تجتمع تحت مساحة جلدية، تعتبر بمثابة الغلاف للجسد، حيث من خلالها يتحدد مفهوم "الجسد - البشرة" أي « le corps – peau ». وبالرغم من أن مفهوم الاغتسال، قد يفيد تعميم الماء على كامل هذا الجسد، إلا أنه قد يفيد تخصيص عضو دون آخر، بعكس مفهوم "الاستحمام" الذي يفيد تعميم كافة الأعضاء. وفي اللغة العربية، غسل الرجل المرأة، يغسلها غسلًا، يعني جامعها، وبالتالي الغسل هو النكاح. "وغسل الرجل امرأته لأنه إذا جامعها أحوجها إلى الغسل"³. ولذلك نجد في العالم العربي اليوم أن كلمات "اغتسل وذهب إلى الحمام وتحمم واستحم، تعني ممارسة الجنس"⁴، أو نية ممارسته.

أما الطهارة، فهي نوع خاص من النظافة. يقول فؤاد إسحاق الخوري أن "الطهارة" نظافة سماوية إلهية مقدسة تفرضها الشرائع وترعاها الأديان. والنجاسة، على العكس من ذلك، نوع خاص من القذارة التي تحرّمها الأديان وتدعو

إلى تجنب ممارستها⁵. وهذا يعني أن الطهارة والنجاسة طرفا نقيض لمدلولات جسدية موحى بها دينيا، كما تشير إلى ذلك النصوص الإلهية المقدسة. وتقابل الطهارة والنجاسة في عالم الإنسان فكرتا النظافة والقدارة. الأولتان مرتبطتان بالحياة الميتافيزيقية أي "بالروح"، والثانيتان مرتبطتان بالحياة الفيزيقية، أي بالجسد المادية. "فالاعتسال قبل الصلاة طهارة وبعد المجهود العضلي نظافة، ويبقى الاعتسال اغتسالا. وبغض النظر عن مدى الأوضاع الذاتية التي تعكسها كلتا الكلمتان، لا يمكن إدراك مفهوم النظافة والنجاسة، إلا بالحس المباشر والإدراك بالعيان ورؤية ما توحى به المظاهر الجسدية"⁶. وعلى كل ليست الطهارة مجرد تقنية في النظافة الجسدية، بل هي بحث دائم عن الروحانية. فالطهارة تعتبر وتعبّر عن انتباه دائم للجسد ولوظيفته الفزيولوجية، فهي تعكس نمط حياة وحضارة تفرض نفسها انطلاقا من نظرة أخلاقية إلى الجسد⁷.

في تعريف « Roger Caillois » للطهارة والنجاسة، يقول: لقد شكلت لفظنا "طاهر ونجس" غطاء لشئ أنواع المتعارضات. لكنهما، مع ذلك، لا تزالان تثيران أصداء ممنعة في التمييز ترجعها مجالات استخدامهما بنسب متفاوتة، ... فالطاهر (...) هو ما لا تختلط ماهيته بشيء يفسدها أو يشينها"⁸. كما تعني الطهارة في الوقت نفسه، الصحة والبأس والبسالة والحظ والعمر المديد والمهارة والغنى، والسعادة والقداسة. في حين تجمع النجاسة، بين الضعف والجبن والبلالة والعجز وتعس الحظ والفقر والتعاسة والهلاك⁹. والنجاسة لا توجد في حد ذاتها ولكن الإنسان من يخلقها.

نتيجة لهذا التميز نجد أن البشرية عرفت نوعين من الاعتسال: الاعتسال الذي يقصد به العناية بالجسد، والاعتسال الذي يقصد به التعبد وطقوس العبور الديني. وكلاهما مختلف من حيث الشكل والوظيفة وتقنيات الاعتسال. فمثلا معابد الحضارات القديمة، غالبا تحتوي على فضاء للاعتسال الطقوسي، الذي يكون بغطس الجسد كاملا في الماء. ذلك الغطس المقترن والمستوحى من خروج الإنسان إلى الحياة كيوم ولدته أمه، بعدما كان مغمورا بماء رحمها.

يرتبط مفهوم الطهارة والاعتسال مسليا وإيتيمولوجيا بالمفهوم الديني، حيث نجد في المفهوم اللاتيني عبارة "القيام بالاعتسال" "faire sa toilette"، لها أصول دينية. حيث أن كلمة "تواليت" "toilette" المتداولة اليوم، قد عرفت هي الأخرى منذ مطلع القرن الرابع عشر، عدة تطورات، حيث كانت تعني في البداية قطعة القماش التي يستعملها القساوسة من أجل مسح أيديهم فيها، وكانت تسمى « toaille » أو « toailette ». وبتطور المعنى، أصبحت تعني قطعة القماش التي توضع على المائدة، ثم بعدها امتد المفهوم ليعني فعل اللباس والتزين. وخلال القرن التاسع عشر، أصبح هذا المفهوم يعني مجموعة من النشاطات التي تخص الجسد، ومنها: فعل التمشيط، الاعتسال، .. وعندما تكون في عبارة "الذهاب إلى التواليت" « aller au toilette » ، فذلك يعني، فعل التبول، والتغوط. وبالتالي فمن الملاحظ أن مجموع هذه النشاطات المتعلقة بالعناية بالجسد، لها أصل ديني¹⁰.

تاريخيا، يرتبط مفهوم الطهارة والنجاسة والاعتسال، بمفهوم الايمان والاعتقاد والطقوس. لذلك نجد جل المعابد القديمة وحتى الجديدة منها تحتوي على فضاءات مائية للاعتسال الطقوسي الذي يقصد منه التعبد والتقرب، ومثال على ذلك: المعابد الرومانية القديمة، المعابد الهندوسية... وبينما نجد عند المسلمين الاعتسال التطهري يجمع في مكان واحد بين حالة التدنيس وحالة التقديس، حالة التدنيس التي يرجى منها حالة التقديس، نجد عند اليهود، تميز ما بين حمام المتعة المدنسة الذي عادة ما يجري يوم الجمعة تهيؤا ليوم السبت، وبين الحمام التعبدية المقدس "المكفاه" « Miqveh ».



صورة رقم 02 توضح حمام المكفاه
حديث الطراز



صورة رقم 01 توضح "مكفاه" بيت
المقدس

II. أهم المحطات التاريخية للحمام في التراث المتوسطي¹¹:

بعد أن زاول الإنسان ممارساته الاغتسالية تحت الشلالات وفي الانهار والوديان والبحار، وجميع مجاري المياه الصافية، فكر في وسيلة أكثر عملية وحضارية تمكنه من ذلك كلما أراد أن يستحم، ومهما اختلفت ظروفه المكانية أو الزمانية (تعاقب الليل والنهار)، أو المناخية. من هنا خلقت فكرة تشييد عمارة للاستحمام والاغتسال، تسمح بتخزين المياه وبالتحكم في درجة حرارتها.

1. "الحمام العام": فضاء واحد، مصطلحات متعددة

من خلال الوثائق والمراجع، وحتى من خلال الممارسات اللغوية الجارية، نجد أنه يطلق على "الحمام العام" تسمية "الحمام التركي" (Le bain turc) أو الحمام المورسكي (Le bain maure) وذلك نسبة إلى الحمامات التي شيدها الأتراك أو المورسكيون، في العهد العثماني. فكثيراً ما إستعان الأتراك بالمورسكيين الذين نبغوا في فن العمارة وأساليب توزيع وصرف المياه، وتهيأت السدود والجسور، وخصوصاً بناء الحمامات.

في هذا الصدد تقول فضيلة كريم: " وتجدر الإشارة إلى أن كلمة "حَمَّام" تترجم إلى اللغة الفرنسية بعبارة "حمام مورسكي" أي " Bain Maures"¹². ونحن نجد أن هذه الصفة والنعت غير كاملي الدقة، بما أنهما منسوبان إلى فترة زمنية متأخرة لها علاقة بالمرحلة التي طرد فيها المسلمون الأندلسيون من اسبانيا، وليس بصفة هذا الفضاء، كموضوع ممارسة. لكن الأمر من ناحية التمييز والتخصيص لا الأصل، صحيح. في حين نجد أن ترجمة هذا الاسم إلى لغات أخرى، تتحدث أكثر عن وظائفه ومميزاته الوظيفية، مثل حمام البخار، حمام التعرق « Étuve »، باعتباره فضاء ساخن ورطب، كثيف البخار.

من هذا، يظهر لنا أن التعريف الثاني هو الأشمل، حيث أن الناس يرغبون في الحمام الذي يسهل لهم عملية التعرق الاغتسال. أما التعريف الأول، فيغيب المراحل التاريخية التي عرفها هذا الفضاء، والتي مجدت فيها ثقافة الجسد، كالحضارة الاغريقية، الرومانية، البيزنطية والإسلامية. والتي على ممر العصور، أسهمت في تطور مفهومه وعمرانه وممارساته الاجتماعية.

كما نجد في الممارسات الاجتماعية، عند العامة من العالم العربي الإسلامي، تسمية "حمام السوق" بمعنى "الحمام العمومي"، ليميز بينه وبين الحمام الخاص الذي يهيا في البيت". ولأنه من المؤلف في العمارة الإسلامية أن تتوسط الحمامات الحواضر، بأن تشيد بجوار المساجد والأسواق والفضاءات الاجتماعية الحضرية الأخرى. ولذلك، كانت النسوة (ولحد اليوم) تفضلن التردد على هذا النوع من الحمامات، لأن التردد عليها يجمع بين متعة العناية بالجسد ومتعة الخروج إلى الفضاء العام لأجل التسوق.

2. في رحاب حضارة الماء: ممارسات الحمام وتمثلاتها عبر التاريخ

مما لا شك فيه، أن فكرة الحمام في شمال إفريقيا بالعموم، وفي الحيز المغربي بالخصوص، تعتبر قديمة، قدم الحضارات التي مرت من هناك والتي مجدت الحياة، الجمال والجسد، كالحضارة الاغريقية والرومانية. إلا أن الحضارة الإسلامية أضافت لها بعدا روحيا وجمالا معماريا ألبسها حلة عربية اسلامية. ولقد زادت اليد العاملة الأندلسية العارفة بثقافة الماء تحت الحكم العثماني، بهاء ورونقا، أعطاهما شكلها المغربي الحالي.

يعود موقع "قرقوان /التونسي"، إلى 200 سنة قبل الميلاد. وقد كان مزود بشبكة لقنوات الصرف، وقد صممت به المغاسل الفردية على شكل قباقيب إفرنجية، من أجل تسهيل عملية الاغتسال للفرد البونيقي¹³. أما في الجزائر، وحسب مؤلف أصدرته وزارة الثقافة، فقد كانت كل من "سكيدة" و"تيمقاد" تملكان أربعة عشر حماما. وكانت "القيصرية"، أي "شرشال"، تتوفر على ثلاثة حمامات من الطراز الفخم، كل منها تبلغ مساحته أكثر من ثمانية الآلاف متر مربع، مدعم بركائز مصنوعة من الغرانيت¹⁴. "ولقد ذكر "هيرودوت" أن حمام البخار، أي "الحمام"، كان معروفا في القرن الخامس قبل الميلاد¹⁵."

لقد كانت كل من الحضارة الاغريقية والرومانية اللتان اشتهرتا بنظرتيهما المثالية للجسد، رائدتان في فنون تشييد الحمامات العامة، حيث كان من العادة وقتها، أن يأخذ هذا المعمار موقعا استراتيجيا بالنسبة للعرمان، مثله مثل منزل الحاكم والمعبد والسوق التجاري والملاعب الرياضية والمسارح...، حيث كانت المدينة تُخطّط من قبل بنائها على أساس تقاطعي ثابت لا يتغير. في هذا الوقت، لقد كانت الحمامات تأخذ مكانا محوريا في الحاضرة، نظرا لاستعمالاتها المتعددة، فقد كان الرومان مثلا، يقيمون شؤون حياتهم اليومية في هذه الفضاءات، من اغتسال وترفيه ومزاولة لطقوس الحب وتدبير للسياسة، وأخذ لدروس الفلسفة والعلم والفن، ... وهذا ما زرعه كلتا الحضارتان بتوسعهما في كامل منطقة البحر الأبيض المتوسط.

1.2 الحمامات وممارسات الاغتسال في الحضارة الاغريقية:

من خلال العديد من الشواهد التاريخية، عرفت الحضارة الاغريقية بتقديسها لشهوات الحياة وكل ما له علاقة بمتعة الجسد والعناية به. ولقد عرف اليونانيون القدامى بحب الاستحمام في المياه الجارية الطبيعية، كالبحر، والأنهار ومجاري المياه. ولقد كان أطفال "سبرتا" يستحمون في البحيرات حتى في أيام الشتاء الباردة.

عندما ظهرت الحمامات العمومية الساخنة في "أثينا" بداية من القرن الخامس قبل الميلاد بالتقريب، لم تكن مفتوحة لعامة الناس، بل كانت حكرا على الأقلية من النخبة، ولم يكن مسموحا لكافة أهل "سبرتا" بأخذ هذا النوع من المتع، إلى أنه مع مرور الوقت أصبحت هذه الممارسة الخاصة بالعناية الصحية بالجسد، أكثر شعبية ومفسوحة لكافة الاغريق. وقبل أن يستساغ الاغتسال بالماء الساخن، كان الناس لا يمانعون وقتها، من الاغتسال بالماء البارد، إما عن طريق الغطس، أو عن طريق أخذ "دش" بسكب الماء على الجسد من الأعلى، حيث كان الرجال والنساء يتجردون من ملابسهم، عراة، تحت نواير المياه المتدفق بغية الاستحمام. ولقد كانت هذه التقنية في الاغتسال وقتها، تشكل ممارسة من ممارسات الحمامات الجماعية، حيث كان الماء يتدفق من فوهة بعض التماثيل التي تجسد بعض الحيوانات المفترسة، كالأسود والنمور والخنازير. وكانت هذه "الدشات" في داخل المباني، عبارة عن أحواض كبيرة، يمكن حتى السباحة فيها¹⁶. وقتها لم تكن فضاءات الاستحمام هذه، مهيأة لتسخين المياه، بل كان يغتسل بالماء على حاله، أو يسخن تقليديا، ويوضع في خزانات مخصصة لذلك.

يذكر "هوميروس" أو "Homère" أنه قبل أن تشتهر حمامات البخار كمرافق عمومية، ويعرف الناس مزايا الاغتسال فيها، كانوا يسخنون الماء على النار مباشرة، في ركن مخصص من المنزل، في أحواض توضع فوق ركيزة ثلاثية القوائم¹⁷. أما أحواض الاستحمام المستطيلة الشكل والتي تشبه أحواضنا الحالية، فقد كانت مصنوعة وقتها من

الطين المشكل أو من الطوب الملبس، إلا أنها لم يكن لها فتحات لتفريغ الماء المستعمل "vidange"، بل كانت تملئ وتفرغ باليد.

من ممارسات الاغتسال في البيت حينها، أن المرأة هي التي كانت تحمم الرجل. فلقد كانت الخادמות والعشيقات يساعدن أسيادهن وخالنهن على الاغتسال، يسكب الماء على عواتقهم. ومن طقوس حسن الضيافة، كان العبيد يغسلون أرجل المدعوين ويديهم قبل الدخول إلى قاعة الأكل، ثم يسعون إلى تجفيفها بكرات صغيرة من لب الخبز، لا القماش¹⁸. وبما أن الاستحمام والاعغتسال كان يتم ليلاً، قبل تناول وجبة العشاء، فلقد خلقت علاقة لغوية، بين ممارسة استعمال الماء، وهذه الوجبة، لتصير الواحدة كناية على الأخرى. فعبارة "أخذ حمام" prendre un bain، تعني "أذهب لأتناول العشاء"، والعكس صحيح.

2.2 الحمامات وممارسات الاغتسال في الحضارة الرومانية:

لقد اقتبس الرومان حمامات البخار من الإغريق في آخر عهد جمهوريتهم، كما أخذوا منهم فكرة أحواض الاستحمام، ومختلف تقنيات مزج الماء الساخن والبارد. وكانت هذه الحمامات في حوالي القرن الثاني والثالث بالتقريب في روما تدعى "بالنيوم" أو بالنيريا « Balneum / Balneria ». وقد كان من مظاهر تأثير الإغريق على الرومان، ممارسة العري والتجرد من كامل الملابس حين الاغتسال، والاعغتسال في الهواء الطلق ولا شيء يستر أجسادهم الرجال أمام النساء¹⁹. وقد كان في عاداتهم، من الصعب أن يتعري الولد البالغ أمام أبيه، والصهر أمام والد زوجته، لكن سرعان ما تغيرت هذه الأوضاع. تقول « Jocelyne Bonnet » : « وبالرغم من محاولات القياصرة منع الحمامات المختلطة، إلا أن ذلك لم يؤثر على انتشارها وتكاثرها، لكونها تجارة رابحة. وقد كانت النساء تدفع أكثر من الرجال من أجل الدخول إلى هذه الفضاءات، أما الاطفال فلم يكونوا يدفعون شيئاً. وكان الناس يفرطون في الاغتسال الذي كان يتعدى الستة أو الثمانية مرات في اليوم، أو مرتين عند أعقل الناس، الأمر الذي أدى إلى نقشي الزنى، والعديد من الممارسات الجنسية الاباحية والشاذة كاللواط والسحاق والغلمانية... إلخ

في دراسة جامعية له، يخبرنا الدكتور "عبد المالك عبد الرحمن السعدوي" في كتاب يدور موضوعه حول العلاقات الجنسية عبر التاريخ، أنه قد انتشرت في روما قديماً أشكال عديدة من الممارسات الجنسية اللاشرعية والمنحرفة، بدرجة لم تعرفها مدن أخرى وقتها. يقول: "وكانت الحمامات مواضع لإرضاء شهوات النساء والرجال...²⁰، حيث كانت توجد فيها غرف خاصة لممارسة البغاء"²¹.

3.2 الحمامات وممارسات الاغتسال في صدر الحضارة الإسلامية:

على منوال العمران الروماني، كانت "الحمامات العامة" في الحضارة الإسلامية، تشيد بقلب الحاضرة لتشكل نقطة عبور مركزية في الحياة الاجتماعية، حيث كانت تشيد بقرب من المساجد والأسواق والمقاهي التي كانت تتوسط المدينة²². يقول "عمر كارلبييه" : "ابتداء من القرن السابع، أصبحت فكرة الحمام تترسخ أكثر فأكثر في قلب الحضارة الإسلامية كفن للعيش. فقد تناولها الخلفاء في العهد الأموي من عند "البيزنطيين" وجعلوها من روعة الحياة الدمشقية، ثم بعد ذلك نقلوها إلى بغداد عن طريق العباسيين، الذين أبدعوا في فن عمارتها وطقوس ممارستها"²³.

لقد عرفت ممارسة "الحمام" في الحضارة الإسلامية²⁴، مراحل قوة ومراحل ضعف، مراحل متقطعة ومراحل مستمرة. إلا أنه مع مطلع القرن الثاني عشر، وبتوسع الحكم الإسلامي في مغارب الأرض ومشارقها، عرفت هذه الممارسة عودة قوية، وأصبحت من الممارسات الأكثر أهمية في حياة الرجل والمرأة على حد سواء، حتى أصبحت قيمة الحاضرة ودليل رقيها وازدهارها يعرف بعدد حماماتها. حيث تشير المراجع التاريخية، أنه ببغداد وحدها كان هنالك ما يقارب ثلاثة آلاف 3000 "حمام".

فلقد امتازت "ممارسات الحمام" في فترة الحكم العباسي، بأنها كانت مشهدة من مشاهد الترف والبذخ، حيث امتاز هذا العهد، بالانغماس في ملذات الحياة ومصاحبة الجواني والسرايا وتنوع العلاقات الجنسية وتعددتها. ولذلك هيأ أصحاب السلطان في قصورهم العديد من المرافق الفاخرة لممارسة فنون الجنس، ومن بين هذه المرافق، حمامات القصور. حيث أن هذه الحمامات كانت روعة في الجمال، من حيث الهندسة المعمارية ومن حيث الجداريات التي كانت تعرض العديد من الرسوم الخليعة لمظاهر العري والممارسات الجنسية مع الجواني والغلمان.

أما عامة الناس وقتها، فقد كانت لهم حماماتهم الجماعية الخاصة التي كانوا يترددون عليها، والتي بخلاف حمامات القصور، كانت تحافظ على الآداب العامة (من حيث احترام الضوابط الشرعية في عدم الاختلاط ما بين الجنسين). وربما تكون « Jocelyne Bonnet » تقصد هذه الحمامات حين قولها بأن الحمامات في الحضارة الإسلامية، لم تكن تتصف بالرفاهية ومرافق المتعة التي أحيطت بها الحمامات الرومانية²⁵.

إذا كان هذا هو موقف الحضارات القديمة من استعمال الماء في عادات اغتسالها واستحمامها، فلم يكن هذا حال كل الشعوب عبر العصور. ففي القرون الوسطى، نتيجة الحروب وتقشي الأمراض والأوبئة، وتراجع القيم الأخلاقية بسبب تردي الأوضاع الاجتماعية والسياسية، أخذت ممارسات العناية الصحية بالجسد شكلا آخر، واستثناءات مغايرة لعاداتها وتقنياتها.

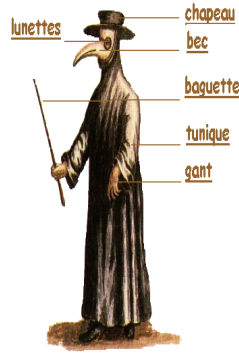
3. "رهاب الماء" والاعتزال به في العصر الوسيط:

1.3 مجافات الاعتزال في أوروبا عامة:

تجمع كتب التاريخ، الانثروبولوجيا والسياسيولوجيا، على أنه كان للأوروبيين في العصر الوسيط، موقف مميز وغير مألوف من عادات استخدام الماء للعناية بالجسد، أي من القرن الخامس عشر إلى القرن الثامن عشر. في هذا الوقت، حيث تقشي الطاعون، وسادت الأمراض والأوبئة، أفرزت الممارسات الثقافية والمعتقدات، معطيات مختلفة ومتباينة التمثلات حول مفهومها للجسد وكيفية العناية به.

لقد سجلت هذه المرحلة من التاريخ، علاقة من نوع آخر مع الذات، ومع المجتمع. في هذا الوقت، ألغت أوروبا ثقافة الماء، بسبب تقشي الأمراض ومنها وباء الطاعون الفتاك "La peste"، الذي حصده العديد من الأرواح، وأعاد تشكيل تمثيلات الناس حول ممارساتهم الصحية للعناية بأجسادهم، حيث يؤكد « Georges Vigarello » أن فترة العصر الوسيط²⁶، قد كانت بمثابة مرحلة "لصقل السلوكيات الاجتماعية العامة"²⁷.

ففي هذه الفترة من الزمن، أصيب الناس "بفوبيا اجتماعية" أي "رهاب جماعي" من استعمال الماء خصوصا الماء الساخن، وكان ذلك، بسبب تقشي وباء الطاعون. حيث كان يعتقد أن الماء الحار يسمح بتمدد مسام البشرة، الأمر الذي يجعلها قادرة على نقل مسببات المرض الموجودة في الهواء، والتي حتما تنفذ إلى البدن من خلال أديم الجسد فتفتك به. ولهذا السبب، كان الناس يتحاشون ممارسات الاعتزال والاستحمام. وقتها، كان الناس يجتنبون الاستحمام بالماء، وخصوصا الماء الساخن، لأنهم كانوا يعتقدون أن ذلك فيه خطورة كبيرة على صحتهم، لأن هذه العملية بالنسبة لهم تفتح الجسد للهواء، وبالتالي يصبح عرضة لتسرب الطاعون إليه²⁸.



صورتان رقم 03 و 04 توضحان البدلة التي كان يرتديها الأطباء من أجل الكشف

على مرضى الطاعون تحرزا من العدوى

وبما أن فضاء "الحمام" هو الذي يوفر هذا الجو من الرطوبة والحرارة، فقد هجر الناس الحمامات وأصبحت خالية. وبتفاهل وباء وانتشاره، منع حاكم منطقة باريس سنة 1450 الناس نهائيا من التردد على أماكن الاغتسال بالماء. وفي القرن السادس عشر، أصبح غلقها رسميا. وهذا ما دفع الكثير من المفكرين إلى اعتبار أنه في هذه الفترة من الزمن، كان هنالك تراجع للقيم الصحية المتعلقة بالنظافة²⁹.

جراء تفاهل وباء الطاعون، أصبحت العناية بنظافة الجسم جد معقدة، فلقد اختفت ممارسة الاستحمام نهائيا في أوروبا ما بين القرن السادس عشر والسابع عشر، حيث أغلقت جميع فضاءات الاستحمام، وحتى عمليات غسل الأطراف التي كانت تمارس بالبيت، امتنع الناس عنها، ريثما يجدون البديل.

في ظل هذه الظروف، ولأجل التخلص من الافرازات الجسدية ولأجل التنزه منها، استعمل الناس وقتها موادا كثيرة وتقنيات متعددة بديلة عن الماء، فلجؤوا إلى التعفير بالتراب، أو الاغتسال بسوائل زيتية أو كحولية أو استعمال مواد أخرى أكثر غرابة : كالدّم، الملح، البول، الرماد، الرصاص، أو شمع العسل³⁰... كما استبدلت تقنيات الاستحمام والاعتماد بتقنيات التعطر، وفرك البشرة على الجاف بقطعة من القماش، والحرص على ارتداء الساتر من اللباس...

فنتقنيات التعطر كانت تقتضي أن تسمح الأعضاء بشدة ويوضع عليها العطر من أجل طرد الروائح الكريهة من الجسد. وكان شعر الرأس يعالج باستعمال البدرات، ثم يعطر بالعطر، من أجل القضاء على روائح المزعجة وإفرازاته الدهنية الكريهة. أما الوقاية من خلال لبس النظيف وستر الجسد، فقد كانت تمارس عن طريق الحرص على نظافة الثوب والتغيير المنتظم للملابس، التي يشترط فيها أن تكون طويلة وساترة، وعلى أن تكون ناعمة القماش في الصيف (كالستّان والحريير) أو خشنة وسميكة في الشتاء (كالصوف، القطيفة، القطن والفراء)،...

جراء الابتعاد عن استعمال الماء في عمليات الاغتسال والنظافة، وبسبب خروج الناس عن المألوف في عنايتهم بأجسادهم، تفشت العديد من الأمراض الجلدية الناجمة عن تراكم الافرازات الجسدية والأوساخ، حيث نقش "القمل" في رؤوس الناس وفي كامل أجسادهم، في المناطق الجنسية وتحت الإبطين. حيث أصبح "قَلْيُ الشعر" "L'épouillage" ممارسة اجتماعية محبوبة، يقول عنها «George Vigarello» أنها كانت تعتبر عادة حضارية ورمز للوداعة واللين. حيث يذكر أنه في القرن الرابع عشر في "مونيتو" كما في غيرها من الضواحي الأوروبية، كانت ممارسة "قَلْيُ الشعر"، تمارس يوميا في أماكن متعددة من البيت وبين شخصين تربطهم علاقات مودة أو سيادة: "حيث كانت الخليلات "تقلي" رؤوس عشاقهن، والخادما "تقلي" رؤوس أسيادهن، وكانت البنات "تقلي" رؤوس أمهاتهن، والحموات "يفلين" رؤوس أصهارهن... وفي زاوية المنزل قرب النار، أو في الفراش،..."³¹ وعلى ما يبدو أن هذه الممارسة كانت ممارسة أنثوية، تقوم بها المرأة وليس الرجل³².

ومع الوقت، لم يعد استعمال الماء مرخصاً، إلا في حالات نادرة، كغسل اليدين والفم فقط. وإذا كان من الضروري الاستحمام (بعد شهور طويلة من الامتناع)، فقد كان يمارس تحت عناية مشددة، بإشراف من الطبيب، وبممارسات لباسية خاصة، وبشرط عدم مبارحة الفراش لمدة قد لا تقل عن الأسبوع. وبقي الوضع على ما هو عليه حتى مطلع الثلث الثاني من القرن الثامن عشر، حتى ظهور المجتمع البرجوازي.

في الحقيقة، لم يعرف الأفراد عودة ثانية لنقائيد استعمال الماء في عاداتهم الصحية تجاه أجسادهم، حتى تراجع وباء الطاعون، حيث أصبحت فكرة الاستحمام تعرف تقبلاً شيئاً فشيئاً في عادات الأوروبيين الصحية، ولم تعد تخيفهم. وكان هذا مؤشراً جديداً لعلاقة مختلفة مع "الجسد". فقد كان البحث وقتها عن "الجسد المتميز" هو هدف غالبية أفراد هذا المجتمع، ومنه التميز في استعمال وسائل وتقنيات جديدة للعناية الصحية بالجسد، ولذلك كانت العودة لاستعمال الماء³³. حيث في منتصف القرن الثامن عشر، أصبح الاستحمام ممارسة تدل على رفاهية لا تنعم بها إلا الخاصة. فبداية من سنة 1761، أصبحت أوروبا تقر مزايا الاستحمام بالماء الساخن، وبدأت تشجع فتح الحمامات العامة، التي كانت في الأول حكراً على النخبة وأصحاب النفوذ، بسبب غلاء أجرة هذه الممارسة.

2.3 مجافة الاستحمام في شبه الجزيرة الأيبيرية خاصة:

لقد كان الفضل في بعث فضاء "الحمام" وتجديده في شبه الجزيرة الأيبيرية، يعود إلى قدوم أحد الأمراء الأمويين، لكن بتقشي الطاعون، حذت "إسبانيا" موقف "روما وفرنسا" من الماء، وعزفت عن استعماله في عنايتها الصحية. وبسقوط غرناطة تحت يد الملك "فرناند" والملكة "إزابيلا"، زاد الأمر سوءاً، حيث أصدر حاكمو البلاد مرسوماً ملكياً، يمنع منعاً باتاً استعمال الحمامات العامة، وتوعدت الأسرة الحاكمة كل من يخالف هذا المرسوم بالإعدام. لم يكن هذا الموقف لإسبانيا، موقفاً متعلقاً بممارسات الماء فحسب، لكنه كان أعمق من ذلك بكثير. فقد كان الهدف الرئيسي من وراءه، هدف سياسي الغرض منه تحطيم رموز الثقافة والدينية للمورسكيين المسلمين، والقضاء على عاداتهم الاجتماعية الشديدة الارتباط بحضارة الماء، وبالتالي التوصل إلى قهرهم واضطهادهم وضرب معاقل هويتهم. في هذا الإطار تقول «Jocelyne Bonnet»: «ولقد كان العرب هم الذين أسهموا في إعادة إحياء عادة استعمال الحمامات الرومانية في أوروبا، حيث أنه في قرطبة وحدها، كان هنالك ثلاثة مائة حمام عام، بدون عد حمامات المنازل... ولكن بالاسترداد الصليبي لإسبانيا، دمرت الحمامات العربية، ومنعت عادات استعمالها، لأجل استئصال العادات المورسكية، لا لموقف مخالف لعادات النظافة»³⁴. لهذا السبب، ظلت الحمامات في إسبانيا، طيلة عقود كاملة من الزمن، مغلقة لسبب بسيط، هو كونها ترمز "للعادات الموريسكية"، المتمثلة في استعمال الماء، وخاصة منها عادات الاستحمام³⁵.

إلا أنه بعد تشريدتهم ونفيهم إلى مشارف القارة الأفريقية سنة 1609، ودخولهم تحت لواء الحكم العثماني، وجد المورسكيون في المدينة المغاربية الاستقرار، وتشابهها ثقافياً مع عاداتهم المعيشية، خصوصاً مع قيم المالكية في الطهارة والنظافة. ولذلك ساهموا مساهمة كبيرة في تطوير عادات استعمال الماء ونبغوا في ازدهار مرافقها.

4. ممارسة الحمام في التراث المغاربي: ظروف انبعاثها وتطورها

تجمع كتب التاريخ، على أنه في العهد العثماني وصل "فضاء الحمام" إلى قمة روعته من حيث الجماليات وفن العمارة، بفضل المهندس "سنان"، مهندس السلطان سليمان في "جروس"، ثم في "سطنبول". ففي الوقت الذي اختفى فيه الحمام في الغرب في القرون الوسطى، تأكدت وترسخت ممارسة الحمام في البلاد الإسلامية. وبينما نجد في هذه العصور، "الملك سولاي" «Le Roi Soleil»، يفزع من الماء، ولا يحب رؤيته إلا في أحواض قصوره الكبيرة، نجد في "توب كابية" (تركيا) العكس، حيث كان "حمام البخار" جزءاً هاماً من العالم السياسي، الديني والثقافي.

لقد لعب الأتراك دورا مهما فيما يخص النظافة العمومية خصوصا في مدن الكبرى، حيث بمساعدة الأندلسيين الذين كان لهم باع طويل في تقنيات تصريف المياه وإنشاء الجسور المائية، طوروا كل الجوانب الصحية للحياة. ففي الجزائر مثلا، لقد كانت نظافة المدينة من مهام هيئة خاصة يترأسها "قائد الزبل" والتي كان من واجبها جمع النفايات المنزلية، وصيانة قنوات تصريف المياه المستعملة³⁶. أما فيما يخص الحمامات، فلقد كانت الجزائر الوسط وحدها تحتوي على ستون (60) حمام تركي، وكانت حمامات تلمسان وقسنطينة هي الأكثر شهرة. وتؤكد "نبيلة شريف صفاج" على هذا الازدهار قائلة: "من القرن السادس عشر، إلى القرن التاسع عشر اشتهرت مدينة الجزائر بعدد حماماتها المهم وبكفاءة نظامها في الري وتعبيد مسالك تزويد المدينة بالماء"³⁷.

وهذا ما نجده أيضا من خلال الدراسة التي أجراها "محمد الطيب عقاب"، حيث يقول أن مدينة الجزائر كانت تتوفر خلال العهد العثماني على حمامات عديدة وخاصة داخل القصور، ومما يؤسف له، أن السلطات الاستعمارية الفرنسية، قد حولتها إلى غرف، حيث استعملتها مكاتب لإدارتها، أو أزالها تماما. يقول: "كما فعلت ذلك مع قصر الحمراء، حيث لم تبقي من حماماته، إلا جزءا صغيرا. ولقد ساعدنا بقاء القبة على سطح القصر، على معرفة أين كانت هذه الحمامات"³⁸. وعن وصف هذه الفضاءات يقول:

"إن حمامات القصور تختلف من قصر لآخر، فمنها من يتوفر على غرفة واحدة، ومنها من يحتوي على غرفة أو ثلاث،... ومهما يكن، فهي بسيطة من حيث مخططاتها، مع أن هندستها على جانب كبير من الدقة. وكان لموقع التهوية أهمية خاصة، فكانت تجعل للحمام أربعة فتحات بالتناوب على أضلاع القبة المثمنة، وربما كانت تجعل له فتحة كبيرة مستديرة في وسط القبة، تغطي بقرص يرفع عند الرغبة في التهوية"³⁹.

تتميز هندسة "الحمام" في العهد التركي، بأسلوب تهيئة مميز، جعل هذا الفضاء، موطنا للحرارة والرطوبة. وهذا هو السر الذي جعله فضاء مهما في حياة الناس. إنها الحاجة إلى الدفء والتعرق، من أجل حسن عمليات الشطف والفرك. فقد اهتم المعماريون وقتها كثير الاهتمام، بتأمين درجة حرارة مناسبة لكل قاعات الحمام. فاتخذ تدابير كل ما من شأنه أن يحافظ على درجة حرارة الماء، من جهة، ومن جهة أخرى، كل ما يضمن المحافظة على جو حار، عبر تسخين الجدران الداخلية لهذه العمارة. حيث توزع هذه الحرارة، بفضل "الفرنّاق"، الذي يعرف كذلك "ببيت النار"، والذي يجهز تحت أرضية الحمام. ويحتوي على "الأتون" وهو موقد نار الحّمّام، وكذلك على "المرجل" والمعروف بالنحاسية في تونس والحلة في الشام. كما يحتوي أيضا، على خزانات المياه الباردة والحارة، حيث تندفع منه لتتوزع داخل الحّمّام بواسطة سواقي رخامية أو فخارية أو رصاصية أو حتى خشبية "فتجري المياه حسب دورها مكشوفة أو تحت الأرض أو في الجدران"⁴⁰.

يقول محمد عقاب في مجال هذه التهيئة العمرانية: "فقد كان الماء يوضع في خزانات كبيرة ويوزع بأقنية من الفخار أو الرصاص، لينقل إلى أحواض صغيرة من الرخام، مثبتة على الجدران. تلك الأرضية التي تحتوي على شرايين فارغة، وهي مرفوعة فوق ركائز (في حجم قطر الأجر)، والتي كانت تسمح بمرور بقايا الاحتراق وتوزيع درجات معينة من الحرارة. أما المدخنة، فكانت لتصريف البقية الباقية من هذا الدخان إلى المدخنة المركزية"⁴¹. وفي حمامات القصور كانت تهئ الوحدات المعيشية، بالقرب من الحمام، لتدفئة القاعات الأخرى، كبيوت النوم والمراحيض،... كما هو الشأن بالنسبة لقصر خديوج وقصر حسن باشا"⁴².

من جهة أخرى، وما عدى استغلال الحمامات في خدمة العناية الصحية للجسد، كانت هذه الأخيرة تؤدي وظائف اجتماعية أخرى. حيث كان أصحابها يستغلون فرنّاق الحمام موقدا لطهي الطعام. فكانت النار التي تسخن الحمام، هي ذاتها التي يستفاد منها لطهي طعام الأعراس والمناسبات الكبيرة. وحسب "كارلييه"، كان الناس يأتون إلى الحمام من أجل طهي اللحم، مقابل ما أجرته "واحد ونصف" ببسيطا، إذا كان الأكل كثيرا. ومقابل قرش واحد، إذا كان "الطاجين"

متوسط الحجم. وفي ذلك كان الواحد يوصي بطهي طعامه على نار متوهجة، والآخر على نار قليلة⁴³. وكان عمال الحمام هم الذين يحرصون على ذلك. ومن هنا سميت "الطَيَابَة" التي تفرك أجساد الزبائن، "طيابة"، لأنها من جهة كانت تقوم بشؤون مستعملات الحمام من نقل لأمتعتهم ولماء اغتسالهم، ومن فرك وتلييف لأجسادهم، ومن جهة أخرى، هي التي كانت تحرص على طهي طعام الزبائن على الفرناق.

لقد كان الحمام ولا يزال ملهم جمال وصحة وعلاقات اجتماعية وموطن خصب وخيال. إنه بمثابة المعبد الذي يقدس فيه الجسد من خلال العلاقة القدسية بالماء. حول هذا الموضوع تقول "زناد تراكي بوشارة" في شهادة لها حول أعمال الفنان "عثمان خضراوي"⁴⁴: "غريب الاحساس الذي ينتابنا في الحمام: فالحرارة التي تنشط دورتنا الدموية، تؤثر على أرواحنا ومخيلاتنا. فالحمام هو معبد جسد الانسان: المدني، المسلم، الطاهر والنظيف، ومن جهة أخرى هو أيضا مكان للأحلام، أين تهرب بنا ملكة الخيال بعيدا، بعيدا جدا إلى عوالم غامضة، أين الإرادة والمجتمع يختفيان خلف ستار البخار الكثيف ويتيهان في عالم النسيان... أين نحس ذواتنا أقرب من أنفسنا، من أجسادنا المتعريّة، أين نحس أنفسنا لبضع ساعات، لا ننتمي إلى أي مكان، لنذهب بعدها مطمئنان، خاضعات وسعيدات"⁴⁵.

الهوامش:

¹MOLEY, Christian (1987), « La place de l'eau dans l'espace domestique », In : Kaj Noschis (dir.), Architecture et Comportement, Lausanne, Vol. 3, n°. 2, p. 103.

²DETREZ, Christine, (2002), La construction sociale du corps, Paris, Seuil, p. 131.

³ محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي (السنة غير واردة)، لسان العرب، بيروت، دار صادر للنشر، ج. 15، ص. 228.

⁴ السحيتري بن حنيرة صوفية (2008)، الجسد والمجتمع: دراسة أنثروبولوجية لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد، تونس، دار محمد علي للنشر، ص. 186.

⁵ الخوري، اسحاق (1997)، أيديولوجيا الجسد: رموزية الطهارة والنجاسة، بيروت، منشورات دار الساقى، الطبعة الأولى، ص. 13.

⁶ نفس المرجع.

⁷ السحيتري بن حنيرة، صوفية (2008)، الجسد والمجتمع، سبق ذكره، ص. 189.

⁸ كابوا روجيبه (2010)، الانسان والمقدس، ريشا سميرة (ترجمة)، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، ص. 53، 54.

⁹ نفس المرجع.

¹⁰ مثل كلمة "لافابو" اللاتينية - "lavabo"، التي كانت تفيد معنى التسامح عند القساوسة، ثم في القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر، ارتبطت بالنساء غاسلات الملابس في مجاري ومنابع المياه وفي الأحواض المخصصة لذلك. لتدرج في الأخير، لتصبح تعني المغسلة الموجودة في الحمام لأجل غسل الأطراف. في:

BONNET Jocelyne (1990), « L'hygiène corporelle », In Poirier Jean (dir.), Encyclopédie de la pléiade, « Histoires des mœurs », France, Gallimard, Tome I, p. 602.

¹¹ لا نقصد من خلال هذا الطرح، المرور بكامل المراحل التاريخية التي شهدتها تطورات ممارسة الحمام، لكن المراد التطرق للبعد الأنثروبولوجي لأهم المحطات التي ازدهرت فيها هذه الممارسة والتي كان لها أثر تاريخي بالغ.

¹² كريم فضيلة (2007)، "الحمامات: موجز تاريخ الحمامات"، يوسفى حضرية (ترجمة)، الجزائر، منشورات دحلب، ص. 33.

¹³ المرجع السابق، ص. 10.

¹⁴ وزارة الثقافة، (1983)، شرشال، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ص. 60.

¹⁵ كريم فضيلة، الحمامات، مرجع سبق ذكره، ص. 10.

¹⁶ BONNET Jocelyne (1990), « L'Homme et le parfum », (1990), In Poirier Jean (dir.), Encyclopédie de la pléiade, op. cit., p. 608.

¹⁷ Ibid, p. 603.

¹⁸ Ibid.

¹⁹ Ibid, p. 609.

²⁰ إن هذه الاباحية الجنسية التي سادت في المجتمعات الماقبل - اسلامية والتي اتخذت "الحمامات" فضاءات لها، هي التي جاء التحذير منها من قبل الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، خوفا من أن تنقش مثل تلك السلوكيات المنافية لقواعد العفة والأخلاق في المجتمعات التي جددتها الاسلام.

²¹ السعدوي عبد الرحمن عبد المالك (1975)، العلاقات الجنسية غير شرعية وعقوبتها في الشريعة الإسلامية، بغداد، مطبعة الارشاد، القسم الأول، ص. 50.

²² في هذا الإطار، يرى "عماد صولة، أن مسألة "الوسط العمراني"، مسألة نسبية، غير ثابتة. فيقول: "يقال أن المساجد دائما تقع في قلب النسيج العمراني للمدينة الإسلامية العتيقة، وأن كانت في الحقيقة، جغرافيا، لا تقع دائما في الوسط. لأن الفضاءات المقدسة تخضع لتراتبية هرمية تبدأ بمركز واحد يحتل رأس الهرم تتدرج تحته مجموعة من النوى الفضائية المقدسة الأخرى، التي تتكاثر لتبلغ أوج كثافتها عند القاعدة، حيث المزارات المقدسة الصغيرة ذات الاشعاع المحدود، والتي بدورها تعد بمثابة المركز بالنسبة للنسيج العمراني الذي تقع فيه". في : صولة عماد (جوان 2005): "سيرورة الرمز من العتبة إلى وسط الدار: قراءة أنثروبولوجية في السكن التقليدي التونسي"، في إنسانيات، وهران، عدد 37، ص. 09.

²³ CARLIER, Omar (novembre- décembre 2000), « Les enjeux sociaux du corps : le hammam maghrébin (XIX- XX siècle) », Annales HSS, Lieu pérenne, menacé ou recréé, coll. Histoires, sciences sociales, n° 6, p. 1303.

²⁴ بالإضافة إلى العامل الجغرافي، ومن خلال توسع الإمبراطورية الرومانية، انتشرت ثقافة تشييد "الحمامات" في العديد من بلدان البحر

الأبيض المتوسط، من مشارق الأرض إلى مغاربها.

²⁵ BONNET Jocelyne (1990), « L'Homme et le parfum », (1990), In Poirier Jean (dir.), Encyclopédie de la pléiade, op. cit., p. 635.

²⁶ من خلال كتابه "القدر والنظيف: نظافة الجسد منذ العصور الوسطى"، يقوم «George Vigarello» بالتطرق لموضوع "الجسد" la « thématique du corps » من خلال بعد العناية الصحية به وأشكالها في ظل غياب استعمال الماء. في هذه الدراسة، يتكلم عن تمثيلات القذارة والنظافة في الغرب في الفترة الممتدة ما بين القرن 16 عشر إلى القرن 18 عشر. في أربعة أجزاء مقسمة إلى عناوين رئيسية وثانوية. يعود الكاتب إلى النقاط الأساسية في التاريخ التي حددت أشكال العناية الصحية للجسد ووسائلها من أجل القضاء على الأدران و النجاسات من دون استعمال الماء . في:

VIGARELLO, Georges (1985), Le propre et le sale : l'hygiène du corps depuis le Moyen Age, Paris, Seuil.

²⁷ Ibid., p. 10.

²⁸ Ibid., pp. 23 - 35.

²⁹ Ibid., p. 17.

³⁰ Ibid., p. 25.

³¹ Ibid., p. 50.

³² DETREZ Christine (2002), La construction sociale du corps, op. cit., p.134.

³³ انظر بن عبد الله، زهية (2005)، الجمال والجسد الانثوي: التمثيلات والممارسات، مقارنة سوسيو-أنثروبولوجية حول التزين وممارسات العناية بالجسد، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير، يزلي بن عمر (إشراف) ، كلية العلوم الانسانية، قسم علم الاجتماع، الهوية والتغير الاجتماعي (تخصص)، جامعة وهران ، ص. 27.

³⁴ BONNET Jocelyne (1990), « L'Homme et le parfum », op. cit., p. 635.

³⁵ كريم فضيلة (2007)، "الحمامات: موجز تاريخ الحمامات"، سبق ذكره، ص. 23 - 24 .

³⁶ <http://www.cmtlemcen.org/index.php?>

³⁷ CHERIF SEFFADJ, Nabila (2005), Les bains d'Alger durant la période ottoman (XVI –XIX siècle) Histoire, Topographie et études urbaines, Thèse de doctorat en Histoire de l'Art, Université de Paris IX .

³⁸ عقاب محمد الطيب (1985 / 1986)، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني : دراسة أثرية معمارية مقارنة، رسالة الدكتوراه، بورويبة رشيد (إشراف)، معهد الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، ص. 85.

³⁹ نفس المرجع الآنف الذكر .

⁴⁰ وزيري يحي (السنة غير واردة)، موسوعة العمارة الإسلامية، مصر ، مكتبة مدبولي، ص. 140.

⁴¹ عقاب محمد الطيب، نفس المصدر السابق، ص. 87.

⁴² نفس المصدر، ص. 90.

⁴³ CARLIER Omar (novembre- décembre 2000), « Les enjeux sociaux du corps : le hammam maghrébin (XIX- XX siècle) », op. cit., p. 1312.

⁴⁴ عثمان خضراوي فنان تونسي، مختص في النقش على خشب النخيل، وقد أنتج مجموعة فنية من أشكال أبواب الحمامات التونسية.

⁴⁵ BOUCHRARA, TRAKI, Zannad(1992), in PELINQ Lizbeth et THUAUDET Anne, Le Hammam d'Othman KHADRAOUI, Tunis, CÉRÈS, p. 50. Voir aussi: BOUCHRARA Traki, Zannad (1994), Les lieux du corps en Islam, Paris, Publisud.

تسويق محتوى الصحف و الإقناع في الرسالة الإعلامية

د. بغداد باي عبد القادر

مدير معهد العلوم الاجتماعية والانسانية
المركز الجامعي غليزان (الجزائر)

Abstract:

In an attempt to achieve practical experience and recruitment of academic achievement in the light of the research results finding in the field of information sciences and communication, the graduating university also annually from tires in the field of journalism and the media and even breaking into graduates other disciplines of the professions which has become nicknamed profession trouble . on the other hand , professions which are influenced in their performance on their writing , press releases media as an area with a number of different factors which can be objective ones. Some of them are within the organisation which works out on outside, stemming from the foundation's website. The other wind of factors are associated with the character –based contact, the later take many forms : self pressure, professional, administrative, authoritarian, legislation, and the influence of groups of different interests . so, this may classify this study into two axes : social aspects and professional ones .

KeyWords : Performance Professional- Professionalisation- Practice - Redaction.

المخلص:

في محاولة موضوعية لتأصيل الخبرة العملية وتوظيف التحصيل الأكاديمي في ضوء ما توصلت إليه نتائج البحوث في ميدان علوم الإعلام والاتصال، وما تخرجه الجامعة كذلك سنويا من إطارات في مجالات الصحافة والإعلام، وحتى اقتحام خريجي التخصصات الأخرى لهذه المهنة التي أصبحت تلقب بمهنة المتاعب. ومن جهة أخرى تأثر الأداء المهني أو الكتابة الصحافية بالإعلام كمجال، بالعديد من العوامل الموضوعية، سواء كانت هذه العوامل داخل المؤسسة التي يعمل بها أو خارجها، نابعة من موقع المؤسسة، وعوامل أخرى مرتبطة بشخصية القائم بالاتصال تتخذ أشكالا عديدة: ضغوط ذاتية، مهنية، إدارية، سلطوية، تشريعات، الجماعات والنقود والمصالح المختلفة، وقد صنفت هذه الدراسات إلى محورين: جوانب اجتماعية وأخرى مهنية.

الكلمات المفتاحية: الأداء المهني –المهنية –الممارسة –التحرير الإعلامي.

مقدمة:

دفع احتدام المنافسة بين المنابر الصحفية في الساحة الإعلامية، هيئات التحرير في الصحف إلى التفكير في آليات وتقنيات جديدة في صياغة المضامين الإعلامية، وتسويقها لجمهور القراء، من خلال انتهاز أساليب معينة في معالجة المواد الإعلامية، والتركيز على تلك التي تتماشى مع ميولات ورغبات الملتقى وتشكيل اهتماماته. ويشكل المحتوى الإعلامي، محور اهتمام القائمين على الصحف، حتى أنه يتسبب في كل مرة في تغيير السياسة الإخبارية المنتهجة من طرف رؤساء التحرير، الذين يعمدون إلى التنوع في طرائق معالجة المواد الإعلامية، وإخراجها على الصفحات، من أجل ملامسة الجوانب النفسية للقراء باستثارة عواطفهم، وخلق الرغبة لديهم في مطالعة محتوى هذه الجرائد. وتهتم أقسام التحرير في الصحف، بالأخبار الخفيفة الساخنة والمتنوعة، التي تحمل الإثارة و

الخروج عن المألوف و كذا طابع التراجيديا، على غرار جرائم القتل و السرقة و الفضائح الأخلاقية، و كل ما يتعلق بمشاهير الفن و الرياضة و الساسة و رجال المال و الأعمال... فمثل هذه الأخبار أثبتت التجارب أنها أكثر مقروئية لدى شرائح كبيرة لدى المجتمع، من المواضيع الجادة، التي تعالج قضايا سياسية أو اقتصادية أو دينية... إلا أن مضامين الصحف في الألفية الثالثة لم تعد تقتصر على نوعية الأخبار السالفة الذكر، بل تعداها إلى معالجة مواضيع تأخذ طابعا تسويقيا لصورة المؤسسة الإعلامية نفسها، من خلال نشر مواضيع تتناول نجاحاتها، كإيراد تفاصيل الحصول على سبق صحفي في جال معين، و كيف استطاع طاقم التحرير الوصول إلى معلومات خطيرة، و الصعوبات التي واجهها، و ردود الفعل التي خلفها نشر مثل هذه المواضيع، و هو ما يؤدي إلى خلق نوع من الإثارة بهدف جلب جمهور القراء، و هناك طرائق أخرى يعتمد عليها القارئون على الصحف، من أجل تعزيز مكانتها في الساحة الإعلامية، كذكر أرقام السحب و التوزيع التي وصلت إليها، و الجوائز التي حصدها و التكريمات التي حظيت بها، من طرف هيئات و منظمات رسمية و غير رسمية، و أحيانا تلجأ بعض الصحف إلى تغطية تظاهرات و نشاطات رياضية فكرية و اقتصادية و حتى خيرية شاركت فيها، أو نشر إشهارات تحمل رسالة تسويقية عنها، بهدف غرس صورة إيجابية عنها لدى أفراد المجتمع. فإلى أي مدى تؤثر أساليب تسويق المحتوى الإعلامي على قراء الصحف؟ وهل بإمكانها إقناع المتلقي بالرسالة التي يحملها المضمون الصحفي؟

التسويق... من بيع المنتجات إلى "ترويج" البضاعة الإعلامية...

لم يعد التسويق حكرا على المجال الاقتصادي، بل امتد ليشمل حقولا أخرى كالسياسة والإعلام، وتغلغل في الحياة الاجتماعية، حتى غدا نشاطا لا يمكن الاستغناء عنه، للتأثير غي أفراد المجتمع وتغيير أفكارهم وسلوكياتهم. ومن الناحية اللغوية فإن التسويق: " هو ترجمة لكلمة Marketing الانجليزية، المشتقة من الكلمة اللاتينية Mercatus التي تعني السوق، التي تقابلها كلمة Market في الانجليزية، وتعني أيضا المكان الذي يلتقي فيه البائع بالمشتري. وإذا أضيف لهذه الكلمة مقطع ing تصبح Marketing التي تعني الاستمرارية في وجود السوق"،⁽¹⁾ أما اصطلاحا: هناك عديد التعريفات لمفهوم التسويق الذي تطور على مر التاريخ وطراً عليه عديد التغيرات، حيث ارتبط في البداية بالنشاط الاقتصادي، وفي هذا الصدد نجد تعريف دروكر (Drucker)، الذي يرى أن التسويق هو النشاط الذي "يهدف إلى زيادة حجم المبيعات بالارتكاز على الزبون وانطلاقاً من معرفته وفهمه في نقطة يمكن للمنتج أن يرضيها".⁽²⁾

في حين يعرف كوتلر (Kotler) التسويق بأنه "الميكانيزم الاقتصادي والاجتماعي الذي يسمح للأفراد والجماعات بإرضاء رغباتهم من خلال خلق منتجات ذات قيمة وتبادلها".⁽³⁾ اللجنة الأمريكية للتسويق تحدد بدورها مفهوم التسويق وترى بأنه "يستوجب التخطيط ووضع قيد التنفيذ والدراسة مجموعة من العوامل: خلق المنتج، التسعيرة، الترويج، التوزيع لفكرة، منتج أو خدمة تسعى على إرضاء رغبات الجماعات وكذا الأفراد".⁽⁴⁾

والتسويق ليس مجرد دعاية وبيع. بل هو عملية معقدة تتأقلم مع كل منتج أو فكرة أو خدمة جديدة، بهدف إشباع رغبات الزبائن، وفي هذا السياق يظهر تعريف آخر للتسويق على أنه: "نظام متكامل ومستمر يبدأ بدراسة حاجات ورغبات الزبائن وينتهي بدراسة ردود فعلهم تجاه السلع والخدمات التي قدمت لهم".⁽⁵⁾

و تعرف الجمعية الأمريكية للتسويق A.M.A التسويق بأنه "مجموعة الممارسات التجارية اللازمة لتوجيه، و إرشاد السلع و الخدمات، عند تدفقها من المنتج إلى المستهلك أو المستخدم".⁽⁶⁾ و يرى يورام وبند أن نشاط التسويق كفكر و ممارسة ما هو "إلا سلسلة من الأنشطة و الفعاليات و الرؤى و الاستراتيجيات و التكتيكات الهجومية و الدفاعية التي تختص بآلية انسياب السلع و الخدمات من موقع إنتاجها أو توافدها إلى أماكن استهلاكها أو استخدامها و الاستفادة

منها، و كذلك جميع الأنشطة السابقة للإنتاج و اللاحقة للاستهلاك و الاستخدام، و التي تتعلق بالبحث عن الحاجات و تشخيصها في محاولة لإشباعها".⁽⁷⁾

ولم يقتصر التسويق على الميدان الاقتصادي، بل تعداه إلى الجانب الاجتماعي، حيث ظهر المفهوم الاجتماعي للتسويق، الذي " يبنى على فرض أساسي مفاده أن على المؤسسة أن تحدد حاجات ورغبات الأسواق التي تتعامل فيها، و ان تعمل على التكيف معها بما يمكنها من إشباع تلك الحاجات و الرغبات بشكل أكبر فعالية وبتأثير أكبر من المنافسين، وذلك باعتبار المستهلك جزء من المجتمع".⁽⁸⁾

ويتضح من خلال هذا التعريف، أن التسويق يركز على مصلحة الفرد والمجتمع التي ينبغي أن تكون فوق كل اعتبار وعلى المؤسسة التي تمارس النشاط التسويقي أن تولي أهمية لهذا الجانب، أثناء الاستجابة لحاجات ورغبات المستهلكين التي تتصادم في مرات عدة مع المصلحة العامة.

و يعرف معهد الزمالة التسويقي التسويق بأنه: "عملية الإدارة المسؤولة عن تحديد و معرفة و توقع و إشباع حاجات الزبائن بربحية".⁽⁹⁾ و هناك تعريف واقعي للتسويق على أنه: "مجموعة من الوسائل التي تتوفر عليها المؤسسات من أجل بيع منتجاتها لزبائنها"، و يركز هذا التعريف على ثلاث مصطلحات و هي البيع، المنتجات، الزبائن.⁽¹⁰⁾ فالتسويق يهدف إلى تحسين المنتج و تطويره من أجل الاستجابة إلى حاجات و رغبات المستهلكين، كما يقدم المسوقون معلومات عن السوق، التي تنشط فيها مؤسساتهم من أجل التعرف على الزبائن الحاليين و المستهدفين لاحقاً، و يساهمون في خلق الفرص، التي تمكن من مضاعفة المبيعات، و في حال كساد المنتجات و نفور الزبائن منها، يجد رجال التسويق أنفسهم مجبرين، على مواجهة هذه الصعوبات و إيجاد الحلول لها. ويسعى أيضا التسويق إلى نمو المؤسسة عبر اكتساح السوق ومضاعفة المبيعات، وخلق وحدات إنتاجية لمواجهة الطلب على السلع، والأخذ بعين الاعتبار المنافسة مع باقي المؤسسات، مما يؤدي إلى إطلاق استثمارات جديدة للحفاظ على مكانتها في السوق، وضمان بقائها واستمراريتها.

و قد تغلغل التسويق في الحياة السياسية في القرن العشرين، خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تبنى الساسة في هذا البلد الأساليب نفسها التي اعتمدها مسوقو المنتجات الاقتصادية، فدرسوا احتياجات و رغبات الناخبين، الذين ينظر عليهم أنهم مستهلكين لمنتج سياسي، يعرض عليهم في الحملات الانتخابية، و خلق التسويق السياسي منفعة متبادلة بين التشكيلات السياسية و الناخبين، الذين يمنحون أصواتهم للأحزاب أو المرشحين مقابل حصولهم على المنافع التي وعدهم بها أولئك الذين حصلوا على أصواتهم، أثناء الحملات الانتخابية، و بهذا الطرح فقد غدا الناخبون أو الجمهور زبائن لبضاعة سياسية يقدمها مرشحون و رؤساء أحزاب، الذين يعملون على إشباع حاجات و رغبات زبائن بضاعتهم السياسية.

يعرف التسويق السياسي على أنه: "تحليل و تخطيط و تنفيذ و التحكم في البرامج السياسية الانتخابية، التي تضمن بناء العلاقات ذات المنفعة المتبادلة بين كيان سياسي ما أو مرشح ما و بين الناخبين، و الحفاظ على هذه العلاقة من أجل تحقيق أهداف المسوق السياسي" و هناك تعريف آخر للتسويق السياسي بأنه "تطبيق مبادئ التسويق و أساليبه في الحملات السياسية التي تقوم بها الكيانات السياسية أو الأحزاب أو الأفراد، و تتضمن هذه الأساليب تحليل السوق السياسي و تخطيط و تنفيذ الحملات السياسية"،⁽¹¹⁾ و هو مجموعة الأنشطة التي تستهدف تنظيم عدد المؤيدين لمرشح سياسي أو حزب أو فكرة أو برنامج معين، بما في ذلك الدعم المادي و الجماهيري باستخدام كافة وسائل الاتصال الجماهيري أو أي وسائل أخرى ضرورية.⁽¹²⁾

و يعد مفهوم التسويق الإعلامي، من الفروع الحديثة للتسويق، حيث يمكن تعريفه بأنه عملية التحليل و التخطيط و التنفيذ لترويج منتجات بالاستعانة بوسائل الإعلام، لتلبية احتياجات ورغبات الزبائن. وهو عبارة أيضا عن مجموعة

من العمليات والأنشطة، التي تمكن من إيصال الرسالة الإعلامية للمتلقى بهدف التأثير عليه وتغيير آرائه وسلوكياته. وحتى وسائل الإعلام التي كانت تروج لسلع وخدمات وأفكار مؤسسات ومنظمات أخرى، أضحت تروج هي الأخرى لبضاعتها الصحفية عبر المنابر الإعلامية، ونجد صحف في الجزائر عمدت في السنوات الأخيرة، إلى الترويج لنفسها من خلال تلك المواضيع المنشورة على صفحاتها، التي تتحدث فيها على إنجازاتها والنجاحات التي حققتها في الساحة الإعلامية.

تسوق المضمون الصحفي وخصائص المتلقي:

تعمل كل جريدة على جمع معلومات، تحمل بيانات عن قرائها، أعمارهم ميولاتهم ومراكزهم الاجتماعية، والمواضيع التي يقبلون على مطالعتها، ويظهر ذلك من خلال سبر الآراء التي تقوم بها، ورصد التعليقات والقراءات التي حضيت بها مواضيع معينة على موقعها الالكتروني، ما يؤدي إلى الخروج بتصوير عن طبيعة المواضيع التي تثير اهتمام القراء.

و يحمل المحتوى الإعلامي في الصحف، المتمثل في الأخبار و التقارير و الريبورتاجات و التحقيقات و الأعمدة الصحفية و المساحات الإشهارية... رسالة اتصالية تستهدف القارئ باعتباره المتلقي لهذه الرسالة، ما يستوجب على المحررين الصحفيين صياغة المضمون بطريقة جيدة، واضحة تراعي المستوى المعرفي و الثقافي للمتلقى، الذي يفسر الرسالة الإعلامية بناء على قدراته الفكرية، كما أن الاستجابة لها تتم وفقا للعوامل النفسية و الاجتماعية التي تميز الأفراد، فهي تدفعهم إلى انتقاء مضامين إعلامية، و تصرف انتباههم عن أخرى.

و لقد تناولت أبحاث كل من ملفين ديفلير وساندربول وروكيتش، عملية الاستجابة لدى المتلقى، من خلال نظريات الاختيار الانتقائي المرتكزة على أربعة مبادئ: مبدأ الاهتمام الانتقائي، مبدأ الإدراك الانتقائي، مبدأ التذكر الانتقائي، مبدأ التصرف الانتقائي، ويشير مبدأ الاهتمام الانتقائي، إلى الفروقات المعرفية، و مستويات التفكير لدى المتلقين، ما ينجر عنه تباين في درجة الاهتمام بالمضامين الصحفية، حيث لا يستجيب المتلقى إلى المواد الصحفية التي تكون درجة اهتمامه بها بسيطة أو منعقدة، في المقابل تشد انتباهه المواضيع التي يهتم بها، فالقراء المتابعون لأخبار الأندية الرياضية التي يناصرونها، تجدهم يقبلون على قراءة المواضيع، التي تتحدث عنها، من أخبار ترصد جديدها، و حوارات مع لاعبيها و مسؤوليها، أما أولئك المهتمون بالأخبار الخفيفة و المتنوعة، يطالعون تلك الأخبار التي تتحدث عن القتل و الاغتصاب و الفضائح الأخلاقية.

ويتعلق الإدراك الانتقائي بالجوانب النفسية لدى المتلقى التي تتحكم في تفسير الرسالة التي تصله، " فقاعدة الإدراك الانتقائي: هي أن لديهم صفات نفسية متميزة وتوجهات سلوكية خاصة بفئات محددة وانتماءات إلى شبكة اجتماعية، سيفسرون نفس المضمون الإعلامي بأساليب مختلفة".⁽¹³⁾

أما بالنسبة للتذكر الانتقائي، فلا يمكن للمتلقى أن يتذكر جميع المضامين الصحفية التي طالعها، و إنما يسترجع فقط تلك التي لها علاقة باهتماماته و رغباته، و ترتبط هذه العملية " بالتخيل و التذكر بمعنى قدرة العقل على استرجاع الصور التي حدثت في الماضي و تخيل صور لواقع لم يحدث"،⁽¹⁴⁾ و في ما يخص مبدأ التصرف الانتقائي فهو يشكل آخر مرحلة في التأثير على المتلقى، التي تقيم من خلالها الرسالة الإعلامية إن حققت الغاية المرجوة منها أولا؟ أي بإمكان الرسالة الإعلامية أن تغير أفكار المتلقى أو تدفعه للقيام بسلوكيات معينة.

أساليب الإقناع في الرسالة الإعلامية:

ارتبط مفهوم الإقناع بعملية تغير السلوك الإنساني. المرتكز في الأساس على الحاجات التي يسعى الفرد إلى إشباعها، كالأكل، الشرب، الراحة النفسية، أو المسائل التي يريد تفاديها كالقلق، والخوف، والغضب... و الإقناع لغة: "قنع بالكسر، يقنع قنوعا وقناعة إذا رضي، و قنعت لفلان يريد خضعت له، و أفنعتي كذا أي أرضاني".⁽¹⁵⁾ أما اصطلاحا يعرفه والاس بأنه: "تأثير المصدر في المستقبلين بطريقة مناسبة و مساعدة على تحقيق الأهداف المرغوب فيها، عن طريق عملية معينة، أين تكون الرسائل محددة لهذا التأثير"،⁽¹⁶⁾ و الاتصال الذي يهدف للإقناع و التأثير في الجماهير يسمى بالاتصال الإقناعي، و هو "الاتصال الذي يحدث عندما يوجه القائم بالاتصال - عن قصد- رسائله الإعلامية لإحداث تركيز مركز محسوب على اتجاهات و سلوك مجموعات معينة مستهدفة من الجمهور".⁽¹⁷⁾

وتقوم العملية الإقناعية في وسائل الإعلام على قدر كبير من التخطيط، وقد تناولت إسهامات ملفين ديفلير وساندرا بول روكيتش استراتيجيات الإقناع، وهي: الإستراتيجية السيكوندينامية، الإستراتيجية الاجتماعية الثقافية، إستراتيجية إنشاء المعاني.

تقوم الإستراتيجية السيكوندينامية على التأثير في العوامل الإدراكية لدى المتلقي التي تشكلت لديه بفضل مؤسسات التنشئة الاجتماعية، كالأسرة و المدرسة و المسجد...، حيث يلجأ الإعلاميون إلى تغيير البنى الإدراكية للأفراد، و في هذا الصدد تشير شيماء ذو الفقار زغيب إلى "أهمية المعنى الذي يعطيه المتلقي للرسالة، و من ثم فإننا إذا أردنا التنبؤ بتأثير رسالة ما على اتجاه فرد معين، فلا بد أن نعرف كيف يدرك هذا الفرد هذه الرسالة".⁽¹⁸⁾ و تركز الإستراتيجية السيكوندينامية على الجوانب النفسية للفرد، بغية إحداث عملية الإقناع و التأثير في سلوكيات المتلقي، و يعني ذلك أن هناك "افتراضا يشير إلى أن أداة الإقناع إنما تكمن في تعديل البناء السيكولوجي الداخلي للفرد، بحيث تؤدي العلاقة الدينامية السيكولوجية بين العمليات الداخلة الكامنة، و السلوك العلني الظاهر إلى أفعال يريدها القائم بالاتصال الإقناعي".⁽¹⁹⁾ و تؤثر الحاجات النفسية التي يسعى الفرد إلى تحقيقها في العملية الإقناعية، كالأمن و السكينة، لذلك يستوجب فهم الخصائص السيكولوجية التي يتميز بها الأفراد.

هذا ما يبين "أن الاتجاه السيكوندينامي للإقناع يؤكد على القوى الداخلية للفرد في تكوين السلوك، و ذلك باعتبار البناء الداخلي للنفس البشرية هو نتاج للتعليم، و هذا التأكيد هو الذي يجعل من الممكن استخدام وسائل الاتصال الجماهيرية لتعديل هذا البناء، بحيث يغير هذا السلوك".⁽²⁰⁾

وليست وحدها الخصائص النفسية لدى الأفراد هي التي تتحكم في العملية الإقناعية بين المرسل والمستقبل، بل نجد أن الجوانب الثقافية والاجتماعية لديها أيضا تأثير على المتلقي، وهنا تظهر الإستراتيجية الثقافية والاجتماعية التي تركز على العوامل الخارجية، المتمثلة في الثقافة التي تعتبر عاملا مهما في التحكم في السلوكيات الإنسانية، فهناك مجموعة من التصرفات لا يمكن تفسيرها، إلا إذا رجعنا إلى البيئة الثقافية والاجتماعية التي نشأ فيها الفرد، والتي تؤثر على طرائق تفكيره وتشكيل سلوكه.

وتساهم المضامين الإعلامية التي تنشرها الصحف في تنمية المعارف لدى الأفراد وإنشاء المعاني حول مسائل معينة، تشكل الصالح العام، حيث ترسم صورة إيجابية أو سلبية فلي ذهن المتلقي، وتقدم له مجموعة من الخيارات التي تمكنه من مواجهة المواقف التي تصادفه، كما تؤدي المعلومات المكثفة التي يتلقاها الأفراد من وسائل الإعلام، في تغيير أفكارهم وسلوكياتهم، وهنا تحقق الرسالة الإعلامية الأثر المرغوب فيه من عملية الإقناع والتأثير.

ويندرج هذا الطرح ضمن إستراتيجية إنشاء المعاني، التي تعمل بمبدأ تعلم واعمل، فالرسالة الإعلامية المقنعة وتؤدي إلى خلق معان جديدة أو تغيير المعاني القديمة، وهذه المعاني تؤدي إلى توحيد سلوكيات الأفراد. وهذا لا يتأتى

في نظر "جون نويل كابيرير إلا بقبول معنى الرسالة من طرف المتلقي، وذلك بمراعاة وضعيات الاتصال المختلفة المرتبطة بعوامل البيئة، الزمن، حضور أو غياب الجماعة...» (21)

وتهدف المضامين الإعلامية المنشورة على صفحات الجرائد إلى إقناع القارئ وتغيير أفكاره وسلوكياته، حيث يتبع المحررون الصحفيون أساليب لغوية مثيرة في كتابة مواضيعهم، قد تؤدي إلى استثارة عواطف المتلقي كذلك الكلمات المبسطة والمنقاة بعناية، التي يكون لها الأثر البالغ على نفسية القراء، أو تلك الحكم والأمثال الشعبية، السائدة في مجتمع من المجتمعات.

يلعب المخزون اللغوي الذي يتمتع به المحرر الصحفي، دورا بالغ الأهمية في عرض مواضيعه بطريقة جذابة و مشوقة، تخلق المتعة و الإثارة عند قراءتها، خاصة عندما يستخدم التشبيه و الكناية و الاستفهام و المحسنات البديعية كالطباق و الجناس، لقريب المعنى للمتلقي و شد انتباهه، و في مواضيع أخرى يوظف الكاتب الصحفي ألفاظا تحمل شحنة عاطفية مبنية على مشاعر الحب أو الكراهية لشخصية أو هيئة أو بلد معين...ولا يمكن للألفاظ المعبرة و المؤثرة في آن واحد أن تكون وحدها كافية لإقناع المتلقي بالأفكار التي يحملها المضمون الصحفي، بل لابد بالاستعانة بالأدلة و الشواهد المنطقية، المتمثلة في الأرقام و الإحصائيات و الوثائق...و يتولى الصحفيون المقتدرون ذوي الخبرة مهمة تحرير المواضيع الصحفية من ذوي الخبرة مهمة تحرير المواضيع الصحفية التي تتناول انجازات المؤسسة الإعلامية التي ينتمون إليها، في خطوة لتسويق صورتها و تعزيز مكانتها بين أفراد المجتمع، و يحرص هؤلاء المحررين أن تكون اللغة التي يكتبون بها مثل هكذا مواضيع أن تكون سهلة بسيطة و جذابة، و مفهومة بين أوساط القراء على اختلاف مستوياتهم الثقافية و التعليمية.

وترافق المواضيع الصحفية التي نتحدث عن انجازات الصحف، صورا بألوان جذابة ورسومات كاريكاتورية مثيرة، من أجل جلب انتباه القراء نحو المحتوى المنشور. كما يلعب توقيت نشر مثل هذه المواضيع دورا كبيرا في التأثير في جمهور القراء، حيث دأبت كثيرا من الجرائد في الجزائر على "الاستثمار" في تاريخ تأسيسها لتعد ملفا مؤلفا من مواضيع صحفية متنوعة ترصد مسيرتها، وما حققته من نجاحات والصعوبات التي واجهتها والقضايا الكبرى التي عالجتها.

من بين الصحف في الجزائر التي تركز على التسويق لصورتها عبر صفحاتها هي جريدة الشروق اليومي، التي تأسست في الفاتح نوفمبر 2001، حيث تعتمد في كل مرة الى إذاعة أخبار تتناول نجاحاتها، ويظهر ذلك في الخبر المنشور يوم السبت 22 ماي 2011، في الصفحة 23، من توقيع الصحفي تومي عياد الأحدي، وجاء فيه: " افكتت الجزائر والمغرب العربي ممثلة في شخص صحفي الشروق قادة بن عمار جائزة الصحافة العربية للشباب، في الدورة العاشرة لجائزة الصحافة العربية، الذي تسلم جائزته في حفل بهيج بفندق جرائد حياة بدبي من بين ي نائب رئيس مجلس إدارة الجائزة محمد بركات، وأرجع الإعلاميون الجزائريون والعرب، الذين نظموا احتفالية خاصة للشروق فوز الشروق، إلى مدى الاحترافية التي تتمتع بها، وإلى الاجتهاد وتقديم مادة صحفية ذات جودة للقارئ الجزائري والعربي عموما " (22).

جريدة الوطن الجزائرية الناطقة بالفرنسية، أعدت هي الأخرى طبعة خاصة ومجانية، مكونة من 32 صفحة، أصدرتها في 7 أكتوبر 2010، بمناسبة الذكرى العشريون من تأسيسها، ضمت مجموعة من المقالات والحوارات التي تحدثت عن انجازاتها منذ وجودها في الساحة الإعلامية في الجزائر، والصعوبات التي واجهتها، ونشرت في الصفحة الثانية مقالا لمدير النشر في الجريدة عمر بلهوشات، " في الصفحة 9 نشرت موضوعا حول السحب وتطرق الى الأرقام التي قدمها المركز الفرنسي " أوجيدي"، حيث كشف بأن السحب وصل في 2009 إلى 127078 نسخة يوميا"، (23) الصفحة الأخيرة حملت صورة مكبرة من المقر الجديد للجريدة، مرفقة بموضوع يحمل معلومات عن المشروع.

وفي سياق التسويق لصورة الصحيفة ومحتواها الإعلامي لجلب عدد كبير من القراء، باتت الصحف تستعين بالإشهار من أجل التعريف بها لدى القراء وحثهم على الاطلاع على محتواها، وكي تكون الرسالة الاشهارية ناجحة لابد أن تكون لها قدرة على جذب انتباه المتلقي وجعله يركز على ما تحمله من محتوى، واثارة الاهتمام لديه، من خلال اعتماد طرق فنية جذابة في تصميم الرسالة الاشهارية، وأحيانا يتطلب الأمر الخروج عن المألوف في خطوة لتحقيق التميز والازدهار وضمان التأثير في المتلقي. لذلك " يجب اختبار مدى نجاعة الإشهار الذي سيداع وتحديد مواطن التفاؤل المحتملة في نجاحه". (24).

خاتمة:

يتضح مما سبق، بأن نشاط التسويق في الألفية الثالثة، امتد إلى جميع الميادين، وتغلغل في الممارسة الإعلامية، بشكل لافت بسبب المنافسة الشديدة بين المنابر الصحفية المتواجدة في السوق الإعلامية، التي تنشأ هي الأخرى الربحية من خلال " البضاعة" الإعلامية التي تطرحها، مستهدفة بذلك جمهور القراء والمعلنين باعتبارهم زبائن في المقام الأول، حيث باتت الصحف تستعين بتقنيات التسويق من أجل ترويج بضاعتها الإعلامية، المتمثلة في تلك الأخبار والريپورتاجات والتحقيقات والحوارات الصحفية التي تنشرها على صفحاتها، وأضحى التركيز منكباً على دراسة ميولات، ورغبات جمهور القراء، والعمل على تلبيةها، من خلال انتقاد المواد الإعلامية بعناية ومعالجتها بطريقة معينة، عن طريق استخدام أسلوب لغوي يعتمد على الوضوح والجاذبية، وإدراج عبارات وألفاظ منمقة، ما يؤدي إلى جلب انتباه القراء ودفعهم الى مطالعة المحتوى الإعلامي، فضلاً عن إخراج المواد الإعلامية بطريقة فنية غاية في الإبداع بإدراج الألوان والصور والرسومات الكاريكاتورية، من أجل دفع القراء الى مطالعة المضمون الصحفي، وكل هذه العمليات تتم وفق خطة مدروسة تعد سلفاً من طرف أعضاء هيئة التحرير، الذين يجتمعون في كل مرة، بهدف رسم سياسة إخبارية تتوافق مع ميولات ورغبات القراء، فأساليب تسويق المحتوى الإعلامي التي تنتهجها بعض الصحف لها تأثير كبير على جمهور القراء، ويتضح ذلك من خلال التجاوب مع ما هو منشور من مواد اعلامية، بقراءتها والتعليق عليها عبر النسخ الالكترونية للصحف عبر الانترنت، كما أن أساليب التسويق ذاتها، تجعل المتلقي يقتنع بالرسالة الإعلامية التي يحملها المضمون، وتدفعه إلى تغيير أفكاره وسلوكياته.

وإذا كانت جهود هيئات التحرير في الصحف، قد انكبت في السابق على الرفع من مقروئية الصحف التي ينتمون إليها، من خلال التركيز على تقديم مضامين إعلامية في المستوى، تساهم في الرفع من مستوى الذوق العام، إلا أنه في الألفية لم يعد ذلك كافياً للحفاظ على الريادة في السوق الإعلامية المتخمة بالعناوين الصحفية، ما أدى إلى تبني أساليب تسويقية تستهدف جمهور القراء، من خلال جمع بيانات ومعطيات عنهم، ومعرفة المواضيع التي تشكل اهتماماتهم وتكييف المحتوى الإعلامي معها، بيد أن مثل هذه الأساليب على الرغم من المنافع التي حملتها المؤسسات الصحفية التي استقطبت جمهوراً من القراء والمعلنين، إلا أن كثيراً من الباحثين في حقل الإعلام، وكذا ممتحنوا الصحافة انتقدوا نشاط التسويق في المنابر الإعلامية في الجزائر، الذي نزل حسبهم بالمضمون الإعلامي الى الحضيض وسقط في فخ "الشعبوية"، بسبب الإفراط في الاستجابة لرغبات جمهور القراء.

الهوامش:

1. محمد حافظ حجازي: المقدمة في التسويق، ط1، الاسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2005، ص:42.
2. نظام موسى سويدان: التسويق المعاصر، ط1، عمان، دار الحامد للنشر والتوزيع، 2010، ص:37.
3. محمد حافظ حجازي: المقدمة في التسويق، مرجع سابق، ص:43.
4. حميد الطائي، محمود الصميدعي، بشير العلاق، إيهاب علي القرم: الأسس العلمية للتسويق الحديث مدخل شامل، عمان، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2007، ص: 12.
5. فريد كورتل، لحمر حكيمة: نظم المعلومات التسويقية، ط 1، عمان، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2010، ص: 19.
6. نظام موسى سويدان، عبد المجيد البرواري: إدارة التسويق في المنظمات غير الربحية، ط 1، عمان، دار الحامد للنشر والتوزيع، 2009، ص:23.
7. خيرت معوض محمد عياد: مداخلة بعنوان استخدام الأنترنت كوسيلة اتصال في حملات التسويق السياسي، أبحاث المؤتمر الدولي الإعلام الجديد تكنولوجيا جديدة لعالم جديد، جامعة البحرين، من 7 الى 9 أبريل 2009، ص: 245.
8. عبد السلام أبو قحف: التسويق السياسي-فن البيع، التفاوض، الأزاريطية، دار الجامعة الجديدة، 2004، ص:13.
9. ملفين ديفلير ساندرا بول روكيتش(تر) كمال عبد الرؤوف: نظريات وسائل الاعلام، ط2، القاهرة، الدار الدولية للنشر والتوزيع، 1998، ص 279.
10. علي عوجة: العلاقات العامة والصورة الذهنية، ط2، القاهرة، عالم الكتب، 2003، ص: 43.
11. ابن منظور الافريقي المصري: لسان العرب، المجلد الثامن، ط3، بيروت: دار صادر، 1994، ص298.
12. عامر مصباح: الاقناع الاجتماعي خلفيته النظرية وآلياته العملية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2005، ص 16.
13. سمير محمد حسين: الاعلام والاتصال بال جماهير والرأي العام، ط3، القاهرة: عالم الكتب، 1996، ص 166.
14. شيماء ذو الفقار زغيب: نظريات في تشكيل اتجاهات الرأي العام، ط1، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2004، ص 26.
15. سهير جاد: وسائل الاعلام والاتصال الاقناعي، ط1، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، 2003، ص 35.
16. حسن عماد مكاي، ليلي حسين السيد: الاتصال ونظرياته المعاصرة، ط3، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2004، ص 202.
17. تومي عياد الأحمدى: الشروق شرفت الصحافة المغاربية وتستحق أكثر من جائزة، جريدة الشروق اليومي، العدد:3300، السبت 22 ماي 2011، ص 23.

Références :

18. Safia barkouk : Une évolution en deux temps. Journal El Watan , nm speciale, jeudi 7 oct 2010 , p 9.
19. Françoise frisch : Etude marketing et opinion , Paris ,dunod, 2007, p266.
20. Denis lindon frederic jallat : Le Marketing etudes moyens d'action , 5^{eme} edition, Paris,dunod, 2005, p :3.
21. P ; Drucker : la nouvelle pratique de la direction des entreprises , Paris, édition d'organisation,1975, p : 86.
22. P ; Kotler .R ; Du bois : Marketing management, Paris, Pearson edition,2003, p : 40.
23. Ibid P :40.
24. Jean-noe kapferer : Les chemins de la persuasion, le maude d'influence des medias et de la publicite sur les comportements, Paris : bordas, 1978, p :47.

المرأة و العنف في المجتمع الجزائري

تحليل سوسيولوجي لأشكاله ، أسبابه ، تمثلاته الاجتماعية في الجزائر

- دراسة سوسيوانثروبولوجية لظاهرة العنف في إقليم جيجل -

براهمة نصيرة (طالبة دكتوراه)

السنة الرابعة دكتوراه العلوم في علم اجتماع الإلوالجريمة

كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية

جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)

Résumé :

Cette étude dévoile la relation de domination / soumission établie entre l'homme et la femme et fondée sur la division sexuelle des rôles sociaux par la mise à nu des pratiques violentes auxquelles se trouve soumise la femme algérienne dans la pluralité de ses états et espaces sociaux. Et ce d'autant qu'elle se présente comme donnée naturelle que perpétue et reproduit toute formation sociale à travers le procès de socialisation qui objective l'homme dans un espace social public où il se manifeste par la force, la rigueur, la domination et l'hégémonie quand, au même moment, la femme se trouve objectivée dans un espace social privé dans lequel se manifeste sa soumission, son pacifisme et sa dépendance vis-à-vis de l'homme qui la réduit aux limites d'un corps privé, secret et pudique.

ملخص :

تحاول هذه الدراسة الكشف عن علاقات الهيمنة و الخضوع القائمة بين الرجل و المرأة و المبنية على أساس التقسيم الجنسي للأدوار الاجتماعية من خلال إظهار ما هو مخفي من تلك الممارسات العنيفة الواقعة على المرأة الجزائرية في كل وضعياتها الاجتماعية و في كل فضاءات تواجدها ، خاصة و أنها تعلن عن نفسها و كأنها معطى طبيعي تعمل كل التشكيلات الاجتماعية على تأييده و إعادة إنتاجه من خلال تلقينه منذ البدايات الأولى لعملية التنشئة الاجتماعية التي ترسم أدوارا محددة لكل جنس لا يجب تجاوزها ، فنجدها تموضع الرجل في فضاء عمومي و تتعته بالقوة و الشدة و السيطرة و الهيمنة ، في حين تموضع المرأة في فضاء خاص و تتعته بالخضوع و المسالمة و التبعية لرجل يخلتها في حدود جسد خاص و سرّي و محرم .

مدخل عام :

إن التحليل السوسيولوجي للممارسة العنيفة الموجهة نحو المرأة في المجتمع الجزائري يحتم علينا العودة إلى السياقات التاريخية و الاجتماعية التي خلقتها في الوجود الاجتماعي المعترف قانونيا بكل حقوقها و حرياتها إلا أن إدراك هذه الحقوق و الحريات لم ينتقل إلى مستوى الممارسة الواقعية التي تصطدم مع سيطرة الموروث التاريخي و الثقافي القائم على موضوعة المرأة في درجة أقل من درجة الرجل في تشكيلة اجتماعية حدّدت مكانة و موقع كل منهما مسبقا ثم قسمت بينهما الأدوار و لقّنت لهما هذه الأدوار منذ البدايات الأولى للتنشئة الاجتماعية مع التأكيد على عدم

تجاوز الحدود المرسومة لكل جنس ، حيث خُصّص للرجل الفضاء الخارجي أو العمومي و نُعت بالقوة و الشدة و تأكيد الذات ما جعله ينتزع الاعتراف بالرجولة التي تُحتم عليه قيادة و حماية أسرته و التكفل ماديا بها ، أما المرأة فخصص لها الفضاء الداخلي أو المنزلي و نُعتت بالضعف و الخنوع و عدم تأكيد الذات و التبعية للرجل وتم اختزالها إلى جسد مقدس و محرم و سري و خاص برجلها و بالتالي وُكّلت لها مهام تتناسب مع طبيعتها فاعتنت بالأطفال استمرارا لدورها الإنجابي وتحملت أعباء العمل المنزلي الغير مأجور بمفردها بل و ساعدت الرجل في فضاءه العمومي في الحقل قديما و في الوظيفة حديثا و سخرت نفسها لخدمته ماديا ونفسيا و جنسيا دون أن يكون لها حق الاعتراض على أي ممارسة سلبية موجهة ضدها و التي لم تدرکہا في كثير من الأحيان و إلا نُعتت بالإسترجال و خرجت من دائرة الممثلات لمعايير و قواعد المجتمع ، لذا لا يمكن فهم وضعية المرأة الدونية التي جعلتها محلا للعنف دون استقراء الواقع الاجتماعي الذي تعبر عنه مجموعة من العلاقات القائمة على أساس التقسيم الجنسي للأدوار .

و يعتبر العنف الموجه ضد المرأة أحد أشكال العنف المجتمعي الذي يمارسه كل من الرجل (سواء أكان أباء، زوجا ، أخا ، ابنا ، أو شخص غريب) أو المرأة (سواء أكانت أما أو أختا أو حماة أو أختا للزوج) على أساس التمييز الجنسي (أي كون المستهدف بالعنف امرأة شرط لوقوع الفعل العنفي) و الوقع على المرأة في حياتها الخاصة أو العامة ، و هو عنف جسدي ، نفسي ، جنسي ، اقتصادي ، سوسيوثقافي ، تتسبب فيه جملة من العوامل سواء أكانت متعلقة بالمرأة أو بالطرف الذي استهدفها بالممارسة العنفية أو بالظروف الاجتماعية المحيطة بالفعل العنفي ، و هو ظاهرة عالمية لا ترتبط بدرجة تقدم المجتمع أو تخلفه ، كما لا ترتبط بالمستوى الاقتصادي أو الاجتماعي لأفراده ، إذ أن المرأة حسب ما بينته الدراسات تقع ضحية للعنف في كل المجتمعات والثقافات ، متخلفة أو متقدمة ، غنية أو فقيرة، وهذا في مختلف أماكن تواجدها ، الأسرة العمل ، الفضاءات العامة مما جعل مختلف المنظمات والجمعيات والهيئات العالمية والحقوقية تدعو للقضاء أو للحد من هذه الظاهرة التي تعرف تزايدا مخيفا في الجزائر حسب الإحصائيات التي تواجه مشكلة عدم الدقة كون المرأة تحرص على إخفاء بعض الممارسات التي تتعرض لها تجنباً لتهديد هويتها وكرامتها إضافة إلى وجود ممارسات عنفية كثيرة تعودها المجتمع وأصبحت جزءا من ثقافته إلى درجة عدم إدراك المرأة أنها ممارسة عنفية في حقها ، لذا فالبحوث الاجتماعية في معظمها تستمد معطياتها وإحصائياتها من الأرقام التي تقدمها الهيئات الرسمية في ما يخص الممارسات العنيفة التي تم اكتشافها أو التصريح بها فقط ، وليس ما هو كائن و موجود حقيقة في المجتمع ، و رغم عدم دقة الأرقام المقدمة حول ظاهرة العنف ضد المرأة إلا أنها تعبر عن تفاقمها فحسب الإحصائيات المقدمة في اليوم العالمي لمكافحة العنف ضد المرأة و المعروضة في اليوم التحسيس الذي نظم من طرف المجلس الشعبي ألولائي لولاية العاصمة و أكاديمية المجتمع المدني و المرصد الوطني للمرأة فإنه قد تم تسجيل 6985 حالة عنف ضد المرأة عبر الوطن في التسعة أشهر الأولى لسنة 2014 ظهرت في عدة أشكال تصدرها العنف الجسدي بـ 5163 حالة (73%) ثم 1508 حالة عنف نفسي و 205 حالة عنف جنسي كما و تعرضت 27 إمرة للقتل ألعمدي ، و فيما يخص فئات النساء المعنفات فقد بينت نفس الإحصائيات أن العنف ضد المرأة لا يستثني فئة بعينها حيث استهدفت النساء المتزوجات بتعداد 3847 سيدة متبوعة بفئة العازبات بـ 1875 حالة و 791 حالة بالنسبة للمطلقات و 440 للأرامل ، و الأمر سيان بالنسبة للأطراف المسببة للعنف حيث تعددت فئاته أيضا معظمهم الأزواج بتعداد 3533 و 2272 بالنسبة للعزاب ، و أوضح ذات التقرير أن تعرض المرأة للعنف في المجتمع بمختلف أشكاله لم يعد مقتصر على فئة عمرية محددة بل امتد لكل الشرائح العمرية كما أنه مس المرأة بمختلف مستوياتها التعليمية و دون تفريق أيضا بين العاملات و الماكثات في البيوت ، و عن الفضاءات التي يمارس فيها العنف ضد المرأة اتضح أن البيت العائلي أول الأماكن الذي تتعرض فيه المرأة للتعنيف بـ 33321 حالة بنسبة تزيد عن 47%

من الحالات المسجلة و أكد التقرير في الأخير أن هذه الأرقام غير نهائية و لا تعبر عن الواقع الذي تعيشه المرأة الجزائرية بالنظر إلى عدم تقدم الكثير من المعنفات للتبليغ عن العنف الذي تتعرضن له خاصة إذا كان من الوسط العائلي خوفا من العقاب أو نبذ المجتمع لهن و الذي تحكمه عادات و تقاليد تبيح العديد من الممارسات المصنفة في دائرة العنف ضد المرأة و الذي تراجع في هذه السنة مقارنة بالسنتين الفارطتين أين سجلت 12000 حالة عنف ضد المرأة سنة 2012 و 11000 حالة خلال 2013¹.

أولاً- الخلفية السوسيولوجية للعنف الموجه نحو المرأة في المجتمع الجزائري :

العنف الموجه ضد المرأة في المجتمع الجزائري من المواضيع المتجدرة في عمق التاريخ و الثقافة و المجتمع و قد ارتبط بالمكانة التي احتلتها المرأة الجزائرية في المجتمع منذ البدايات الأولى لمأسسته ، و التي عرفت تغيرات صاحبت كل التحولات التي أنتجت مجتمعا جزائريا لا يمكن وصفه بالتقليدي مطلقا و لا بالحديث مطلقا ، فهو مجتمع في طور التحول لم يحتفظ كليا بهيمنة النظام الأبوي و لم يلبس كليا ثوب الحداثة الذي فرضه الانفتاح على العالم طبعاً مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصيات هذا الأخير المرتبطة بتناقضات المرحلة الاستعمارية والتي انعكست على ضبط التوازنات الاجتماعية في مرحلة ما بعد الاستقلال فنتج لنا في الأخير مجتمع جزائري متنوع ثقافيا في بناءه و دلالاته القيمية و المعيارية ليس بالنظر إلى المحددات الزمانية فقط و إنما بالنظر إلى المحددات المكانية أيضا .

إن العودة إلى وضعية المرأة الجزائرية في ظل النظام التقليدي الأبوي يفسر الكثير من الممارسات التي تم الاحتفاظ و التمسك بها و الحرص على إعادة إنتاجها من طرف كل التشكيلات الاجتماعية بناء على الخصوصية الثقافية التي يدخل فيها طبيعة التكوين النفسي و الاجتماعي للسكان الأصليين - البربر - و كذا مختلف الحضارات الاستعمارية التي تعاقبت على المنطقة ، و لعل وضعية المرأة في المجتمع التقليدي الجزائري تتحدد بتلك المكانة التي احتلتها في الأسرة الجزائرية التقليدية التي تعتبر " أسرة ممتدة تضم جيلين أو أكثر حيث تجمع بين الآباء و الأبناء و الأجداد و الأحفاد ... يشتركون في مسكن واحد و يجتمعون على مائدة واحدة لكن مع التفريق الواضح بين النساء و الرجال و الأطفال حيث يمنع الاحتكاك و الاختلاط بعالم الرجال " ² أي أن رجال العائلة يأكلون مع بعضهم و نساءها مع بعضهم و قد لا تلتقي الزوجة مع زوجها على مائدة الطعام بل و يعتبر من غير اللائق أن تجلس البنت مع أبيها أو أخيها للأكل أو لتبادل أطراف الكلام و في الغالب تكون المرأة الكبيرة هي الوسيط بين العالمين أي عالم الرجال و عالم النساء و بالتالي فالأسرة في النهاية ما هي إلا مؤسسة اجتماعية تلقن فيها الدروس الأولى حول نظام تقسيم العمل القائم على الاختلافات الجنسية فتنشأ البنت تنشئة تتماشى مع الدور المنوط بها مستقبلا خاصة في علاقة خضوعها و طاعتها للرجل ، إذا تظاهر العلاقات الاجتماعية في ظل النظام الأبوي التقليدي مهما كانت طبيعتها قائمة على " علاقة الخضوع ، خضوع الصغير للكبير و المرأة للرجل و الغريب عن الجماعة لصاحب النسب الصريح فيها و الفلاح بدون أرض لمالكها " ³ ، و هي لا تظهر إلا بين الرجال أما المرأة فدورها محدد يتلاءم مع شخصيتها و تكوينها البيولوجي و يكاد ينحصر في الحفاظ على عفتها ممثلة بذلك شرف عائلتها ، و كذا دورها كخادم يضمن الاعتناء بالمنزل و رجاله في كافة المجالات المادية و النفسية و الجنسية بما في ذلك تسيير المدخرات الغذائية و المحافظة عليها ، و هذا دون مراعاة لرغباتها و احتياجاتها المادية و النفسية و الجنسية التي لا يجب أن تعلن عنها خاصة إذا تعلق الأمر بالجانب الجنسي التي تعتبر مسئولة فيه على إشباع الرجل لدرجة أنها قد تتظاهر بالاستمتاع إرضاء له " عنف فاضح هو هذا المخيال

¹ المرصد الوطني للمرأة و آخرون : النشرة الإخبارية الوطنية ، التلفزيون الوطني الرسمي الجزائري ، 2014/11/25 ، الساعة 20:00

² مسعود كسال : مشكلة الطلاق في المجتمع الجزائري ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دون طبعة ، 1996 ، ص15

³ محمد حمداي : المرأة بين الأسرة و المجتمع ، الازدواجية و العنف المعنوي ، الملتقى الوطني حول المرأة "نساء" وجهات نظر مختلفة و تعددية أفكار،

وزارة التضامن ، 1998 ، ص 25

الأبوي الذي يميز الرابطة الاجتماعية بصورة قوية منتجا للمعايير أو صائغا للقواعد أو موجها للسلوكيات الفردية و الجماعية ، إنه يضع الفرد في خط نسب أبوي صاعدا إلى أزمنة غابرة و موجهة إلى إعادة إنتاج نفسه في نهاية الأعمار ، إنه يبنى على المسلمة التي مفادها أن المجتمع عبارة عن مجموعة من الرجال يتبادلون النساء لإعادة إنتاج أنفسهم و نقل أسمائهم و جيهانهم إلى الخلف الذين بهم يضمنون استمرار ذكورتهم ⁴ ، و التي لا يمكن لها أن تحفظ - الذاكرة - إلا بصورة ذلك الذكر المتمركز في الوسط و المسخر لكل شيء حوله لخدمته بما في ذلك المرأة المتقبلة لوضعيتها ، و رغم أن المرأة في المجتمع التقليدي لم تكتفي بالأعمال الغير مأجورة و الغير معترف بها و التي لها علاقة بداخل البيت بل امتد عملها إلى خارج البيت في الحقل فتقاسمت مع الرجل دوره في العمل الإنتاجي إلا أن هذا لم يشفع لها و يمنع عنها الإقصاء الاجتماعي لأن " ما تقوم به من أشغال خارج البيت يعتبر امتدادا لدورها الأساسي و سيتبع هو الآخر عدم الاعتراف مما لا يدع مجالا للشك في أن المرأة لا تستمد مكانتها الخاصة من مسؤولياتها و مشاركتها في العمل الإنتاجي بل من كونها أما أو ابنة أو أختا أي كونها امرأة أو أنثى فهي " مثل الأرض رمز للخصب ... تعطي أكثر بكثير مما تأخذ " ⁵ ، و حتى يضمن هذا النظام عدم الثورة عليه و الانحراف على معاييرها فإنه يسخر الفهم السطحي للقيم الدينية لتعزيز ثقافته التي تنتج باستمرار حتى من قبل النساء أنفسهن فيرسخ في ذهن الفتاة و الفتى منذ الصغر الفهم السطحي لمعنى القوامة الممنوحة للرجل و التي يبرر من خلالها كل الممارسات العنيفة المعلنة و الخفية رغم أن الدين الإسلامي يؤكد في كل نصوصه على أهمية المرأة و تمثيلها لنصف المجتمع فالمجتمع على حد قول البشير الإبراهيمي " كالتائر لا يطير إلا بجناحين و جناحاهما الرجل و المرأة ، والأمة التي تخص الذكر بالتعليم تريد أن تطير بجناح واحد فهي واقعة لا محالة " ⁶ ، أي أن المتمعن بموضوعية في الميكانيزمات التي تحكم العلاقات القائمة بين الذكر و الأنثى بما في ذلك العلاقات العنيفة في غالبية المجتمع الجزائري يتمظهر العنف لديه وكأنه أداة تعبر عن الترابط أكثر من المرض و الخلل ذلك أن الرجل الذي يضرب زوجته يحبها و يغار عليها و يريد منها أن تكون أفضل النساء و الأب الذي يقيد حرية ابنته يعتقد أن الحرية تقضي إلى انحرافها و إضرارها بشرف العائلة لذا فهو بتقيده هذا يصونها و يحميها و ما يؤكد هذا هو تقبل المرأة لوضعيتها و مساهمتها في إعادة إنتاج هذا النمط من العلاقات العنيفة الموجهة ضدها ، فالمرأة التي تعاني من العنف زوجها أو أخوها أو والدها أو والد زوجها نجدها عندما تصبح أما لامرأة أخرى تدعوها لتحمل العنف و عدم الثوران عليه وتساند تسلط ابنها على ابنتها و تطالبه بحمايتها بل ونجدها تفضل إنجاب الذكر على الأنثى وتمارس العنف على زوجة ابنها التي تضع شروطا كثيرة قبل استجلابها على أساس أنها المخول لأن يختارها ، أي أن المرأة إذا تجاوزت مرحلة عمرية معينة (مرحلة الخصوبة) تنتقل من تقبل العنف و الخضوع للمعنف إلى ممارسة العنف و إعادة إنتاجه مادامت ستستفيد من مزايا هذا النظام لاحقا و بالتالي فالمجتمع الأنثوي لا وجود له في ظل النظام الأبوي و المرأة الجزائرية هنا ما هي إلا شيء يخص رجلها مسخر لخدمته جنسيا و ماديا و نفسيا لا يجوز لرجل آخر خارج المحيط العائلي أن يحدثه أو يتعامل معه و لا حتى أن يعرف ملامح وجهه ، إنها باختصار الهيمنة الذكورية التي حددها بورديو تحديدا دقيقا عند دراسته للمجتمع القبائلي في الجزائر بقوله " الهيمنة الذكورية خاصية كونية متجذرة في لاوعي الأفراد سواء أكانوا ذكورا أو إناثا و رغم أنها تعلن عن

⁴ عدي الهواري : الاستعمار الفرنسي سياسة التفكير الاقتصادي و الاجتماعي 1830-1960 ، ترجمة جوزف عبد الله ، دار الحداثة ، بيروت ، 1983 ، ص 14

⁵ بركات حليم : النظام الاجتماعي و علاقته بمشكلة المرأة العربية في المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، العدد 34 ، ديسمبر 1981 ، ص 51

⁶ البشير الإبراهيمي : عيون البصائر ، الجزء الرابع ، دون طبعة ، دون سنة ، ص 339

نفسها كمعطى طبيعي فهي تبقى في الأصل بناء اجتماعي تاريخي ثقافي تنتجها و تعيد إنتاجها مجموعة من المؤسسات الاجتماعية⁷.

و كما سلف و أوردنا أن المجتمع الجزائري لم يتحول كليا إلى مجتمع حديث و لم يحتفظ كليا بموروث النظام الأبوي أي هو مجتمع يكرس النظام الأبوي لكن بشكل لا يمكن تعميمه على كل فئات المجتمع إذ أن " السلطة الأبوية التقليدية تزداد في الأسرة التقليدية الممتدة و تتخفف في الأسرة النووية الحضرية ، كما أن الإناث أكثر عرضة لهذه السلطة من الذكور"⁸ ، لذا فالمأمل في المجتمع الجزائري بصفة عامة و الجيلي بصفة خاصة يستطيع أن يلاحظ ذلك الاختلاف الثقافي بين الأسر الجزائرية في تعاملها مع المرأة فنجد المرأة التي تمنح حرية كاملة من طرف رجال بيتها في السفر بمفردها و الدراسة و اللباس (حتى و إن تنافى مع القيم و المبادئ التي تمثل القاعدة التاريخية و الدينية للمجتمع الجزائري) ، كما نجد المرأة التي لا يسمح لها بالخروج من البيت لقضاء أبسط حاجياتها إلا مع رفيق (الأب ، الأخ ، الزوج ، الإبن ، المرأة الكبيرة) ، فضلا عن المرأة التي أخذت الحرية في بعض المجالات و لم تأخذها في مجالات أخرى ، هذا طبعا يتماشى من جهة مع درجة تحول الأسرة من تقليدية إلى نووية و من جهة أخرى مع الامتزاج الثقافي و الحضاري الذي حصل بين شعوب العالم نتيجة للثورة المعرفية و التكنولوجية التي جعلت العالم قرية صغيرة يصعب فيه رسم الحدود الثقافية و المحافظة على العادات و التقاليد ، خاصة الشعوب الأقل قدرة على التحكم في المعرفة ، بالإضافة إلى تكس سكان الريف في المدن و الذي يرجع الكثير من الباحثين إليه تطور تحول الأسرة الجزائرية إلى النظام النووي ، حيث صاحب عملية النزوح من وسط ريفي إلى وسط حضاري انتقال من نموذج اجتماعي و اقتصادي استهلاكي يقوم أساسا على علاقات القرابة و يعتمد على الإنتاج الزراعي و الحيواني إلى نمط اجتماعي فردي يقوم على الاقتصاد الصناعي و التجاري⁹ ، إن هذا التحول الذي طرأ على قيم الأسرة الجزائرية كان له التأثير البالغ في تغيير النظرة إلى الأنثى أو الفتاة التي أجبر أهلها في بداية الأمر بحكم القانون الجزائري على تعليمها الأمر الذي جعلها تلج عالم المدرسة و من ثم الشغل و تعتبره ضرورة تؤجل من أجله الزواج فتأخر بذلك سن الزواج و ارتبط بالحصول على الشهادة أو الاستقرار في وظيفة لا يتم الاستغناء عنها بمجرد الزواج أو الإنجاب ، كل هذا أحدث مع الوقت إعادة توزيع الأدوار داخل الأسرة و تداعت الأصوات المطالبة بضرورة مساهمة الرجل في تربية الأطفال ، في المقابل أصبحت المرأة العاملة مسئولة اقتصاديا على أسرتها أي أصبحت فاعل اجتماعي ينتج و يملك و بالتالي حصولها على شيء من السلطة بل و كل السلطة في بعض الحالات خاصة مع تعالي الأصوات الحقوقية و إصدار العديد من القوانين الدولية و الوطنية المطالبة بحماية المرأة من العنف و بعقاب الطرف الممارس للعنف ضدها ، فأصبح للأمم مثلا مجال لإبداء رأيها في تسيير شؤون بيتها كما و منحت الفتاة مثل أخيها حق اختيار شريك الحياة و لم تبقى تلك النكرة التي يتجهم والدها عند ولادتها ، و أصبح سفرها لتحصيل العلم مقبول اجتماعيا و لا ينظر إليه برؤية بل و أصبحت هي الأخرى تملك و تعود بالمنفعة المادية لأسرتها ، كل هذا أدى إلى اختفاء أشكال عنفية كانت تتعرض لها المرأة في ظل النظام الأبوي التقليدي إلا أنه في المقابل خلق إلى الوجود الاجتماعي أشكال أخرى من الممارسة العنفية تحط من قيمة المرأة ككيان اجتماعي ، فنجد مثلا العنف الاقتصادي أين لا يمكن للمرأة أن تتصرف مطلقا بعائد جهدها (الأجرة) سواء أكانت في بيت والدها أو بيت زوجها بل قد ينتزع منها العائد كليا في كثير من الأحيان ، كما ظهر ما

⁷ بيار بورديو : الهيمنة الذكورية ، المنظمة العربية للترجمة (ترجمة سلمان قعفراني) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، 2009 ص 18

⁸ حطاب زهير و عباس مكي : السلطة الأبوية و الشباب ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، دون تاريخ ، ص 8

⁹ محمد السويدي : من مشكلات الأسرة النازحة في الوسط الحضري ، مجلة المجاهد ، عدد 1314 ، سبتمبر 1985 ، ص 45

يعرف بالعنف في الشارع و في مكان العمل ضد المرأة و التحرش الجنسي و تجارة الجنس أين أصبحت المرأة كالبضاعة تسوق في سوق الرجال لا تحترم إنسانيتها و لا ينظر إليها إلا كجسد يرمى بعد الفراغ من استعماله من طريقه و الأمر سيان بالنسبة للمرأة أي أن تغيير النظرة التقليدية نحو المرأة هو تغيير شكلي لم يلغي علاقات الهيمنة و الخضوع و إنما قدم صورة جديدة له تتماشى مع معطيات الواقع الجديد و مكانة المرأة فيه .

ثانيا- أشكال العنف الموجه نحو المرأة :

يتمظهر العنف الموجه نحو المرأة بأشكال مختلفة لا يمكن على الإطلاق وضع حدود بينها ذلك أنها متداخلة خاصة من حيث الأثر الذي تتركه على المرأة (تعرض المرأة للضرب مثلا يوقع أثرا جسديا و أثرا نفسيا أيضا) كما أن خصوصية هذا العنف تتبع من الخلفية التاريخية و السوسيولوجية القابعة وراء ظهوره في الوجود الاجتماعي ما يجعلنا في الأخير نصف كل أشكاله بمختلف التأثيرات التي تتركها على المرأة بأنه عنف رمزي مختبئ لا يظهر للعيان تتغير مظاهره بتغير محددات المكان و الزمان و كذا المكانة الاجتماعية و الاقتصادية و التعليمية التي تحتلها المرأة وبالتالي نحاول الحديث هنا عن بعض أشكال العنف الموجه ضد المرأة حسب خصوصيات المجتمع الجزائري بصفة عامة و مجتمع الدراسة بصفة .

1- العنف الجسدي : يعتبر العنف الجسدي من أكثر أشكال العنف وضوحا ، وهو عنف مباشر ، عرّف من طرف منظمة العمل الدولية العنف بأنه " استخدام القدرة الجسدية ضد شخص آخر أو مجموعة أشخاص ينتج عنها أذى جسدي أو نفسي أو جنسي. وهو يشمل الأفعال المحتوية على الضرب ، الركل ، الصفع ، الخنق ، الضرب بأداة حادة ، الدفع العنصر والمسك .. ¹⁰

من التعريف يتضح أن العنف الجسدي الموجه نحو المرأة عنف ظاهر للعيان تستخدم فيه قوة بدنية أي استخدام اليدين والرجلين بحيث توجه اللكمات و الضربات للضحية على الوجه والرأس وسائر مناطق الجسم ، كما قد يتم اللجوء إلى أدوات أخرى في ممارسة العنف الجسدي مثل الكرسي ، الزجاج ، العصا أو السكين ... ، أي أن العنف الجسدي فعل أو امتناع عمدي (أي عدم منع الأذى عن المرأة متعمدا) يمس سلامة جسم المرأة ويؤدي إلى الإخلال الطبيعي لوظائف أعضائها أو ينقص من تكامل الجسد أو يوجد ألاما لم تكن تشعر بها قبل الاعتداء عليها بالعنف الجسدي ، ونظرا لكون العنف الجسدي عنف ظاهر وملحوس يمكن تقديم الدليل عليه فإن القانون يعاقب على هذا السلوك ويردعه حسب درجة خطورته وأثاره الواقعة على الضحية و العقوبة هنا تتوقف على مدى إبلاغ المرأة القائمين على تطبيق القوانين عن العنف المتعرضة له .

وبالنظر إلى الأطراف الممارسة للعنف الجسدي نجده يرتبط نوعا ما بـ " مستويات التطور الاجتماعي و الاقتصادي ، يمكن القول أنه في المجتمع التقليدي و المحافظ تكاد تقتصر فيه ممارسة الضرب و الإيذاء الجسدي للمرأة على الأهل و الأقارب ، ذلك أن العادات و التقاليد و الأعراف تجرم ضرب المرأة و إذائها جسديا من قبل الآخرين ، و تعتبره عيبا يوصم من يمارسه بالعار ¹¹ ، في حين نجد أن المجتمع وبعد تحوله عن المجتمع التقليدي الأبوي بغض النظر عن درجة هذا التحول عرف عنفا جسديا تتعرض له المرأة من قبل أطراف خارج دائرة الأهل و الأقارب سواء أكان في المدرسة أو العمل أو الشارع... الخ .

¹⁰ - organisation internationale du travail et conseil internationale des infirmier; directives générales sur la violence au travail dans les secteur de la santé , première édition , imprimé en suisse maquette p.a.o , genève , 2002 , p 3

¹¹ عادل مجاهد شرجبي : العنف العائلي ضد المرأة ، تحليل العلاقات ، ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر اليمني لمناهضة العنف ضد المرأة ، صنعاء ، اليمن ،

مارس ، 2004 على الموقع www.aman.org/studies نظر يوم 2014/01/15 على الساعة 14:30

2- العنف النفسي : العنف النفسي هو كل سلوك يقوم على الإساءة النفسية للمرأة من إضعاف ثقتها بذاتها والإخلال بإحساسها بالقدرة و الثقة ، ويبدأ بالنقد الغير مبرر والتهكم والسخرية والإهانة والبذاءة والاستخدام الدائم للتهديد ، وإثارة الشائعات ، المراقبة ، الإحراج ، توجيه اللوم ، إساءة الظن . ويعتبر العنف النفسي من أخطر أنواع العنف ذلك لأنه عنف غير محسوس أو غير ملموس وليس له أثر واضح وإنما أثاره المدمرة تقع على الصحة النفسية للضحية ، و يتمظهر العنف النفسي الواقع على المرأة في مجموعة من الصور:

1- العنف باستخدام الألفاظ أو الكلام : يعد العنف اللفظي من أشد أنواع العنف خطرا على الصحة النفسية للمرأة ، حيث يترك أثارا واضحة للعيان يتم فيه توجيه الفعل مباشرة إليها باستخدام ألفاظ هجومية مباشرة ، و هو عنف يقف عند حدود الكلام والإهانات ومن أشكاله السب الشتم ، واستخدام الألفاظ البذيئة بحق المرأة ، الصراخ الدائم و القاسي على المرأة لانجاز العمل على أساس أنه أفضل وسيلة للتواصل معها .

2- العنف باستخدام التهديد : التهديد هو " التوعد باستخدام القوة المادية أو السلطة (قوة نفسية) ينتج عنه أذى جسدي ، جنسي ، نفسي ، أو آثار أخرى سلبية للأفراد أو الجماعات الموجه التهديد نحوهم"¹² ، ويتم التهديد بأشكال متعددة منها التهديد بالضرب أو التهديد بالطلاق ، أو التهديد بتقييد الحرية أو التهديد بالإرغام على مالا تحبه المرأة ، التهديد بفرض عقوبات .

3- العنف باستخدام الإيحاءات أو الإشارات أو الامتناع عن القيام بفعل ما : المقصود هنا هو الممارسة العنيفة السلبية أي التي تحدث أثرا رغم عدم تلفظ الفاعل بأي كلمة و يبدو هذا الشكل من العنف في مجموعة من المظاهر : الامتناع عن الكلام معها ، توجيه نظرات الازدراء و الاحتقار و الاشمئزاز و التوعد نحوها ، التمييز في التعامل بينها و بين الرجل ، التكلم معها بالإشارة كأن يطلب منها الذهاب أو السكوت باليد ، عدم رد التحية عليها ، عدم الجلوس و النوم معها (في حال الزوج) ، عدم الأكل معها أو الامتناع عن أكل الطعام الذي تعده ، عدم الاهتمام بها و بكل و بكل ما يعينها و عدم الاعتناء بها في حال المرض و الامتناع عن تقديم المساعدة لها

3- العنف الجنسي: الحديث عن العنف الجنسي الذي تتعرض له المرأة في المجتمع الجزائري من الخصوصية بمكان ذلك أنه يضعنا أمام أحد أكبر الطابوهات التي لا يمكن الحديث عنها على الأقل بشكل علني أو خارج الإطار الأكاديمي " لأنه مع العنف الجنسي يصل القهر الذي يمارس على المرأة درجة صارخة يختزل المرأة إلى حدود جسدها و يختزل هذا الجسد إلى بعده الجنسي : المرأة مجرد جنس أو أداة للجنس ، وعاء للمتعة ، هذا الاختزال يؤدي مباشرة إلى تضخم البعد الجنسي لجسد المرأة بشكل مفرط و على حساب بقية أبعاد حياتها ... كما يفجر كل مخاوفها الوجودية حول حلول كارثة ما تعصف بوجودها ، هاجس المرأة قبل الزواج يتحول إلى قلق حول غشاء البكارة وسلامته و إلى قلق حول قدرات الجسد على حيابة إعجاب الرجل"¹³ لذا نجد الواقع يطلعنا على هروب وانتحار أو محاولات انتحار فتيات مارسن الجنس خارج الأطر المسموح بها اجتماعيا خوفا من رفض و عقاب المجتمع بكل تشكيلاته عليهن و الذي -المجتمع- يغفر و يتجاوز على رجال وقعوا في نفس الفعل، إن خصوصية العنف الجنسي مقارنة بباقي أشكال العنف تزداد تعقدا أو بالأحرى كلما اتجهنا إلى الفضاء الداخلي الخاص بالمرأة إذ أنه و بمجرد ذكر العنف الجنسي تتجه الأنظار بالتركيز على الاغتصاب أو التحرش الذي تتعرض له المرأة من قبل أشخاص خارج محيطها العائلي الذي يعتبر هو الآخر في حقيقة الأمر وسطا يمارس فيه العنف الجنسي ضد المرأة خاصة الزوج الذي نمطت المرأة منذ البدايات الأولى لتتشأنتها الاجتماعية على أنها الخادمة الخجولة المسالمة و المستسلمة لكل رغباته الجنسية متى أراد هو

¹² organisation internationale du travail et conseil internationale des infirmier, opcit , p 5

¹³ مديحة أحمد عبادة و خالد كاظم أبو دوج : العنف ضد المرأة دراسات ميدانية حول العنف الجسدي و العنف الجنسي ، الطبعة الاولى، دار الفجر للنشر و التوزيع ، القاهرة، 2008 ، ص 212

ذلك دون مراعاة لرغبتها التي لا يجب أن تعبر عنها و إلا خرجت من دائرة الحشمة ، و إذا تحدثنا عن عدم دقة الإحصائيات المقدمة عن العنف ضد المرأة فإنها تزداد عدم دقة إذا خصصنا الحديث عن العنف الجنسي الذي كشفت بعض الدراسات عن شدة خطورته بالأرقام المعلن عنها (وما خفي أكبر) حيث أحصت مصالح الدرك الجزائرية خلال الفترة الممتدة من 2000 إلى 2006 أي في مدة 6 سنوات حوالي 5 آلاف فعل مغل بالحياء وفي عام 2006 فقط أكثر من 1153 حالة اعتداء جنسي تعددت صورته وأشكاله و الأطراف المتسببة فيه¹⁴ و بالتالي العنف الجنسي يظهر في كافة الفضاءات داخل المحيط العائلي للمرأة و خارجه و من أشكاله : الانتهاك الجنسي للزوجة ، الاغتصاب ، التحرش أو المضايقة الجنسية و سندقق في تعريف العنف الجنسي من خلال التدقيق في مظاهره :

- التحرش أو المضايقة الجنسية :

يعرف مركز مساعدة ضحايا الاعتداءات الجنسية التحرش الجنسي بأنه " كل فعل ذي طبيعة جنسية يصدر بحق الإنسان ذكرا كان أو أنثى ، بشكل مباشر أو غير مباشر ، يتخذ الشكل الشفهي أو الجسدي ، يصدر عن أشخاص لا يشعرون بالأمن والاستقرار وبالتالي يتم تعويض ذلك بغرض سيطرتهم ومضايقتهم للآخرين ، إذ يختار المعتدي الضحية التي يعتقد أنها ضعيفة"¹⁵، من التعريف يتضح أن التحرش لا يكون دائما من ذكر نحو أنثى و إنما قد يتجه التحرش نحو ذكر و قد تمارسه أنثى و بالتالي فهو عبارة عن " سلسلة من الأفعال تبدأ من سلوك علني بالنظرة أو القول ، مؤسس و مبني على أساس الجندر و تنتهي إلى سلوك عنيف و مهيم مؤسس أيضا على أساس الجندر"¹⁶ و يعني استخدام مصطلح الجندر وصف الخصائص التي يحملها الرجل و المرأة كصفات مركبة اجتماعيا لا علاقة لها بالاختلافات العضوية المتمثلة في الأعضاء التناسلية ، و على هذا الأساس تختصر منظمة العمل الدولي تعريف التحرش الجنسي في كونه " كل السلوكيات ذات الطبيعة الجنسية الغير مرغوب فيها ، يكون على أشكال مختلفة تبدأ باللمس لتنتهي إلى الاتصال الجنسي"¹⁷ و نلاحظ أن أهم إضافة يقدمها تعريف منظمة العمل الدولية هي التركيز على فكرة 'غير مرغوب فيها' ذلك أن تصنيف السلوك بأنه عنف جنسي بصفة عامة أو تحرش جنسي بصفة خاصة أم لا يعتمد على رد فعل الطرف المقابل ، وهذه قضية نسبية تعتمد على المنظومة القيمية ممثلة بالعادات والتقاليد والقيم والأعراف التي تحكم ثقافة المجتمع أو ثقافة الفرد في حد ذاته ، فإذا تقبل الطرف الثاني السلوك الذي يندرج ضمن عنف أو تحرش جنسي يعتبر علاقة رومانسية و ليس مضايقة جنسية ، ويظهر التحرش الجنسي في مجموعة من الممارسات أهمها الملامسة الجسدية المقصودة الغير مرغوب فيها ، والملاصقة الجسدية في غير محلها ، وكذا القرص ، والتحسس لأحد أعضاء الجسد ، التقبيل ، أو محاولة التقبيل و أيضا التعليقات الغير مرغوب فيها مثل النكت ، الإيحاءات الجنسية الحديث الجنسي المنفتح ، التعليقات على الأشخاص والاستهزاء بأعضائهم الجنسية و كذا استخدام حركات جنسية معينة مثل الإيماءة بالرأس أو الأصابع أو القيام بحركات مقترنة بالأيدي أو الأرجل ، أو الجلوس في وضعيات مغرية بالإضافة إلى تعمد ارتداء ملابس غير ساترة لمواضع الإغراء في الجسم ، أو النظرات الدالة إلى تلميحات جنسية ، الأسئلة أو التلميحات التي تخص الحياة الشخصية و الجنسية للمرأة ، التحرش الصريح المرفق بالتهديد أو المبادلة كأن يهدد المرأة بفضح أخطاء ارتكبتها إن لم تلبى رغبة الرجل ، أو أن يشترط تقديم تنازلات جنسية مقابل الحصول على أموال أو امتيازات أو خدمات و أخيرا إرسال رسائل أو صور خادشة للحياء عبر الهواتف والرسائل البريدية أو

¹⁴ - قتيبة نورة : الشباب و العنف ...أو معادلة الذكورة و الضعف الأنثوي ..العنف الجنسي نموذجا، مداحلات الملتقى الوطني حول الشباب و العنف في المجتمع الجزائري ، منشورات جامعة جيجل ، 2012 ، ص 174.

¹⁵ أمل سالم العواودة ، العنف ضد المرأة العاملة في القطاع الصحي ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، دون طبعة ، عمان ، 2009 ، ص 27

¹⁶ منيحة أحمد عبادة و خالد كاظم أبو دوج ، مرجع سبق ذكره ، ص 212

¹⁷ organisation internationale du travail et conseil international des infirmier , opcit , p 4

الالكترونية أو مواقع التواصل الاجتماعي ، طبعاً هذه الممارسات لا يقتصر ظهورها في الفضاء الخارجي للمرأة لأنه و بالخوض أكثر فيما تحرمه أو تمنعه المجتمعات استناداً إلى مرجعيات دينية أو ممارسات و عادات موروثية ثقافياً تزداد عدم رغبة و رفض التحرش الجنسي كلما اتجهنا إلى الفضاء العائلي وبالأخص إلى تلك العلاقات الاجتماعية التي تصنف في دائرة المحارم و يظهر في هذا المستوى التحرش الجنسي بالمحارم الذي يعتبر من أكثر أشكال العنف الجنسي المرفوض اجتماعياً و دينياً إلى درجة عدم القدرة على الاعتراف به حال وقوعه و هو كل قول أو تصرف أو أي علاقة ذات طبيعة جنسية من قبل أفراد الأسرة المحارم (الذين لا تسمح الضوابط الدينية و العرفية بأن تجمعهم بالمرأة المعتدى عليها علاقة زواج) يلحق أذى مادياً أو معنوياً بالمرأة أي المفهوم الاجتماعي للتحرش الجنسي مضافاً إليه شرط أن تكون هناك صلة قرابة بين الذكر و الأنثى تمنعهما من الارتباط بالزواج .

- الانتهاك الزوجي للمرأة :

يندرج هذا الشكل في إطار العنف الزوجي الذي يعرف بأنه " كل أشكال الإيذاء الواقعة على الزوجة من زوجها أو مما يقره عليها المجتمع في المواقف و الظروف المختلفة كان جسدياً ، نفسياً ، معنوياً ، أو بالتهديد و الحرمان بطريقة تعني مصادرة حق الزوجة في المساواة مع زوجها و إلزامها مركز التبعية ضمن نسق العلاقات الزوجية " ¹⁸ ، و الانتهاك الجنسي للزوجة هو الأذى ذو الطبيعة الجنسية و يعرف بأنه لجوء الزوج إلى استخدام قوته و سلطته لممارسة الجنس مع زوجته من غير مراعاة لوضعها الصحي أو النفسي ، أو رغبتها الجنسية ، و عنف الزوج الجنسي لزوجته أشبه بالاغتصاب ذلك لأنه يدخل في نطاق إجبار المرأة على ممارسات جنسية لا ترغب فيها أو تؤذيها ، إلا أن خصوصية العلاقة بين المرأة و زوجها كطرف معنف لها مقارنة ببقية الأطراف تجعل من أشكال العنف التي يمارسها الزوج على زوجته متداخلة مع بعضها البعض من حيث الأسباب المؤدية إليها و النتائج المترتبة عليها ، فعدم امتثال المرأة مثلاً لمتطلبات و مستلزمات دورها الأسري كزوجة و أم قد يؤدي بزوجه إلى عدم مراعاة رغبتها الجنسية و تحقيق الإشباع الجنسي لها أي يكتفي بتحقيق رغبته فقط و في المقابل عدم حصولها على إشباع جنسي ، أو إرغامها على وضعيات جنسية لا تناسبها يؤثر مباشرة في أدائها لأدوارها الأخرى أي أن " الحاجات الجنسية لدى المرأة هي رغبات حياتية و نفسية في وقت واحد ... تقلل من التوتر الذاتي و الاجتماعي و تتدخل عوامل الثقافة و التقاليد و الدين و التطور الاجتماعي في التحكم بهذا النشاط الجنسي و نوعيته و انحرافاته و من هنا فإن إحباط المرأة و عدم حصولها على الإشباع الجنسي في الحياة الزوجية يمكن أن يولد لديها ضغوطاً نفسية تعمل على إحساسها بالعجز و الوصول بها إلى الاحتراق النفسي " ¹⁹ .

-الاغتصاب :

يعتبر الاغتصاب حسب التعريفات السابقة آخر مرحلة من مراحل التحرش الجنسي و للتدقيق أكثر يعرف بأنه " حالة التحرش و التلاصق بأعضاء الجنس سواء اقترن ذلك بإيلاج القضيب في المهبل أم لا و ذلك دون موافقة الأنثى و رضاها و هو من أكثر أنواع العنف وحشية و أشدها تدميراً للروح و البدن و له آثار حادة على الضحية و أسرته تمتد إلى نهاية العمر و يعتبر جريمة جنسية معناها اللغوي الفسق بالإكراه و يعني ممارسة الجنس أو الجماع دون موافقة الطرف الآخر " ²⁰ ، و الحديث عن العنف الجنسي قبل كل شيء يشترط عدم وجود رغبة أو موافقة للمرأة على ما يمارس

¹⁸ أمل سالم العواودة ، مرجع سبق ذكره ، ص 11

¹⁹ جاجان جمعة الخالدي ورشيد أحمد البرواري : الاحتراق النفسي لدى المرأة ، دار جرير للنشر و التوزيع ، الطبعة الأولى ، عمان الاردن ، 2013 ، ص

عليها إذا لا يمكن أن نسمي اغتصاباً عملية الدخول في علاقة جنسية كاملة بين ذكر و أنثى إذا كانت نابعة عن إرادة و رغبة حتى و إن خرجت عن ما هو مقبول اجتماعياً بما فيها ما يطلق عليه " الزنا " أي أنه لا يمكن اعتبار الزنا عنفاً جنسياً لأنه يحدث بموافقة الطرفين .

4- العنف السوسيوثقافي :

إن وضع تحديد دقيق للعنف الموجه ضد المرأة من الصعوبة بمكان كما أوردنا سابقاً لذا نجد تبايناً في اصطلاح بعض أشكال العنف الموجه ضد المرأة بين الباحثين في هذا المجال و ما أوردناه هنا من خلال الحديث عن عنف سوسيوثقافي هو كل الممارسات العنيفة الواقعة على المرأة في المجال الثقافي و الاجتماعي و التي تظهر أكثر في الثقافات التي تحول دون المساواة بين الرجل و المرأة طبعاً على مستوى الوعي و الممارسة و هو يعني حرمانها من ممارسة حقوقها الاجتماعية و انقيادها وراء متطلبات الرجل الفكرية و العاطفية و يتجلى في مجموعة مظاهر منها الحد من انخراطها في المجتمع و ممارسة أدوارها ، الحرمان من العمل و متابعة التعليم ، الحرمان من زيارة الأهل و الأصدقاء و الأقارب ، التدخل في علاقاتها الشخصية ، التدخل في اختيار الأصدقاء و علاقتها بالجيران ، حرمانها إبداء الرأي في قرارات الأسرة و حتى قراراتها الشخصية ، التدخل في طريقة لباسها ، وكل هذا من أجل الحد من نشاطها و عملها و إبقائها ضمن محيط البيت²¹ ، و هذا ما نجد وسائل الإعلام تترجمه في كثير من المحطات و البرامج التي تعمل معظمها على تكريس الصورة التقليدية للمرأة و تحصر اهتماماتها في أمور الأسرة ، الطبخ ، آخر صيحات الموضة ، التفصيل و الخياطة ، المكياج ، العطور ... أي أن مجال اهتمام المرأة ترسم له حدود مسبقة حتى في الأطر التي تدعي أنها تخرج المرأة من فضائها الداخلي ، و على النقيض من ما سبق قد يظهر العنف السوسيوثقافي الموجه ضد المرأة في المبالغة في إلغاء كل الضوابط و القيم و الخصوصية الثقافية للمجتمعات التي تضمن للمرأة الحد الأدنى من إنسانيتها و كرامتها خاصة في ما يخص الجانب الجسدي لها كأنثى و هذا باستغلال التقدم التكنولوجي في مجال وسائل الإعلام و الاتصال أين أصبح لهم في كثير المجالات و القنوات و المواقع الإلكترونية " عرض المرأة و بالأخص جسدها كوسيلة لجذب المشاهدين للدعاية و الإعلان و كذا الإغراء الجنسي و الأبعد من ذلك كله تجارة الجنس الرخيص الذي ينتزع إنسانية المرأة و يجعل منها مجرد سلعة للمتعة الرخيصة و بهذا أصبحت المرأة الرخيصة تسعى لاستغلال جسدها و مفاتها حسب معادلة العرض و الطلب في السوق التجاري الذي هو سوق ذكوري بالدرجة الأولى²² ، أي أن المرأة اختزلت إلى جسدها في تجارة تهدف إلى تحقيق ربح اقتصادي من خلاله فنجدها تعرض ملابس داخلية وحفاظات الدورة الشهرية و تظهر في وضعيات جنسية مثيرة تلعب دوراً كبيراً في الإثارة الجنسية .

5 - العنف الاقتصادي :

و المقصود به هو الآخر ما تعلق بالمرأة ، حيث يأتي النظام الاقتصادي كغيره من الأنظمة لفرض سيطرته و سيادته على حياة المرأة بتنشيط علاقات القوة غير المتكافئة بين المرأة و الرجل مانحاً الرجل حق ملكية الأسرة و سيادتها كونه الوحيد الذي يقوم بالإسهام الاقتصادي للأسرة و بذلك يعد الدور الاقتصادي للمرأة دوراً ثانوياً مهماً²³ أي أن عدم امتلاكها للرأسمال المادي مقارنة بالرجل و حصرها في فضاء منزلي تقوم فيه بالعمل المنزلي الغير مأجور ساهم في جعلها عرضة للعنف ، و رغم أنها انخرطت في سوق العمل و أثبتت وجودها ، إلا أن هذا لم يسهم في النهاية إلا في ظهور ممارسات عنفية جديدة مقابل زوال أخرى أي أن كونها مالكة للرأسمال المادي لم يخلصها من

²¹ أمل سالم العواودة ، مرجع سبق ذكره ، ص 30

²² إبراهيم الحيدري ، النظام الأبوي و إشكالية الجنس عند العرب ، دار الساقي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2003 ، ص 13

²³ أمل سالم العواودة ، مرجع سبق ذكره ، ص 44

العنف الواقع عليها و إنما أوجد عنفا يمكن إدراجه ضمن العنف الاقتصادي الذي يمكن الحديث عنه من خلال أهم مظاهره :

- أول مظاهر العنف الاقتصادي هو حرمان المرأة من العمل أي من الحصول على أي مدخول مادي و بالتالي من المشاركة الاقتصادية للرجل التي سيقابلها مشاركة في اتخاذ القرارات سواء أكانت خاصة بها أو بغيرها مما يجعلها في النهاية تفضل تحمل كل أشكال السيطرة عليها من قبل الرجل مقابل أن يغطي هو مصاريفها ، كما أن عدم تغطية مصاريف المرأة و تلبية حاجاتها الضرورة تدلل هي الأخرى على العنف الاقتصادي .
- في حال السماح للمرأة بالعمل يتبن مظهر آخر يتمثل في أخذ مال المرأة و الاستيلاء على راتبها الخاص أو عدم إعطاءها الحرية الكاملة في التصرف في أموالها و قد يكون هذا العنف في كثير من الأحيان بإرادة المرأة التي تحاول أن تدفع للرجل سواء أكان أبا أو أخا أو زوجا ثمن السماح لها بالخروج من فضاءها الداخلي .
- حرمان المرأة من الميراث : إن الحديث عن المرأة و الميراث في المجتمع الجزائري يعلن ثورة على كل المرجعيات التي يبرر بها عادة الموروث الثقافي في كثير من ممارساته حتى و إن كانت عن طريق فهم خاطئ لها ، فالدين الإسلامي (المرجعية الدينية) يؤكد صراحة في نصوص كثيرة على أحقية المرأة في الميراث بغض النظر عن مقداره الذي يُعدّ دون مقدار الرجل في كل الأحوال - الذي يقع معها في نفس درجة القرابة - يقول الله تعالى في سورة النساء " للرجال نصيب مما ترك الوالدان و الأقربون و للنساء نصيب مما ترك الوالدان و الأقربون مما قلّ منه أو أكثر نصيبا مقروضا " ²⁴ ، كما أن المشرع الجزائري يؤكد على هذه الأحقية ما لم يوجد مانع من الإرث ، إلا أن الكثير من العائلات الجزائرية تحرم المرأة من الميراث على اعتبار أنه - الإرث - سيؤول إلى زوجها الذي يعتبر أجنبي و غريب على العائلة ، و رغم أن هذا المظهر يتراجع وجوده كلما اتجهنا من الريف إلى المدينة و من أسرة نووية حديثة إلى أسرة ممتدة تقليدية إلا أنها ممارسة لا تزال تفرض وجودها في المجتمع الجزائري بصفة عامة و القبائلي بصفة خاصة و الذي يجد في تاريخه تبريرا لها حيث حرر أعيان منطقة القبائل سنة 1749 وثيقة تحرم المرأة من الميراث تجنباً للفتنة و المشاجرة في القرى و الأعراش و تؤكد على ضرورة احترام القرار و عدم مخالفة أعراف المنطقة و عاداتها التي لا يجب أن تخترق معتبرين أنها- الوثيقة - كحكم السلطان و إلا سيصيب الذي لا يمتثل لها الفقر و الجوع و الذل جيلا بعد جيل ²⁵ .

ثالثا- أسباب العنف الموجه نحو المرأة :

إن العنف ضد المرأة ظاهرة ديناميكية مركبة تجتمع مجموعة من العوامل لخلقها ، وبالتالي لا يمكن تفسيرها بمتغير أو عامل واحد فقط ، أي أنه يُخلق إلى الوجود الاجتماعي بفعل مجموعة من العوامل الفردية والاجتماعية ، حيث تتمثل الأسباب الفردية في تلك المرتبطة بقابلية المرأة للتعنيف من جهة وبالسبب المرتبطة بالاستعداد التعنيفي للطرف المعنف لها من جهة أخرى ، أي أن خصائص المرأة الفيزيائية كضعف البنية الجسمية و الخصائص المتعلقة بشخصيتها كعدم ثقافتها بنفسها ، و تكوينها لصورة سلبية نحو ذاتها ، و كونها أقل استقلالية وأكثر لا استقرار ، تسامحها و تقبلها للممارسة العنيفة عليها، دلّعها ، عدم خضوعها للرجل ، عدم امتثالها للدور الأسري المرسوم لها اجتماعيا ، تمردتها على قوانين المجتمع قد يكون سببا في تعرضها للعنف ، أما العوامل الاجتماعية فتحدد انطلاقا من تحديد طبيعة المكانة التي تتموقع فيها المرأة في أسرتها و مجتمعتها و التي تفسر لنا الكثير من الممارسات التي توجه نحوها ، و إذا تحدثنا عن نظام أبوي عمق جذوره عبر زمن طويل امتد حتى بعد زواله بشأن الوضعية الدونية للمرأة فإننا سنرجع

²⁴ القرآن الكريم ، سورة النساء ، الآية 07

²⁵ كريمة هادف : حق المرأة في الميراث بين إنصاف الشرع و ظلم العرف ، جريدة الفجر الجزائرية ، العدد 4338 ، السنة 15 ، 2015 .

إليه أولاً أي تدريب اجتماعي خاطئ أو ناقص خلق للوجود الاجتماعي تنظيمات اجتماعية تهمش و تعنف المرأة و بالتالي " العنف ضد المرأة قد يعود لأسباب اجتماعية تاريخية أساسها أساليب التنشئة الاجتماعية التي تجعل الذكور أكثر سيطرة و تحكما ، كما قد يرتبط بطريقة تفكير الرجل و إيديولوجيته التي ترى أنه لابد أن يكون مسيطرا على الأشياء و المؤسسات و المرأة جسميا و اقتصاديا و سياسيا و نفسيا لا تعود إلى الفروق البيولوجية ، بل تعود إلى ما تسمح به الثقافة و ما يسمح به المجتمع بالنسبة للذكور و الإناث ، و ما يتوقعه المجتمع من الجنسين ، بل إن الذكورة و الأنوثة لا تحدد بالصفات التشريحية و لكن باختلاف الفروق الثقافية و التوقعات الاجتماعية ومن ثم فالأفعال و الممارسات العنيفة منطقيا هي محصلة عملية التنشئة الاجتماعية ... حيث تتشكل لدى الأفراد في المجتمع الواحد المعايير التي يلجئون إليها في التعامل لاسيما أن هذه المعايير هي قواعد غير مكتوبة تحدد السلوك المقبول من غير المقبول ²⁶ فالطفل الصغير الذي يرى والده يعنف أمه بل والذي يمارس عليه عنف هو الآخر لا يملك في النهاية إلا أن يكتسب هذا السلوك و يعيد ممارسته عندما تسمح له الفرصة بذلك ، و رغم الدور الكبير الذي تلعبه التنشئة الاجتماعي للأفراد في تفسير العنف الموجه للمرأة إلا أنه هناك عوامل أخرى لا تقل أهمية على غرار ضعف الضبط الاجتماعي و التشريعات و القوانين المجتمعية و عدم مسايرتها للتغير الاجتماعي و الثقافي و التساهل في تطبيق العقوبات على الرجل المعنف للمرأة و هنا نتحدث على مستوى الممارسة و التطبيق الفعلي للقوانين و ليس التشريع فقط ، كما أن الظروف الاقتصادية الاجتماعية الصعبة من ضعف القدرة الشرائية للفاعل الاجتماعي و ارتفاع عدد أفراد الأسرة الذين يعيشون في منزل واحد (أسرة ممتدة) ، البطالة ، الانحراف ، الإدمان ، التفكك الأسري ، انتشار ثقافة الإعلام العنيف ، نقص وسائل الترفيه كل هذه عوامل اجتماعية تفسر بشكل مباشر وغير مباشر العنف الموجه ضد المرأة .

رابعا - التمثلات الاجتماعية للعنف الموجه نحو المرأة :

ارتبطت أولى المقاربات العلمية للتمثل الاجتماعي بمحاولات عالم الاجتماع الفرنسي اميل دوركايم الذي أثار مصطلح التمثل الجماعي Représentation collective عندما حاول إبراز خصوصية التفكير الجماعي عن التفكير الفردي معتبرا أن التمثل الجماعي إحدى الآليات التي تؤكد أسبقية الاجتماعي عن الفردي ، وقبل هذا أشار امانويل كانط في ثورته المعرفية المرتبطة بأدوات و شروط المعرفة إلى أن أفكارنا و معارفنا هي نتاج اطر و بنيات ذهنية و أن المعرفة النهائية للواقع هي معرفة مستحيلة ²⁷ و بالتالي " تمثل شيء ما أو لشخص ما ليس نسخة عن الواقع ، أو الفكر ، أو الجزء الذاتي للموضوع ، أو الجزء الموضوعي في الفرد ، إنه سيرورة بناء العلاقة بينهم ، إذا فكل تمثّل بالأساس هو إيجاد العلاقة مع العالم و الأشياء ²⁸ و بمعنى أوسع فهو يدل على نمط تفكير اجتماعي عملي موجه نحو فهم المحيط في كل ميادين و التحكم فيه من خلال تصنيف الموضوعات إلى مجموعات متميزة على أساس خصائص مشتركة تجمعهم كأن نصنف الفاعلين حسب مؤشرات جسمية أو انتماءات اجتماعية أو اقتصادية أو دينية أو أن نطلق أحكاما جماعية من منطلق تصرفات فردية هذا ما جعل التمثلات الاجتماعية تتميز بنوع من الثبات النسبي و لا تتغير إلا بتغير عناصر الواقع و تغير إدراك الفرد لهذه العناصر (تساهم في إعادة تشكيل عناصر الواقع الاجتماعي) و بالتالي فالتمثلات توجه سلوك الفرد و تحدد استجاباته اتجاه المثيرات الداخلية و الخارجية ، و بالتالي يرتبط التمثل الاجتماعي للعنف من طرف المرأة أو الرجل ترتبط ارتباطا وثيقا بمجموعة القيم التي تم اكتسابها حول الموضوع و

²⁶ مصمودي زين الدين : مدخل نقدي لتفسير ظاهرة العنف من خلال التنشئة الاجتماعية بين تبريرات الواقع و الأنموذج المعياري ، في العنف و المجتمع ، دار الهدى للنشر و الطباعة و التوزيع ، الجزائر ، 2003 ، ص 44

²⁷ حيرش جمال : التمثلات الاجتماعية : أسس المقاربة النظرية و آفاق البحث في الحقل السيكيوسوسيولوجي ، المجلة الجزائرية للدراسات السوسيولوجية ، سداسية محكمة تصدر عن جامعة جيجل ، العدد الأول ، الجزائر ، 2006 ، ص 122 ، 123 ، 125

²⁸ بوخرينة بوبكر : المفاهيم و العمليات الأساسية في علم النفس الاجتماعي ، منشورات جامعة باجي مختار ، غابة الجزائر ، 2006 ، ص 257

المنسوجة بإتقان من طرف كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تعمل ضمن ثقافة معينة على بناء حاجز قوي مقاوم للتغيير من الصعب اختراقه لذا فالتمثل هو الذي يعمل على جعل سلوكنا يتغير من وضعية اجتماعية إلى أخرى وما العنف الذي تتعرض إليه المرأة إلا عبارة عن الشكل الخارجي و المرئي لمجموعة التمثلات الاجتماعية التي يحملها أطراف العملية العنفية حوله ، أي أنه وراء كل سلوك ظاهري دافع و اتجاه جماعي أدى و دفع إلى حدوثه على الشكل الذي ظهر لنا به ، من هنا تعتبر أي ممارسة عنفية مهما كان شكلها (جسدية ، نفسية ، جنسية ، سوسيوقافية ، اقتصادية) مشرعة و مبررة من قبل الطرف الممارس لها و الذي ظهر سلوكه العنفي كترجمة لميول و اتجاه جماعي مشكل مسبقا حول المرأة و مكانتها الاجتماعية و كذا طريقة و لغة التعامل معها و هو سلوك -العنف- في كثير من تجلياته مقبول من طرف المرأة ضحية السلوك العنفي على اعتبار أيضا تمثلا لذاتها و جسدها و مكانتها الاجتماعية و أوارها المخصصة في إطار التقسيم الاجتماعي للعمل و طبيعة علاقتها بالرجل سواء أكان أبا أو أخا أو زوجا أو ابنا أو شخص خارج محيطها العائلي ، و حتى لو لم تقبل المرأة هذا السلوك فإنها لن تقبل أيضا الثورة عليه ، و هذا ما يبرر الصعوبات التي تواجه دراسة موضوع العنف ضد المرأة من الناحية الإحصائية أين يقف الباحث عاجزا على قياس الظاهرة قياسا دقيقا أو حتى يقترب إلى الدقة ، وبالتالي التمثل الاجتماعي للعنف ضد المرأة يقف حائلا أمام اختصار الظاهرة إلى موضوع قابل للقياس و يوجها إلى مقارنة أشكاله و أسبابه و تمثلاته الاجتماعية .

خاتمة :

تعيش المرأة الجزائرية ازدواجية بين الخضوع لممارسات المجتمع التقليدي أو التمرد عليه في محاولة لإكسابه حلة الحداثة التي تحتم عليه أن يحدث قطيعة مع موروثه التاريخي و الثقافي ، و هذه الازدواجية تختلف من امرأة لأخرى حسب درجة اعتمادياتها الاقتصادية على الرجل من جهة و حسب الأسرة التي تنتمي إليها من جهة أخرى (أسرة ممتدة أو نووية أو في طور الانتقال من الممتدة إلى النووية) بالإضافة إلى مستوى التعليم الذي حصلته ، إلا أن الواقع الاجتماعي الملموس أثبت وجود المرأة المستقلة اقتصاديا إلا أنها تتعرض لشتى أشكال العنف بما فيها العنف الاقتصادي الذي يحرّمها من عائد عملها كما وُجدت المرأة التي تنتمي لعائلة نووية إلا أنها لا تتمتع بالقدر الذي يتمتع فيه الرجل بحرية اتخاذ القرار، أما المستوى التعليمي العالي فلم يمنع هو الآخر من تعرض المرأة لكافة أشكال العنف ، إذا الإشكال ليس في نظام تقليدي أبوي لأنه حتى و إن مارس أشكال من العنف عليها فإنه دفع عنها أشكالا أخرى من العنف و ليس الحل في نظام يساوي كليا في الحقوق و الواجبات بين الرجل و المرأة لدرجة لا تراعي الاختلافات النفسية و البيولوجية بينهما و إنما يكمن في طريقة فهم و تمثّل هذه الأنوثة و الذكورة المتجذرة في لاوعي الأفراد و التي ترسم حدودا و أدوارا اجتماعية مسبقة تظهر و كأنها معطى طبيعي مؤسس على ذلك الاختلاف البيولوجي و بالتالي لا يمكن تغيير الوضعية التي جعلت المرأة في موقع المهيمن عليه إلا بإحداث ثورة معرفية تقلب موازين القوى المادية و الرمزية بين الجنسين .

المراجع المعتمدة :

- 01 - القرآن الكريم : سورة النساء ، آية 07
- 02 - المرصد الوطني للمرأة و آخرون : النشرة الإخبارية الوطنية ، التلفزيون الوطني الرسمي الجزائري ، 2014/11/25 ، الساعة 20:00
- 03 - البشير إبراهيمي : عيون البصائر ، الجزء الرابع ، دون طبعة ، دون سنة
- 04 - إبراهيم الحيدري ، النظام الأبوي و إشكالية الجنس عند العرب ، دار الساقي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2003

- 05-أمل سالم العواودة ، العنف ضد المرأة العاملة في القطاع الصحي ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، دون طبعة ، عمان ، 2009
- 06-بوخريسة بوبكر : المفاهيم والعمليات الأساسية في علم النفس الاجتماعي ، منشورات جامعة باجي مختار ، عنابة الجزائر ، 2006 .
- 07-بركات حليم : النظام الاجتماعي و علاقته بمشكلة المرأة العربية في المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، العدد 34 ، ديسمبر 1981
- 08-بيار بورديو : الهيمنة الذكورية ، المنظمة العربية للترجمة (ترجمة سلمان قعفراني) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، 2009
- 09-جاجان جمعة الخالدي ورشيد أحمد البرواري : الإحترق النفسي لدى المرأة ، دار جرير للنشر و التوزيع ، الطبعة الأولى ، عمان الاردن ، 2013
- 10-حطب زهير و عباس مكي : السلطة الأبوية و الشباب ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، دون تاريخ
- 11-حيرش جمال : التمثلات الاجتماعية : أسس المقاربة النظرية و آفاق البحث في الحقل السيكلوسوسيولوجي ، المجلة الجزائرية للدراسات السوسيولوجية ، سداسية محكمة تصدر عن جامعة جيجل ، العدد الأول ، الجزائر ، 2006
- 12-كريمة هادف : حق المرأة في الميراث بين إنصاف الشرع و ظلم العرف ، جريدة الفجر الجزائرية ، العدد 4338 ، السنة 15 ، 2015 .
- 13-محمد السعودي : من مشكلات الأسرة النازحة في الوسط الحضري ، مجلة المجاهد ، عدد 1314 ، سبتمبر 1985
- 14-محمد حمداوي : المرأة بين الأسرة و المجتمع ، الازدواجية و العنف المعنوي ، الملتقى الوطني حول المرأة "نساء" وجهات نظر مختلفة و تعددية أفكار ، وزارة التضامن ، 1998
- 15-مسعود كسال : مشكلة الطلاق في المجتمع الجزائري ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دون طبعة ، 1996
- 16-مديحة أحمد عبادة و خالد كاظم أبو دوج : العنف ضد المرأة دراسات ميدانية حول العنف الجسدي و العنف الجنسي ، الطبعة الاولى ، دار الفجر للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2008 .
- 17-مصمودي زين الدين : مدخل نقدي لتفسير ظاهرة العنف من خلال التنشئة الاجتماعية بين تبريرات الواقع و الأنموذج المعياري ، في العنف و المجتمع ، دار الهدى للنشر و الطباعة و التوزيع ، الجزائر ، 2003
- 18-عبد الرحمان العيسوي : علم النفس الجنائي ، أسسه و تطبيقاته العلمية ، الدار الجامعية ، بيروت ، دون طبعة ، 1990 .
- 19-عدي الهواري : الاستعمار الفرنسي سياسة التفكيك الاقتصادي و الاجتماعي 1830-1960 ، ترجمة جوزف عبد الله ، دار الحداثة ، بيروت ، 1983.
- 20-قنيفة نورة : الشباب و العنف ...أو معادلة الذكورة و الضعف الأنثوي ..العنف الجنسي نموذجا ...، مداخلات الملتقى الوطني حول الشباب و العنف في المجتمع الجزائري ، منشورات جامعة جيجل ، 2012 .

21 - organisation internationale du travail et conseil international des infirmier; directives générales sur la violence au travail dans les secteur de la santé , première édition , imprimé en suisse maquette p.a.o , genève , 2002

- 22-عادل مجاهد شرعبي : العنف العائلي ضد المرأة ، تحليل العلاقات ، ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر اليمني لمناهضة العنف ضد المرأة ، صنعاء ، اليمن ، مارس ، 2004 على الموقع www.aman.org/studies نظر يوم 2014/01/15 على الساعة 14:30

اثر الضوضاء على صحة العاملين في المؤسسات الصناعية

أ.إسعادي فارس - أستاذ مساعد قسم أ

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

جامعة حمة لخضر الوادي (الجزائر)

Abstract

the noise of the most important factors affecting the health of workers in industrial enterprises and came this study to show impact and methods of prevention in the workplace, and this through a review of the literary heritage, which dealt with this topic.

Keywords: noise, health workers, industrial companies

Resume :

le bruit des facteurs les plus importants qui affectent la santé des travailleurs dans les entreprises industrielles et est venu cette étude pour montrer l'impact et les méthodes de prévention en milieu de travail, et ce à travers un examen de l'héritage littéraire, qui traite de ce sujet.

Mots-clés: le bruit, la santé des ouvriers, entreprises industrielles.

الملخص:

الضوضاء من أهم العوامل المؤثرة على صحة العاملين في المؤسسات الصناعية ولقد جاءت هذه الدراسة لتبين أثرها وطرق الوقاية منها في أماكن العمل، وهذا من خلال استعراض التراث الأدبي الذي تناول هذا الموضوع.

الكلمات المفتاحية: الضوضاء، صحة العاملين، المؤسسات الصناعية.

مقدمة:

حددت السلطات الفيدرالية في الولايات المتحدة الأمريكية أن يكون مستوى الضوضاء في المصنع في حدود 90 ديسبل ، ويذكر "شولتز" أن الأشخاص الذين يتعرضون لضوضاء عالية (بين 95-110 ديسبل) يعانون من تأذي السمع وزيادة ضربات القلب وارتفاع ضغط الدم. (شحاتة: 2010، 78) ويؤكد "شولتز" أن العديد من البحوث تشير إلى أن الضوضاء لها أضرار على العمال وبخاصة أنها تؤثر على الأذن والتوتر العصبي وغير ذلك إلا أنها لا تؤثر بشكل مباشر على الإنتاج، وإنما يتأثر الإنتاج بتأثر العامل كون هذا الأخير المحرك الأساسي للعملية الإنتاجية، والضوضاء تؤثر فيه على المدى الطويل وتعرف الضوضاء على أنها الصوت غير المرغوب فيه في بيئة العمل، وأن الصوت العالي عبارة عن تحركات موجهة لجزيئات الهواء وهذه التحركات تسبب ذبذبات صغيرة ولكن تكون سريعة في ضغط الهواء ويمكن أن يسبب التعرض للضوضاء فقدان السمع وقتيا أو دائما أو تهيجا في الأعصاب وحصول الإجهاد. (عامر أحمد غازي: 2010، 263) وللفهم أكثر عن الضوضاء وعواملها وأضرارها وطرق الوقاية منها سيتم فيما يلي شرح مفصل لها:

1-تعريف الضوضاء:

لإدراك معنى الضوضاء بشكل الصحيح علينا أن نعرف ما هو الصوت أولاً، فالصوت بحد ذاته نوع من أنواع الطاقة صادرة عن حركة تذبذب تموجية في وسط ما (كالهواء والماء والحديد) ولا بد لهذه الطاقة من أن تؤثر على حاسة السمع ويصدر الصوت من أشكال مختلفة منها الاهتزازات المنظمة كالموسيقى مثلاً، ومنها التموجات الغير منتظمة التي تحدث دوماً (حكمت جميل: 1980، 07).

ويعرف الصوت على أنه مؤثر خارجي على الأذن فيسبب الإحساس بالسمع، ويمكن القول بأن كل جسم مهتز يشكل مصدراً للصوت، لأن اهتزاز الجسم يؤدي إلى اهتزاز جزيئات الهواء من حوله على شكل موجات تنتشر في جميع الاتجاهات، وتعرف هذه الموجات بالموجات الصوتية، وينقطع الصوت تماماً عندما يتوقف الجسم المهتز عن الاهتزاز.

ما تجدر الإشارة إليه لا يمكن اعتبار كل صوت ضوضاء، فالصوت له صفة الانتظام والتناسق، أما الضوضاء فهي تداخل مجموعة أصوات عالية وحادة وغير مرغوبة، وتصبح هذه الضوضاء مادة للتلوث ويطلق عليها التلوث الضوضائي عندما ترتفع شدة الضوضاء إلى درجة إزعاج الإنسان والتشويش على تفكيره بل والتأثير على صحته سلباً، فيصاب بالتوتر والأمراض النفسية والعضوية وغيرها. (حسن أحمد شحاتة: 2000، 29-30)، ويمكن التنبؤ بمدى قدرة هذه الضوضاء على إزعاج العاملين في المصانع وفق الدلائل التالية :

- المرتفعة، كلما زاد ارتفاعها زاد إزعاجها.
- الطبقة العالية، ابتداءً من حوالي 1500 هرتز فما فوق.
- المتقطعة وغير المنتظمة، وكلما ازدادت عشوائية الضوضاء زاد إزعاجها.
- كلما ازداد عدم إدراكنا لمصدر الصوت ازداد الإزعاج.
- الغير متوقعة: مثل اختراق حاجز الصوت. (تيودور بيرلاند: 1974، 75-77).
- وتعرف الضوضاء في مكان العمل على أنه ذلك المكان الذي يصل فيه مستوى الضوضاء إلى (80) ديسيبل فأكثر، وذلك اعتماداً على قوائم ماك كورمك وكتابات شولتز وقائمة برول وكاجير.

ولقد أخذ التعرض المهني للضوضاء اهتماماً متزايداً منذ سنوات مضت وهذا يرجع إلى عدة عوامل منها:

- انتشار المرض المهني المعروف بالصمم المهني والذي يصنف على أنه إصابة من إصابات العمل.
- تجميع كمية من المعلومات عن الضوضاء وأثرها على العمال.
- تعرض أعداد متزايدة من العمال للضوضاء في بيئة العمل.
- فالضوضاء أصبحت مشكلة في الكثير من الصناعات نذكر منها صناعة النسيج والمحاجر، وصناعة الإسمنت.... الخ (عامر أحمد غازي: 2010، 262).

2-تقنيات القياس: وتقوم كما يلي:

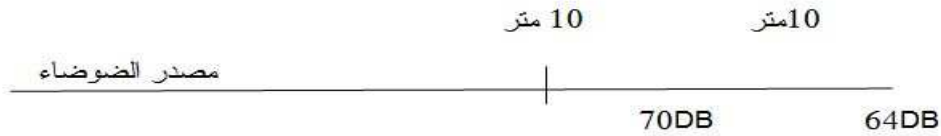
- المسح الأولي قصد تحديد الأماكن التي تسود فيها مستويات ضوضاء عالية.
- قياس العوامل المؤثرة بالضوضاء كالحرارة
- إجراء معاينة لتحديد فترات قياس مستويات الضوضاء أثناء العمل.
- ويتم تقسيم مستويات الضوضاء في أي بيئة مهما كان مستوى الضوضاء فيها بواسطة جهاز بسيط يدعى المصوات (noisemeter) (بوتريفة حمو: 2002، 36-43).

3- أثر الضوضاء على الأفراد:

على العموم يمكن اعتبار الضوضاء بأنها تلك الأصوات الضارة وغير المرغوب فيها في البيئة والتي يمكن أن تقاس في أماكن خاصة وتعطى لها متوسطات في زمن محدد أو بتعبير آخر هي عبارة عن أصوات غير مرغوبة ومتداخلة، ولا تؤدي إلى معنى واضح وتزيد معدلاتها عن 70 ديسبل، ونظرا لأن الضوضاء من أهم مشاكل الحياة المعاصرة التي يحياها، فإنها تشكل نوعا من التلوث يؤثر على الإنسان ونمط حياته فهي تسبب أضرار كثيرة للإنسان منها ما هو نفسي وما هو عصبي وما هو فسيولوجي كما أنها تؤثر بطريقة غير مباشرة على الحياة الاقتصادية والتعليمية والاجتماعية حيث تشكل الضوضاء مصدرا آخر من مصادر الضغط النفسي على الإنسان الذي يؤثر بدوره على الصحة العامة والصحة النفسية والفيزيولوجية في مختلف سنوات عمره (وفاء إمام: 2003، 03)

هذا بصفة عامة أما فيما يخص العاملين في المصانع حيث أصبحت إحدى المشاكل الرئيسية في الكثير من الصناعات تؤثر على صحة العمال ولكن قبل التطرق إلى تأثيراتها يجب التطرق إلى تلك العوامل المساعدة للضوضاء حتى تؤثر في العاملين وهي كما يلي:

- **شدة الضوضاء:** لقد وجد بأنه هناك تناسب طردي بين شدة الضوضاء وتأثيراتها الفرد، أي أنه كلما كانت شدة الصوت عالية كان الضرر على الجهاز السمعي أكبر.
- **المسافة الفاصلة بين العامل ومصدر الضوضاء:** تشير الدراسات إلى أن شدة الضوضاء تقل بـ 6 ديسبل إذا ابتعد الفرد العامل إلى مسافة تقدر بضعف المسافة الأولى عن مصدر الضوضاء .



الشكل رقم-1- يبين العلاقة بين الضوضاء وبعد المسافة

- مساحة المكان:

إن تأثير الضوضاء يعتمد على وجود ما يسبب انعكاس الأصوات نتيجة اصطدام التموجات الصوتية بالسقوف و الحواجز وما إلى ذلك من مواد موجودة في المكان، وبالتالي تؤدي هذه الانعكاسات إلى زيادة شدة الضوضاء.

- طبيعة الموجه:

كلما كان الصوت متكون من عدة موجات متداخلة كلما زاد تأثير ذلك على الجهاز السمعي للفرد.

- مدة التعرض للضوضاء:

أن العلاقة بين مدة التعرض للضوضاء وكفاءة الجهاز السمعي طردية أي تقل كفاءة الجهاز السمعي كلما تعرض الفرد للضوضاء لمدة أطول.

- العوامل الشخصية: هناك عوامل متعددة أهمها :

- **السن:** إن التغيرات الوظيفية في الإنسان تبدأ بالنقص كلما تقدم في عمره إذا أضيف إليها تأثير الضوضاء أدى بالنتيجة إلى تأثيرات مضعفة.

- **الاستعداد:** فهناك من الأفراد يكونون يمتلكون قابلية الإصابة بما يعرف بالصمم المهني.

- العوامل الوراثية:

فقد بينت بعض الدراسات بأن الصمم موجود في بعض العائلات، حيث أبرزت الدراسات أن تأثير الضوضاء على الجهاز السمعي لهذه العائلات تبرز بشكل أسرع وتظهر أعراض الصمم مبكرة بالمقارنة مع العائلات الأخرى.

-الحالات المرضية السابقة:

إن الأفراد الذين تعرضوا خلال حياتهم إلى أمراض الأذن الوسطى والجهاز السمعي بصورة عامة والأنف والحنجرة (قناة أوستاكي)، خاصة في مرحلة الطفولة يكون تأثير الضوضاء عليهم أكثر من الذين لم يصابوا بمثل هذه الحالات (حكمت جميل: 1980، 25-26-27).

أما فيما يخص تأثيرات الضوضاء على الشخص العامل يمكن تقسيمها إلى قسمين هما:

التأثيرات غير السمعية:

تشكل الضوضاء عائق في التفاعل الاجتماعي داخل المنظمة مما قد يؤدي إلى صعوبة الاتصال بين الأفراد مما يعيق عمليات التحذير وفهم الرسائل (حكمت جميل: 1980، 88).

بالإضافة إلى ذلك فإن عدم قدرة العمال على سماع بعضهم تحرمهم من تكوين العلاقات الشخصية المثالية، كما أنها تحد من قدراتهم على مشاكل العمل المتبادلة (حكمت جميل: 1980، 27).

ولقد قام حمو بوظيفة بتحديد مستويات الصوت المسموعة تبعا لمسافة الاتصال كما هو مبين في الجدول رقم

(01):

المسافة بالمتر						
05	04	03	02	01	0.5	مستوى الصوت
52	54	56	60	66	72	الصوت العادي db
58	60	62	66	72	78	الصوت المرتفع

(بوظيفة حمو: 20021، 154)

الاضطرابات النفسية:

تؤثر الضوضاء تأثيرا واضحا على الحالة النفسية للإنسان حيث تشكل بالنسبة إليه نوعا من المشقة، كمشقة العمل، وخاصة العمل المهني، ويظهر هذا في صورة قلق، وارتباك، وضعف في التركيز والتفكير وإرهاق ذهني وعصبي كما يؤدي التعرض للضوضاء إلى حدوث تغيرات نفسية تنشأ من تعرض المدة طويلة للضوضاء ومنها ما يسمى بالتقلب المزاجي والذي يعرف علميا بأنه الشعور بالفرح ثم الشعور بالضيق وبطريقة مفاجئة مما يؤدي إلى توتر عصبي لا يزول إلا بزوال مصدر الضوضاء كما تؤدي هذه التقلبات المزاجية إلى حدوث قلق وتوتر والعجز عن التعبير عن المشاعر والأحاسيس بصفة مستمرة، فقد اتضح من دراسات أجريت على مجموعات من العمال أن تعرضهم لضوضاء شديدة يؤدي إلى الاضطراب والميل للجدل وتغير الطباع والمزاج، فالباحثون يؤكدون دائما على وجود ارتباط بين الضوضاء والمشكلات الصعبة النفسية، على اعتبار أن الضوضاء عامل مثير للمشقة والمشقة عامل سببي أو مسبب لأمراض الصحة النفسية، وتؤكد الكثير من الدراسات أن التعرض للضوضاء مرتفعة الشدة يرتبط بعدم الاستقرار وحدة الطبع والقلق والعجز الجنسي، وكذلك تغيرات في الوجدان والمزاج.

اضطرابات الأداء:

ما زالت العلاقة بين الضوضاء والأداء غير واضحة نظرا لاختلاف نتائج البحوث حولها، بينما تشير بعض البحوث إلى الضوضاء تأثيرا سلبيا على الأداء فإن دراسات أخرى قد أشارت إلى عدم وجود أي أثر للضوضاء على الأداء، فقد أثبتت بعض الدراسات المعملية عدم وجود عديد من الأخطاء اللغوية لعينة من المشاركين في ظل بيئة

ضوضائية بينما أثبتت بحوث أخرى أن أداء المشاركين اتسم بالبطء وعدم الثبات وذلك في ظل وجودهم في حجرة تتسم بالضوضاء.

وقد توصلت بعض البحوث إلى عوامل مهمة ينكشف من خلالها مصدر اختلاف نتائج البحوث الخاصة بالعلاقة بين الأداء و الضوضاء وأهمها نوع المهمة المطلوب أدائها، حيث يظهر نقص في القدرة على التركيز وعلى أداء الأعمال الذهنية ونقص القدرة على أداء العمل العضلي حيث لوحظ أن سرعة التعب تزداد عند أداء العمل العضلي في الأجواء.

التغيرات الفيزيولوجية:

تنشط مراكز الجهاز العصبي الأولى نتيجة الاندفاعات من الدماغ الأمر الذي يؤدي إلى جملة من ردود الفعل الجسمية كجزء من الاستجابة على وجه الخصوص كلا من الغدد، الجهاز الدموي، الجهاز الهضمي، والجهازين الهضمي والعضلي، وإذ يمكن للضوضاء المرتفعة وخصوصا المفاجئة أن تسبب في استجابة اليقظة التي تتجر عنها جملة من ردود الفعل الفيزيولوجية داخل الجسم، تتمثل في زيادة إفراز مادة الأدرينالين وارتفاع كل من نبضات القلب والضغط الدموي والتنفس، كما تنقبض العضلات وتتعطل الحركة المعوية وتنقلص الأوعية الدموية المحيطة.

كما أن الضوضاء المفاجئة تنتج انخفاضاً في نشاط الأحشاء وفي تدفق اللعاب والعصب الهضمي، لذلك يمكن أن تؤثر على الجهاز الهضمي للعامل الذي يتكرر تعرضه للضوضاء المرتفعة، والتي تؤدي بالتالي إلى عواقب سيئة على كل من صحة وكفاءة العمال الذين يكونون عرضة لها (حمو بوطريفة: 2002، 88) كما أن الجهاز العصبي يتأثر بالضوضاء حيث تندفع إليه الموجات الصوتية في صورة إشارات كهربائية، تعبر الألياف العصبية حتى تصل إلى لحاء المخ فتهيج خلايا هذا اللحاء، وتثير الإشارات المناطق الموجودة تحت هذه الخلايا، ولاسيما الجهاز الشبكي، وينتج عن هذا حدوث تهيج في الجهاز العصبي اللاإرادي والذي يؤثر بدوره على أعضاء الجسم مما يؤدي إلى زيادة سرعة دقات القلب وسرعة النبض وارتفاع ضغط الدم الشرياني، ومن الدراسات التي أجريت عن تأثير الضوضاء فيزيولوجيا على سبيل المثال دراسة "روبر بستون" و"زوكس" 1972 حيث أُنشِث وجود ارتباط بين الضوضاء والأمراض الحادة والمزمنة مع زيادة في التردد على الأطباء وكذلك دراسة "دورينج" 1980 الذي وجد أن الضوضاء تؤثر على أنسجة الجهاز الهضمي مباشرة

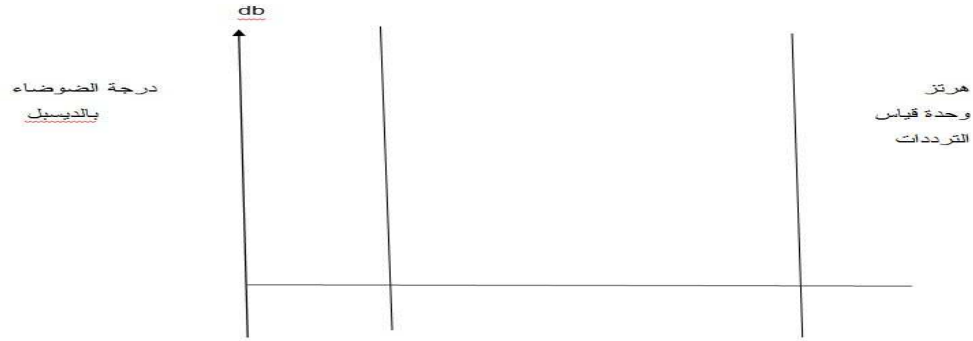
أجهزة الاتزان:

إن الضوضاء تؤثر من خلال اضطراب الأذن على أجهزة الاتزان وتؤدي إلى الشعور بالدوار والغثيان والقيء وعدم الاتزان.

- التأثيرات السمعية:

- ويقصد بها تأثير الضوضاء على الجهاز السمعي حيث يوجد هناك العديد من التأثيرات وهي كما يلي:
- **المؤقتة:** تأثير الخلايا الشعرية الحسية في الجسم الحلزوني مما يؤدي إلى ضعف القدرة السمعية في نهاية فترة العمل لمدة 08 ساعات ويمكن أن يؤدي تعرض العامل لإصابة دائمة في مدة تتراوح ما بين 15 و 20 سنة.
- **الدائمة:** إن كثرة تعرض الفرد للضوضاء وخاصة إذا كانت شدتها أكثر من 85 ديسبل تؤدي إلى تحليل الخلايا الشعرية الحساسة في الجسم الحلزوني من الأذن الداخلية وعند ذلك نفقد هذه الشعيرات جزءاً من حساسيتها إلى الأبد ويتعرض الفرد إلى حالة تسمى الصمم المهني (حكمت جميل: 1980، 30) وهو على نوعين :
- **الصمم التوصيلي:** يحدث بسبب إعاقه مسار انتقال الأمواج الصوتية من الأذن الخارجية إلى الأذن الداخلية لأي سبب من الأسباب التالية:

- الزيادة المفرطة في المادة السمعية أو خراج الأذن.
- التهاب أو ثقب في غشاء الطبلة (وقد يحدث الثقب نتيجة الضوضاء الصادرة عن انفجار).
- تصلب الأذن أي فقدان المرونة في عظيمات الأذن الوسطى الثلاث أو في الغشاء الذي يربطها بالأذن الداخلية وبهذا تمنع انتقال الصوت إلى الأذن الداخلية.
- **الصمم الإدراكي:** يحدث نتيجة تلف العصب السمعي (الحلزوني) نتيجة لأحد الأسباب التالية:
 - التعرض المفرط للضوضاء لأي سبب من الأسباب
 - وقر السمع (يحدث مع بداية 60 سنة)
 - الضغط على العصب السمعي (بسبب ورم في الدماغ)
 - إصابات الرأس
 - الالتهابات الفيروسية
- ويعرف الصمم المهني بأنه النقص التدريجي في كفاءة الجهاز السمعي للفرد المعرض تعرضا مستمرا (08 ساعات يومي)، ستة أيام في الأسبوع ولمدة تزيد عن 10 سنوات لضوضاء أعلى من الحد المتعارف عليه والموضحة في الشكل رقم (02):



الشكل رقم (02) يبين الحدود المسموح بها للضوضاء في بيئة المصانع (محمد فخري الشهباني: 2010، 266)

- التأثيرات المشتركة:

إن تعرض الفرد لشدة ضوضاء عالية (أكثر من 85د) لفترة قصيرة قد يؤدي إلى التأثير على الخلايا الشعرية الحساسة في الجسم الحلزوني وهذا التأثير قد يكون جزئيا على بعضها، كما أن نتيجة التعرض المستمر للضوضاء العالية قد يؤثر على جزء من هذه الخلايا وليس على الكل إذا ابعد هذا الفرد عن هذا المصدر قد يستعيد جزءا من الخلايا الشعرية الحساسة ويفقد قسما أخر منها وهكذا يكون تأثيرها جزئيا حيث يصاب بالصمم الجزئي وليس الكلي.

وعلى العموم فإن الجدول رقم (02) يبين مستويات الضوضاء التي تؤثر في صحة العامل:

نوع الضوضاء	شدة الضوضاء (الديسيبل)
ضوضاء محتملة	45-50
ضوضاء محتملة متعبة مع الوقت	65-80
ضوضاء تحدث صمم مع الزمن	85-105
ضوضاء تحدث صمم في لحظة	110-130

جدول رقم (03) يبين الحد الأعلى المتعارف عليه عالميا لتعرض الفرد العامل للضوضاء (حكمت جميل، 1980، 333)

شدة الضوضاء (ديسيبل)	الفترة الزمنية / يوم
120	1.5 دقيقة أو أقل
110	3.0 دقائق
103	07 دقائق
97	15 دقائق
93	30 دقيقة
90	01 ساعة
87	02 ساعة
85	04 ساعة
85	08 ساعة

وفيما يلي سنقوم باستعراض تأثير شدة مستوى الصوت على الإنسان من خلال الجدول رقم (04) التالي:

مستوى الصوت	التأثيرات
120 ديسيبل	تتعرض الأذن للآلام واضحة
140 ديسيبل	تتفجر طبلة الأذن
150 ديسيبل	يبدأ القفص الصدري بالاهتزاز ويتعرض الإنسان للغثيان أسعال الحاد وضيق شديد في التنفس
200 ديسيبل	تتفجر الرئتين
أكبر من 200	يتأذى كل أنحاء الجسم ويتضمن اضطرابات في عمل القلب والدماغ وتكون النتيجة الموت

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن التلوث الضوضائي يؤثر في الإنسان تأثيرا بالغا يبدأ من الانزعاج إلى الموت فهو بمثابة خطر يهدد الأفراد بصفة عامة وبصفة خاصة العاملين في المؤسسات يتعرضون فيها لساعات لمجموعة من الأصوات المزعجة، التي تؤثر في صحتهم، حيث تؤثر تأثيرا واضحا في الحالة النفسية ويظهر في صورة القلق واكتئاب مما يؤدي بالعاملين إلى الجدل وتغير الطباع والمزاج، كما أنها تؤثر تأثيرا واضحا في أدائهم خاصة تلك الأعمال التي تتطلب التركيز والانتباه.

كما أنها تؤثر تأثيرا بالغا على الجهاز السمعي لديهم، حيث تسبب في فقدان القدرة السمعية لدى العامل المعرض، ولقد أكدت الدراسات الحديثة إلى أن هناك عامل واحد من بين خمسة عمال يصاب بالصمم والابأس في هذا الصدد أن نقوم بعرض مقاييس ضعف السمع من خلال الجدول رقم (05) الآتي:

التصنيف	درجة السمع
سمع طبيعي	05-25 ديسيبل
ضعف سمعي بسيط	26-40 ديسيبل
ضعف سمع متوسط	41-55 ديسيبل
ضعف سمع شديد	56-70 ديسيبل
ضعف سمع شديد جدا	71-90 ديسيبل
صمم	90-120 ديسيبل

بالإضافة إلى اضطرابات فسيولوجية، حيث أكدت الدراسات أن للضوضاء تأثيرات على الجهاز العصبي، ضغط الدم والقلب والدورات الدموية والجهاز الهضمي ... الخ.

وعليه وجب التدخل خاصة في بيئة المصنع من أجل الحد ولو نسبيا من أخطار العمال.

5- حماية الأفراد من أخطار الضوضاء في بيئة المصنع:

لقد تمت الإشارة سابقا إلى تأثيرات الضوضاء على صحة العاملين وتمت الإشارة أيضا إلى أن الضوضاء تؤدي بالضرورة إلى اضطراب في أدائهم أما عن أنواع الضوضاء التي يتعرض لها العاملون في المصنع فهي حسب مجدي إبراهيم كالآتي:

- ضوضاء مستمرة (آلات الغزل والنسيج).
- ضوضاء متقطعة (أصوات المطارق والإنفجارات)
- ضوضاء ظرفية (الاصطدامات والارتطامات المتتالية)
- ضوضاء بيضاء (إطلاق البخار) (مجدي إبراهيم الساقه: 2011، 59)

وتقع حماية العاملين في بيئة المصنع ضمن مسؤولية الإدارة في الوحدة الصناعية لذا فإنه من الضروري أن تهتم بها وحل مشكلة الضوضاء واعتبارها حالة مهنية تحتاج إلى جهود إضافية من الإدارة أو المسؤولين والطبيب المهني ويمكن تحقيق ذلك بإتباع الخطوات التالية:

أ- طرق الوقاية الطبية:

- الفحص الطبي الأولي:

وهي عملية فحص تشمل كل العاملين في الأماكن التي تسود فيها الضوضاء مع الاحتفاظ بنتائج الفحوصات ووضعها في ملفات العاملين قصد العودة إليها في حالة حدوث صمم مهني أو عند الفحوص الدورية، والتي تساعد على اتخاذ الإجراءات اللازمة قبل تدهور الحالة، كما يساعد على وضع العاملين الضعفاء السمع في أماكن تكون أقل ضوضائية.

- الفحص الطبي الدوري:

زيادة على الفحص الطبي الأولي تتكرر العملية على فترات منتظمة تجرى عادة مرة كل ستة أشهر أو كل سنة لمن يعملون في أماكن بها ضوضاء مرتفعة حيث تساعد هذه الطريقة بمعرفة الأشخاص الذين يخل سمعهم في وقت مبكر ويمكن حصر فوائد إجراء الفحص الطبي الدوري فيما يلي:

- معرفة التغير الحاصل في كفاءة جهاز السمع لدى الفرد.
- معرفة قابلية المحادثة مع استعمال معدات الوقاية
- اكتشاف الضوضاء التي تؤثر على بعض الأفراد وتضعف سمعهم
- فرز الأشخاص الذين يجب نقلهم إلى أقسام أخرى
- متابعة ومراقبة الأفراد المعرضين لخطر الضوضاء
- الاحتفاظ بسجل شخص لقراءات جهاز السمع بالنسبة للفرد خلال فترة عمله في منطقة بها ضوضاء شديدة، وعند الإحالة على التقاعد قصد الاستفادة من ذلك في المستقبل. (بوطريفة حمو: 2002، 133-135)

ب- طرق الوقاية الهندسية:

إن الاعتماد على طرق الوقاية الهندسية في السيطرة على الضوضاء هو الأسلوب الأمثل لمعالجة هذه المشكلة وهناك طرق متعددة يمكن استعمالها تبعا لشدة الضوضاء من المصدر (ريميرونالدي: 1999، 278)، أو استبدال الماكينة ذات الضجيج العالي بأخرى أقل ضجيجا أو عزل الماكينة التي تحدث الضوضاء عن العمال وحصرها

في مكان خاص أو العمل على تضليل ذبذبات المكائن أو استعمال المواد الماصة للصوت أو زيادة المسافة بين العاملين والآلات المحدثة للضوضاء (حكمت جميل: 1989، 94)

ج- الوقاية عن طريق التخطيط والتصميم:

- ويتم ذلك عن طريق اختيار مواد البناء وطريقة التصميم
- وضع مكاتب الموظفين الذين يقومون بأعمال إدارية بعيدا عن مصادر الضوضاء (بوظيفة حمو: 2002، 136)
- توضع معدات أعمال البناء والتشييد والتي تعتبر عاملا في حدوث الضوضاء تحت الطابق الأرضي ومع استخدام مواد إنشائية ومواد تغليف في البناء تعمل على امتصاص الصوت.
- فحص الآلات والمعدات وتحديد مسببات الضوضاء ومعالجتها.
- إعداد تصاميم متكاملة معتمدة حجم وشكل وطبيعة حالة العمل وطبيعة إخضاع مواصفات الآلات والأجهزة المصنعة للحد الأقصى لمنسوب الضوضاء المسموح به
- إخضاع نصب وتأسيس الآلات إلى شروط الضوضاء والاهتزازات المسموح بها.

د- استعمال الأجهزة الواقية للأذن:

إذا كانت عملية مراقبة الضوضاء بواسطة أحداث تغير في البيئة واستعمال مختلف الوسائل والطرق التكنولوجية مستحيلة أو غير كافية فإنه يمكن تحديد مقدار التعرض المستمر للمستويات العليا من الضوضاء كأحد التناولات حيث سيتم ذلك سواء بتخفيض العمليات التي بها الضوضاء حتى لو اقتصر ذلك على فترات قصيرة من الزمن أو السماح للعامل بالتعرض لمستويات عليا من الضوضاء ولكن لفترات قصيرة فقط، وفي حالة فشل مختلف الطرق في تخفيض الضوضاء للمستويات المقبولة فإنه يمكن اللجوء إلى استعمال الوسائل الوقائية الفردية تأخر حل، بالأماكن التي يكون فيها التعرض للضوضاء لا مفر منه شريطة أن ينظر لهذه العملية لمعالجة أعراض المشكل بدلا من حلها للقضاء على الضوضاء لذا فإنه يتحتم على العامل المضطر العمل بمحيط فيه ضوضاء استعمال الأجهزة الوقائية للأذن. (بوظيفة حمو: 2002، 145)

- سدادات الأذن:

وتكون مصنوعة إما من المطاط أو البلاستيك أو القطن أو الشمع أو غير ذلك من المواد ومن فوائدها أنها صغيرة الحجم وسهلة الحمل ويمكن ارتدائها من قبل كل فرد وخاصة الذين يرتدون نظارات طبية كما أنها لا تعرقل حركة الرأس (محمد فؤاد: 2008، 24) كما يجب أن تزود نجاتهم أو سداده ناعمة ومريحة وكاتمة للهواء علما أنه سيتم الاعتماد في ذلك على ما يسمى بالخطوط القاعدية أو المرجعية للفحص السمعي وهي مبنية أساسا على نتائج اختبارات سمع أجريت على عمال جدد في بداية تشغيلهم ويمكن أن نقوم بتخفيض الضوضاء بمقدار 30 ديسبل وهي أنواع.

- السدادات الدائمة:

وهي مصنوعة من المطاط صممت لتطابق قناة الأذن ولا بد أن تكون محكمة لأن أي تسرب للصوت يفقدها فاعليتها، وتستخدم غالبا في ظل الضوضاء القليلة وهي متوفرة في أحجام مختلفة (05 أحجام مختلفة ليناسب أحجام قناة الأذن).

- السدادات الغير دائمة:

تصنع من الصوف المعدني أو القطن المشمع العازل للصوت والحرارة، ويتم استعمالها مرة واحدة فقط ويعاب عنها أنها تترك أوساخا نتيجة الحاجة إلى تشكيلها بالأصابع.

الوقايات نصف المقحمة:

وهي عبارة عن سدادتين من مطاط ناعم تلتصقان بعصابة رأسية تقوم بالضغط على كل من السدادتين باتجاه فتحتي كل قناة الأذني الفرد ومن مميزاتها:

- حجمها يناسب أغلبية العمال
- مثبتة على الرأس مما يجعلها مساعدة على أداء العمل
- تكون أكثر صلاحية خاصة في الأماكن الحارة
- الخفة والانسحاب حول العنق في حالة عدم استعمالها

أغطية الأذن:

عبارة عن قوقعة خارجية تغطي الأذن الخارجية كلية وتثبت على الرأس بواسطة وسادة مرنة وعازلة وتعطي حماية أكثر وصالحة للجميع يمكنها تخفيض الضوضاء من 40 إلى 50 ديسبل في التواترات ما بين 1000 و 8000 هرتز (بوظيفة حمو: 2002، 146-151)

الخوذة العازلة للصوت:

وهي عبارة عن معدات تغطي الرأس والأذنين في آن واحد وتتكون من طبقتين تفصل بينهما مادة تمتص الأصوات ومن فوائدها القابلية على امتصاص الضوضاء أكثر من السدادات وأنها ذات حجم واحد يصلح لمعظم الأفراد وسهلة الارتداء، ويمكن ارتدائها عند حدوث التهاب في الأذن (محمد نجيب: 2003، 133)

عموما يجب التأكد من صلاحية الأجهزة الواقية والتأكد من قدرتها على أداء مهامها بشكل جيد ولقد قدم (حكمت جميل) أرقاما عن الأجهزة المستعملة وقدرة كل واحدة منها على خفض درجة الضوضاء وهي مبنية في الجدول رقم (06):

الوقاية الشخصية (السدادات)	نسبة تقليل الضوضاء
سدادة من القطن	08 ديسبل
سدادة من اللين أو القطن الصوفي	20 ديسبل
واقية فردية من مادة الأتريل	20 ديسبل
سدادة من مطاط	20-15 ديسبل
سدادة من مزيج المطاط والسلكون	14 ديسبل
أغطية الأذن	/
ثقيلة	45 ديسبل
متوسطة	35 ديسبل
خفيفة	25 ديسبل

وما تجدر الإشارة إليه أن استعمال معدات الوقاية يبقى غير مريح للفرد العامل وتبقى استعمالها للضرورة القصوى وفي حالة فشل الطرق الهندسية والتصميم غي عزل الضوضاء عنه (حكمت جميل: 1980، 54).

- عزل الضوضاء من الانعكاسات والانتشار:

يتم اللجوء إلى هذه الطريقة فيما إذا لم نتمكن من تحقيق السيطرة على الضوضاء من مصدرها ويقصد بالسيطرة على الضوضاء من مصدرها ما يلي:

- التحكم في تصميم الآلة لعدم تضارب أو احتكاك أجزائها مع بعضها البعض.

- استبدال الآلات القديمة بالجديدة.
- إدخال بعض التغيرات على الآلات المستعملة.
- المداومة على تصليح الآلات.
- استعمال أسنده تربط بين أجزاء الآلات (محمد أحمد: 2002، 203)
- تحويل الضوضاء عن طريق التركيبات الصلبة بواسطة وضع الآلات فوق أسنده مرنة كالمطاط أو الفلين.
- تخفيض القوى الاندفاعية والتصادمية.
- عزل العناصر الاهتزازية بالآلة
- جعل القطع الدائرية متوازنة.
- استعمال المواد العازلة للاهتزاز (بوظيفة حمو: 2002، 140)
- وفي حالة عدم قدرتنا التخلص من الضوضاء عن طريق النقاط السابقة نلجأ إلى عزل الضوضاء وهي عملية محدودة الفاعلية حيث تساهم في التقليل من الضوضاء نسبياً بإتباع ما يلي:
- زيادة المسافة بين العاملين والآلات.
- استعمال المواد الماصة للصوت (محمد أحمد: 2002، 58).
- تغطية منبع الضوضاء.
- تقليل ذبذبات الآلات.
- إدخال تغيير في تصميم العمل:

- يمكن تخفيض عدد الساعات التعرض للضوضاء خاصة إذا كان العمال يعملون في أماكن تفوق فيها درجة التعرض لأكثر من 90 ديسبل وذلك بإتباع ما يلي:
- اللجوء إلى نظام الدوران في العمل.
- إعادة تنظيم العمل للسماح بإجراء جزء منه في أماكن هادئة.
- التخطيط للأعمال التي تتطلب مدة قصيرة من التعرض للضوضاء المرتفعة لكي تؤدي من طرف العمال الذين يعملون بقية الوقت في أماكن هادئة بدلاً من العمال المعرضين لضوضاء عالية.
- توفير قاعات الراحة.
- توفير ملجأ من الضوضاء (noise refuge) في مكان العمل.
- الفصل بين قاعات الراحة وأماكن الضوضاء (بوظيفة حمو: 2002، 55)

- إيجاد الأنظمة والقوانين لحماية الموظفين:

إن تحقيق تطبيق طرق الوقاية الطبية والهندسية يكون عن طريق وجود التشريعات التي تلزم المؤسسات ذات علاقة في تطبيق الشروط المتعلقة بالصحة والسلامة المهنية من جهة والعاملين من جهة أخرى، حيث بدون إلزام الإدارات بتوفير متطلبات تطبيق طرق الوقاية ووجود من يراقب هذه التشريعات لا يمكن ضمان توفر الصحة والسلامة المهنية من جانب الإدارات، كما أنه وجود التشريعات يلزم العمال بارتداء معدات الوقاية ووجود الأنظمة التي تعاقب من يخالف التعليمات، يساعد في حماية الفرد العامل من المخاطر المهنية بصورة عامة، و الضوضاء بصورة خاصة وعندها نجعل الفرد في حالة توافقية جيدة.

وفيما يلي برنامج مقدم من طرف الدكتور حافظ السامراني لحماية العمال من أثر الضوضاء وهو مكون من

العناصر التالية:

1- تحليل الضوضاء لتقدير مدى الاحتياجات للبرنامج.

- 2- السيطرة الهندسية للتقليل الضوضاء عند مصدرها.
- 3- السيطرة الإدارية وذلك لجعل العمال يتعرضون إلى الضوضاء بالحدود المسموح بها.
- 4- استعمال وسائل الوقاية ومراقبة ذلك.
- 5- تقسيم السمع الابتدائي والدوري.
- 6- تقسيم نتائج القياسات مع إرسال المصابين بخلل شديد إلى العلاج.
- 7- برنامج توعية العمال.

- احتياجات البرنامج:

- عملية مسح لظاهرة الضوضاء: حيث الحاجة إلى هذا البرنامج تظهر بوجود أي من الحالات التالية:
- صعوبة التواصل بين العمال نتيجة للضوضاء.
- شكاوي العمال بوجود طنين في الأذن بعد ساعات العمل في ظل الضوضاء.
- ظهور علامات فقدان السمع المؤقت.
- إن وجود أي حالة من هذه الحالات يكون من الضروري جدا إجراء عملية مسح باستعمال مختلف الأجهزة.

- قياس السمع ومتابعته:

- إن فحوصات قياس السمع تعتبر من المكونات الرئيسية في برنامج الحفاظ على حاسة السمع، إن تلك الفحوصات تشير إلى أن الحماية الموجودة كافية لوقاية السمع أو أن هناك تدهور في هذه الحاسة.
- إن فحوصات السمع في هذا البرنامج تكون لها فائدة أيضا في حالة استحداث سيطرة هندسية للتقليل من مستوى الضوضاء إلى حدود غير خطيرة على اعتبار أن هناك بعض الأشخاص تستمر حاسة السمع لديهم بالتدهور حتى عند اعتبار الضوضاء في مكان معين بحدود المسموح به.

قائمة المراجع:

- 1- بوظريفة حمو(2002): الضوضاء خطر على صحتك ، ط1، مخبر الوقاية والارغونوميا ، الجزائر.
- 2- ثيوودر بيرلاند (1974): مكافحة الضوضاء ،ترجمة نظمي لوقا ، دار المعارف ،مصر
- 3- حافظ السامرائي(1982): الضوضاء الصناعية وبرنامج حماية السمع للعمال ، محاضرات الدورة الخاصة بالسلامة والصحة المهنية في الوطن العربي ،ط1، ددن، العراق.
- 4- حسن احمد شحاتة (2000): التلوث الضوضائي واعاققة التنمية ،ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب ، مصر
- 5- حكمت جميل (1980) : الضوضاء وأثرها في صحة العاملين ، مؤسسة الثقافة العمالية ، العراق.
- 6- حكمت جميل (1989): الصحة المهنية لطلبة المعاهد الصحية العالية ، جامعة بغداد ، العراق .
- 7- سهير ازهر موسى (2010) : البيئة الصناعية ، ط1 ، دار دجلة ، الأردن.
- 8- عامر احمد غازي (2003): العلاقة بين التعرض لمخاطر التلوث بالضوضاء -بيئة العمل الصناعي مجلة الدراسات النفسية ، مجلد 13: عدد1
- 9- مجدي ابراهيم (2011) : السلامة والصحة المهنية في تأمين بيئة العمل ، ط1 ، المكتبة العصرية، مصر.
- 10- محمد احمد عبد الهادي(2003): الضوضاء ، التلوث الفيزيقي والنفسي ،ايتراك للنشر والتوزيع، مصر.
- 11- محمد الريدي، العوامل المؤثرة في سلوك العاملين
- 12- محمد فخري الشهبواني (2010) : البيئة الصناعية تحسينها وطرق حمايتها ، ط1 ، دار دجلة ، الأردن.
- 13- محمد فؤاد (1995) : العمل في الأماكن المحصورة ، قواعد الممارسات السليمة، ط1 ، ددن، العراق.
- 14- وفاء امام (2003) العلاقة بين التعرض لمخاطر التلوث بالضوضاء والاهتزاز و أوكسيد الألومنيوم -بيئة العمل الصناعي - مجلة الدراسات النفسية ، مجلد 13: عدد1

التغير القيمي والاتجاهي لدى طلبة التعليم العالي المنتقلين من الريف إلى المدينة

حليمة تعوينات - أستاذة مساعدة أ
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
جامعة الجزائر 2 (الجزائر)

Abstract

Students moving from rural to the city to study at university change some of their values to negative behaviour, as a consequence of living in a new environment (university campus) and in direct contact with some professors and university employees.

Students said that they changed their behaviour and attitude to adapt to the new environment they're living in, the test applied that the change towards negative values represents 73% of students (sample 627), and that the difference is for the students with negative tendencies ; knowing to the fact that they have been influenced by university and the campus where they live (employees, professors) .

Operative word : values change, students, rural areas, city, positives, negativ value

Résumé

Les étudiants venant de la campagne vers la ville pour suivre leurs études universitaires changent certaines de leurs valeurs positives en valeurs négatives, en vivant dans les nouveaux milieux (cités universitaires) et en contact directe avec certains enseignants et fonctionnaires. Les étudiants ont précisé qu'ils ont changé leur conduite et comportement selon les nouvelles situations dans lesquelles ils vivent. Le test appliqué révèle que le changement vers des valeurs négatives représente 73 % des étudiants (échantillons 627), que la différence est pour les étudiants ayant la tendance négative ; sachant qu'ils sont encouragés de l'intérieur de l'université et des cités où ils vivent (fonctionnaires, enseignants...)

Mots clé : changement de valeurs, étudiants, campagne, ville, valeurs positives et négatives

الملخص:

يغير الطلبة القادمون من الريف إلى المدينة لمزاولة دراستهم الجامعية من القيم السوية التي يأتون بها إلى قيم سلبية، بسبب الاحتكاك بأوساط تشجعهم على ذلك في الأحياء السكنية الجامعية، وكذا التعامل بطرق ملتوية مع بعض الأساتذة والموظفين. فقد صرّح الطلبة بتغيير سيرهم الذاتية وسلوكياتهم حسب ما تقتضي الظروف الجديدة، وقد تبين من المقياس المطبق أن تغير القيم نحو السلبية يمثل 73 % من الطلبة من أصل (627)، وأن الفرق الموجود بين ذوي القيم السلبية والإيجابية هو لصالح السلبية، كما أن التشجيع على ذلك غالبا ما يكون من داخل الجامعة أو الأحياء السكنية الجامعية.

الكلمات المفتاحية: تغير القيم، الطلبة، الريف، المدينة، قيم إيجابية وسلبية.

مقدمة

تعدّ القيم من المعالم المميزة للثقافات الفرعية داخل المجتمع الواحد؛ فالقيم هي معيار للحكم يستخدمه الفرد، أو الجماعة من بين عدة بدائل في مواقف تتطلب قراراً ما، أو سلوكاً معيناً، ويشكل موضوع القيم في المجتمع المنظومة القيمية التي تساهم في تشكيل الإطار المرجعي للسلوك داخل المجتمع، كما تمثل نسفاً من المقاييس التي يتم الحكم من خلالها على الأشياء أو السلوكيات. " وهذا ما يفسر لنا امتثال الأفراد لقواعد الضبط الاجتماعي وهذا الامتثال والخضوع بشكل واع لما له من سلطة مستمدة من الدين أو المذهبية السائدة في المجتمع.¹

يتغير نظام القيم لدى الفرد حتماً بفعل التطور العلمي والتقني أو بفعل ما يدفع الفرد (الهجرة المؤقتة أو الدائمة) إلى إدخال تعديلات جديدة أو تغيير في بعض هذه القيم تتعلق به، وذلك نتيجة لبعض المستجدات أو الظروف التي تدفع إلى القيام بذلك، إما للتكيف مع الوضع الجديد أو لحل مشكلات قد لا يمكن حلها بالبقاء على بعض القيم القديمة. إذ أن كل ثقافة في كل مجتمع أو طبقة شعبية تمتاز بمجموعة من المثل والتصورات والصور الطليعية الرائدة التي تشكل إطاراً يستمد الفرد منه سلوكه والدور الواجب عليه أن يمارسه " image guide " أو يهتدي به، كما أن ارتقاء أو تطور هذه المثل يكون على علاقة دقيقة مع طموحات الفرد..

المبدأ العام هو التغير والحركة ، وسعي الإنسان إلى التوفيق بين الثابت والمتحول، والملائمة بين المبادئ ومقتضيات تجدد العصر من مرحلة الحداثة إلى ما بعد الحداثة وضغوطه وتحدياته، وفرض الإعلام نفسه إلى جانب ما تحمله آلاف الفضائيات والشبكة العنكبوتية من البدائل السلوكية والعلمية والمعرفية – التي لا تخص أهل المدن وحدهم ، بل حُشرت في كل قرية وتجمع سكاني مهما كان صغيراً، مما جعل الشباب – سواء الريفي منه أو الحضري – يلجئون إلى نفس المصادر لاقتباس ما يناسبهم من هذه السلوكيات والمعرفة بشتى أنواعها؛ بالإضافة إلى الهواتف النقالة التي تقرّب كل بعيد، وخاصة وهي مربوطة بشبكة الانترنت، مما يسهل الحصول على كل ما يريده هؤلاء الشباب، ويتصلون بكل من يريدون في أقصر وقت ممكن.²

لقد جذب انتباهي موضوع هذه الدراسة بحكم توظيفي في مركز جامعي في بداية انتمائي إلى سلك التعليم العالي حيث ظهر لي أن الطالب الموجه خارج منطقة إقامته يصعب عليه التكيف والاندماج بيسر في المدينة الجديدة. وذلك لما لتغيير مكان الحياة من تأثير على تنشئته الاجتماعية والأعراف والتقاليد والنمط المعيشي الذي نشأ عليه في المنطقة التي كان يعيش بها، يمتد ذلك إلى تفاعله، وتواصله مع الآخرين المحيطين به.

إن ما يميز علاقات هذا الطالب (ة) بالآخرين في بادئ الأمر (خاصة الآتين من الريف) تتمثل في الكف والتحفز والعزلة والانسحاب، ذلك أن الطالب يجد نفسه في مواقف اجتماعية لم يألفها بعد أولاً، وثانياً يظن أن كل سلوكياته أو تصرفاته قابلة للملاحظة من الآخرين وقد يسبب له ذلك للنقد واللوم والعتاب. غير أن هذا السلوك لا يبقى مستمراً لفترة طويلة، فبمجرد اندماجه في زمرة الأصدقاء يضع اختيارات، وتصنيفات للجماعة التي سيكون فيها، -عادة كل طالب يختار الجماعة التي تتكلم نفس اللهجة والمثالي أن يختار أيضاً الانتماء إلى نفس المنطقة أو القرية من المنطقة التي يقطن بها، وهذا الاختيار له أبعاد نفسية – الاجتماعية، بحيث تبدأ بعض التحولات تطراً على شخصية الطالب (ة)

¹ (محمد وليد البطش، موسى جبريل: "التغيرات التي تحدث في القيم الغائية والوسيلة بحسب المراحل النمائية لدى الأفراد في البيئة الأردنية، مجلة أبحاث اليرموك، مجلد 7، عدد 2، الأردن، 1992)

² (محمد وفائي والحلو علاوى: " دور الروضة في إكساب الأطفال القيم الأخلاقية"، مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير، كلية التربية جامعة اليرموك، الأردن، 1999).

ومن ثمة على نفسيته بحثاً دائماً وراء إشباع الحاجات وتحقيق التكيف والتوازن النفسي، وتمتد هذه التغيرات إلى جوانب عديدة من الشخصية أهمها التفكير وأساليبه وطرق تحقيق الأهداف.

الهدف من البحث:

يتمثل الهدف من البحث في الكشف عما إذا كان الطالب (ة) القادم من الريف إلى المدينة قصد الدراسة في التعليم العالي، يقوم بتغيير بعض من قيمه واتجاهاته بقصد التكيف والاندماج مع المحيط الجديد، وإذا حدث ذلك فإلى أي جانب يتجه هذا التغيير: الإيجابي أم السلبي؟

اعتمدنا في هذه الدراسة على أداتين: مقياس تغير القيم، واستمارة استبيان مكملة له. وقد اعددنا المقياس انطلاقاً من اطلاعنا على محتويات بعض المقاييس العربية والأجنبية التي استخدمت في الدراسات السابقة. وبعد الاطلاع على هذه المقاييس تم تحديد أبعاد مقياس الدراسة الحالية وهي أربعة:

1. البعد الاقتصادي ويتكون من 14 بنداً،
2. البعد الخلقي والديني ويتكون من 14 بنداً،
3. البعد الاجتماعي ويتكون من 20 بنداً،
4. البعد النفسي ويتكون من 22 بنداً.

1. مقياس القيم:

استخدمنا في قياس هذا التغيير مقياس القيم المعد خصيصاً لذلك بالاستعانة بمقاييس سابقة، وقد تضمن المقياس 70 بنداً نصفه إيجابي (يشير إلى القيم الإيجابية) ونصفه الآخر سلبي (يشير إلى القيم السلبية التي قد تبناها الطالب ولم تكن لديه من قبل)، ودُعمت هذه الأداة باستبيان تضمن أسئلة حول مكانة الطالب في الأسرة والمدرسة ومدى حريته لدى الأيوين قبل الدخول إلى الجامعة، ثم مدى التحرر في المدينة، وما هي المشكلات السلوكية والانحرافية المنتشرة في الأحياء الجامعية، وكذا أسباب هذه المشكلات، ومدى انتشارها وما هي الحلول المقترحة للقضاء على هذه المشكلات.

مفهوم التغيير:

يعرف أحمد زكي بدوي التغيير أنه " كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي سواء في بنائه أو في وظائفه خلال فترة زمنية معينة، والتغيير الاجتماعي على هذا النحو ينصب على تغير يقع في التركيب السكاني للمجتمع أو في بنائه الطبقي، أو نظمه الاجتماعية، أو في أنماط العلاقات الاجتماعية أو في القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد، والتي تحدد مكاناتهم وأدوارهم في مختلف التنظيمات الاجتماعية التي ينتمون إليها³. يشير عاطف غيث إلى التغيير القيمي بأنه " التغيرات التي تحدث في "التنظيم القيمي أي في بناء قيم المجتمع ووظائف هذا البناء المتعددة والمختلفة. ويرى أن التغيرات الاجتماعية تأتي على أشكال متعددة منها التغيير في القيم الاجتماعية والتي تؤثر بطريقة مباشرة في مضمون الأدوار والتفاعل والتغير في النظام القيمي للمجتمع أي في المراكز والأدوار الاجتماعية⁴.

³ (معن خليل العمر، التغيير الاجتماعي، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن، 2004، ص51)

⁴ (عبد الله عبد الخالق، العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، مجلة عالم الفكر، مجلد28، العدد2، الكويت 1999 - ص94).

⁵ (عدي أبو طاحون: في التغيير الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1997 م، ص 138)

6. (حسن سمير، الثورة المعلوماتية عواقبها وآفاقها، مجلة الجامعة دمشق، المجلد 18، العدد1، 2002، ص234).

ونقصد بالتغير القيمي في هذه الدراسة عملية تعديل بعض القيم التي يأتي بها الطالب من الريف إلى المدينة، ثم إما يعدل جزءا منها أو يغيرها تماما ويعوضها بقيمة جديدة، مثل أن يكون خجولا ومنزعا عند اختلاطه بالجنس الآخر ثم يختفي لديه هذا الانفعال، أو أن يكون محترما ومطبقا للمعايير الاجتماعية ثم بعد مدة يضرب بها عرض الحائط.

بعض مظاهر التغير الاجتماعي ودوره في تغير القيم الاجتماعية:

يرى لندبرج Lindberg أن "التغير هو الاختلافات التي تطرأ على ظاهرة اجتماعية وقيمة خلال فترة زمنية معينة، والتي يمكن ملاحظتها وتقديرها، وهي تحدث بفعل عوامل خارجية وداخلية..."⁵ فالتغير بالمطلق هو انتقال البيئة الاجتماعية والقيمة من حال إلى حال، غالباً ما تكون الحال التي انتقل منها تتمتع بنوع من الاستقرار والثبات النسبي بغض عن النظر عن طبيعة هذا الاستقرار من حيث التخلف أو التحضر، الخطأ أو الصواب. ولذلك ليس من الضروري أن يكون التغير تطوراً كما أراد لكثيرين، وإنما قد يكون التغير انحداراً بالمجتمع نحو الأسوأ، نحو التخلف، فالضغوط التي تلم بالمجتمع تجعله ينكفي على ذاته ويخلق آليات جديدة تواكب هذه الضغوط التي قد تزيد فاعليته وقد تحبطها، وهذا مرتبط بطبيعة الضغوط وموضع المجتمع على مساره الحضاري، ومكانته بين المجتمعات الأخرى...

إن المجتمع الذي يجد نفسه عاجزاً عن وقاية نفسه من التدخلات المتنوعة لقيم وثقافات ومعايير وقوانين المجتمعات التي تتاقضه، وتفرض نفسها عليه فرضاً، وهو لا حول له ولا قوة في صد ذلك - أو أن قوى داخلية تسعى جاهدة لأن تفرض الاغتراب بكل مكوناته، فلن تطول المدة حتى يرضخ هذا المجتمع للأمر الواقع، وينقل ذلك إلى الأفراد، إذا لم تكن هناك مقاومة من قبل المصلحين الاجتماعيين والفئات المثقفة التي تشد جذورها إلى أصولها الثقافية والحضارية والقيمية والمعتقدية. فما يجري منذ بداية الألفية الثالثة - بل وقبل ذلك بزمان ليس بالقصير - إنما هو هيمنة القوى العالمية على الضعفاء اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وقيماً.⁶

وما هو حاصل في المجتمعات العربية ومنها الجزائر أن التخلف راجع بالدرجة الأولى على الاضطراب السائد في النسق الاجتماعي للقيم سواء عند الأطفال أو الكبار، وبلورة قيم اجتماعية جديدة. واندثار أو تكاد تندثر أغلب القيم الاجتماعية الإيجابية التي كانت محافظة على النظام الاجتماعي، وتماسكه وعدم تعرضه للتفكك والانهار وهذا بتأثير عوامل مختلفة منها داخلية وخارجية، منها سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية.⁷

ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث عدلي رضا أن القيم الاجتماعية السلبية التي حملتها الأم في المسلسلات هي: حبّ التباهي والمظاهر والنظرة المادية للحياة، وربط الزواج بالمصالح المادية والشخصية، وربط العلاقات الاجتماعية بالمصالح، كما تراجعت وتغيرت القيم الأصلية في الأسرة العربية لتحل محلها قيم ذات صبغة نفعية برجماتية، وهذا ما أكدته الكثير من الدراسات العربية لدى الشباب حيث أظهر تفضيلاً لقيم مثل النفعية وقيم الربح والكسب وقيم الاستهلاك... الخ.⁸

7. (طبال لطيفة، التغير الاجتماعي ودوره في تغير القيم الاجتماعية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 2 جوان 2012، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2. صص: 406-428).

⁸ ثريا التركي، وهدي زريق، تغير القيم في العائلة العربية، مجلة المستقبل العربي، يصدرها مركز الدراسات الوحدة العربية، عدد 200 أكتوبر 1995، ص (90).

9. سليمان عدنان، مقارنة أولية لتداعيات العولمة على المجتمع العربي، مجلة الفكر العربي، العدد 9، بيروت، 1998 - صص 142-162).

10. حسين عبد الحميد أحمد رشوان: تطور النظم الاجتماعية وأثرها في حياة الفرد، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1993 م، ص 153.

كما ظهر الانحراف الأخلاقي والسلوكي لدى الشباب في ظل ضعف الوازع الديني والأخلاقي، وضعف السلطة الأبوية، فقد ظهرت على الأسرة العربية ظواهر جديدة كالسرقة والانحلال الخلقي والاعتداء والسطو وتعاطي المخدرات... الخ، حيث يذكر سليمان عدنان أن 20 % من الشباب الجامعي المصري تعاطى أو يتعاطى المخدرات⁹.

خصائص التغير القيمي

- **اقتران التغير بحدوث أمر جديد:** أولى خصائص التغير القيمي أنه لا يحدث غالباً إلا مع حدوث أمر جديد في المجتمع، ولا يشترط في هذا الجديد أي شرط سوى أن يكون جديداً، مهما كان نوعه وميدانه وتقويمه، فقد يكون تهديداً، وقد يكون تجديدًا، ويكون جيداً، وقد يكون سيئاً، وقد يكون معرفياً أو أخلاقياً أو سياسياً أو اقتصادياً أو جمالياً أو بيئياً أو غير ذلك... وهذا ما يقره علماء الاجتماع أن المجتمعات المغلقة المنعزلة بعيدة إلى حد بعيد عن أي رياح للتغير، وهذا ما يفسر لنا استمرار كثير من المجتمعات التي تسمى بالمجتمعات البدائية على حالها منذ مئات وربما آلاف السنين حتى حين اكتشافها، كما يفسر لنا استمرار الأقليات العرقية والدينية في تعاضدها وعاداتها وتقاليدها وعلاقاتها الاجتماعية والدينية ذاتها، والفرق في ذلك بينها وبين المجتمعات البدائية أنها تعي أن الانفتاح على الآخرين سيأكل خصائص هويتها ولذلك فقد يمكن أن "تظل محافظة على تقوقعها وانغلاقها لحماية نفسها من رياح التغير".
- **قوي الأثر:** ومعنى قوة الأثر أن أثر التغير يصير جزءاً من هوية المجتمع وخصائصه التي تسود جميع أفرادها وتمارس عليهم قوة القسر الاجتماعي -لغرس القيم -شأن غيرها من العادات والتقاليد والأعراف. وهذا أمر عادي تماماً لأن من وظائف التغير القيمي الإيجابي يتمثل في الحفاظ على المجتمع، وعلى هويته واستقراره وتوازنه، وهذا ما لا يمكن أن يتم من دون تعميق التغير بوصفه جزءاً من الهوية أو مكملًا لها ومدعمًا.
- **يتمتع بالديمومة النسبية:** ومما يتسم به التغير القيمي أيضاً الديمومة، ولكنها ديمومة نسبية مرتبطة بالمستجدات والمتغيرات التي تطرأ على المجتمع من جهة، وبالموجبات التي أدت إلى التغير في مرحلة ما. فإذا فرضت الظروف على مجتمع تغيراً ما فإن البنية الاجتماعية تتسم أصلاً بالمرونة الكافية لهضم أي ضغط خارجي أو داخلي واستيعابه في إطار جملة من التغيرات الكافية، للتلاؤم معه إلى أن ينتهي الطرف الضاغط ومثل ذلك مع حدث مع شعوب المنطقة العربية التي تعايشت مع الإمبراطورية الرومانية بوصفها جزءاً من هذه الإمبراطورية، ولكنها انقلبت على هذا التاريخ الطويل والاندماج القوي مع رياح الفتح الإسلامي وعادت بسرعة قياسية للالتحام بالهوية الأصلية لها، الهوية العربية. فالتغيرات التي تتبع من صلب إرادة المجتمع ورغبته يكتب لها الديمومة التي قد تصير جزءاً مكوناً لعناصر هوية المجتمع، والتغيرات التي تفرض على المجتمع فرضاً لسبب أو لآخر لا يكتب لها من الديمومة إلا ما دامت الظروف الضاغطة موجودة¹⁰.

أساليب تغيير القيم :

- * تغيير القيم من خلال وسائل التخاطب الجماهيري.
- * استخدام أسلوب الاستماع إلى القصص.
- * أسلوب توضيح القيم.
- * أسلوب تنمية القيم الأخلاقية من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية.
- * أسلوب التوجيه والإرشاد.¹¹

¹¹ سناء الخولي (2003) التغير الاجتماعي والتحديث، دار المعرفة الجامعية، عمان، الطبعة الأولى.

آليات التغير

يؤكد ماكس فيبر أن " التغير القيمي والاجتماعي يعتمد على الأفكار أكثر مما يعتمد على العناصر المادية الملموسة، فالعمليات التي تدخل في التنظيم القيمي للمجتمع وتحدد تركيبته الاجتماعية تستند إلى المعلومات الثقافية اللامادية ". ولم يبتعد سوركين عن هذا المعنى عندما أكد دور الأنساق الثقافية في عملية هذا التغير. وهذا الكلام قد يكون صحيحاً، ولكن فقط إذا حملناه على أنه يعني بذلك الآلية التي يتم بها التغير القيمي والاجتماعي، فالأفكار بمعناها الواسع هي التي تمثل جوهر آلية التغير، ولكنها لا تستغني عن العامل المادي بوصفه عاملاً مساعداً لتحقيق التغير. علماً بأن النظم الدينية هي التي تتحكم بدرجة مطلقة في الحياة الاقتصادية (ماكس فيبر) أي أن الدين هو القاسم المشترك بين المجتمعات وما يترتب عليها من حياة اجتماعية بوصف الدين عامل من عوامل الضبط. بل إن فيبر يرى أن النظم الدينية هي التي تتحكم تحكماً مطلقاً بعملية التغير أيضاً¹².

إذا كانت القيم فاعلة ومنفعلة، فهي توجه السلوك وتقود التغير، وفي الوقت نفسه تتأثر بالتغير فتتمو أو تضعف. وفهم التفاعل الاجتماعي وضبط مسارات التغير الاجتماعي مرتبط بمعرفة القيم التي يتم التفاعل في ضوئها؛ فالقيم هي التي تمنح الشرعية لفعل ما فيكون مقبولاً في المجتمع أو مرفوضاً. وهي بهذا تيسر التغيير الاجتماعي أو تعوقه، وترشده أو تحرفه.

التفاعل الاجتماعي والتغير الاجتماعي والقيمي.

حركة الأفراد داخل المجتمع، وسعيهم لتحقيق مصالحهم، وقضاء حاجاتهم، وتعاونهم وتخاصمهم وتأبيدهم لمؤسساته واعتراضهم عليها -يسمى تفاعلاً اجتماعياً ينتج عنه تغير اجتماعي وقيمي. وهذه العملية لا يمكن إيقافها لأنها شرط لوجود المجتمع.

وإذا كان التفاعل يستحيل منعه فإن التغير الاجتماعي يستحيل إيقافه كذلك، وبالتالي فتغير القيم حادث بالضرورة. وهو، أي التغير، يمكن أن يكون سريعاً أو بطيئاً، صახباً أو هادئاً، سلمياً أو عنيفاً، وهذا يعتمد على القيم الاجتماعية التي تحكم المجتمع، ويتم التفاعل الاجتماعي في ضوئها.

والقيم مرتبطة بمنظومة من المفاهيم وأنماط من السلوك، وبعض مؤسسات المجتمع. فالقيم إذن ليست منفصلة عن الواقع، وإنما هي ماثلة في الأذهان ظاهرة في الأعيان. فهي ماثلة في الذهن بمعناها وما يرتبط بها من مفاهيم وظاهرة في المجتمع من خلال رموز وشخصيات ومؤسسات وسلوك يجسدها في المجتمع. ولو انفصل الوجود المادي للقيم عن وجودها الذهني لما كان للقيم قيمة، ولا انتفى تأثيرها من المجتمع. وهذا يشمل قيم الحق وقيم الباطل، فأى قيمة لا بد أن يكون لها وجود ذهني ووجود مادي في المجتمع.

إذن أي قيمة لها وجودان: أحدهما ذهني والآخر مادي (أو وجود في الأذهان وآخر في الأعيان)، والتمسك بالقيمة يقتضي المحافظة على الوجودين كليهما. إن هدم الوجود الذهني للقيم يبدأ عادة بهدم وجودها المادي، وإذا تسامح الناس في التعدي عليها هان عليهم سقوطها من أذهانهم.

والقيم إذا سقطت في مجتمع أو انهارت انهيار المجتمع؛ لأن حركته فقدت التوازن وأصبحت عشوائية، فهي حركة دائبة، ولكن في غير مصلحة المجتمع وتنميته واستقراره، بل في هدمه وتجريد مؤسساته من صلاحياتها، وتفريغ أدوات الضبط فيه من قوتها المهيمنة. ولك أن تتخيل الحراك الاجتماعي في المجتمع يتخذ سبلاً غير شرعية وغير

¹² (قادية عمر الجولاني: التغير الاجتماعي؛ مدخل النظرية الوظيفية لتحليل التغير، ص 9).

أخلاقية كالواسطة والرشوة والنفوذ والقوة، وليس الأهلية والشرعية والحق. إن هذا المجتمع ليس مناسباً لنمو الإنسان بإنسانيته، ونشأة قيم مثل العدل والحق والفضيلة، وإنما هو مجتمع ينشأ فيه البشر المتوحش وتنشأ فيه قيم الوحشية.

القيم وتغيرها عند الشباب:

يبدأ نشوء القيم عند الفرد منذ الطفولة المبكرة عن طريق الملاحظة والاكتشاف ثم التقليد، وبعدها يدرّب عليها ضمن القوانين والضوابط الأسرية والاجتماعية. وبعدها تصبح هذه القيم مبادئ ومعايير يضعها الفرد لنفسه وبها يضبط تصرفاته حسب ما يقتضي كل من الأسرة والمجتمع، وهي بمثابة مكونات الشخصية، وكل قيمة أساسية لا تتغير - وقد تتطور - إلا إذا تأثر الشخص تأثراً عميقاً بمعطيات أو مواقف أو معارف جديدة، مثل الملحد الذي يكتشف أنه على ضلال، أو الحامل لمعرفة خاطئة يسلك من خلالها في حياته اليومية (الاعتقاد في قوة الشعوذة في السلوك ثم الاكتشاف بالمعرفة بأن ذلك خطأ)، أو التصور - خطأ - بأن التحايل على الناس أسلوب يستخدمه الأذكى في تحقيق الأهداف... كما أن بعضاً من هذه القيم يمكن أن تعمل الجماعة على تغييرها عندما تكتشف أن قيماً أخرى جديدة لها الدور الفعال أكثر من التي وُجدت، وبالتالي تعمل على غرسها في أفرادها.

فإذا كان التغير القيمي حقيقة واقعة في عالم الإنسان بكل مستويات انتمائه؛ بدءاً من انتمائه إلى الأسرة الصغيرة مروراً بالمجتمع فالأمة فالإنسانية، من دون نسيان أصغر دوائر انتمائه؛ انتمائه إلى ذاته، فإن هذا التغير قد ينشأ داخلياً أي حسب حاجة فئة من المجتمع بسبب ظهور هذه الحاجة التي تتطلب تغييراً في قيمة موجودة سابقاً، لكنها لا تستجيب لإشباع هذه الحاجة، مما يدفع أفراد هذه الفئة إلى إيجاد قيمة بديلة قد تتقارب أو تتباعد مع التي كانت موجودة، لكن هذه الخبرة لا تخرج عن ما يسمح به المجتمع في الضوابط العامة. ولكن التغير أو التغيير ينشأ من الواقع ومن ضغوطاته؛ وقد ينشأ التغير خارجياً، بالاقتراس أو بالفرض.

من المسلم به بأن القيم الاجتماعية تحظى في أي مجتمع بإيمان أفرادها بها وتعظيمها وانقيادهم لها، ولهذا يجب أن يأتي الحراك المجتمعي متسقاً مع القيم السائدة في المجتمع. أما في مجتمعنا فإن التغير الاجتماعي أصاب قيم المجتمع في مقتل، كان الصدام والتناقض فيها حاداً عاصفاً مجلبلاً تبدّل به المجتمع من صورة إلى أخرى وتغيرت معه معايير السلوك وقيم المجتمع. وصاحب ذلك بعض الصور السلبية منها انتشار العنف بشتى أنواعه وأشكاله وصوره، وانتشار الجريمة واختلال بعض المعايير السلوكية المرغوبة؛ واغتيال الشخصية وانتشار الوساطة وتفشي المحسوبية والرشوة، والكذب المبطن وازدواجية الشخصية، كما تم ربط العلاقات الاجتماعية بين الناس بالمصالح الشخصية، وغياب الأمانة وشيوع النظرة الأحادية المادية للحياة والجري وراء المنفعة المادية بكافة أشكاله، ورافق ذلك تهيش قيم الصدق والأمانة والصداقة الحقّة والنظرة الشمولية للحياة والموضوعية.

لقد سمح التقدم العلمي والتقني في أواخر الألفية الماضية ومنذ العشرية الأولى من الألفية الحالية أن تظهر مهن جديدة تتطلب تخصصات علمية جديدة، وكفاءات لم تكن من قبل، وهذا الأمر أنتج طموحات وحاجات تنمّش والرقى الاجتماعي، وقد أدى ذلك إلى ظهور قيم لم يعرفها إنسان من قبل، وخاصة إنسان العالم الثالث وبالأخص الإنسان العربي والجزائري. فتوسّعت رقعة الطموحات والحاجات عند الشباب، وأصبح بإمكان كل واحد أن يطلع على كل صغيرة وكبيرة من خلال التلفزة أو الانترنت. وسُمح للبنات بالخروج من بيت أبيها - الريفي أو الشبه حضري - لمزاولة الدراسة في التعليم الثانوي أو العالي. وانفتحت الأبواب في كل الاتجاهات.

ثم إن الشاب أو الشابة عندما ينتقل من الريف إلى المدينة لأجل الدراسة يجد نفسه وجهاً لوجه مع الحياة الجديدة، التي تختلف بشكل واضح عن حياة الريف أو شبه الحضر، إذ أن الحياة الاجتماعية في المدينة تتصف بالتعقد والنشاط والحركة المستمرين، وهذه الظروف الجديدة تكوّن عند الشاب حيرة وصعوبات في التغير السريع مما يكون لديه

صراعا بين ما كان عليه من اتجاهات وقيم راسخة منذ الطفولة، والتي تمارس إكراها على الضمائر والعقول فيما بعد، والقيم الجديدة التي تتضمنها الظروف الجديدة وتفرضها على الناس.¹³

وهذا ما أكدته (نورهان) بأن أي اختلال وتدهور في نظام القيم يسهم وبشكل كبير في نوع من الأمراض الاجتماعية التي تربك الإنسان وتجعل سلوكه معتلاً ومضطرباً، كذلك حين تختل أمامه الموازين وتهتز القيم ويتسرب الشك في كل شيء وتتهار ثقته وتتكون لديه مشاعر النعمة والعدوان.¹³ كما يقول الانثروبولوجي لينتون: (1945) " (Linton) عن تأثير القيم في الشخصية والسلوك، حيث أن السلوك الذي لا يكون مطابقاً للنظام القيمي للفرد يولد استجابات الخوف والغضب أو على الأقل عدم الاستحسان وهكذا فالشخص الذي يقوم بعمل معين يخالف نظام القيم لديه، سوف يتعرض لاضطراب انفعالي كبير قبل وبعد قيامه بذلك العمل .

التغير القيمي لدى الشاب - أ والشابة - الذي يعيش في الريف أو في منطقة شبه حضرية، وحصوله على شهادة البكالوريا سمح ذلك بالانتقال إلى الدراسة في التعليم العالي، يُحتمل أن يتجه في قيمه واتجاهاته إلى أحد التوجهات الثلاثة التالية:

1. التوجه الأول يتمثل في المحافظة على ما كان عليه من اتجاهات وقيم وعادات وإرث اجتماعي وعقائدي، ويبقى الشاب أو الشابة على هذه الحال ، ويبحث حتى يجد من يشابهه في وضعية المحافظة على الوضع الريفي أو القروي لمدة قد تطول أو تقصر ، وهذا لا يعني أنه يبقى جامدا ولكن سوف يتغير تدريجيا في جوانب من قيمه واتجاهاته التي تتقارب وعناصر من القيم والاتجاهات الجديدة التي توجد في المدينة ، وشيئا فشيئا يستبدل القيم القابلة للتغير بقيم جديدة لكنها إيجابية في المجتمع المدني ، ويبقى متفتحاً على الجديد الإيجابي ، خاصة عندما يتقدم في الدراسة ويكتسب معارف تخول له فهم ما يدرس.

2. التوجه الثاني يهدف إلى المحافظة على الرصيد القيمي الريفي لمدة قصيرة وبعد التكيف مع الأوضاع الجديدة يبقى متذبذباً بين القيم والاتجاهات القديمة والجديدة بما فيها الإيجابية منها والسلبية، فيضطرب اضطرابا كبيرا في البداية، ثم بعد مدة نجده يندمج مع أشباه التقدميين وأشباه المتحضرين، ويتخلص نهائيا من إرثه القيمي الاجتماعي والثقافي الأول، بل ويتكبر له ويراه تخلفا وسذاجة...

3. التوجه الثالث يكون صاحبه متهيئا للتغير، لأنه كان هشا أصلا ، فأأسسه القيمية والاتجاهية لم تُرسخ على أرضية صلبة ، لذلك نجده سريع الاستجابة للظروف الجديدة، بل ويحاول أن يتناسى حياته الريفية أو شبه حضرية لكي يتقمص حياة المدينة بمحاكاته لكل جوانب الحياة ، وهذا غالبا ما سيتصرف تصرف النرجسي، الذي مبدأه "أهم شيء هو فائدتني" ؛ وإذا بلغ هذا المستوى فإن القيم التي أتى بها من الريف تتغير تغيرا جذريا وفي أقصر وقت ، بحيث يطبق المقولة الشائعة : " الغاية تبرر الوسيلة " ، وهنا يبدأ الانحراف عن الطريق الصائب شيئا فشيئا إلى أن يستخدم الطرق المشروعة وغير المشروعة على حد سواء لتحقيق الرغبات والأهداف.

يهتم بحثنا بالنوع الثاني والثالث من التوجهات الثلاثة، ولكن لا نغفل التوجه الأول إن كان منتشرا - علما بأن الواقع يقول غير ذلك، ولهذا نركز أكثر على التغيرات القيمية التي تميل إلى الجانب السلبي أكثر من تلك التي تميل إلى الجانب الإيجابي، لأن الأولى (السلبي) هي التي تكون مشكلات قيمية واتجاهية مما ينتج عنها سلوكيات سلبية.

¹³ . نورهان منير حسن، (2008) «القيم الاجتماعية والشباب، ب ط، الإسكندرية، دار الفتح للنجلد الفني.

الدراسة الميدانية:

أُجريت الدراسة في عشر جامعات جزائرية: (الجزائر 2 + المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر 3، البلدية، لمدينة، مسيلة، سطيف، الأغواط، ورقلة، تمنراست، تيزي وزو) وكان عدد الطلبة 182 والطلبات 425 والمجموع يساوي 627. حيث مثلت الطالبات 67.8 % من العينة وهذا رغم تقديم أدوات البحث في ظروف يوجد فيها الجنسان. ويوجد تقارب بين عدد الطلبة والطالبات فقط في جامعتي الأغواط ولمدية بينما يرتفع عدد الإناث أحيانا إلى الضعف أو أكثر في بعض الجامعات مثل مسيلة والجزائر 2.

تضمن مقياس القيم 70 بنداً، عدد البنود التي تتناول القيم الإيجابية مساوية لتلك التي تتناول القيم السلبية، وعدد الخيارات ثلاثة: "موافق"، "إلى حد ما"، "غير موافق". بحيث تعطى لكل بند له خيار موافق عليه ثلاث (3) درجات، وكل بند له خيار بين الموافقة والرفض (إلى حد ما) درجتان (2)، وكل بند له خيار غير موافق درجة واحدة (1). ويظهر الجدول التالي تكرارات الإجابة حسب الأبعاد والخيارات ثم الدرجات المحصل عليها:

عرض نتائج الدراسة:

النتائج حسب مقياس القيم:

يمكن صياغة فرضيات الدراسة انطلاقاً من التساؤلات السابقة وهي كالتالي:

1. التعديل أو التغيير الذي يحدثه الطالب الجامعي القادم من الريف إلى المدينة في قيمه قد يكون إيجابياً أو سلبياً من وجهة النظر الاجتماعية.
2. يكون هذا التغيير أو التعديل في القيم نتيجة للبيئة الجديدة التي تؤثر في شخصية الطالب بمكوناتها المتنوعة.

لقد تمت المعالجة الإحصائية لنتائج التي من خلالها تظهر مدى تحقق الفرضيات من عدمها ثم نقدم التفسير الذي يوضح هذه النتائج.

الفرق بين خيارات المقياس (موافق، إلى حد ما، غير موافق)

- تحليل التباين

الجدول رقم (1) يوضح الفرق بين بدائل المقياس (موافق، إلى حد ما، غير موافق)						
مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	F	مستوى الدلالة	القرار
ما بين المجموعات	3841762.400	2	1920881.200	89.675	.0000	دال عند
داخل المجموعات	4434022.914	207	21420.401			
الكلي	8275785.314	209				0,01

المقارنات البعدية (تحديد الفرق لصالح من؟)

الجدول رقم (2) يوضح المقارنات البعدية بهدف تحديد لصالح من الفروق

البدايل			معامل الشيفيه * Schaffer * للمقارنات البعدية	
البدايل (I)	البدايل (J)	متوسط الفروقات (I-J)	الخطأ المعياري	مستوى الدلالة
غير موافق	إلى حد ما	-132.05714*	24.73887	.000
	موافق	-329.17143*	24.73887	.000
إلى حد ما	غير موافق	132.05714*	24.73887	.000
	موافق	-197.11429*	24.73887	.000
موافق	غير موافق	329.17143*	24.73887	.000
	إلى حد ما	197.11429*	24.73887	.000

*. متوسطات الفروق دالة عند (α=0.05)

من خلال الجدول رقم (2) نلاحظ أن الفرق بين أفراد عينة الدراسة في آرائهم حول الفرق بين بدائل المقياس (موافق، إلى حد ما، غير موافق) هو فرق واضح، وهذا ما أكدته قيمة (F) والتي بلغت 89.675؛ وهي قيمة دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.01$) مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد عينة الدراسة في آرائهم حول الفرق بين بدائل المقياس (موافق، إلى حد ما، غير موافق)، ونسبة التأكد من هذه القيمة هو 95% مع احتمال الوقوع في الخطأ بنسبة 1%.

وبما أن اختبار الدلالة الإحصائية (F) لا يحدد لصالح من الفروق، فإننا نلجأ إلى استخدام معامل الشيفي (Scheffe) أيضاً وهذا لتحديد لصالح من الفروق وهذا ما بينه الجدول رقم (2) حيث نلاحظ أن متوسط الفروقات كانت لصالح مجموعتي (موافق، إلى حد ما)، وبالتالي فإن الفروق بين أفراد عينة الدراسة في آرائهم حول الفرق بين بدائل المقياس (موافق، إلى حد ما، غير موافق) كان لصالح المجموعة "موافق" و"إلى حد ما".

1. تنص الفرضية الأولى على أنه "يُعدّل أو يغير الطالب الجامعي من قيمه التي أتى بها من الريف إلى المدينة لمزاولة دراسته في التعليم العالي من أجل التكيف مع البيئة الجديدة".
يمكن تقديم تفسير لهذه النتائج الإحصائية فيما يلي بتوضيح أكثر:

جدول رقم (3) يبين التكرارات والدرجات التي تضمنها مقياس القيم.

الأبعاد الخيارات	اقتصادي	خلفي ديني	اجتماعي	نفسي	مجموع
موافق بند إيجابي	491	1049	1290	1288	4118
درجات	1473	3147	3870	3864	12354
موافق بند سلبي	2356	1377	2511	3262	9506
درجات	2356	1377	2511	3262	9506
إلى حد ما بند إيجابي	863	1535	1751	1716	5865
درجات	1726	3070	3502	3432	11730
إلى حد ما بند سلبي	1772	1177	1728	2323	7000
درجات	1772	1177	1778	2323	7000
غ. موافق بند إيجابي	908	2260	2776	2036	7980
درجات	908	2260	2776	2036	7980
غ. موافق بند سلبي	2088	1142	1858	3344	8432
درجات	2088	1142	1858	3344	8432

يبين الجدول (3) التكرارات في كل بعد من الأبعاد الأربعة حسب البدائل الثلاثة، ويظهر في المجموع للأبعاد مجموعان لكل بديل: (الإجابة عن البنود التي تعبّر عن القيم الإيجابية والتي تضرب في 3 للحصول على درجة كل بند في بديل "موافق"، وفي 2 في بديل "إلى حد ما"؛ ثم الإجابة عن البنود السلبية بحيث يضرب كل بند في 1 فقط فيكون عدد التكرارات هو نفسه مجموع الدرجات في كل بديل).

يتضح من الجدول أن 4118 مجيباً من بديل "موافق" وافق على البنود التي تحمل قيمة إيجابية وحصلوا على 12354 درجة، مقابل 5865 في بديل "إلى حد ما"، أي أن هذا العدد من المجيبين اختاروا هذا البديل للإجابة على البنود الإيجابية، ومجموع درجاته يساوي إلى 11730 درجة. أما بالنسبة للبديل "غير موافق" فنجد 7980 مجيباً على البنود التي تحمل القيم الإيجابية ومجموع درجاتهم يساوي 7980. (عدد المجيبين بهذا البديل للبنود التي تحمل قيمة سلبية مساوياً لـ 8432، بفارق 452 فقط).

بالنسبة للبنود السلبية التي تحمل قيمة سلبية نجد 9506 مجيباً في بديل "موافق" أي أنهم يوافقون على هذه القيم و 7000 في بديل "إلى حد ما"، أي بمجموع 16506 إجابة، مقابل 8432 إجابة ببديل "غير موافق" أي بفارق 8074 إجابة. للعلم فإن درجات البنود السلبية هي نفسها التكرارات كما ذكرنا سابقاً (البند السلبي درجته 1)، لذلك فإن درجات البديل "غير موافق" هي: 7980 بالنسبة للبنود الإيجابية و 8432 بالنسبة للبنود السلبية.

تُعد الحياة في الريف أو شبه المدينة حياة محافظة – رغم ما ظهر من انفتاح واضح بسبب التكنولوجيات المعاصرة وأهمها التلفزة – لكون أغلب الناس يتعارفون فيما بينهم لذلك فالشباب مضطرون لأن يظهر في سلوكه حسب المعايير والقيم التي يسمح بها ذلك المجتمع وتلك العائلات، وأن كل شخص يشد عن ذلك يهمل بشكل تلقائي وقد يُطرد نهائياً فرداً كان أو أسرة. لذلك يكبت الشباب – ذكورا وإناثاً – كل ما يمكن أن يمسّ قيم ومعتقدات وأخلاق المجتمع.

عند التمعن في هذه النتائج نكتشف أن الطلبة الذين اختاروا بديل "الموافقة" أو "إلى حد ما" هم الأكثرية لأنهم وافقوا على حتى على البنود السلبية في عدد من الجامعات نذكر منها تيزي وزو، الجزائر 2 والجزائر 3، البلدية، سطيف. كما أن نسبة معتبرة أخرى من المجيبين لجأوا إلى البديل "إلى حد ما" في أغلب البنود السلبية، أي أنهم – ربما – لم يجروا على الموافقة العلنية، لذلك اختاروا هذا البديل الأقل جرأة، وأغلب من قام بذلك هم من جامعات: تمنراست، الأغواط، ورقلة، لمدية/مسيلة. وقد قدموا تبريرات كتابية في الاستبيان الذي قدم لهم عن هذه المواقف السلبية منها:

- التحرر من قيود الأسرة والمجتمع في منطقة الإقامة،
- في المدينة لا أحد يعرفنا ولا أحد يراقبنا،
- ضرورة التعرف على الجنس الآخر لانتقاء شريك المستقبل،
- المدينة صعبة الحياة لذلك ينبغي استخدام الحيلة في التعامل،
- ينبغي تحقيق الأهداف بكل الوسائل،
- ضرورة الانفتاح لاكتساب الخبرة والتجربة في الحياة،
- الانخراط في مختلف الهيئات والجمعيات لبلوغ المبتغى...

من خلال ما ذكر أعلاه يمكن القول إن الفرضية الأولى قد تحققت، أي أن طلبة الريف يغيرون فعلاً من قيمهم واتجاهاتهم عند مجيئهم إلى المدينة للدراسة، وللأسف أن هذا التغيير غالباً ما يكون نحو السلب وخاصة ما يتعلق بالإناث، إذ يمثلن أكثر من 67 بالمئة من العينة، حيث تتحرف بشكل سريع وواسع بسبب التقليد وكسب المال والمعارف مع من يمكن أن يحقق لهن الرغبات والطموحات، كما يلجأن إلى الأساليب الأنثوية مع الأساتذة للنجاح والحصول على الدرجات المرتفعة بأقل جهد أو بدونه مقابل ذلك.

أما الذكور الذين لا يمثلون إلا 30 بالمئة فيكتفون بالبحث عن النجاح السهل والنفوذ في جمعيات الطلبة، فأغلبهم يريد الحصول على العمل والاستقرار لذلك يستعجل إنهاء الدراسة بنجاح للدخول إلى سوق العمل، لكنهم لا يترددون في تكوين علاقات حميمة مع الطالبات – وقد كان بعضهم يصرّح أنه لا يستطيع مقابلة بنت عندما كان في الريف بسبب الحجل لكنه الآن لا يتحرج تماماً.

الفروق في إجابات الطلبة بين الأبعاد الأربعة (اقتصادي، خلقي وديني، اجتماعي، نفسي)
جدول رقم (4) يوضح الفرق بين أبعاد المقياس (اقتصادي، خلقي وديني، اجتماعي، نفسي).

تحليل التباين						
مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	F	مستوى الدلالة	القرار
ما بين المجموعات	3258.026	3	1086.009	0.0270	0.9940	غير دالة
داخل المجموعات	8272527.289	206	40157.899			
الكل	8275785.314	209				

من خلال الجدول (4) رقم نلاحظ أنه لا يوجد فرق بين أفراد عينة الدراسة في آرائهم حول محاور المقياس (اقتصادي، خلقي ديني، نفسي، اجتماعي)؛ وهذا ما أكدته قيمة (F) والتي بلغت 0.027، وهي قيمة غير دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.05$) مما يعني لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد عينة الدراسة في آرائهم حول محاور المقياس الأربعة (اقتصادي، خلقي ديني، نفسي، اجتماعي)، ونسبة التأكد من هذه القيمة هو 95% مع احتمال الوقوع في الخطأ بنسبة 5%.

لقد تبين من هذه النتيجة الإحصائية أن وضع بنود المقياس ضمن أبعاد محددة أو تقديمها كمقياس موحد، لا يجعل إجابات الطلبة تختلف، علماً بأن البنود الإيجابية أو السلبية لا تتوزع بشكل متساو بين هذه الأبعاد، والفرضيات لا تتناول هذا الجانب أيضاً.

هل أن هذا التغير في القيم يتجه نحو الإيجاب أم السلب؟

تنص الفرضية الثانية على أن "التعديل أو التغيير الذي يحدثه الطالب الجامعي القادم من الريف إلى المدينة في قيمه قد يكون إيجابياً أو سلبياً من وجهة النظر الاجتماعية".
- الفرق بين البنود الإيجابية والسلبية للمقياس:

اختبار الدلالة ((T test))

الجدول رقم (5) يوضح الفرق بين العبارات الإيجابية والسلبية للمقياس.									
طبيعة البند	اختبار ليفين F	مستوى الدلالة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة "ت"	مستوى الدلالة	القرار
إيجابية	59.37	0.0000	84	357.7527	100.74048	160.50	-2.588	0.0110	دال
طبيعة البند	6					9			عند
سلبية			84	422.9145	247.78507				0.05

من خلال الجدول أعلاه رقم (5) وبالنظر إلى اختبار التجانس ليفين (ف) والذي بلغ 59.376 وهي قيمة دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.01$) نستنتج أن هناك عدم تجانس بين المجموعتين مما استدعى تطبيق اختبار (T_{test}) لعينتين مستقلتين غير متجانستين.

كما أن المتوسطات الحسابية والتي بلغت بالنسبة للبنود الإيجابية (357.7527) وبالنسبة للبنود السلبية (422.9145) في طبيعة البنود نلاحظ أن هناك فرقاً بينهما وهذا ما يجرنا إلى القول بأنه توجد فروق بين نوعي البنود (إيجابي أي المتضمن للقيم الإيجابية، وسلب أي المتضمن للقيم السلبية) في الطبيعة، وهذا ما أكدته قيمة اختبار الدلالة الإحصائية (T_{test}) والتي بلغت (-2.588) وهي قيمة دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.05$) وبالتالي يمكن القول بأنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين نوعي البنود في آرائهم حول الفرق بين الإيجابية والسلبية

للمقياس، وهذه الفروق هي لصالح البنود السلبية وهذا يعني ان الفرضية الثانية تحققت، ونسبة التأكد من هذه النتيجة هي (95%) مع احتمال الوقوع في الخطأ بنسبة (5%).

لقد رأينا أعلاه أن أغلب خيارات الطلبة كانت على مستوى "موافق" أو "إلى حد ما" وكانت للبنود الإيجابية والسلبية، حيث أن الموافقة على البنود السلبية تدل على مناقضة القيم الاجتماعية السائدة والمقبولة، كما تدل على التغير الذي حدث لدى الطالب أو الطالبة، إذ أن هذه القيم السلبية لا يمكنه أن يظهرها وهو في قريته أمام الناس الذين يعرفهم، ولذلك فهو يعبر بوضوح عن هذا التغير باختياره لها في المقياس. ونجد عدد المختارين للموافقة على البنود السلبية أكثر من ضعف المختارين للموافقة على البنود الإيجابية (9506 - 4118)، ونفس الشيء بالنسبة إلى حد ما (7000 - 5865)، كما لم يوافق على الخيار الإيجابي 7980 وهذا يعني العكس، أي أن هؤلاء رفضوا هذه البنود وبالتالي اختاروا عكس ما تحمله من قيم إيجابية مما يدل على تغيرهم عما يقبله المجتمع. ومعنى ذلك أن الفرضية الثانية هي الأخرى قد تحققت.

في العرض النظري لهذا المقال ذكرنا عددا من أسباب التغير القيمي ومن بينها انتقال الناس من بيئة اجتماعية إلى أخرى سواء للعمل أو للدراسة، وهذه الدراسة تدخل ضمن هذا المجال.

نتائج الاستبيان:

ننتقي من نتائج الاستبيان ما يتصل بشكل مباشر مع موضوع الدراسة ومنها "التفكير في تغيير سيرة الحياة بعد النجاح في البكالوريا"، و"اتباع الطرق الملتوية في الحي الجامعي"، و"التشجيع من الخارج ومن المسؤولين على الانحراف في الحي الجامعي".

- التفكير في تغيير السيرة الذاتية: كانت قيم $K^2 = 0.031$ لمجموعة التفكير في التغير عند درجة الحرية ($df=1$)؛ وبالتالي فهي دالة عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.05$) ومنه نستطيع القول بأنه هناك فروق بين البديلين نعم و لا معناه أن الطالب يفكر في تغيير سيرته للحياة.
- اتباع الطرق الملتوية: بلغت قيمة $K^2 = 14.352$ ($df=1$) للمجموعة الاولى عند درجة الحرية ($df=1$)؛ وبالتالي فهي دالة عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.01$) كانت لصالح نعم يتبعون الطرق الملتوية.
- التشجيع على الانحراف: بلغت قيمة $K^2 = 14.30$ ($df=1$) للمجموعة الاولى عند درجة الحرية ($df=1$)؛ وبالتالي فهي دالة عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.01$)؛ أما بالنسبة الى المجموعة الثانية ترى ان تشجيع الانحراف من المسؤولين حيث بلغت قيمة $K^2 = 14.34$ ($df=1$) للمجموعة الثانية عند درجة الحرية ($df=1$) وبالتالي فهي دالة كذلك عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.01$) وفي الاخير يمكن القول بأنه هناك فروق بين المجموعتين وكانت لصالح هناك تشجيع خارج الحي للانحراف و كذا تشجيع الانحراف من المسؤولين.

نستنتج من خلال هذه النتائج أن الطلبة (ذكور وإناث) القادمين من الريف إلى المدينة لمتابعة الدراسات على مستوى التعليم العالي يغيرون من قيمهم التي يأتون بها من الريف، وهي قيم محافظة وتستجيب للمعايير الاجتماعية للسلوك، ويعوضونها بقيم - في أغلبها سلبية - تصل أحيانا إلى حد التناقض، وقد يجدون تشجيعا من غيرهم داخل الجامعة وأحيائها السكنية أو خارجها، كما قد يجدون الأمور سارية المفعول وما عليهم إلا الانخراط فيها وتقليد من يمارس هذه السلوكيات، لذلك ينبغي التفكير في الطرق والأساليب التي يمكن استخدامها حتى لا يقع هؤلاء فريسة لهذا التغير وخاصة ما يتعلق بالإناث اللواتي تحرف منهن وخاصة في الحياء السكنية الجامعية.

قائمة المراجع حسب التسلسل التاريخي:

1. حامد زهران، إجلال سرى (1985): القيم السائدة والقيم المرغوبة في سلوك الشباب، بحث ميداني في البيئتين المصرية والسعودية، الجمعية المصرية للدراسات النفسية.
2. العمري، خالد، ونشوان، عبد المجي د" : (1985) المنظومة القيمية لطلبة جامعة اليرموك - دراسة الارتباطات القانونية لبعض العوامل المؤثرة فيها" ، أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية المجلد 1 العدد 1
3. يوسف سيد محمود (1991): تغير قيم طلاب الجامعة، سلسلة قضايا تربوية، رقم 6، عالم الكتب، القاهرة.
4. محمد وليد البطش، موسى جبريل (1992): التغيرات التي تحدث في القيم الغائية والوسيلة بحسب المراحل النمائية لدى الأفراد في البيئة الأردنية، مجلة أبحاث اليرموك، مجلد 7، عدد 2، الأردن.
5. حسام الدين، ليلى (1994م) تنمية بعض القيم العلمية عند طلاب الحلقة الثانية من التعليم الأساسي من خلال تدريس مادة العلوم. رسالة ماجستير غير منشورة كلية البنات بجامعة عين شمس في القاهرة.
- 6- Abromson, Paul & Inglehart. Ronald (1995): Value Change in global Persepective, Anno Arbor : The Univirisy of Michigan Press – U. S. A.,
- 7- Lemos. R. M. (1995): The nature of Value, Fl. University Press, Florida, M. S. A, , P. 17.
8. محمد الدقس (1996): التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق ، الطبعة الثانية ، دار مجدلوي للنشر والتوزيع ، عمان .
9. محمد عمر الطنوبي، (1996) التغير الاجتماعي، منشأة المعارف بالإسكندرية جلال حزي وشركاه، جامعة الإسكندرية ج.م.ع، جامعة عمر المختار ليبيا.
10. Micheal O. Maduagwu (1999): Globalization and its challenges to Natoinal Cultures and Values Aperspective From Sub. Saharan Africa Paper Presented at the international Roundtable The Challenges of Globalization, University of Munich, 18-19 March, P.1.
11. عمرو عبد الكريم سعداوى (2000): العولمة وصراع القيم فى مصر، ورقة بحثية مقدمة إلى مؤتمر مصر فى عيون شبابها"، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، جامعة القاهرة، 19 إبريل.
12. Kate Nash (2000): Contemporary Political Sociology, Globalization, Political and Powr, UK, Blackwell, , P. 47.
13. حمد فالح الرشيد (2000): بعض العوامل المرتبطة بالقيم التربوية لدى طلاب كلية التربية بجامعة الكويت، دراسة ميدانية، المجلة التربوية، مجلد 4، ع56، مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت.
14. محمود عطا حسين عقل (2001): القيم السلوكية لدى طلبة المرحلتين المتوسطة والثانوية فى دول الخليج العربي، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج.
15. أحمد مجدي حجازي (2001): الآثار الاجتماعية والثقافية للتغيرات العالمية المعاصرة على قطاعات الشباب في الدول النامية - العولمة والتهميش الاجتماعي، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية بكلية آداب القاهرة، مشروع توثيق الإنتاج العربي في علم الاجتماع، القاهرة.
16. محمد أحمد بيومي (2002) : علم اجتماع القيم ، دار المعرفة الجامعية عمان، الأردن، الطبعة الأولى.
17. شحاته صيام (2002) : الشباب والهوية الثقافية، إعادة التشكيل الثقافي - دراسة ميدانية للثقافة الغربية لعينة من الشباب في المجتمع المصري"، مجلة تربية الأزهر.
18. امطانيوس ميخائيل (2002): دراسة مقارنة للقيم وقيم العمل السائدة لدى عينة من الطلبة الجامعيين في سورية وسكوتلاند، مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس، مجلد 1، ع2، جامعة دمشق.
19. عبد الرحمن أحمد ندا (2002): الدراسات العلمية في مجال القيم بكتليات التربية فى مصر - دراسة تقييمية، رسالة ماجستير، كلية تربية المنصورة، جامعة المنصورة.
20. عبد الودود مكروم (2002): بعض متطلبات تنمية القيم العلمية لدى طلاب المرحلة الثانوية، مستقبل التربية العربية، مجلد 8، ع27، المركز العربي للتعليم والتنمية، القاهرة، أكتوبر.

21. أسامة حسين باهي (2002) : فلسفة القيم رؤية فلسفية في عالم متغير من منظور إسلامي، مجلة تربية الأزهر، عدد 108.
22. أحمد كمال أبو المجد (2002): أزمة القيم وأثرها على الأسرة العربية والمسلمة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.
23. استيتية، دلال، وصبحي، تيسير (2002): دراسة مقارنة بين القيم المعرفية والاجتماعية والثقافية والعلمية والأخلاقية لطلبة جامعة آل البيت والجامعة الأردنية. مجلة مركز البحوث التربوية، جامعة قطر.
24. إبراهيم مصحوب الدليمي (2003): التنشئة الاجتماعية للطفل العربي في ظل العولمة"، مجلة شئون عربية، ع115، مطابع جامعة الدول العربية، القاهرة.
25. سناء الخولي (2003) التغير الاجتماعي و التحديث ، دار المعرفة الجامعية، عمان، الطبعة الأولى.
26. خليفة، عبد اللطيف (2004) : مظاهر التغير في نسق القي م . "دراسات عربية في علم النفس، المجلد الرابع، العدد الأول، دار غريب، القاهرة.
27. كنعان، أحمد عل ي" : (2004) الشباب الجامعي ثقافته وقيمه في عالم متغير"، جامعة دمشق، سورية.
28. معن خليل العمر، (2004): التغير الاجتماعي، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1 ، عمان الأردن
29. نادية رضوان (2005) : الشباب المصري المعاصر وأزمة القيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
30. الجلال، ماجد زك ي : (2005) تعلم القيم وتعليمه ا" ، دار المسيرة للنشر والتوزيع عمان، الطبعة الأولى.
31. حميد، فاطمة مختار " : (2006) القيم السائدة و علاقتها بالتوافق النفسي الاجتماعي لدى طلبة جامعة 7 أكتوبر بمصراته، رسالة ماجستير، جامعة المرق ب كلية الآداب والعلوم /زليتن، ليبيا.
32. ماجد الزيود (2006): الشباب والقيم في عالم متغير ، الإصدار الأول ، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة العربية الأولى ، الإسكندرية.
33. دلال ملحق إستيتية (2008): التغير الاجتماعي والثقافي، الطبعة الثانية.
- أبو مشايخ، يحيى (2008): النسق القيمي وعلاقته بالعنف المدرسي لدى طلبة المرحلة الثانوية بمحافظة غزة" ، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين.
34. عدلي أبو طاحون (2008): التغير الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الأولى، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن.
35. إسماعيل علي سعد، محمد أحمد بيومي (د.ت.): القيم وموجهات السلوك الاجتماعي، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، الأردن.
36. نورهان منير حسن، (2008) «القيم الاجتماعية والشباب، ب ط، الإسكندرية، دار الفتح للتجليد الفني.
37. السيد عبد العاطي السيد، (دون تاريخ) المجتمع والثقافة والشخصية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة
38. محمد عبد البديع السيد (2009): أثر القنوات على القيم الأسرية، العربي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

¹ (أمل إسماعيل عايز، قياس القيم الاجتماعية وعلاقتها بتقبل الذات لدى طلبة الجامعة المستنصرية/ كلية التربية مجلة الفتح ، كانون الاول 2010 العدد الخامس والاربعون .ص 48)

تقنين مقياس الذكاء الوجداني لـ بار-آون و جيمس باركر

على البيئة الجزائرية

أ. عمر جعيجع

قسم علم النفس و علوم التربية

جامعة سعيدة (الجزائر)

د. هامل منصور

قسم علوم التربية

جامعة وهران 2 (الجزائر)

Abstract

The present study aims to regulate Bar-on&Parker Test on the Emotionnal Intelligence Applied to fourth year student in a middle school .The test concerns (187)student , (87)of them are female. Through a descriptive method , we confirm that this test has a distinction of credibility and sincere internal harmony and self- credibility . It has also stability through its split half , re-applying after (15)days and an Alpha Cronbach's coefficient .

As a conclusion, we notice that all methods confirms that this test has a high psychometric characteristics. Consequently, it can be trusted in its results if it is applied to a similar sample of current study.

Key words: Emotionnal Intelligence test - psychometric characteristics.

الملخص :

هدفت الدراسة الحالية إلى تقنين مقياس الذكاء الوجداني لـ (بار - آون و جيمس باركر) على البيئة الجزائرية ، و ذلك من خلال تطبيقه على عينة من تلاميذ السنة الرابعة من التعليم المتوسط . تتكون العينة من (187) تلميذ ، منهم (87) أنثى و بعد إخضاع المقياس للشروط المنهجية و حساب خصائصه السيكومترية ، توصل الباحثان الى ان المقياس تتوفر فيه الخصائص المدروسة . فقد تمتع بمستوى من الصدق يؤهله للتطبيق و الاعتماد عليه (صدق التمييز ، الاتساق الداخلي ، الصدق الذاتي) . و من جهة اخرى فالمقياس يتمتع بمستوى من الثبات لما اجري عليه انواع الثبات التالية : التجزئة النصفية ، إعادة تطبيق ، معامل (Alpha de cronbach)

و قد خلص هذا البحث الى ان جميع الطرق المتبعة للتأكد من خصائص المقياس السيكومترية، أكدت على صلاحية المقياس للاستخدام ، و عليه يمكن الوثوق بنتائجه إذا ما طبق على عينات مماثلة لعينة الدراسة الحالية في البيئة الجزائرية .

الكلمات المفتاحية : مقياس الذكاء الوجداني ، الخصائص السيكومترية .

مقدمة :

1. تقديم الدراسة :

تعتبر حركة القياس النفسي من أهم العوامل التي ساهمت بشكل مباشر في استقلال علم النفس عن بقية العلوم الأخرى و التي ظل يعمل تحت لوائها قرونا طويلة من الزمن، وهذه الحركة مستمرة في تطورها، و ايضا في تقديم خدماتها لمختلف العلوم النفسية، لذلك . ويكاد المطلع على الأبحاث في هذا المجال ان اي دراسة او بحث لا يعتمد على الشروط المنهجية في بناء ادواته التي يعتمد عليها في جمع المعطيات الخاصة به تعتبر نتائجه دون اليقين او الوثوق بها .

كما يعتبر تكميم الخصائص النفسية التي ظلت لفترات طويلة من الزمن موضوع نقاشات نظرية، مثل الذكاء والقدرات العقلية، والاتجاهات، والميول، والدافعية وغيرها من المواضيع التي نفذ عقل الإنسان إلى أهمية تأثيرها في صيرورة سلوك الفرد، الامر الذي مكن العلماء خاصة و المشتغلين بالبحث العلمي عموما، من فهم وتفسير الظاهرة السلوكية إلى الحد الذي توصلوا فيه إلى التحكم بها، ويعتبر ذلك من أهم العوامل التي خلقت اللحمة بين النظرية والتطبيق، والشاهد على ذلك أعمال الكثير من علماء النفس، منهم تورانس (Torrance)، الذي نظر للقدرة على التفكير الإبتكاري وأرفق نظريته تلك باختباره المشهور لقياسها. وقد صدقت هذه القاعدة على أصحاب نظريات أو نماذج الذكاء الوجداني، حيث عمد كل منظر من المنظرين الأوائل لهذا المفهوم (Bar-on)، (Mayer & Salovey)، (Goleman) إلى بناء مقياس يستجيب للإطار النظري الذي تبناه ، بحيث يقيس هذا الاختبار ما جعل لقياسه .

هذا التوجه في معالجة الظواهر النفسية، يجعل الحاجة إلى توفير مثل تلك الاختبارات والمقاييس امر ملح ، ويفرض على المختصين مزيدا من المسؤولية تجاه إعداد و تطوير، وترجمة و تقنين مثل تلك الدلائل لتمكين العاملين في الميدان من توفير الخدمات الضرورية لمساعدة الأفراد مهما كان ميدان تواجدهم ، وربما يكون المطلب أكبر من ذلك ، ويصل إلى حد يكون فيه من المفيد التفكير في تأسيس بنوك تتولى جمع ما توصل إليه العقل البشري من إنتاج لتلك الأدوات (المقاييس والاختبارات) .

1. الإشكالية:

بناء على قيمة القياس النفسي النظرية والتطبيقية ، وما أفرزته الدراسات الميدانية وحتى النظرية من كشف للمكانة التي اختص بها الذكاء الوجداني باعتباره الخاصية التي لفتت أنظار الكثير من العلماء والباحثين عن الذكاء في صورته المعرفية ، كونها من العوامل التي تحتل الصدارة في صناعة نجاحات الأفراد على كامل الأصعدة ، حيث اكدت العديد من الدراسات وتصريحات العلماء من بينهم (Goleman) الذي نقل علي حسن (2007) تصريحه المتضمن أن الذكاء في صورته المعرفية لا يسهم في تحقيق نجاح الفرد إلا بنسبة لا تتعدى الـ (20%)، وتبقى العوامل غير المعرفية تحوز على ما نسبته (80%). لذلك اصبح الاهتمام ببناء ادوات لقياسه امرا مهما .

و بالرغم من الانتقادات التي وجهت لعملية القياس و التي ارتبطت عادة بان هذه الادوات لا يمكن لها ان تكون ذات مصداقية ، الا ان الحاجة اليها ظلت قائمة ، الامر الذي دفع بالباحثين في علوم النفس و التربية الى التركيز عليها و توفير كثير من الجهد في تطويرها .

ان الاهتمام بتقنين اداة يعتبر جزءا من المجهود العلمي الذي يبذله الباحثون ، خاصة إذا ما تعلق الأمر بأداة حازت من المواصفات الجيدة بعد تطبيقها على عدد كبير من المجتمعات، كالمقياس موضوع

البحث الحالي، الذي طبق على عشرات الآلاف من الأفراد وفي مختلف بلدان العالم كما اشارت اليه نور الهي (2009). وقد أثبتت الدراسات قوة المقياس العالية من حيث الخصائص السيكمترية مما يجعله مرشح بقوة إلى التوظيف في الميادين الحساسة للبحث العلمي و التطبيق التربوي و النفسي ، الامر الذي دفع بالباحثين الى التساؤل حول مدى توفر هذه الخصائص في تطبيقها على عينة من التلاميذ بالمجتمع الجزائري بحيث تبلورت اشكالية الدراسة في السؤال التالي :

هل تتحقق الخصائص السيكمترية لمقياس الذكاء الوجداني لـ (Bar-on&Parker) إذا ما طبق على تلاميذ السنة الرابعة من التعليم المتوسط ؟ .
ويمكن تقسيم هذا السؤال الى سؤالين فرعيين :

السؤال الأول:

هل تتحقق خاصية الصدق (صدق التمييز ، البناء العاملي، الصدق الذاتي) لمقياس الذكاء الوجداني لـ (Bar-on&Parker) إذا ما طبق على تلاميذ السنة الرابعة من التعليم المتوسط ؟ .

السؤال الثاني:

هل تتحقق خاصية الثبات (بطريقة الإعادة ، التجزئة النصفية ، حساب معامل (Alpha de cronbach لمقياس الذكاء الوجداني لـ (Bar-on&Parker) إذا ما طبق على تلاميذ السنة الرابعة من التعليم المتوسط ؟ .

2. أهمية الدراسة :

تستمد هذه الدراسة أهميتها من نتائج ما قدمته المقاييس النفسية ، التي تعتبر من أهم الأدوات المساعدة على فهم و تفسير مختلف الخصائص النفسية ومختلف المتغيرات المتعلقة بها المساعدة على الوصول إلى القوانين (بشير معمريه ، 2007) ، لذلك فمن الأهمية بمكان الحرص على تزويد الباحثين و المشتغلين بعلم النفس و علوم التربية بمقاييس تتوفر على المعايير السيكمترية التي تؤهلها للاستعانة بها في تنفيذ المهمات البحثية ، و خاصة ما تعلق بالذكاء الوجداني باعتباره مفهوما يؤثر في السلوك البشري بنسبة عالية (علي حسن ، 2007).

ومن جهة اخرى فان للمقياس قيمة ذات اهمية حيث يعتبر من المقاييس العالمية، ليس لكونه أداة ساهمت في صياغته إحدى الشخصيات التي كان لها فضل السبق في التنظير في الموضوع ، ولكن أيضا لأن المقياس حظي بتطبيق عابر للمجتمعات بشكل واسع نظرا لأهميته (نور الهي ، 2009 و طالب ، 2010)، بحيث طبق على عشرات الآلاف من الأفراد من دول مختلفة (الولايات المتحدة الأمريكية ، بريطانيا ، ألمانيا، السويد ، إسرائيل ، جنوب إفريقيا) . أما بالنسبة للدول العربية فقد كانت له أيضا تطبيقات متعددة على أيدي العديد من الباحثين منهم نور الهي (2009) من المملكة العربية السعودية، و طالب ناصر (2010) من العراق، بزقاق وبوشلاق (2014) من الجزائر .

و تأتي هذه الدراسة كإضافة للتراث العلمي للمقياس في الجزائر ، خاصة و انها تركز على فئة المراهقين الذين تتراوح اعمارهم بين (16 إلى 18 سنة) ، فهي تهيئ الأرضية لتوظيف هذه الأداة سواء بالنسبة للمشتغلين بالبحث العلمي أو أولئك الذين يرغبون في جمع البيانات المتعلقة بالذكاء الوجداني بغية استثمارها في تحسين أداء مؤسساتهم التربوية أو الإنتاجية أو ما إلى ذلك .

3. أهداف البحث :

تتضمن أهداف البحث بعدين وهما:

1.3. البعد النظري :

يتمثل هذا البعد في التعريف بالمقياس موضوع الدراسة الحالية، ويعتبر هذا الهدف من أهم الأهداف النظرية لهذا العمل، كون هذا المقياس من الأدوات التي حازت على الموصفات التي جعلته يحتل مكانة عالمية ، ومن جهة أخرى يعتبر تزويد المكتبة الجزائرية على الخصوص بمادة علمية تخص أحد أهم أدوات القياس النفسي المقننة على البيئة الجزائرية ، اعتباراً من أن توفر مثل هذه السندات العلمية تساعد الباحثين على العمل بحرية أكبر، فيما يتعلق باختيار وسيلة القياس التي تناسب الظاهرة موضوع الدراسة.

2.3. البعد التطبيقي :

ويتمثل هذا البعد في تزويد الباحثين و العاملين في مختلف ميادين الاستثمار البشري بأداة قياس جاهزة في البيئة الجزائرية ، توفر لديهم الجهد و الوقت ، باعتبار أن هذا المقياس مقنن على المجتمع المحلي ، خصوصاً أوولائك المضطلعين بمهام الإشراف والتوجيه والإرشاد المهني والمدرسي، فهؤلاء بحاجة إلى مثل هذه الأدوات، يستعينون من خلالها على تشخيص وعلاج العديد من المشكلات التي يفرضها الميدان.

4. مصطلحات البحث :

تتضمن الدراسة المصطلحات الأساسية التالية :

1.4. الخصائص السيكمترية :

تعرف الخصائص السيكمترية إجرائياً لغرض هذه الدراسة توفر مقياس الذكاء الوجداني لـ (Bar-on&Parker) على معاملات صدق (صدق التمييز، صدق البناء العاملي، والصدق الذاتي)، و معاملات ثبات (التجزئة النصفية ، إعادة التطبيق ، ومعامل Alpha de cronbach) .

2.4. الذكاء الوجداني :

انه الدرجة التي يتحصل عليها تلاميذ السنة الرابعة من التعليم المتوسط عينة الدراسة على مقياس الذكاء الوجداني لـ (Bar-on&Parker)، وأبعاده المتمثلة في الكفاءة الشخصية، الكفاءة الاجتماعية، كفاءة الضغوط النفسية، الكفاءة التكيفية، كفاءة المزاج الايجابي العام، كفاءة الانطباع الايجابي.

II. الإطار النظري والدراسات السابقة :

لم يكن توظيف العاطفة في مجالات السلوك الأخرى وليد التسعينيات من القرن الماضي كما سبق وأن أشير إلى ذلك في مقدمة هذه الدراسة، ولكنها عملية رافقت مسيرة الإنسان منذ فجر تاريخ اهتمامه باستغلال إمكاناته البشرية كما تذكر العديد من الدراسات و التي من بينها دراسة علي حسن (2007) و التي اشارت الى أن مراجعة التراث الأدبي المتعلق بالعاطفة في علاقتها بالسلوك الإنساني يحيلنا إلى أعمال كثيرة تواجد ظهورها منذ أكثر من قرنين من الزمن ، استهدفت الدور الذي يؤديه الانفعال في توجيه وقيادة السلوك . وهذا بطبيعة الحال أمر قد يذهب بنا بعيداً، ويعيد الذاكرة إلى ما كان يقوم به القادة من

عمليات للاستفادة من أغراض العواطف (الوطن ، الدين ، العرق ..الخ) وشحنها من أجل صناعة إقدام الجنود على التضحية بالنفس والنفس، واستثمار طاقة الأفراد الوجدانية في تسيير الشؤون العامة والخاصة لمجتمعاتهم، وهذا التصور لتاريخ تطور الاهتمام بالذكاء الوجداني ذهب في سياقه الكثير من الباحثين الذين من بينهم الخوالدة (2004).

غير أن بعض المؤلفين منهم يفضل إحالة الراغب في الاطلاع على الجذور التاريخية للمفهوم مباشرة إلى تمخضات القرن الماضي، أين بدت وتيرة الاهتمام بالربط بين القدرات العقلية والانفعالية في تصاعد مطرد، كانت بدايتها أعمال (Thorndik)، التي حول من خلالها الأنظار إلى نوع آخر من الذكاء، أطلق عليه الذكاء الاجتماعي، وضمنه خصائص غير معرفية، تتعلق بفهم الآخرين والسلوك الحكيم في العلاقات الإنسانية، و أيضا أعمال (Wechsler) في الأربعينات التي أكد من خلالها على الجوانب اللامعرفية من الذكاء في إشارة إلى الجانب الانفعالي، و من بعدهم عالم النفس المعرفي (Gardner) الذي قال بسبعة أنواع للذكاء . وهذا العمل ألهم المنظرين الأوائل الكثير من الأفكار التي سمحت بظهور المفهوم بشهادة (Goleman) نفسه ، حيث يذكر هذا الأخير فيما نقلته علي حسن (2007) بأن فهمه للذكاء الوجداني مبني على مفهوم الذكاءات المتعددة وخاصة الذكاء الشخصي والذكاء الاجتماعي.

وتعود الانطلاقة الحقيقية لعمليات البحث والتقصي العلميين في موضوع الذكاء الوجداني لـ (Mayer , Salovey) كما يذكر (Camilo et al , 2007) ومن بعده (Goleman)، و من قبلهما (Bar-on) في النصف الأول من عشرية الثمانينيات من القرن الماضي و الذي كان قد سبق إلى تحديد المفهوم بتسمية غير التسمية التي يعرف بها حاليا، وهي معامل الانفعالية، وقصد بها كما يشير معمريّة (2007) الى قدرة الأفراد على التعامل بنجاح مع المشاعر الخاصة و مشاعر الآخرين، إضافة الى أنه سبق الجميع أيضا بصياغة أول أداة لقياس للظاهرة.

وما تجدر الإشارة اليه هنا، أن جميع الأعمال المتعلقة بالذكاء في صورته الانفعالية، سواء تلك التي درات مجرياتها في القرن الماضي أو ما قبله ، كانت عبارة عن تمخضات تمت ولادتها من خلال التسمية على يد الثلاثي (Mayer , Salovey, Goleman). حيث ألف (Mayer , Salovey) كتابهما (الخيال، المعرفة، الشخصية) والذي سلطا من خلاله الضوء على الكثير من جوانب الموضوع ، ثم أعمال (Goleman) التي حركت وتيرة البحث بهذا الاتجاه. أما من حيث الموضوع فقد أشار المللي (2001) الى انه كان على يد (Bar-on) .

ان حركة تطور دراسة مفهوم الذكاء الوجداني ، كانت نتيجته كشف الدور الفعال لانفعالية الفرد في حياته العامة والخاصة، ونبهت المشتغلين في الاستثمار البشري إلى ما يمكن التوصل إليه إذا ما أحسن توظيف الانفعالات إلى جانب العقل، وتكون بذلك العودة إلى ما توصل إليه بكون بشأن التشكيك فيما يختزنه وينتجه العقل، وينتهج دعاة مزاجية العقل بالوجدان، نهجا مماثلا حين يقررون بأن ما يمتلكه الشخص منا من قدرات عقلية لا يمكن لها أن تقوده إلى النجاح ما لم تزواج مع ما يمتلكه أيضا من قدرات أو مهارات أو سمات انفعالية.

قياس الذكاء الوجداني :

اتخذت عملية قياس الذكاء الوجداني مناح ثلاث وهي : منحي القدرة ، ومنحي الكفاءة ، و منحي السمات ، ولكل منحي من هذه المناحي أسلوبه الخاص في قياس الذكاء الوجداني ، كما تشير علي حسن (2007)، فمدخل السمات يقاس بأسلوب التقرير الذاتي ، بينما يعتمد مدخل الكفاءة على أسلوب تقديرات الآخرين ، في حين يعتمد منحي القدرة على قياس القدرة العقلية .

ومن بين أهم المقاييس التي تصنف ضمن مقاييس القدرة ، مقياس الذكاء الوجداني متعدد العوامل (MEIS) الذي اعد من طرف (Mayer , Salovey ,Caruo) ، وهو كما يشير علي حسن (2007)، أول بطارية اختبارات لقياس الذكاء الوجداني كقدرة، وقد خضع هذا المقياس إلى التحسين، و يهدف الى قياس قدرة الأفراد على حل المشكلات الانفعالية. أما المقاييس التي تعتمد على تقرير الملاحظين فنجد قائمة الكفاءة الوجدانية التي أعدت من طرف (Boyatzis, Goleman,Rhee) . أما مقاييس التقرير الذاتي فنجد مقياس الذكاء الوجداني الذي أعده (Bar-on&Parker).

ويعتبر منحي التقرير الذاتي المنحي الأكثر استخداما، حيث يشير حباب عبد الحي و عمر هارون (2008) إلى أن أغلب الدراسات استخدمت منحي التقرير الذاتي، بل والأكثر من ذلك كما يؤكد هذان الباحثان أن أسلوب التقرير الذاتي الموضوعي قادر على قياس الذكاء الوجداني كقدرة، ويكونا بذلك على اتفاق مع كل من (Goldenberg) و (Schutte et al)، و ايضا كل من (Mayer et al) و (Conte) الذين ذكروا بأن أسلوب التقرير الذاتي صالح أيضا لقياس الذكاء الوجداني كقدرة (حباب عبد الحي و عمر هارون ، 2008).

2. الدراسات السابقة :

يمكن الاكتفاء بعرض مختصر لأهم الدراسات العربية المتعلقة أساسا باستخدام مقياس الذكاء الوجداني لـ (Bar-on&Parker)، بالقدر الذي يلبي حاجة الدراسة الحالية من المعطيات . يجب ان نشير الى ان المقياس موضوع الدراسة الحالية كان قد وظف في العديد من البحوث في مختلف المجتمعات العربية منها السودان ، الأردن ، مصر ، الجزائر وغيرها .

1.2. دراسة رزوق الله رندا سهيل (2006):

هدفت الدراسة إلى تنمية مهارات الذكاء الوجداني، ومعرفة مستوى هذه المهارات لدى عينة الدراسة، وللوصول إلى أهداف هذه الدراسة اعتمدت على نقل المقياس موضوع الدراسة الحالية إلى اللغة العربية ، وقننته على عينة قوامها (101) تلميذا وتلميذة من تلاميذ الصف السادس الابتدائي، حيث تحققت من صدق الترجمة ، كما تحققت من صدقه الظاهري وصدق البناء أما الثبات فقد استخرجته بثلاثة طرق وهي، إعادة التطبيق ، التجزئة النصفية، حساب معامل (Alpha de cronbach) وكانت نتائج عمليات التقنين كلها لصالح صدق وثبات المقياس.

2.2. سوسن رشاد نور الهي (2009):

أجرت الباحثة دراستها حول علاقة الذكاء الوجداني بالاتجاهات الوالدية للتنشئة كما تدركها طالبات مرحلتي التعليم الثانوي والجامعي بمدينة مكة المكرمة، وقد عمدت الباحثة من خلال دراستها هذه الى تقنين مقياس الذكاء الوجداني وكنت النتائج كمايلي :

بالنسبة للصدق تأكدت الباحثة من هذه الخاصية بطرق ثلاث هي : الصدق التكويني بواسطة حساب معامل الارتباط بين نتائج المقياس ونتائج مقاييس المرتبطة بمفهوم الذكاء الوجداني (اختبار ايزنك لشخصية ، اختبار بيك لإكتئاب)، أما الطريقة الثانية فتتعلق بالصدق التلازمي حيث حسب معامل الارتباط بين نتائج المقياس موضوع الدراسة الحالية واختبار الذكاء الوجداني المعد للبيئة العربية من قبل جودة (1999)، ويتمثل النوع الثالث في صدق البناء العاملي ، حيث عمدت الباحثة الى حساب معاملات الارتباط بين نتائج المقياس ككل وابعاده المختلفة وكانت النتائج كلها لصالح تأكيد صدق المقياس .

أما بالنسبة للثبات فقد تم التأكد منه بثلاثة طرق وهي : طريقة الاتساق الداخلي (Alpha de cronbach) حيث توصلت الى ان المعامل يساوي الى (76)، اما الطريقة الثانية وهي طريقة الإعادة بعد شهر من التطبيق الأول، وكانت النتيجة ان حصلت الباحثة على معامل ارتباط مقدر بـ (73)، واما الطريقة الثالثة فتتمثل في التجزئة النصفية وقد تحصلت الباحثة على معامل ارتباط بعد التصحيح (75).

3.2. دراسة طالب ناصر (2010):

هدفت الدراسة الى كشف البنية العاملية لمقياس (Bar-on&Parker) على عينة من تلاميذ التعليم المتوسط قوامها (200) تلميذ وتلميذة لغرض التحقق من الارتباطات بين أبعاد المقياس، وقد كانت معاملات الارتباط دالة بالنسبة لجميع أبعاد المقياس وتتراوح بين (82)، كأعلى ارتباط لعلاقة فهم الانفعالات مع إدارة الضغوط النفسية وأدناها (52)، لفهم العلاقات الشخصية مع المزاج العام . أما الثبات فقد استخرج عن طريق التجزئة النصفية وكان معامل الثبات مساو لـ (76)، وبعد تصحيحه بمعادلة سبيرمان براون ارتفع إلى (86)، وقد أوصت الدراسة بالاستفادة من تطبيق المقياس على شريحة أوسع ، وأبعد من ذلك فقد أوصت بدراسات عبر ثقافية للمقياس .

4.2. دراسة سهاد المللي (2011):

عنونت الدراسة بالفروق في الذكاء الانفعالي لدى عينة من الطلبة المتفوقين والعاديين دراسة ميدانية على طلبة السنة الأولى من التعليم الثانوي . وقد تأكدت الباحثة من الخصائص السيكمترية للاختبار التي كانت جيدة، حيث أكدت صاحبة الدراسة بأنها قد عرضت الاختبار على عدد من المحكمين المتخصصين في القياس والتقويم والتربية الخاصة . وكانت نتيجة التحكيم أن قبل المحكمون الاختبار كما هو ولم يعترضوا على أي من بنوده ، كما أكدت هذه النتيجة حسب الباحثة دائما من خلال اعتمادها على صدق البناء العاملي وكانت النتيجة حصولها على معاملات ارتباط بين الاختبار ومختلف بنوده بحيث كانت موجبة كلها ودالة احصائيا . أما الثبات فقد حسبته الباحثة بطرق ثلاثة ، التجزئة النصفية، الإعادة ، ومعامل (Alpha de cronbach) ، وكانت نتائجها كلها لصالح قبول الاختبار .

5.2. دراسة عدنان محمد عبده القاضي (2012):

تناولت علاقة الذكاء الوجداني بالاندماج الاجتماعي لدى طلبة كلية التربية جامعة تعز ، وقد تم التأكد من الخصائص السيكمترية للمقياس بطرق متعددة ، فتم التأكد من صدقه بطرق ثلاث وهي : الصدق الظاهري حيث عرض على (14) أستاذا جامعيًا من تخصصي الإرشاد النفسي و علم النفس وقد كانت

نسبة الاتفاق (80%) ، وصدق القوة التمييزية ، حيث عمد الباحث إلى احتساب الفروق بين متوسطات نتائج الفئة الدنيا والعليا بحسب نتائج عينة البحث على المقياس وقد توصل إلى وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة (01)، وهو مؤشر يشير الى توفر المقياس على مؤشر التمييز مما يجعله يحوز على قدر من الصدق . أما النوع الثالث من الصدق فيتمثل في صدق البناء العاملي ، والذي تؤكد منه عن طريق احتساب ارتباط الدرجة الكلية للمقياس بالدرجات الكلية الفرعية وكانت نتيجة ذلك أن هناك معاملات ارتباط قوية عند مستوى الدلالة (01)، أما فيما يتعلق بالثبات وطالما أن كل اختبار صادق فهو ثابت فقد اعتمد فقط على معامل (Alpha de cronbach) والذي كان أيضا على قدر عال من الثبات .

6.2. دراسة سميرة بوزقاق و نادية بوشلاق (2014):

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة الاختلافات في درجات الذكاء الوجداني بحسب متغيري المستوى التعليمي والسن ، وقد وظفت الدراسة مقياس بار- أون ، وتمت دراسة خصائصه السيكومترية على عينة الدراسة المتمثلة في أمهات أطفال المعوقين ذهنيا و كانت النتائج كمايلي: بالنسبة للصدق عمدت الباحثتان إلى التأكد من صدق الأداة بطريقة المقارنة الطرفية وكانت النتيجة أن المقياس يميز بين الفئتين العليا والدنيا ، أما الثبات فقد تم التأكد منه بحساب معامل (Alpha de cronbach) الذي إيجاده مساو إلى (92).

4. خلاصة الدراسات السابقة :

يمكن أن نستخلص مما سبق ثلاثة نقاط هي محور تلاقي الدراسات السابقة مع الدراسة الحالية وهذه النقاط هي :

- ✓ أشارت جميع الدراسات السابقة إلى أن الأداة تتبوأ مكانة سامية بين المشتغلين بالبحث العلمي، كما أنها تتخذ اتجاه هام ومتناول كثيرا بالنسبة لقياس الذكاء الوجداني و هو اتجاه السمة .
- ✓ تتقاطع الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في كون أن الدراسة الحالية تتقاطع مع كل من دراسة ، ودراسة عدنان و القاضي (2012)، في استعمالها لطريقة صدق المقارنة الطرفية او صدق التمييز ، كما تتقاطع مع دراسات كل من نور الهي (2009) ، وطالب (2010)، والمللي (2011)، وعدنان والقاضي (2012)، وبوزقاق وبوشلاق (2014) كون هذه الدراسات جميعا اعتمدت على صدق البناء العاملي ، أما من حيث طرق التأكد من الثبات فقد اتفقت الدراسة الحالية مع جميع الدراسات كون الجميع اعتمد على معامل (Alpha de cronbach) ، كما اتفقت مع ثلاثة من خمس دراسات حول اعتماد طريقة التجزئة النصفية وطريقة الإعادة .
- ✓ يتضح من الدراسات السابقة بأن هناك اتفاق ثلاثة دراسات من بين خمس دراسات سابقة اتخذت عينة التقنية مرحلة المراهقة ، حيث كانت عينة التقنين بالنسبة لنور الهي (2009) وسهاد (2011) تلاميذ الثانوية بينما كانت عينة التقنين بالنسبة لدراسة طالب (2010) تلاميذ التعليم المتوسط.
- ✓ كانت جميع الدراسات السابقة قد أكدت بأن المقياس يتمتع بخصائص سيكومترية عالية ، أي أنها أثبتت بأن المقياس يمكن الوثوق بنتائجه في مختلف البيئات ومختلف الاعمار والفئات .

III. إجراءات الدراسة :

أولاً: الدراسة الاستطلاعية.

تهدف هذه الخطوة من البحث الحالي إلى التعرف أكثر على موضوع الدراسة ، وتلخصت الدراسة الاستطلاعية في اجراء تطبيق المقياس موضوع الدراسة على عينة بغية التعرف على الخصائص السيكومترية الأولية للمقياس .

1. صدق المحكمين ، تم عرض المقياس على خمسة من الأساتذة الجامعيين بغية الاطمئنان إلى سهولة وصعوبة ووضوح المفردات والعبارات.

2. تطبيق المقياس على عينة استطلاعية مكونة من (45) تلميذ منهم (21) تلميذ . بعد تقديم تعليمية شفوية للمستجيبين مفادها من وجد مفردة (مصطلح) غير واضح أو صعب أو حتى غير مفهوم له الحرية ليسأل عنه

3. نتائج الدراسة الاستطلاعية :

1.3. نتائج التحكيم :

وافق المحكمون على المقياس كما هو ، وهذه النتيجة متفقة مع الدراسات السابقة في الموضوع وخاصة دراسة بوزقاق و بوشللق (2014).

2.3. نتائج تحليل استجابات عينة الدراسة الاستطلاعية :

1.2.3. بالنسبة للوضوح والصعوبة والفهم : لم نسجل أي طلب لتوضيح ، مما يدل بأن بنود المقياس واضحة و في متناول المستوى التعليمي للعينة .

2.2.3. بالنسبة للصدق والثبات فكانت ايضا النتائج ايجابية حيث كان قيمة معامل (Alpha de cronbach هي (,73)، وهو مؤشر من مؤشرات الصدق والثبات معا .

ثانيا الدراسة الاساسية :

1. المنهج :

للإجابة على تساؤلات الدراسة ، المرتبطة بمدى توفر الخصائص السيكومترية في مقياس الذكاء الوجداني بعد تطبيقه على عينة من المراهقين في البيئة الجزائرية ، تم الاعتماد على المنهج الوصفي .

مجال الدراسة :

1.2. المجال الزمني :

تم تنفيذ إجراءات الدراسة الحالية خلال الفترة الزمنية الممتدة بين 15 ماي و 30 جوان من العام الدراسي 2014/2015

1.2. المجال المكاني:

تم تنفيذ مجريات الدراسة الحالية في خمس متوسطات من المتوسطات المنتمية إلى بلدية حمام الضلعة ولاية المسيلة ، وهذه المتوسطات هي : متوسطة خنوف لخضر ، متوسطة معاذ بم جبل ، متوسطة مالك بن أنس ، المتوسطة الجديدة ، متوسطة الشهيد بوساق أمبارك .

3.2. المجال البشري

مجتمع الدراسة :

يمثل مجتمع الدراسة الحالية مجموع تلاميذ السنة الرابعة من التعليم المتوسط ، المزاولون لدراساتهم بمتوسطات بلدية حمام الضلعة والبالغ عددها (06) متوسطات وهي : متوسطة خنوف لخضر بتعداد تلاميذ (140) منهم (72) تلميذة ، المتوسطة الجديدة حمام الضلعة بتعداد (163) منهم (83) تلميذة ، متوسطة معاذ بن جبل حمام الضلعة بتعداد تلاميذ (179) منهم (95) تلميذة ، متوسطة الشهيد بوساق مبارك الدريعات بمجموع تلاميذ (72) منهم (39) تلميذة ، متوسطة مالك بن أنس بئر ماضي بمجموع طلاب (115) منهم (48) تلميذة ، وبهذا يكون مجتمع البحث يتكون من (669) منهم 337 تلميذة .

عينة البحث :

ان طريقة اختيار العينة كان عشوائية ، بحيث تم اجراء القرعة بين عدد المتوسطات ، و قد تم اختيار المتوسطات التالية : مالك بن انس بئر ماضي ، الشهيد بوساق أمبارك ، وعدد تلاميذهما (187) منهم (87) تلميذة ، وتكون نسبة العينة الى مجتمع البحث (25,41%).

2. أداة البحث :

مقياس الذكاء الوجداني لـ (Bar-on&Parker) :

التعريف بالمقياس : أعد مقياس (Bar-on&Parker) وفقا لنموذج السمات أو النموذج المختلط ، وهو من ضمن مقاييس التقرير الذاتي، أعد استنادا إلى الأبحاث التي أجراها (Bar-on) على المفهوم . وقد طبق على عينة تعد بالآلاف كما اشارت اليه نور الهي (2009) و عن فئات عمرية يتعدى سنها ال (16 سنة) ، وعلى مختلف الأجناس البشرية :أمريكا، الأرجنتين، كندا، الشيلي، ألمانيا، بريطانيا، الهند، إسرائيل، المكسيك، نيجيريا، جنوب إفريقيا، السويد .. الخ . وهو مقياس متعدد الأبعاد ولديه قدرة تخمينية عالية في مستوى مهارات الذكاء العاطفي المستقبلية لدى الفرد . ينطلق من النموذج المختلط للذكاء العاطفي ذي النظرة الشاملة لتكامل مهارات الفرد الفكرية والانفعالية والاجتماعية كما تشير الى ذلك المللي (2011).

ترجم المقياس إلى العربية مرتان كانت المرة الأولى من طرف عوجة (2003) حسب نور الهي (2009)، ونقل مرة أخرى من طرف رزق الله (2006) بعد أن تحققت من قوة خصائصه السيكمترية ، بعدة طرق (صدق الترجمة ، الصدقه الظاهري، صدق البناء)، والثبات وكان بعدة طرق ايضا (إعادة التطبيق ، التجزئة النصفية، ومعامل Alpha de cronbach) .

وصف المقياس :

يتألف المقياس من (60) فقرة ذات تدرج رباعي موزعة على (06) أبعاد وهذه الأبعاد تتكون من (15) مهارة . و الجدول الموالي يوضح ابعاد المقياس و ارقام فقرات كل بعد :

جدول (01) يبين ابعاد مقياس الذكاء الوجداني لـ (Bar-on&Parker) و أرقام الفقرات لكل بعد

الأبعاد	أرقام الفقرات
01 الكفاءة الشخصية	53*-43-31-28*-17-07
02 الكفاءة الاجتماعية	59-55-51-45-41-36-24-20-14-10-5-2
03 كفاءة ادارة الضغوط النفسية	58*-54*-49*-46*-39-35*-26*-21*-15*-11-6*-3
04 الكفاءة التكيفية	57-48-44-38-34-30-25-22-16-12
05 كفاءة المزاج الايجابي العام	60-56-50-47-40-37*-32-29-23-19-13-9-4-1
06 كفاءة الانطباع الايجابي	52-42-33-27-18-8

/العبارات ذات الاتجاه السالب*طريقة تطبيق المقياس :****تطبيق الاختبار:**

يشتمل المقياس إضافة إلى لائحة الأسئلة ، ورقة أولى تتضمن المعلومات ذات العلاقة بمتغيرات الدراسة ، الاسم واللقب ، الجنس، السن ، القسم ، محل الإقامة ، كما تتضمن هذه الورقة التالي : فيما يلي مجموعة من العبارات التي تشير إلى شعورك وسلوكك نحو بعض المواقف، المطلوب أن تضع علامة (X) مقابل العبارة التي تشعر انها تنطبق عليك .

قبل تقديم المقياس للتلاميذ بغرض الاجابة على فقراته ، قدم الباحثان توضيحات حول الهدف من هذا المقياس، وطمأنة التلاميذ بخصوص استخدامات استجاباتهم، ثم تم توزيع الأوراق عليهم مع إعطاء إشارة انطلاق وضع الاستجابات، دون تقييدهم بوقت معين .

تصحيح المقياس:

يعتمد المقياس على أربع بدائل هي : لا تنطبق ابدا - تنطبق بدرجة بسيطة- تنطبق بدرجة متوسطة- وتنطبق بدرجة كبيرة، تعطى القيم (1- 2- 3- 4) على التوالي في حالة الفقرات ذات الاتجاه الموجب، أما في حالة الفقرات ذات الاتجاه السالب يتم عكس الأوزان .

3. عرض و مناقشة النتائج :

يتم عرض النتائج و مناقشتها وفقا لكل سؤال :

أ - الصدق :

- السؤال الأول: هل تتحقق خاصية الصدق (التمييز ، البناء العاملي، الذاتي) لمقياس الذكاء الوجداني لـ (Bar-on&Parker) إذا ما طبق على تلاميذ السنة الرابعة من التعليم المتوسط ؟ .

صدق التمييز :

لحساب هذا النوع من الصدق ، يشير بعض المؤلفين من بينهم معمريه (2007) إلى الاعتماد على فكرة المقارنة بين طرفي الخاصية المقاسه، أو المقارنة بين الدرجات المتطرفة، بواسطة اختبار (ت) للمقارنة بين المتوسطات، حيث تم التأكد ما إذا كان هناك فروق دالة إحصائية بين متوسطات الفئة العليا على المقياس والفئة الدنيا، ويمثل أفراد العليا مجموع التلاميذ الذين تقع درجاتهم على المقياس ضمن أعلى 33% وعددهم (63) تلميذا وتلميذة . بينما يمثل أفراد الفئة الدنيا مجموع التلاميذ الذين تقع درجاتهم ضمن أدنى 33% ، وعددهم (63) تلميذا وتلميذة أيضا، ويسمى هذا التقسيم ، بالتقسيم المنطقي. و الجدول التالي يوضح نتائج هذه العملية .

جدول رقم (02) يتضمن نتائج المقارنة بين متوسطات فئتي المقارنة الطرفية

مستوى الدلالة	درجة الحرية	قيمة (ت)	الفرق بين المجموعتين				
			الحد الأدنى	الحد الأقصى	الخطأ المعياري	الانحراف المعياري	المتوسط
الفئة الدنيا	62	65,768	5,0865	4,7865	0,00751	0,05958	49365
الفئة العليا	0,000						

ما يمكن ملاحظته من الجدول (02) أن فترة الثقة (47865 - 47865) لا تتضمن الصفر وهذا مؤشر على أن الفروق بين متوسطان الفئة الدنيا والعليا دالة إحصائية، وقد جاءت هذه النتيجة مؤكدة لما توصلت إليه دراسة عبده القاضي (2012)، التي أكدت صدق القوة التمييزية للمقياس بالطريقة نفسها، و استنتجت من خلال ذلك بأن المقياس يتوفر على مؤشر الصدق.

ولم تختلف هذه النتائج مع أي من الدراسات السابقة التي تمكن الباحثان من الحصول عليها ، الأمر الذي يشير الى ان المقياس محل الدراسة يحوز على قدرة الكشف عن الفروق الفردية بين المفحوصين، وهي ميزة هامة من المميزات المساهمة في تحقيق الصدق (عبد الرحمان ،2008) . و عليه يمكن الوثوق في المقياس من حيث صدقه التمييزي .

1. صدق البناء العاملي ، أو صدق الاتساق الداخلي :

للتأكد من صدق البناء العاملي أو صدق الاتساق الداخلي، يشير بعض المؤلفين منهم خليفة (2000)، و معمريه (2007)، إلى أنه يمكن الاعتماد على معاملات الارتباط بين درجات المقياس ككل ومختلف أبعاده، وبين الأبعاد فيما بينها، وبتطبيق هذا المبدأ تم التوصل إلى النتائج المبينة بالجدول (03).

الجدول (03) يبين مختلف معاملات ارتباط المقياس بأبعاده والأبعاد فيما بينها

المقياس	البعد 01	البعد 02	البعد 03	البعد 04	البعد 05	البعد 06
المقياس	0,235**	0,549**	0,493**	0,670**	0,808**	0,551**
البعد 01		0,412**	0,189**	0,249**	0,579**	0,668**
البعد 02	0,412**		0,150*	0,161*	0,312**	0,373**
البعد 03	0,189**	0,150*		0,239**	0,258**	0,270**
البعد 04	0,249**	0,161*	0,239**		0,426**	0,318**
البعد 05	0,579**	0,312**	0,258**	0,426**		0,443**
البعد 06	0,668**	0,373**	0,270**	0,318**	0,443**	

** / دال عند مستوى (0,001) ، * / دال عند مستوى (0,005)

الملاحظ من الجدول (03) أن جميع معاملات الارتباط بين مقياس الذكاء الوجداني موضوع دراستنا دالة إحصائياً ، وهذه النتائج جاءت مؤكدة لما حققته الدراسات التي اتبعت نفس الطريقة ، منها دراسة نور الهي (2009) ، وطالب (2010)، والمللي (2011)، وعدنان والقاضي (2012)، وبوزقاق وبوشلاق (2014) كون هذه الدراسات جميعاً اعتمدت على صدق البناء العاملي، وجاءت جميعها مؤكدة على تماسك المقياس سواء ما تعلق بتماسك الأبعاد بالمقياس ، أو تماسك الأبعاد ببعضها البعض .

وبناء على ذلك يمكن الحكم على تماسك ابعاد المقياس، أي على البنية القوية التي يتمتع بها ، فهو يتمتع بدلالات صدق الاتساق الداخلي مما يمكننا من الاعتماد عليه في قياس الخاصية لدى عينة الدراسة .

2. الصدق الذاتي :

يعتبر الصدق الذاتي أو الصدق المستخرج من الثبات من أكثر الطرق المعتمدة في البحوث، ويعتمد هذا النوع من الصدق على الجذر التربيعي لمعامل (Alpha de cronbach)، وقد قدر في هذه الدراسة بـ (671) ، ويكون معامل الصدق الذاتي بالتالي (819) ، وهو معامل صدق عال ، وهذه النتيجة توافق ما توصلت إليه دراسات كل من والمللي (2011)، وعدنان والقاضي (2012)، الذي اعتمدوا على هذا النوع من الصدق وكانت النتائج تصب لصالح تأكيد صدق المقياس، ودراسة بوزقاق وبوشلاق (2014)، حيث استخدم معامل (Alpha de cronbach) في التأكد من ثبات المقياس وكانت النتيجة ايجابية ، وهذه النتائج جمعا جاءت لتؤكد بأن المقياس يتمتع باتساق عال بين مختلف بنوده، و هو مؤشر آخر من المؤشرات الدالة على صدق المقياس .

خلاصة مناقشة السؤال الرئيس الأول :

من خلال ما تم مناقشته من نتائج الفرضية الأولى المتعلقة بالصدق ، يتبين بأن المقياس قد تأكد صدقه بثلاثة طرق مختلفة ، وهي صدق التمييز ، صدق البناء العاملي، والصدق الذاتي، وقد جاءت هذه النتائج جميعاً مؤيدة لنتائج الدراسات السابقة.

ب - الثبات :

عرض ومناقشة السؤال الثاني :

نص السؤال : هل تتحقق خاصية الثبات (بطريقة الاعادة، التجزئة النصفية، حساب معامل الفا كرونباخ) لمقياس الذكاء الوجداني ل (Bar-on&Parker) إذا ما طبق على تلاميذ السنة الرابعة من التعليم المتوسط ؟.

1. الثبات بطريقة أعادة التطبيق : للتحقق من صحة السؤال الرئيس الثاني والمتعلق بالثبات بطريقة الإعادة، تم تطبيق المقياس على عينة الدراسة ، و بعد (15) يوماً أعيد تطبيقه على نفس العينة ثم حسب معامل الارتباط بين درجات التطبيق الأول، ودرجات التطبيق الثاني وكانت النتائج كما هي مبينة بالجدول (04).

جدول (04) يبين معاملات الارتباط بين درجات التطبيق وإعادة التطبيق

درجات التطبيق درجات إعادة التطبيق	الدرجة الكلية	البعد الأول	البعد الثاني	البعد الثالث	البعد الرابع	البعد الخامس	البعد السادس
الدرجات الكلية	,589**	,672**	,798**	,668**	,626**	,779**	,492**
البعد الأول	,637**	,649**	,665**	,362**	,461**	,584**	,532**
البعد الثاني	,732**	,643**	,543**	,373**	,417**	,308**	,472**
البعد الثالث	,646**	,772**	,436**	,876**	,495**	,438**	,583**
البعد الرابع	,605**	,472**	,472**	,576**	,423**	,361**	,397**
البعد الخامس	,743**	,637**	,637**	,321**	,372**	,671**	,432**
البعد السادس	,487**	,337**	,382**	,521**	,397**	,473**	,532**

**دال عند مستوى 001

يتضح من البيانات الواردة في الجدول (04) بأن معاملات الارتباط بين درجات التطبيق الأول ودرجات التطبيق الثاني دالة إحصائياً عند مستوى (01)، سواء بين الدرجات الكلية أو بين درجات الأبعاد، وهذا ما يدل على ثبات المقياس عند إعادة تطبيقه. وهذه النتائج جاءت موافقة لبعض الدراسات التي تم سردها ضمن الإطار النظري والدراسات السابقة ومنها دراسة نور الهي (2009) التي اعتمدت في التأكد من ثبات المقياس بعدة طرق منها طريقة الإعادة والتي اعتمدت من خلالها على إعادة تطبيق المقياس بعد شهر وكانت النتيجة لصالح ثبات المقياس، و أيضاً دراسة المللي (2011) والتي اعتمدت أيضاً عدة طرق للتأكد من ثبات المقياس ومنها طريقة الإعادة وكانت نتيجتها موافقة لدراسة سابقتها.

2. الثبات بطريقة التجزئة النصفية :

كما اشرنا في موضع سابق من هذه الدراسة، لم يكتف الباحثان بالاعتماد على أسلوب واحد في التأكد من خصائص أدوات الدراسة الحالية سواء ما تعلق بالثبات أو ما تعلق بالصدق، لذلك تم إضافة أسلوب التجزئة النصفية، وقد كانت نتيجة معامل الارتباط بين نصفي المقياس (516)، أما معامل الارتباط للاختبار ككل هو (680).

وهذه النتيجة مؤكدة بموجب دراسات كل من نور الهي (2009)، التي تمكنت من تحقيق معامل ارتباط بين نصفي المقياس قدره (75)، بعد التصحيح، ودراسة ناصر (2010)، الذي حقق دراسته معامل ارتباط بين جزئي المقياس قدره (82)، بعد التصحيح، وكذلك الشأن بالنسبة لدراسة المللي (2011) التي ذكرت بأنها حققت معامل ارتباط بين جزئي المقياس عال جداً، وفي الأخير دراسة بوزقاق و بوشلاق (2014) والتي بدورها حققت معامل ارتباط بين جزئي المقياس قدره (92).

3. الثبات بطريقة حساب معامل كرونباخ (Alpha de cronbach) :

يعتبر هذا المعامل من أهم مقاييس الاتساق للاختبار المكون من درجات مركبة (معمرية، 2007)، لذلك فهو من أكثر الطرق المعتمدة في البحوث، وقد كانت نتيجته في هذه الدراسة مرتفعة الى حد بعيد حيث قدرت بـ (671)، وهي نتيجة قاربت مختلف الدراسات السابقة منها دراسة نور الهي (2009)، حيث كان معامل كرونباخ فيها (76)، ودراسة المللي التي ذكرت بأنها تحصلت على معامل ثبات عال جداً

، ونفس الحكم صدر في دراسة عبده القاضي (2012) ، ودراسة بوزقاق وبوشلاق (2014) التي حققت معامل قدره بـ (92).

مناقشة عامة :

يمكن اعتبار النتائج المتوصل، إضافة علمية تعزز ما توصلت إليه الدراسات السابقة ، وهذا الاتفاق لم يكن ناتج عن الصدفة إنما نتيجة لما يتمتع به المقياس من مواصفات تتجسد في ثلاثة حقائق هامة :
تعلق الأولى بالأداة نفسها من حيث اعتمادها على اطار نظري متين، واحتوت على ستون فقرة وهذا العدد في حد ذاته يعتبر في نظر الباحثين مزية تضع الأداة في موضع العدل ، حيث يصبح المقياس بهذا العدد من الفقرات لا بالطويل الذي يلقي في نفوس عينة التقنين الملل وبالتالي يجعل استجاباتهم لا تصب في المسار الصحيح ، ولا هو بالعدد القليل الذي يجعل من البنود غير ممثلة لعينة السلوك المراد قياسه ، فقد اكد كل من أبو علام (2000) وعبد الرحمان (2008) أن عدد الفقرات يؤثر مباشرة على الصدق والثبات . و من جهة أخرى فان الفقرات ليست بالفقرات الصعبة التي تقلل من الاستجابات وليست بالسهلة التي تبعد الاداة على تحقيق الهدف . و قد لوحظ هذا من خلال اجابة كل افراد عينة التقنين على كامل الفقرات بدون أي طلب للتوضيحات، وهذا العامل يضيف على الأداة قوة سيكومترية كما يشير العديد من الباحثين من بينهم عبد الرحمان (2008) و معمريه (2007)، اللذان رأى أن هناك العديد من العوامل المساعدة على ثبات الأداة منها: طول الاختبار ، تجانس عينة المفحوصين و الوضوح و كذلك الشأن بالنسبة للصدق فقد أكد عبد الرحمان (2008) بأن هناك عاملين على الأقل تتأثر بهما خاصية الصدق وهما : طول الاختبار ، و تباين الدراجات ، حيث أنه كلما كان المقياس على قدر من إظهار الفروق الفردية كلما كان أكثر صدقا .

وتتعلق الحقيقة الثانية ، بإجراءات التطبيق ، فقد عمد الباحثان إلى التحضير المسبق لظروف التطبيق (الإعداد النفسي لعينة التقنين ، تحضير قاعة الفحص ، اقتصار الحضور في قاعة الفحص فقط على العينة والفاحصين ، طباعة المقياس الجيدة ، إتاحة الفرصة للمستجيبين للاستفسار)، هذا بالإضافة إلى عمليات التصحيح وتفرغ البيانات والاستعانة بالحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية التي ساعدت على التدقيق في النتائج .

أما الحقيقة الثالثة فتتعلق بعينة التقنين التي اختيرت بطريقة عشوائية ، و التي بلغ عددها (187) ، وهذا عامل هام يساعد في ضمان عدم تجانس عينة التقنين وهي شرط من شروط تحقق صفة الثبات، كما يشير معمريه (2007) .

التوصيات :

بناءا على ما تم التوصل اليه من خلال الدراسة الحالية ، يرى الباحثان أن تختتم بالتوصيات التالية :
✓ على الرغم من الدراسات الكثيرة التي حظي بها موضوع الذكاء الوجداني في البيئة المحلية في وقت قياسي ، إلا ان الباحثان يعتبرها غير كافية بالنظر إلى حداثة الموضوع ، لذلك يوصي بأن تستمر تلك الدراسات خاصة في ميدان قياس الظاهرة، لدى فئات مختلفة من الأفراد .
✓ ان تكثيف هذا المقياس على البيئة المحلية و على عينة محددة يدفع بالباحثين الى التوصية بتوسيع هذه العملية لتشمل كل المستويات العمرية للمجتمع .

✓ من النتائج التي أصبحت محل اتفاق بين عدد مهم من الدراسات أن الذكاء الوجداني عامل منبئ بنجاح الفرد ، لذلك من المهم أن يلتفت أهل التخصصات الميدانية من المرشدين في ميادين التربية والتكوين المهني ، وحتى المشتغلون باستثمار الموارد البشرية في المجالات كافة إلى توظيف مقياس الذكاء الوجداني موضوع هذا البحث في الكشف عن الخاصية وبالتالي توظيفها في مساعدة الأفراد على النجاح في مهماتهم .

المراجع :

1. آمال جودة (2007) :الذكاء الانفعالي وعلاقته بالسعادة والثقة بالنفس لدى طلبة جامعة الأقصى، مجلة جامعة النجاح للابحاث (العلوم الانسانية) المجلد 21، العدد 3، ص ص 697- 738.
2. بشير معمريه (2007) : الفروق في الاكتئاب واليأس وتصور الانتحار وقلق الموت وفقا لارتفاع وانخفاض الذكاء الوجداني لدى عينة من الشباب، بحوث ودراسات متخصصة في علم النفس، الجزء الثالث، منشورات الحبر، الجزائر، ص ص : 45 – 75.
3. بشير معمريه (2007) : القياس النفسي و تصميم ادواته: للطلاب والباحثين في علم النفس والتربية ، سلسلة دراسات ، منشورات الحبر، الجزائر.
4. حباب عبد الحي محمد عثمان و عمر هارون خليفة (2008): قياس الذكاء الوجداني في السودان ، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية ، عدد 20، ص ص 161- 168.
5. خوالدة محمد (2004): الذكاء الوجداني الذكاء الانفعالي ، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن.
6. رزق الله رندا سهيل (2006) : فاعلية برنامج تدريبي لتنمية مهارات الذكاء الوجداني، دراسة تجريبية في مدارس مدينة دمشق على عينة من تلاميذ الصف السادس من التعليم الاساسي، رسالة دكتوراه غير منشورة، اشراف أمل الأحمد، قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة دمشق، سوريا .
7. سعد عبد الرحمان(2008)، القياس النفسي النظرية والتطبيق، ط5 ، هبة النيل العربية للنشر والتوزيع ،الجيزة مصر.
8. سميرة بوزفاق و نادية بوشلاق (2014): دراسة مستوى الذكاء العاطفي لدى أمهات الأطفال المعاقين ذهنيا (متلازمة داون) دراسة ميدانية استكشافية بورقلة ، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، العدد 14، ص ص 115- 130.
9. سهاد المللي(2011) :الفروق في الذكاء الانفعالي لدى عينة من الطلبة المتفوقين والعاديين : دراسة ميدانية على طلبة الصف الأول الثانوي في مدينة دمشق، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد 3، ص ص 135-191.
10. سوسن رشاد نور الهي (2009): علاقة الذكاء الوجداني بالاتجاهات الوالدية للتنشئة الاجتماعية كما تدركها طالبات مرحلتي التعليم الثانوي والجامعي ، بمدينة مكة المكرمة ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية للبنات ، جامعة أم القرى
11. سليمان المصدر عبد العظيم(2008):الذكاء الانفعالي وعلاقته ببعض المتغيرات الانفعالية لدى طلبة الجامعة ، مجلة الجامعة الاسلامية (سلسلة الدراسات الانسانية)المجلد 16العدد01، ص ص 587-632.
12. صلاح الدين محمود علام (2000)، القياس والتقويم التربوي والنفسي : أساسياته وتكبيقاته وتوجيهاته المعاصرة ، ط1، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر .
13. طالب ناصر (2010) : البنية العاملية لمقياس الذكاء العاطفي لــــ(بار-أون و باركر)مطبق على طلبة المرحلة الاعدادية في مدينة بغداد، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد 25، ص ص 92-124.
14. عدنان محمد عبده القاضي (2012) :الذكاء الوجداني وعلاقته بالاندماج الجامعي لدى طلبة كلية التربية جامعة تعز، المجلة العربية لتطوير التفوق، المجلد 03، العدد 04، ص ص 26-80.

15. علي حسن سالي(2007)، الذكاء الوجداني لمعلمات رياض الأطفال، دار المعرفة الجامعية ، الأزاريطة، مصر .

16. نافز بقيعي (2011) :الذكاء الانفعالي وعلاقته بانماط الشخصية والاحترق النفسى لدى معلمي الصفوف الثلاثة الأولى، مجلة جامعة النجاح للابحاث العلوم الانسانية، مجلد 25 العدد 01، ص ص 49-82.

الملحق

مقياس الذكاء الوجداني لـ (بار - أون و جيمس باركر)

ترجمة: رزق الله رندا سهيل (2006)

معلومات أولية:

الاسم واللقب :..... تاريخ الميلاد.....الجنس.....

القسم : الفوج :.....

تعليمات عامة :فيما يلي مجموعة من العبارات التي تشير الى شعورك وسلوكك نحو بعض الموضوعات او المواقف والمطلوب ان تضع

علامة (x) التي تناسب انطباق الفقرة عليك

اللفة	درجة عالية	درجة كبيرة	درجة متوسطة	درجة ضعيفة	تطبيق درجة
1 استمتع بالتسلية					
2 أجد فهم مشاعر الآخرين					
3 لدي القدرة على تهدئة نفسي					
4 اشعر انني متهيج					
5 أهتم بما يحدث للآخرين					
6 من الصعب علي ان اسيطر على غضبي .					
7 من السهل علي اخبار الناس بمشاعري					
8 اتقبل كل من التقى به					
9 أشعر بالثقة بنفسي					
10 اتفهم عادة كيف يشعر الآخرون					
11 لا أتمكن من المحافظة على هدوئي					
12 احاول استعمال طرائق مختلفة للاجابة عن الاسئلة الصعبة					
13 اعتقد ان معظم الاشياء التي انجزها سوف تكون مرضية					
14 لدي القدرة على احترام الآخرين					
15 انزعج بشكل مبالغ به من بعض الامور					
16 من السهل علي فهم اشياء جديدة					
17 استطيع التحدث بسهولة عن مشاعري					
18 افكر باي شخص افكارا ايجابية					
19 لدي امل بما هو افضل *					
20 الحصول على الاصدقاء امر هام					
21 اتشاجر مع الناس					
22 باستطاعتي فهم اسئلة صعبة					
23 احب ان ايتسم					
24 احاول ان لا اؤذي مشاعر الآخرين					
25 احاول تفهم المشكلة حتى اتمكن من حلها					

26	انا عصبي			
27	لا شئ يزعجني			
28	يصعب علي التحدث عن مشاعري الداخلية العميقة			
29	أعلم ان الامور ستصبح على ما يرام			
30	استطيع تقديم اجابات جيدة على اسئلة صعبة			
31	باستطاعتي وصف مشاعري بسهولة			
32	اعرف كيف اقضي اوقاتا جيدة *			
33	علي قول الحقيقة *			
34	استطيع الاجابة بطرائق عديدة عن السؤال الصعب عندما اريد			
35	اغضب بسرعة			
36	احب ان اعمل من اجل الآخرين			
37	لا أشعر بسعادة كبيرة			
38	استخدم بسهولة طرائق مختلفة في حل المشكلات			
39	يتطلب كثير من الوقت حتى اغضب			
40	مشاعري جيدة تجاه نفسي			
41	اكون اصدقاء بسهولة			
42	اعتقد اني الافضل في كل ما انجز مقارنة بغيري *			
43	يسهل علي البوح بمشاعري			
44	عند الاجابة عن الاسئلة الصعبة احاول التفكير بحلول عديدة			
45	اشعر بالاستياء عندما تؤذي مشاعري للآخرين			
46	عندما اغضب من احد ابقى هكذا مدة طويلة			
47	انا سعيد بنوعية شخصيتي			
48	اجيد حل المشكلات			
49	يصعب علي الانتظار في الدور			
50	استمتع بالاشياء التي اصنعها			
51	احب اصدقائي			
52	ليس لدي ايام سنة *			
53	لدي صعوبة في البوح للآخرين بأسراري			
54	أغضب بسهولة			
55	اعرف ما اذا كان صديقي غير سعيد *			
56	احب شكلي (راض عن جسدي) *			
57	لا اتهرب من الامور الصعبة			
58	عندما اغضب اتصرف من دون تفكير			
59	اعرف متى يكون الآخرون غير سعداء حتى ولو لم يخبروني بذلك			
60	انا راض عن الشكل الذي ابدو عليه			

ملاحظة : تذكر بأن إجاباتك سوف تستخدم لغرض علمي محض ولن يطلع عليها أحد سوى الباحث , ولذلك فلا تتردد في إعطاء الإجابة الصاد

اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة في ضوء بعض المتغيرات

- دراسة ميدانية -

د. نبيل بحري

أ. علي فارس

قسم علم النفس وعلوم التربية

جامعة الجزائر 2 (الجزائر)

ملخص الدراسة:

تهدف الدراسة إلى الكشف عن طبيعة اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي في ضوء بعض المتغيرات، حيث تكونت عينة الدراسة من (117) طالباً وطالبة، ولجمع المعلومات تم استخدام مقياس الاتجاهات نحو البيئة الذي صممه حسن (2004)، وبعد المعالجة الإحصائية أسفرت الدراسة على النتائج التالية:

- يملك تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي اتجاهات سلبية نحو البيئة.
 - لا توجد فروق بين اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة تبعاً لمتغير الجنس.
 - لا توجد فروق بين اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة تبعاً لمتغير التخصص.
 - لا توجد فروق بين اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة تبعاً لمتغير مكان الإقامة.
 - توجد فروق بين اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة تبعاً لمستوى التعليمي لرب الأسرة.
 - لا توجد فروق بين اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة تبعاً لمتغير مهنة رب الأسرة.
- وقد فسرت النتائج في ضوء ما أسفر عنه التراث السيكولوجي والتربوي والدراسات السابقة في الموضوع، وتوجت الدراسة في الأخير بجملة من المقترحات.

الكلمات المفتاحية: الاتجاه، البيئة، الاتجاهات نحو البيئة، تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي.

Summery of the study:

The study aims to investigate the nature of the Attitudes towards the environment in the light of some of the variables among a sample consisted of (117) male and female pupils at the secondary school stage, and to collect information used the scale of attitudes towards the environment which was designed by Hassan (2004) , and after the statistical analysis of the results. The latter showed the following:

- The secondary school pupils have a negative Attitudes towards the environment.
- There are no differences between the Attitudes towards the environment among the secondary school pupils depending on sex variable.
- There are no differences between the Attitudes towards the environment among the secondary school pupils depending on the specialty variable.
- There are no differences between the Attitudes towards the environment among the secondary school pupils depending on the place of residence variable.
- There are differences between the Attitudes towards the environment among the secondary school pupils depending on the educational level head of the household variable.
- There are no differences between the Attitudes towards the environment among the secondary school pupils depending on the profession of the head of household variable .

The results were interpreted in light of the out come of the psychological heritage and previous studies, and Finally the study was culminated in a set of recommendations and proposals.

Keywords: Attitude, Environment, Attitudes towards the environment, secondary school pupils.

مقدمة:

قفزت المشكلات البيئية إلى مركز اهتمام العالم منذ عقد السبعينيات من القرن العشرين، بعد أن بلغ تأثير الإنسان على البيئة حد تجاوزه النظم البيئية، فانعقدت المؤتمرات العالمية والإقليمية والمحلية، وارتفعت أصوات دول العالم بما فيها الجزائر منادية بضرورة التصدي للمشكلات البيئية، حيث تضافرت الجهود قاطبة لإنقاذ البيئة مما تعانيه من تدهور ومشكلات، وذلك بالعمل على المحافظة عليها وصيانة مواردها، حيث كللت كافة تلك الجهود بضرورة ما يسمى بالتربية البيئية من خلال تشرب الفرد للثقافة البيئية، والتي تتبع من فلسفة الأخلاقيات المنظمة للمجال البيئي.

لذا فالتربية البيئية أصبحت ضرورة ملحة في الوقت الحاضر من أجل رفع الوعي البيئي، وتكوين الاتجاهات البيئية الايجابية لدى الفرد الجزائري وخاصة لدى شريحة المتعلمين، وبضرورة التفاعل الايجابي مع النظم البيئية بمختلف أنواعها، وضرورة المحافظة على هذه النظم وصيانتها من أشكال التشويه والتخريب كلها، حيث يتوقف تطور المجتمع ونموه من خلال استثمار المصادر الطبيعية المتاحة بشكل يتناسب والوعي البيئي لدى أفراد المجتمع، وذلك من خلال محاولة تغيير الأنماط السلوكية الخاطئة التي تعزى إلى الافتقار للمعارف والاتجاهات البيئية، حيث أدرك المهتمون بقضايا البيئة ومشكلاتها أن من أهم الطرق المجدية في مواجهة المشكلات البيئية يكمن في إعداد الإنسان المتفهم لبيئته والواعي بما يحيط بها من أخطار والقادر على المساهمة الايجابية في المحافظة عليها وتطويرها. وعلى هذا الأساس، جاءت الدراسة الحالية لاستقصاء طبيعة اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة في ضوء بعض المتغيرات: (الجنس، التخصص، مكان الإقامة، المستوى التعليمي لرب الأسرة، ومهنته).

01- إشكالية الدراسة:

لقد أصبحت قضية البيئة من أهم القضايا التي نالت اهتمام العديد من العلماء والمتخصصين خلال القرن الحادي والعشرين باعتبارها أحد الأركان التي تعتمد عليها التنمية المستدامة في كافة البلدان المتقدمة منها والنامية على حد سواء، فهي بذلك تتعرض في أنحاء شتى من العالم لأخطار حقيقية، وترجع أسباب هذه الأزمة في الواقع إلى سوء أنماطنا السلوكية، فقضية تلوث البيئة هي قضية سلوكية في المقام الأول، وعليه فالإنسان يعتبر المصدر الأول للتلوث، ولمواجهة هذه المعضلة لا يكفي سن القوانين والتشريعات ما لم يساندها فهم أفراد المجتمع لهذه البيئة ووعيهم بأهمية حمايتها. (حسن، 2004)

وتشكل التربية البيئية إحدى الوسائل الهامة التي تكفل تحقيق أهداف حماية البيئة، فهي بمثابة النمط التربوي الهادف إلى تكوين جيل واع ومهتم بالبيئة ومشكلاتها، فهي بهذا المعنى تكوين للقيم والاتجاهات، والمدرجات اللازمة لفهم العلاقات المعقدة التي تربط الإنسان بمحيطه البيوفيزيقي وتوضيح حتمية المحافظة على مصادر البيئة، وهذا لن يتأتى إلا من خلال التنشئة الاجتماعية التي تسعى إلى ترسيخ السلوك البيئي الذي يظهر من خلال الممارسات البيئية، فالأسرة تلعب دوراً هاماً في عملية تكوين الاتجاه السليم نحو البيئة، ولهذا فإن السلوك البيئي مرتبط أساساً بطبيعة الاتجاه الذي يكتسبه الفرد. (سكيكر، 1987)

وإذا كانت التربية البيئية تهتم بالتدعيم الايجابي لسلوكيات التلاميذ -سواء كان ذلك في الأسرة في المدرسة- من خلال نقل مهاراتهم وزيادة معارفهم، فإن تحقيق هذا الهدف يحتاج إلى مزيد من الجهد الذي نضمن به تحويلهم من عنصر يُشكل عبئاً على البيئة إلى عنصر يكون محافظاً عليها، باعتبار أنهم يمارسون نشاطاتهم المختلفة في البيئة وعليهم تقع عبء تقدم المجتمع، كما أن درجة وعيهم واتجاهاتهم نحو البيئة يؤثر تأثيراً بالغاً على استخدامهم لبيئتهم وتعاملهم معها. (عفيفي، 1989)

ونظراً لأهمية القضية، عقدت الجزائر ندوات وملتقيات متعددة لتبحث المسألة بكل جدية من أجل إيجاد حلول لها، لكن المجتمع في حد ذاته بقي بعيداً عن هذا الاتجاه السليم وغير آبه به، كذلك على المستوى المدرسي، نجد أن التلاميذ يجهلون تماماً مفهوم البيئة وشروط الحفاظ عليها وكيفية التعامل معها. وهو ما نلاحظه من خلال السلوكات السلبية الموجهة منهم إلى المحيط، كرمي الفضلات في كل مكان، وقطع النباتات أو المشي فوقها، إلى غير ذلك من المظاهر المزعجة. (زبدي، 2007)

وفي الوقت الحاضر أصبح إعداد الفرد المثقف بيئياً ضرورة ملحة أكثر من أي وقت مضى، نظراً لتعدد مشكلات البيئة وتعقدها، وعليه فإن أي محاولة لعلاج مشكلات البيئة ينبغي أن تستند إلى تربية بيئية سليمة، تسعى إلى إكساب الأفراد أنماط سلوكية جديدة واتجاهات ايجابية نحو حماية البيئة. فالتربية البيئية تستهدف أساساً، أن يدرك الفرد منا أنه الكائن المؤثر في الكيان البيئي وأنه جزء لا يتجزأ منه، كما تتمثل علاقته بالكيان البيئي بمدى قدرته على تطويره وتطويره لما في مصلحته، أخذاً في الاعتبار عوامل الثقافة والتربية. فهي تربية في البيئة ومن أجل البيئة تهدف إلى إكساب الفرد المعارف والمهارات والاتجاهات من خلال التعامل مع البيئة واستشعار مشكلاتها. (العمرى والخواندة، 2012)

ولقد تعددت تعريفات التربية البيئية في ضوء الاتجاهات العالمية والمحلية، بحيث يعكس كل تعريف منها وجهة نظر صاحبه حول تصوره للقضايا البيئية، فالتربية البيئية هي إعداداً للفرد للتفاعل الناجح مع بيئته بما تشمله من موارد مختلفة، ويتطلب هذا الإعداد إكسابه المعارف والمفاهيم البيئية التي تساعد على فهم العلاقات المتبادلة بين الإنسان وعناصر البيئة، كما تتطلب تنمية وتوجيه سلوكياته اتجاه البيئة وإثارة ميوله واتجاهاته نحو حماية البيئة والمحافظة عليها. (الأحمدي، 2006)

ولا تختلف الاتجاهات البيئية عن غيرها من الاتجاهات النفسية العامة من حيث طبيعتها وخصائصها وتصنيفها وكيفية تكوينها وتغييرها، وقد ظهرت عدة تعريفات للاتجاه البيئي، حيث عرفه الدمرداش والدسوقي (1983) بأنه: "استعداد الشخص الذهني الذي يجعله يسلك سلوكاً معيناً في المواقف البيئية المختلفة"، وفي نفس السياق يرى منصور (1985) بأنه: "مفهوم يعبر عن محصلة استجابات الفرد نحو موضوع من موضوعات البيئة، وذلك من حيث تأييد الفرد لهذا الموضوع أو معارضته له"، وينظر حسن (2003) إلى الاتجاهات البيئية باعتبارها: "محصلة المفاهيم والمعلومات البيئية لدى الفرد التي اكتسبها وتعلمها بالوسائل المختلفة، وترسخت في وجدانه وتنعكس على مشاعره وانفعالاته وتظهر في سلوكه واستجابته نحو الموضوعات والقضايا البيئية".

فقضية اكتساب القيم والاتجاهات الايجابية نحو البيئة هي من صميم التربية، التي تضع بالحسبان تزويد الأفراد بالمفاهيم الصحيحة من خلال الإعداد التربوي الذي يتناول الجانب السلوكي والعملي، والذي يظهر بطبيعة الحال من خلال تداخل وتكامل ميادين التربية مع الأهداف البيئية والمحتويات العلمية التي تتناول قضايا البيئة، وهذا ما يجعل الفرد يستشعر الأخطار التي تهدد البيئة، من خلال العمل على كيفية حمايتها، وذلك من خلال امتلاك المعرفة البيئية المناسبة، مع فهم العلاقات المتبادلة بين عناصر البيئة، فضلاً عن تنمية القيم والاتجاهات البيئية. (منصور، 2003)

وعلى الأساس، تعتبر الاتجاهات وغيرها من مكونات الجانب الوجداني في التربية البيئية بمثابة المفاتيح لمستقبل النوع البشري، وتحديد نوعية الحياة، والتربية البيئية موجهة أساساً لإكساب الأفراد الاتجاهات البيئية المرغوب فيها، ومن ثم فإن التركيز على هذا النوع من التربية ينبغي أن يكون على العمل وليس على المحتوى أو بمعنى آخر على السلوك وليس على المعرفة، وفي ذلك يرى Knapp (1972) أن المربين محتاجون لتوجيه مزيد من العناية والاهتمام للجوانب التي من شأنها مساعدة المتعلمين على اكتساب الاتجاهات والقيم وتنمية المهارات التي تمكنهم من المشاركة

الفعالة في حل المشكلات البيئية، ويقترح (Stapp 1970) في هذا الخصوص أنه يمكننا تغيير هائل في سلوك التلاميذ نحو بيئتهم من خلال تغيير اتجاهاتهم على النحو الذي يستهدف صيانتهم لهذه البيئة والمحافظة عليها، كما يرى بعض المربين أن الحل الجذري للأزمة البيئية الراهنة يتطلب تغييراً كبيراً في اتجاهات الإنسان إزاء بيئته، بل أن بعضهم يرى أن الثورة البيئية التي نحن في حاجة إليها إنما هي ثورة في الاتجاهات. (في: سالم، 2002)

وفي سياق الدراسات التي تناولت الاتجاهات نحو البيئة نجد نتائج دراسة الشافعي (1989) التي انتهت إلى أهمية الخبرات والأنشطة البيئية التي يتم من خلالها تنمية اتجاهات الطلاب نحو البيئة، وهي نفس النتيجة التي أشارت إليها نتائج دراسة عفيفي (1989) التي هدفت إلى التعرف على أثر مناهج المرحلة الإعدادية في تنمية اتجاهات تلاميذ هذه المرحلة نحو البيئة المصرية ومشكلاتها، والتي انتهت إلى وجود فروق بين الطلاب حول اتجاهاتهم نحو البيئة ومشكلاتها قبل التحاقهم بالمرحلة الإعدادية وبين اتجاهاتهم عند الانتهاء منها، كما بينت نتائج دراسة Dean Hini et al (1997) أن الاتجاه الإيجابي لدى الطلاب نحو البيئة المحيطة بهم يسهم في تدعيم سلوكهم نحو حماية البيئة والمحافظة عليها من مسببات التلوث، كما أن السلوكيات السلبية تجاه البيئة ما هي إلا نتاج لاتجاه سلبي خاطئ ومعارف غير واضحة حول البيئة، لتضيف نتائج دراسة (Diamond & Musser 1999) أن اتجاهات الطلاب نحو البيئة تكون أكثر إيجابية ومحقة للأمال المرجوة في الحفاظ عليها كلما أتيحت الفرصة لمشاركتهم في أنشطة وبرامج بيئية تدعم سلوكهم، وهي نفي النتيجة التي أكدت نتائج دراسة سالم (2002)، كما تناولت دراسة عبد الله ونجم (2007) أثر تدريس المواد البيئية في تنمية الاتجاهات البيئية لطالبات كلية العلوم للبنات بجامعة بغداد، والتي أسفرت على وجود فروق لصالح اتجاهات الطالبات في التطبيق البعدي، كما انتهت نتائج دراسة زبيدي (2007) إلى دور التربية البيئية في تعديل سلوك الفرد الجزائري تجاه محيطه، وذلك من خلال مساهمته الإيجابية في التعامل مع مشكلات البيئة.

كما حاولت بعض الدراسات استقصاء أثر عوامل مختلفة في الاتجاهات نحو البيئة كالجنس والتخصص ومكان الإقامة والمستوى التعليمي للوالدين، أما فيما يتعلق بمتغير الجنس، ففي الوقت الذي أشارت فيه نتائج دراسات (Hsu, 2004, Coyle, 2005, Tuncer et al, 2009) إلى أن الإناث يمتلكن اتجاهات إيجابية بمستوى أعلى من الذكور، توصل خطائية والقاعد (2000) إلى نتيجة مخالفة لذلك، وفيما يتعلق بالتخصص أشارت دراسات (الدمرداش والدسوقي 1985)، الحبشي وعبد المنعم (1988)، الشميري (1992)، خطائية والقاعد (2000)، Goldman et al (2001) إلى أن الاتجاهات نحو البيئة تختلف باختلاف التخصص ولصالح الطلبة ذوي التخصصات العلمية، في حين توصل Ozden (2008) إلى أن تلاميذ التربية الابتدائية يمتلكون مستوى من الاتجاهات الإيجابية مقارنة بالطلبة في تخصصات الرياضيات، غير أن الدراسات التي تناولت أثر متغير مكان الإقامة (الريف/المدينة) كانت جد قليلة، حيث انتهت نتائج دراسة الشميري (1992)، والصغير (1999) والمطربة (1998) إلى عدم وجود فروق في اتجاهات الطلبة نحو البيئة تبعاً لمتغير مكان الإقامة، كما تختلف نتائج هذه الدراسات مع ما توصلت إليه دراسة (Goldman et al 2001)، وحسن (2004)، والنعواشي وحمادنة (2004)، أما فيما يخص الدراسات التي تناولت متغير المستوى التعليمي للوالدين، أسفرت نتائج بعض الدراسات إلى أن الاتجاهات البيئية تختلف باختلاف المستوى التعليمي للأبوين كنتائج دراسة حسن (2004)، (Tuncer et al, 2009)، في حين أسفرت دراسة الخطائية والقاعد (2000) عن عدم وجود فروق في الاتجاهات البيئية تعزى لمتغير المستوى التعليمي للوالدين، إلا أن هذا لا ينفي أهمية المستوى التعليمي للوالدين في عملية تشكيل الاتجاهات لدى أبنائهم نحو حماية البيئة من أخطار التلوث بمختلف أشكالها، فضلاً عن أهمية مهنة رب الأسرة التي تلعب دوراً هاماً في تكوين هذه الاتجاهات نحو البيئة، حيث انتهت نتائج دراسة كل من حسن (2004)، الشميري (1992)، ومطربة (1998) إلى أن الاتجاهات نحو البيئة تختلف باختلاف مهنة رب الأسرة.

وفي ضوء الدراسات المشار إليها سابقاً يلاحظ القارئ اهتمام الباحثين بقياس الاتجاهات نحو البيئة باعتبارها تعكس حقيقة النظرة التي يتبناها الفرد حيال موضوع الاتجاه البيئي الذي يعكس بعض السلوكات والممارسات البيئية الناجمة عن معرفته ووعيه بهذا الموضوع، فضلاً عن درجة استبطانه من الناحية الوجدانية، ونظراً لأهمية الموضوع وإيماناً بضرورة تسليح التلاميذ في مرحلة التعليم الثانوي باتجاهات بيئية ايجابية والتي تعكس في طياتها ما يسمى بالثقافة البيئية، جاءت الدراسة الحالية لاستقصاء طبيعة اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة في ضوء بعض المتغيرات: (الجنس، التخصص، مكان الإقامة، المستوى التعليمي لرب الأسرة، ومهنته)، وهذا من خلال الإجابة على الأسئلة التالية:

- 01- ما طبيعة اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة؟
- 02- هل تختلف اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة باختلاف الجنس؟
- 03- هل تختلف اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة باختلاف التخصص؟
- 04- هل تختلف اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة باختلاف مكان الإقامة؟
- 05- هل تختلف اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة باختلاف المستوى التعليمي لرب الأسرة؟
- 06- هل تختلف اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة باختلاف مهنة رب الأسرة؟

02-فرضيات الدراسة:

- في ضوء الدراسات السابقة وما أثير من أسئلة صيغت فرضيات الدراسة على النحو التالي:
- 01- يملك تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي اتجاهات ايجابية نحو البيئة.
 - 02- لا توجد فروق بين اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة تبعاً لمتغير الجنس.
 - 03- لا توجد فروق بين اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة تبعاً لمتغير التخصص.
 - 04- لا توجد فروق بين اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة تبعاً لمتغير مكان الإقامة.
 - 05- لا توجد فروق بين اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة تبعاً لمتغير المستوى التعليمي لرب الأسرة.
 - 06- لا توجد فروق بين اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة تبعاً لمتغير مهنة رب الأسرة.

03-أهداف الدراسة:

- تهدف الدراسة الحالية إلى تحقيق جملة من الأهداف التي يمكن تلخيصها في ما يلي:
- الوقوف على طبيعة اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو حماية البيئة من التلوث.
 - تقصي أثر متغير الجنس والتخصص الأكاديمي ومكان الإقامة والمستوى التعليمي لرب الأسرة ومهنته على اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة.
 - الوصول إلى تصور مقترح لتدعيم الاتجاهات الايجابية نحو حماية البيئة من التلوث.

04-أهمية الدراسة:

- يمكن توضيح أهمية الدراسة الحالية في النقاط التالية:
- تكتسب الدراسة أهميتها من خلال ما تطرحه من مقترحات لتشكيل الاتجاهات الايجابية نحو حماية البيئة والمحافظة عليها لدى الفرد الجزائري.

-تعد مشكلة التلوث البيئي من أهم المشكلات التي زاد الاهتمام بها في الوقت الحاضر، وأنَّ الاهتمام بها من الجانب التربوي سواء في الأسرة أو المدرسة يعتبر تدعيماً لمكانة العملية التربوية وتدعيماً لوجودها في المجتمع.

-تعد هذه الدراسة بمثابة استجابة واضحة للنداءات المتواصلة من كافة المؤسسات والمنظمات للاهتمام بقضايا البيئة ومشكلاتها وكيفية التعامل مع العوامل المساهمة في تلوثها.

-زيادة الوعي المحلي بالأزمة البيئية التي تعيشها الجزائر بفعل ضغط المشكلات وآثارها المدمرة للبيئة وتهديدها لحياة الإنسان وحضارته.

-اتجاه الدولة الجزائرية في الوقت الحاضر نحو زيادة الاهتمام بمشكلات البيئة لما لها من عظيم الأثر على كافة عمليات التنمية المستدامة.

-نشر الوعي البيئي في مختلف شرائح المجتمع، من أجل خلق مواطنة بيئية تعبر عن القيم البيئية والاتجاهات الايجابية نحو البيئة لخلق سلوك بيئي فعال.

5-تحديد مفاهيم الدراسة:

5-1-الاتجاه: يعرف Alport, H الاتجاه بأنه: "حالة من الاستعداد أو التأهب العصبي النفسي، تنظم من خلال خبرة الشخص، وتكون ذات تأثير توجيهي أو دينامي على استجابة الفرد لجميع الموضوعات أو المواقف التي تستثير هذه الاستجابة". (Q'Keefe, 2002, p. 06)

5-2-البيئة: وهي الوسط أو المجال المكاني المحيط بالإنسان يتأثر به ويؤثر فيه في محيط الإنسان من ظواهر حية وغير حية من نبات وحيوان ومناخ، فهي رصيد من الموارد المادية والاجتماعية المتاحة أمام الإنسان ليستفيد منها لإشباع حاجاته وتطلعاته. (الشرح، 1986)

5-3-الاتجاهات نحو البيئة: وهي المواقف الذي يتخذها المبحوث إزاء بيئته الطبيعية من حيث استشعاره لمشكلاتها واستعداده للمساهمة الايجابية في حلها وتطوير ظروفها على نحو أفضل، والتي تقاس بالدرجة الكلية التي يحصل عليها في مقياس الاتجاهات نحو البيئة المستخدم في الدراسة الحالية.

5-4-تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي: وهم كافة التلاميذ الذكور والإناث الذي يزاولون دراستهم في السنة الأولى والثانية والثالثة ثانوي في كل من التخصصات العلمية والأدبية.

إجراءات الدراسة الميدانية:

أولاً- منهج الدراسة: تعد الدراسة الحالية من الدراسات الوصفية، حيث تم تبني المنهج الوصفي، لأنه يوفر فهماً عن طبيعة اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة في ضوء بعض المتغيرات الأسرية.

ثانياً: حدود الدراسة: اقتصرت الدراسة الحالية على الحدود التالية:

-الحدود المكانية: تم تطبيق هذه الدراسة في ثانوية الكفيف أحمد بمنطقة مفتاح بولاية البليدة.

-الحدود الزمانية: تم إجراء الدراسة الحالية ميدانياً خلال الموسم الدراسي 2013-2014.

-الحدود البشرية: طبقت هذه الدراسة على تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي الذكور والإناث، والتي تتراوح أعمارهم ما بين (16-22) سنة، والذين يدرسون في السنة الأولى والثانية والثالثة ثانوي في كل من الشعب العلمية والأدبية بمنطقة مفتاح بولاية البليدة.

ثالثاً: مجتمع الدراسة:

يشمل مجتمع الدراسة كافة تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي، والذي بلغ عدده (1438) تلميذاً وتلميذاً، كما بلغ عدد الإناث (927) وعدد الذكور (511)، والذين يُمثلون المجتمع الإحصائي للدراسة الحالية.

رابعاً: عينة الدراسة:

بعد تعذر بل استحالة تطبيق الأسلوب العشوائي في الاختيار، وهذا للاعتبار المنهجي المرتبط بالعشوائية ذاتها، والتي تقتضي منح نفس الفرص لكل مفردات المجتمع الإحصائي حتى تختار ضمن عينة الدراسة، إذ كيف يتحقق هذا الشرط مع أكثر من (1438) تلميذاً وتلميذة مسجلين بالثانوية، فقد تكونت عينة الدراسة من (117) تلميذاً وتلميذة أبدوا رغبتهم في مشاركتهم في الدراسة من خلال الإجابة عن المقياس المستعمل لتجميع البيانات، وعليه يمكننا القول أننا اعتمدنا الطريقة العرضية في اختيار أفراد العينة، والجدول التالي يوضح خصائص أفراد العينة:

الجدول رقم (01): يوضح توزيع أفراد العينة حسب متغير الجنس والتخصص ومكان الإقامة:

م	المتغير	التكرار	النسبة المئوية
الجنس	ذكر	48	41.02%
	أنثى	69	58.97%
التخصص	علمي	53	45.29%
	أدبي	64	54.70%
مكان الإقامة	مدينة	42	35.89%
	ريف	75	64.10%

يتضح من الجدول رقم (01) الذي يبين توزيع أفراد عينة الدراسة تبعاً لمتغيرها ونسبة كل منها بأن نسبة عدد الإناث في العينة أكثر من الذكور، حيث بلغت للإناث (58.97%) وللذكور (41.02%)، ويتضح من الجدول أيضاً أن نسبة التلاميذ في الشعب الأدبية بلغت (54.70%) في حين بلغت نسبة التلاميذ في الشعب العلمية (45.29%)، ويتضح من الجدول أن نسبة التلاميذ الذين يقيمون في القرى بلغت (64.10%) في حين بلغت نسبة التلاميذ الذي يقيمون في المدينة (35.89%).

الجدول رقم (02): يوضح توزيع أفراد العينة حسب المستوى التعليمي لرب الأسرة:

الرقم	المستوى التعليمي	التكرار	النسبة المئوية
01	أمي	20	17.09%
02	ابتدائي	37	31.62%
03	متوسط	23	19.65%
04	ثانوي	18	15.38%
05	جامعي	19	16.23%
	المجموع	117	100%

يتضح من الجدول رقم (02) أن ما يمثل نسبة (31.62%) من المبحوثين لدى آبائهم مستوى تعليمي ابتدائي كحد أعلى وبالمقابل ما يمثل نسبة (15.38%) من المبحوثين لدى آبائهم مستوى التعليم الثانوي كحد أدنى.

الجدول رقم (03): يوضح توزيع أفراد العينة حسب مهنة أو وظيفة رب الأسرة:

الرقم	وظيفة أو مهنة رب الأسرة	التكرار	النسبة المئوية
01	موظف بالقطاع العام	31	26.49%
02	موظف بالقطاع الخاص	23	19.65%
03	أعمال حرة	15	12.82%
05	تاجر	17	14.52%
06	فلاح	19	16.23%
07	متقاعد	12	10.25%
	المجموع	117	100%

يتضح من الجدول رقم (03) أنَّ ما يمثل نسبة (26.49%) من المبحوثين يعمل آبائهم كموظف في القطاع كحد أعلى وبالمقابل ما يمثل نسبة (10.25%) من المبحوثين آبائهم في حالة تقاعد كحد أدنى.

خامساً: أداة الدراسة:

قامت حسن (2004) ببناء مقياس الاتجاهات نحو البيئة بإتباع جملة من الخطوات المنهجية في إعداد المقاييس، حيث تكون المقياس في صورته النهائية من (41) عبارة تتوزع على ثلاثة أبعاد: (البعد المعرفي الذي يحتوي على (14) عبارة، والتي تحمل الأرقام التالية: (1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14)، البعد الوجداني الذي يحتوي على (14) عبارة التي تحمل الأرقام التالية: (15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28)، البعد السلوكي الذي شمل (13) عبارة التي تحمل الأرقام التالية: (29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41)، حيث يصحح المقياس عبارة عبارة وفق البدائل والتقدير التالى في حالة ما إذا كانت العبارات ايجابية والعكس بالعكس إذا كانت العبارات سلبية: (5 موافق تماماً، 4 موافق، 3 موافق إلى حد ما، 2 غير موافق، 1 غير موافق تماماً)، وتكونت الدرجة الكلية للمقياس (205) والدرجة الوسطى (102) والحد الأدنى للدرجات (41) درجة. وللتأكد من صلاحية المقياس قامت الباحثة بحساب خصائصه السيكمترية، حيث اعتمدت في حساب الصدق على طريقة صدق المحكمين، حيث تم عرض المقياس على (12) محكماً بكلية التربية النوعية بجامعة الزقازيق بفرع بنها، وكلية الخدمة الاجتماعية بجامعة القاهرة بفرع الفيوم، وكلية الزراعة بقسم الاجتماع الريفي بجامعة الزقازيق لإبداء وجهة نظرهم بشأن إتفاق مضمون كل عبارة مع البعد الذي تقيسه، كما اعتمدت نتيجة لذلك حذف بعض العبارات التي تقل درجة الاتفاق عليها عن (80%)، وتم حساب الصدق الذاتي لأبعاد المقياس: (البعد المعرفي (0.91)، البعد الوجداني (0.90)، البعد السلوكي (0.80)، أما فيما يخص ثبات المقياس فتم حسابه بطريقة إعادة التطبيق بفصل زمني قدره (15) يوماً، حيث تحصلت على معاملات الارتباط التالية: البعد المعرفي (0.83)، البعد الوجداني (0.81)، الجانب السلوكي (0.79) أما ثبات المقياس الكلي فكان (0.85).

وأخيراً نشير على أننا اعتمدنا المقياس في صيغته العربية دون إعادة النظر في خصائصه القياسية باعتبارنا ننتمي إلى نفس السياق الثقافي والحضاري، مع كل ما يمكن أن يوجد من خصوصيات ذات الطابع المحلي التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار عند تحليل وتفسير البيانات، وهذا بعد تأكدنا من وضوح بنود المقياس وسلامة لغته من عملية التطبيق التجريبي.

سادساً: تقنيات التحليل الإحصائي:

استخدم الباحثان الأساليب الإحصائية التالية للتحقق من صحة فرضيات الدراسة:

- التكرارات،
- النسب المئوية،
- المتوسطات الحسابية،
- الانحرافات المعيارية ...
- اختبار "ت" لدلالة الفروق،
- اختبار تحليل التباين الأحادي ANOVA One Way، وذلك بالاستعانة ببرنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS.

سابعاً: نتائج الدراسة

قبل عرض النتائج نشير إلى أننا حرصنا أن تتم الإجابة على المقياس في أحسن الظروف الممكنة، كما تأكدنا من فهم أفراد العينة لتعليمية المقياس، خصوصاً ما تعلق بالهدف من عملية القياس بمعنى ضرورة أن تعكس إجابة المبحوث المطلوب في كل بند من بنود المقياس ما هي عليه الأمور في الواقع لا كما يتمنى أن تكون عليه، ولا كما يتوقع أننا ننتظره. وبعد الانتهاء من عملية التطبيق والتأكد من احترام أفراد العينة للتعليمية في شطرها المتعلق بالإجابة على كل بند من بنود المقياس، وضرورة تفادي الإجابة النمطية كاختيار الخيار الأوسط في الإجابة عن كل البنود مثلاً، قمنا بعملية التصحيح، ثم شرعنا في المعالجة الإحصائية لكافة البيانات المجمعة للتحقق من صحة فرضيات الدراسة. وعليه سنتناول فيما يلي تحليل ومناقشة النتائج المتعلقة بكل فرضية من فرضيات الدراسة في ضوء الدراسات السابقة والإطار النظري الذي يُفسر متغيرات الدراسة:

7-1- عرض وتحليل ومناقشة نتيجة الفرضية الأولى:

نصت الفرضية الأولى على أنه "يملك تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي اتجاهات ايجابية نحو البيئة"، ولتحديد طبيعة الاتجاه العام نحو البيئة قمنا بتحليل الفرق بين متوسط درجات أفراد العينة على مقياس الاتجاهات نحو البيئة والمتوسط النظري للمقياس بالاعتماد على المعالجة الإحصائية T test لدلالة الفروق، حيث تحصل الباحثان على النتائج التالية:

الجدول رقم (04): يبين طبيعة اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة:

المتغير	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية df	ت المحسوبة	ت الجدولة	مستوى الدلالة
المقياس ككل	117	93.13	10.05	116	-09.52	02.61	0.01

يتضح من خلال نتائج الجدول رقم (04) أن قيمة "t" قد بلغت (-09.52)، وهي دالة عند مستوى الدلالة (0.01)، وعليه يمكننا القول بأن اتجاهات التلاميذ نحو البيئة سلبية، فالنتيجة المتوصل إليها جد منطقية بدليل أن الآباء لا يربون أبناءهم تربية وثقافة بيئية بما تحتويه من معنى، وهذا ما يعكس الواقع الحقيقي للسلوك البيئي لدى الفرد الجزائري وبالأخص لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي، حيث تراهم يرمون المخلفات والنفايات هنا وهناك، كما توجد مفارقة جد عجيبة وغريبة، وهي أن الفرد الجزائري تجده يرمي القمامة ليس داخل المزبلة (سلة المهملات) بل بجانبها، وعليه يمكن القول أن الآباء -بالإضافة إلى المؤسسات الاجتماعية الأخرى كالمدرسة والمسجد...- هم من لديهم مسؤولية تهذيب اتجاهات الطفل نحو البيئة من خلال تعزيز الشعور لديه بأهمية نظافة المحيط والبيئة والمحافظة عليها

من التلوث من أجل إيجاد بيئة نظيفة خالية من القاذورات والأوساخ والقمامات. فلأسرة دور كبير في إكساب الفرد الثقافة البيئية التي تساعده على التعامل بإيجابية مع البيئة، بما تتضمنه من قيم ومبادئ ومعايير سلوكية تحدد اتجاهات الفرد وسلوكياته نحو البيئة، وبمفهوم المخالفة نقول أن مؤسسات التنشئة الاجتماعية في الجزائر بما فيها الأسرة قد أخفقت في تنمية الاتجاهات الإيجابية نحو البيئة لدى الفرد الجزائري، وهذا راجع إلى عدة عوامل سوسيوقانونية واقتصادية يتخبط فيها المجتمع الجزائري.

7-2- عرض وتحليل ومناقشة نتيجة الفرضية الثانية:

نصت الفرضية الثانية على أنه "لا توجد فروق بين اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة تبعاً لمتغير الجنس"، وللتحقق من صحة هذه الفرضية قام الباحثان بالاعتماد على المعالجة الإحصائية **T test** لدلالة الفروق، حيث تحصل الباحثان على النتائج التالية:

الجدول رقم (05): يبين دلالة الفروق بين اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة تبعاً لمتغير الجنس

الجنس	الذكور ن=48		الإناث ن=69		درجة الحرية df	الفروق	ت المحسوبة	ت المجذولة	مستوى الدلالة
	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري					
المقياس ككل	92.20	11.16	94.47	08.15	115	05.51	-01.27	02.61	غ دال

يتضح خلال الجدول أنه لا توجد فروق في الاتجاهات نحو البيئة بين الذكور والإناث، حيث بلغت قيمة ت المحسوبة (-01.27) وهي أقل من ت المجذولة (02.61) عند $df = (115)$ ، وعليه لا يبدو أن الاتجاهات نحو البيئة تتأثر بمتغير الجنس، وهذه النتيجة تبدو أكثر اتساقاً مع ما سبقها من نتائج دراسات كدراسة خطائية والقاعد (2000) التي انتهت إلى عدم وجود فروق بين الجنسين في الاتجاهات البيئية، إلا أنها تختلف عن النتائج المتوصل إليها مع دراسة (Hsu, 2004, Coyle, 2005, Tuncer et al, 2009) التي أسفرت عن وجود فروق بين الجنسين في الاتجاهات البيئية.

وبالرجوع إلى نتائج الدراسة الحالية نجدها على العموم لا تختلف مع ما توصلت إليه نتائج بعض الدراسات السابقة التي اهتمت بالكشف عن طبيعة الفروق بين الجنسين فيما يتعلق بالاتجاهات البيئية، حيث يُمكن تفسير النتيجة المتوصل إليها في ضوء البيئة التعليمية والثقافية والاجتماعية المتمثلة، وبموازاة هذا التفسير يشير الأدب التربوي إلى نظريتين قد تفسر الفروق أو عدم الفروق بين الجنسين فيما يتعلق بالاتجاهات نحو البيئة هما: نظرية الجماعة **Socialization Based Theory** والنظرية البنوية **Structural Theory**، وفقاً لنظرية الجماعة، فإن عدم وجود الفروق بين الجنسين في الاتجاهات البيئية يمكن أن يعزى إلى التشابه والتماثل في التنشئة الاجتماعية لكل منهما، حيث تم تنشئتهما على نفس المبادئ والقيم والاتجاهات بما فيها السلوك البيئي، بمعنى آخر أن التنشئة الاجتماعية المعتمدة من قبل الأسرة أو من باقي المؤسسات الأخرى في المجتمع، وعليه فتربية الأبناء من أجل البيئة لا يتأثر بمتغير الجنس داخل الأسرة الجزائرية، أما من وجهة نظر النظرية البنوية فإن الاتجاهات البيئية تظهر من خلال نفس المعتقدات المتعلقة بالبيئة، بمعنى أن الأسر الجزائرية لا تختلف في مستوى وعيها وإدراكها لمفهوم التربية البيئية، وكذلك في طريقة التعامل مع البيئة، وإذا ما أخذنا بالاعتبار النظريات والتفسيرات المفترضة في الأدب التربوي بأن الذكور

والإناث يمتلكون نفس الاتجاهات نحو البيئة تعزى إلى نفس المكانة والأدوار التي يتلقاها كل منهما داخل المجتمع الجزائري.

7-3- عرض وتحليل ومناقشة نتيجة الفرضية الثالثة:

نصت الفرضية الثالثة على أنه "لا توجد فروق بين اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة تبعاً لمتغير التخصص"، وللتحقق من صحة هذه الفرضية قام الباحثان بالاعتماد على المعالجة الإحصائية **T test** لدلالة الفروق، حيث تحصل الباحثان على النتائج التالية:

الجدول رقم (06): يبين دلالة الفروق بين اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة تبعاً لمتغير التخصص

الجنس	علمي ن=53		أدبي ن=64		درجة الحرية df	الفروق	ت المحسوبة	ت المجدولة	مستوى الدلالة
	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري					
المقياس ككل	94.39	09.79	92.09	10.24	115	0.19	01.23	02.61	غ دال

نلاحظ من خلال الجدول أنه لا توجد فروق ذات دلالة في اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة تبعاً لمتغير التخصص، حيث بلغت قيمة ت المحسوبة (01.23) وهي أقل من ت المجدولة (02.61) عند $df = (115)$ ، وعليه لا يبدو أن الاتجاهات البيئية تتأثر كذلك بمتغير التخصص، وهذه النتيجة تعد مقبولة وأكثر اتساقاً مع ما سبقها من نتائج دراسات كدراسة (Ozden 2008) التي انتهت إلى عدم وجود فروق بين في الاتجاهات البيئية تبعاً لمتغير التخصص، كما تختلف النتيجة المتوصل إليها مع دراسة الدمرداش والدسوقي (1985)، الحبشي وعبد المنعم (1988)، الشميري (1992)، خطابية والقاعود (2000)، Goldman et al (2001) التي انتهت إلى وجود فروق في الاتجاهات البيئية تبعاً لمتغير التخصص.

وما يفسر هذه النتيجة هو أنه يوجد تشابه وتمائل في الخلفية التعليمية والاجتماعية والثقافية، وفي مدخلات التربية البيئية التي يتعرض لها تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي من حيث طبيعة المساقات البيئية، وهذا التشابه المتماثل المشار إليه، قد يُفسر عدم تأثير التخصص في مستوى وطبيعة الاتجاهات نحو البيئة، وهذا ما يؤكد حقيقة النتيجة المتوصل إليها. وما يؤكد إخفاق كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية في تحقيق أهدافها في هذا المجال كما سبق الإشارة إليه، مع العلم أن تلاميذ الشعب العلمية يدرسون بطبيعة الحال ضمن المناهج الدراسية العديد من المعلومات والمفاهيم البيئية التي كان من المفترض أن تعزز لديهم الاستشعار بأهمية البيئة والأخطار التي تحقّق بها مقارنة بالشعب الأدبية، حيث لم تختلف النتيجة المتوصل إليها على العموم مع العديد من نتائج الدراسات السابقة كنتائج دراسة سالم (2002) ونتائج دراسة (Ozden 2008)، وبهذا يمكن القول أن المناهج الدراسية لا تفرق على الإطلاق بين التخصصات سواء كانت الشعب علمية أو أدبية فيما يتعلق بالتربية البيئية، حتى إن لم نقل هناك شبه افتقار للجانب البيئي في المضامين الدراسية علماً أن التربية البيئية هي بمثابة النمط التربوي الذي يتم من خلاله تكوين جيل واع بأهمية البيئة والمحيط الخارجي الذي يخلو من الأخطار التي تهدد البيئة وحياة الإنسان معاً. أو بمعنى آخر عدم التخطيط بصورة مقصودة ومباشرة للتربية البيئية في البرامج الدراسية في هذه التخصصات، وعدم التركيز على الأبعاد البيئية من خلال برامجها المختلفة.

7-4- عرض وتحليل ومناقشة نتيجة الفرضية الرابعة:

نصت الفرضية الرابعة على أنه "لا توجد فروق بين اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة تبعاً لمتغير مكان الإقامة"، وللتحقق من صحة هذه الفرضية قام الباحثان بالاعتماد على المعالجة الإحصائية **T test** لدلالة الفروق، حيث تحصل الباحثان على النتائج التالية:

الجدول رقم (06): يبين دلالة الفروق بين اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة تبعاً لمتغير الإقامة

الجنس	ريف ن=75		مدينة ن=42		درجة الحرية df	ت	ت	مستوى الدلالة
	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري		المجدولة	المحسوبة	
المقياس ككل	92.54	10.44	94.11	09.37	115	0.22	-0.83	02.61 غ دال

نلاحظ من خلال الجدول أنه لا توجد فروق في اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة تبعاً لمتغير الإقامة، حيث بلغت قيمة ت المحسوبة (-0.83) وهي أقل من ت المجدولة (02.61) عند $df = (115)$ ، وعليه لا يبدو أن الاتجاهات البيئية تتأثر بمتغير مكان الإقامة، وهي نفس النتيجة التي توصلت إليها كل من نتائج دراسة الشميري (1992)، والصغير (1999) والمطاربة (1998) التي انتهت كلها إلى عدم وجود فروق في اتجاهات الطلبة نحو البيئة تبعاً لمتغير مكان الإقامة، كما تختلف نتائج هذه الدراسات مع ما توصلت إليه نتائج دراسة Goldman et al (2001)، وحسن (2004)، والنعواشي وحمادنة (2004) التي انتهت إلى وجود فروق في الاتجاهات البيئية تبعاً لمتغير مكان الإقامة لصالح الأماكن الريفية.

فلم تختلف نتائج هذه الدراسة على العموم مع ما توصلت إليه بعض الدراسات السابقة التي اهتمت بالكشف عن طبيعة الفروق في الاتجاهات البيئية تبعاً لمتغير مكان الإقامة (القرى / المدينة)، حيث يُمكن تفسير النتيجة المتوصل إليها في ضوء البيئة التعليمية والثقافية والاجتماعية التي ذابت فيها العوامل والتأثيرات الجغرافية، فمن خلال التحليل الإحصائي يلاحظ الباحثان بأن التلاميذ الذين يقيمون في الريف أو القرى لديهم نفس الاتجاهات نحو البيئة مقارنة بالتلاميذ المقيمين في المدينة، فالتربية البيئية في المجتمع الجزائري لا تتأثر بالعوامل السوسيوثقافية، كما أن الأسر الجزائرية تنشأ أبنائها على نحو مماثل سواء كان هذا في الريف أو في المدينة، مع العلم أن بعض الدراسات انتهت إلى أن الاتجاهات البيئية تتأثر تبعاً لمتغير الإقامة لصالح الريف أين يجد الفرد نفسه وسط البيئة الطبيعية الخالية نوعاً من التلوث، وأي تهديد يحيط بالبيئة إنما إنذار حقيقي بالخطر المتوقع على سلامة الفرد والمجتمع معاً.

7-5- عرض وتحليل ومناقشة نتيجة الفرضية الخامسة:

نصت الفرضية الخامسة على أنه "لا توجد فروق بين اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة تبعاً المستوى التعليمي لرب الأسرة"، وللتحقق من صحة هذه الفرضية قام الباحثان بالاعتماد على المعالجة الإحصائية تحليل التباين الأحادي **ANOVA One Way** لدلالة الفروق، حيث تحصل الباحثان على النتائج التالية:

الجدول رقم (07): يمثل تحليل التباين الأحادي لمقارنة الفروق تبعاً لمتغير المستوى التعليمي لرب الأسرة:

المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
مقياس الاتجاهات نحو البيئة	ما بين المجموعات	934.65	4	233.66	2.41	0.05
	داخل المجموعات	10817.15	112	96.58		
	المجموع	111751.81	116			

يتضح من الجدول رقم (07) أن الفروق بين المجموعات دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.05)، حيث بين تحليل التباين الأحادي أن قيمة ($F = 2.41$) دالة عند مستوى الدلالة (0.05)، حيث تبين نتائج المقارنة بين متوسطات المجموعات أن هناك فروقاً في الاتجاهات البيئية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي بين أبناء الأسر المتعلمة خصوصاً ذات المستوى التعليمي العالي وبين أبناء الأسر غير المتعلمة، حيث كانت الفروق لصالح رب الأسرة الذي لديه مستوى تعليمي جامعي، وهي نفس النتيجة التي أكدت عليها كل من نتائج دراسة الدبسي (1999) وحسن (2004)، Tuncer et al, (2009)، إلا أنها تختلف مع نتائج ما توصلت إليه بعض الدراسات كنتائج دراسة الخطيبية والقاعدود (2000).

فالآباء ذوي المستوى التعليمي العالي يكون لديهم القدرة على تعزيز بعض السلوكيات والممارسات البيئية لدى أطفالهم مما يجعلهم يكتسبون اتجاهات إيجابية نحو البيئة، حيث تجدهم ينصحون أبناءهم بعدم رمي الأوساخ والقاذورات في غير أماكنها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مستوى الوعي البيئي الذي يملكه الآباء ذوي المستوى التعليمي الجامعي. فالتربية البيئية تتأثر بالمستوى التعليمي للوالدين، وهي نفس النتيجة التي أكدت نتائج دراسة الدبسي (1999) التي تناولت أثر المستوى التعليمي للوالدين في تمثيل مفاهيم البيئة في الأسرة في محافظة طرطوس بدمشق، والتي انتهت إلى الأثر الإيجابي للمستوى التعليمي لرب الأسرة في إكساب وتمثل الطفل لبعض المفاهيم البيئية، وعليه فهناك علاقة جد وطيدة بين المستوى التعليمي لرب الأسرة والاتجاهات البيئية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي بدلالة انعكاسها على التربية والتنشئة الاجتماعية والبيئية، وبالنتيجة أكدت الدراسة الحالية أنه كلما ارتفع المستوى التعليمي لرب الأسرة كلما كانت اتجاهات التلاميذ نحو المحيط والبيئة بما فيها من نباتات وحيوانات أكثر إيجابية وتنسجم بإدراك ووعي الإنسان التام بقضايا البيئة ومشكلاتها فضلاً عن وعيه بدور الطبيعة في حياة الإنسان ومستقبله.

7-5- عرض وتحليل ومناقشة نتيجة الفرضية السادسة:

نصت الفرضية السادسة على أنه "لا توجد فروق بين اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة تبعاً لمتغير مهنة رب الأسرة"، وللتحقق من صحة هذه الفرضية قام الباحثان بالاعتماد على المعالجة الإحصائية تحليل التباين الأحادي ANOVA One Way لدلالة الفروق، حيث تحصل الباحثان على النتائج التالية:

الجدول رقم (08): يمثل تحليل التباين الأحادي لمقارنة الفروق تبعاً لمتغير مهنة رب الأسرة:

المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
مقياس الاتجاهات نحو البيئة	ما بين المجموعات	715.18	5	143.03	1.43	0.21 غ. دال
	داخل المجموعات	11036.62	111	99.42		
	المجموع	11751.81	116			

يتضح من الجدول رقم (08) أن الفروق بين المجموعات غير دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.05)، حيث بين تحليل التباين الأحادي أن قيمة ($F = 1.43$) عند مستوى الدلالة (0.21)، حيث تبين نتائج المقارنة بين متوسطات المجموعات عدم وجود فروقاً بين الاتجاهات البيئية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي تبعاً لمتغير مهنة رب الأسرة، وقد جاءت الدراسة الحالية مناقضة تماماً مع ما توصلت إليه بعض الدراسات الأخرى، حيث انتهت نتائج دراسة حسن (2004) إلى أن الاتجاهات نحو البيئة تختلف باختلاف مهنة رب الأسرة، وهي نفس النتيجة التي أكدتها كل من نتائج دراسة الشميري (1992)، ومطاربة (1998).

ويمكن تفسير هذه النتيجة في ضوء التنشئة البيئية المعتمدة من قبل الأسرة، حيث يقوم الآباء بتربية الأبناء تربية بيئية متماثلة، فلا الطبيب ولا المحامي ولا الأستاذ ولا الفلاح قادر على تزويد الفرد بمفاهيم بيئية واتجاهات ايجابية نحو البيئة، بمعنى أن تماثل متوسط الدرجات تبعاً لطبيعة مهنة رب الأسرة على مقياس الاتجاهات نحو البيئة ربما يعود إلى التشابه التام في عملية التنشئة الاجتماعية والبيئة السوسيوثقافية والتعليمية، وهذا دليل أن طبيعة عملهم سواء كان يعمل في القطاع العام أو القطاع الخاص أو تاجر أو غير ذلك يحول دون تزويدهم بمصادر الوعي البيئي والثقافة البيئية المختلفة التي من شأنها أن تزود بطرائق التربية البيئية المناسبة وأساليب التوجيه والإرشاد والتنشئة للأبناء داخل الأسرة، وكذلك تعزيز اتجاهاتهم الايجابية نحو البيئة والمحيط، كما أن المدة الزمنية التي يقضيها رب الأسرة في العمل خارج المنزل وطبيعة العمل يمكن أن يزيد من صعوبة إشرافهم على تربية أبنائهم تربية بيئية سليمة، وبالتالي اكسابهم سلوكيات واتجاهات ايجابية نحو البيئة، فضلاً عن تعزيز الوعي البيئي لديهم.

خاتمة:

إنّ النظرة المتفحصة على ما أسفرت عنه عملية التحليل الإحصائي من نتائج تكشف عن مجموعة من الملاحظات الهامة التي تعكس اتجاهات تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي نحو البيئة، والتي كانت سلبية، وهذا ما يمكن أن يظهر من خلال قلة الجهد في ضمان تربية بيئية داخل المجتمع الجزائري، وهذا لافتقار الأسر وباقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية للثقافة البيئية والوعي البيئي، فضلاً عن نزوع المجتمع إلى عدم الاهتمام بمثل هذه القضايا، بمعنى آخر عدم وضوح مفهوم الوعي البيئي، وافتقار عرض الموضوعات البيئية إلى الشمولية في علاج الموضوع أو المشكلة التي نتناولها، بما فيها أيضاً افتقار المحتوى البيئي إلى مفاهيم بيئية، وبعض القضايا والمشكلات البيئية الهامة، وتنمية الاتجاهات الموجبة نحوها. فالأسرة والمدرسة تلعب دوراً هاماً في تكوين الاتجاه السليم نحو البيئة، ولهذا فإنّ السلوك البيئي مرتبط بطبيعة الاتجاه الذي يكتسبه الفرد نحو البيئة، وهنا المسألة تكون بالسهولة الكافية لتعليم إضافي لأساليب حماية البيئة والمحافظة على جمال المنظر في المحيط والامتناع عن رمي الفضلات والاقتداء بالسلوكيات الايجابية، لكن عندما ينشأ الطفل على الفوضى واللامبالاة وعدم المسؤولية، وعندما يتهاون الآباء في تنشئته على مبدأ المحافظة والوعي البيئي، يكون أمر تعديل الاتجاه صعباً، ويتطلب وقتاً طويلاً وجهداً عسيراً لتصحيح الاتجاهات الخاطئة نحو قضايا البيئة، خاصة الجوانب الوجدانية منه والنزوعية.

مقترحات الدراسة:

- في ضوء ما انتهت إليه الدراسة الحالية من نتائج، فإنه يمكن الخروج ببعض الاقتراحات العملية، وذلك من خلال التأكيد على النقاط التالية:
- ضرورة اكساب الفرد الجزائري اتجاهات ايجابية نحو البيئة وضرورة المحافظة عليها.
 - إقامة ندوات وملتقيات وطنية ودولية يدعى فيها كبار المسؤولين في الجزائر وفي مسارب متعددة لمناقشة أهم القضايا التي تساعد على النهوض بالمجتمع الجزائري في المجال البيئي.
 - تطعيم المناهج الدراسية بالبعد البيئي في مختلف مراحل التعليم من خلال مختلف المواد والأنشطة الدراسية سواء كانت هذه المواد علمية أو اجتماعية أو إنسانية، وبالقدر الذي تسمح به طبيعة هذه المواد، مع ضرورة التأكيد على أبعاد الثقافة البيئية المختلفة.
 - تدعيم انتماء الفرد الجزائري للمجتمع مما يزيد من فعاليته في التعامل مع البيئة بشكل مناسب.
 - تطوير مواقف ملائمة لتحسين نوعية البيئة بإحداث تغير حقيقي في سلوك الفرد الجزائري تجاه البيئة.
 - ضرورة المشاركة الفعالة في الأنشطة والمشاريع والحملات البيئية.
 - نشر كل ما يتعلق بالتطورات البيئية والترشيد البيئي.
 - نشر المعارف وتيسير الفهم حول التحديات البيئية.
 - إيقاظ الدافع للتحرك والتفكير بمنطق البيئة.
 - مشاركة التلاميذ ومساهمتهم في الأنشطة التي تواجه التحديات البيئية.

قائمة المراجع:

أولاً: مراجع باللغة العربية:

- 01-الأحمدي، محمد (2006)، دور علم النفس في تعديل الاتجاهات نحو البيئة، المؤتمر الدولي الثالث لكلية العلوم الاجتماعية، العلوم الاجتماعية والدراسات البيئية من منظور تكاملي، الكويت، المنعقد أيام 03-05 ديسمبر 2006.
- 02-الحبشي، فوزي وعبد المنعم، منصور (1988)، الاتجاهات البيئية لدى طلبة جامعة الزقازيق، رسالة الخليج العربي، العدد 26، الرياض، السعودية.
- 03-الدبسي، أحمد عصام (1999)، أثر المستوى التعليمي للوالدين في تمثل مفاهيم التربية البيئية في الأسرة: دراسة ميدانية في محافظة طرطوس، مجلة جامعة دمشق، المجلد 15، العدد 02، دمشق، سوريا.
- 04-الدمرداش، صبري والحبشي، فوزي (1985)، الاتجاهات البيئية لدى تلاميذ الحلقة الثانية من التعليم الأساسي في بيئات ثلاث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- 05-الدمرداش، صبري والدسوقي، محمد (1983)، مقياس الاتجاهات البيئية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر.
- 06-الشافعي، عبد الحق (1989)، أثر مناهج المرحلة الثانوية العامة وعلاقتها باتجاهات الطلاب نحو البيئة ومشكلاتها، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الزقازيق، القاهرة.
- 07-الشراف، يعقوب (1986)، التربية البيئية، ط1، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت.
- 08-الشميري، فؤاد (1992)، الاتجاهات البيئية لدى طلبة جامعة صنعاء، مذكرة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
- 09-العمرى، علي والخواندة، سالم (2012)، الثقافة البيئية لدى طلبة كلية التربية في جامعة اليرموك في ضوء بعض المتغيرات، مجلة الدراسات التربوية والنفسية، جامعة السلطان قابوس، العدد 17، ص ص. 133-150.
- 10-النواشي، قاسم صالح وحامدنة، عبد الرؤوف (2004)، اتجاهات طلبة المرحلتين الإعدادية والثانوية نحو البيئة في سلطنة عمان، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد 19، العدد 07، سلطنة عمان.

- 11-حسن، أحمد (2003)، فاعلية برنامج للتدخل الإرشادي في تنمية الاتجاهات نحو البيئة لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة.
- 12-حسن، مها صلاح الدين (2004)، اتجاهات طالبات كليات التربية النوعية نحو حماية البيئة من التلوث، مجلة مستقبل التربية، العدد 12، جامعة القاهرة، مصر، ص ص. 113-175.
- 13-خطايب، عبد الله والقاعد، إبراهيم (2000)، مستوى المعلومات البيئية لدى طلبة جامعة اليرموك وعلاقتها باتجاهاتهم نحو البيئة، مجلة أم القرى، المجلد 12، العدد 01، الرياض، ص ص. 80-89.
- 14-زبدي، ناصر الدين (2007)، دور التربية البيئية في تعديل سلوك الفرد الجزائري تجاه محيطه، دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 07، جامعة الجزائر، ص ص. 34-55.
- 15-سالم، صلاح الدين علي (2002)، الاتجاهات البيئية لدى طلبة كلية التعليم الصناعي بالقاهرة، مجلة دراسات في المناهج وطرق التدريس، العدد (83)، ص ص. 08-33.
- 16-سكيكر، فياض (1987)، التربية البيئية استجابة مناسبة للمشكلات العصرية، مجلة كلية التربية، العدد 83، جامعة قطر، الدوحة.
- 17-عبد الله، ميسون شاكر ونجم، وفاء، عبد الهادي (2007)، أثر تدريس المواد البيئية في تنمية الاتجاهات البيئية لطالبات كلية العلوم للبنات بجامعة بغداد، مجلة مركز البحوث التربوية والنفسية، العدد 16، العراق، ص ص. 43-58.
- 18-عفيفي، أحمد حمدي (1989)، تقويم أثر مناهج المرحلة الإعدادية على اتجاهات الطلاب نحو البيئة ومشكلاتها، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة.
- 19-مطاربة، عزمي إبراهيم (1998)، اتجاهات طلبة جامعة النجاح الوطنية نحو البيئة الفلسطينية من حيث استنزاف الموارد الطبيعية، التلوث، الانفجار السكاني، التوازن البيئي، وحماية البيئة الفلسطينية، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.
- 20-منصور، طلعت (1985)، دراسات تجريبية في الاتجاهات النفسية نحو البيئة في الكويت، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، المجلد (13)، العدد (02)، ص ص. 147-181.

ثانياً: مراجع باللغة الأجنبية:

- 21-Coyle, H (2005), Environmental Literacy in America, The National Environmental Education Training Foundation, Washington.
- 22-Dean Hini et al (1997), The Link Between Environmental Attitudes and Behavior, University of North Carolina.
- 23-Diamond, K & Musser, L (1999), The Student's Attitudes and Environment Problems, Journal of Environmental Education, Vol (30), N (02), pp. 47-69.
- 24-Goldman, D & Pe'er, S (2007), Environmental literacy in teacher training, attitudes, knowledge and environmental behavior of beginning students, Journal of Environmental Education, Vol (39), N (01), pp. 45-59.
- 25-Hsu, S (2004), The effect of an environmental education program on responsible environmental behavior and associated environmental literacy variables in Taiwanese college students, Journal of Environmental Education, Vol (34), N (02), pp. 229-249.
- 26-O'Keefe, D, J (2002), The Persuasion Handbook, Northwestern University, USA.
- 27-Ozden, M (2008), Environmental awareness and attitudes of student teachers, An empirical research, International Research in Geographical and Environmental Education, Vol (17), N (01), pp. 40-55.
- 28-Tuncer, G et al (2009), Assessing pre-service teacher's environmental literacy in turkey as a mean to develop teacher education programs, International Journal of Educational Development, Vol (29), pp. 426-436.

تقدير الذات (الرفاقي و المدرسي والعائلي) وعلاقته بمستوى التحصيل الدراسي لدى تلاميذ التعليم المتوسط

أ . قدوري الحاج

أ د . محمد الساسي الشايب

جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

Abstract:

The present study aims to reveal the relationship between the overall self-esteem and comradely and school and family and academic achievement among students of the fourth year average and in order to achieve the objectives of the study and test hypotheses we have to follow the steps and the principles and rules of the basic descriptive approach that is appropriate and our study, based on the measure of self-esteem to Bruce R. Hare to collect and process data using a variety of statistical methods were appropriate reached through this study that the presence of a strong relationship between both academic achievement and comradely and school and family.

Key words : Self comradely estimate. School self-esteem . Family self-esteem . Academic achievement .

Résumé:

La présente étude vise à révéler la relation entre l'estime de soi globale et de camaraderie et de l'école et de la famille et la réussite scolaire chez les élèves de la quatrième à la moyenne quinquennale et afin d'atteindre les objectifs de l'étude et tester des hypothèses que nous avons à suivre les étapes et les principes et règles de l'approche descriptive de base qui est approprié et de notre étude, basée sur la mesure de l'estime de soi à Bruce R. Hare pour recueillir et traiter les données en utilisant une variété de méthodes statistiques étaient appropriées atteint grâce à cette étude que la présence d'une relation forte entre les deux la réussite scolaire et de camaraderie et de l'école et de la famille.

Mots-clés : Self estimation de camaraderie. École estime de soi. Famille estime de soi. La réussite scolaire

الملخص:

تهدف الدراسة الحالية الى الكشف عن العلاقة بين تقدير الذات الكلي والرفاقي والمدرسي والعائلي والتحصيل الدراسي لدى تلاميذ السنة الرابعة متوسط , و من أجل تحقيق أهداف الدراسة و اختبار الفرضيات قمنا بإتباع الخطوات والمبادئ والقواعد الاساسية للمنهج الوصفي الذي يتناسب ودراستنا الحالية , معتمدين على مقياس تقدير الذات لبروس آر هير لجمع البيانات , ومعالجتها باستخدام مجموعة من الأساليب الإحصائية المناسبة , وقد توصلنا من خلال هذه الدراسة الى وجود علاقة قوية بين كل من التحصيل الدراسي والرفاقي والمدرسي والعائلي .

الكلمات المفتاحية : تقدير الذات الرفاقي . تقدير الذات المدرسي . تقدير الذات العائلي . التحصيل الدراسي .

1_ اشكالية الدراسة:

يعيش الإنسان اليوم عصرًا يحدث فيه تطور وتقدم في جميع مجالات الحياة المتنوعة مما يجعله يواجه كثيرًا من التحديات التي تتسبب في حدوث قدر من سوء التوافق واضطراب في العلاقات الاجتماعية ، ولقد أضحت أمراً جلياً أن تقدير الذات المرتفع يقود إلى مزيد من الكفاءة والفعالية في التعامل مع الكثير من الضغوط الحياتية ، وقد خلصت العديد من الدراسات إلى وجود آثار متبادلة بين كل من تقدير الذات وبعض النواحي الشخصية ، ويعتبر تقدير الذات والشعور بها من أهم الخبرات السيكولوجية للإنسان ، فالإنسان هو مركز عالمه ، يرى ذاته كموضوع مقيم من الآخرين ، فإذا نظرنا إلى هذا المفهوم باعتباره مفهوماً سيكولوجياً ، نجده يرتبط بمتغيرات متباينة منها الاعتماد على الذات ومشاعر الثقة بالنفس وإحساس المرء بكفاءته الخ وطبقاً لتلك المتغيرات فإن تقدير الذات يعتبر مؤشر الصحة النفسية ، كما يعد من أهم الأبعاد المتعلقة بشخصية الإنسان .

وتقدير الذات مفهوم متعدد الأبعاد موجود بدرجات متفاوتة لدى الأفراد ، وهو عنصر مهم يندرج ضمن مفهوم

الذات ويعكس مدى إحساس الفرد بقيمته وكفاءته (Corsini :p189)

ويعتبر تقدير الذات من المفاهيم التي لاقت اهتماماً كبيراً من طرف علماء النفس وذلك لأهميته ، كونه من العناصر الأساسية في تكوين الشخصية ، ويقصد بالذات " صورة الذات أو فكرة الشخص عن ذاته ، وما هي الصورة التي يكونها الفرد عن نفسه في ضوء إمكاناته واتجاهه نحو هذه الصورة ، ومدى استثماره لها في علاقاته بنفسه أو بالواقع (مصطفى كامل : ص425)

وطبقاً لمفهوم "مرجريت ميد" تنشأ ثلاثة أنواع لتقدير الذات ، وهي تقدير الذات العائلي وتقدير الذات المدرسي وتقدير الذات الرفاعي ، أما "هورتيز" فقد توصل إلى أن الفرد الذي يدرك أنه غير مقبل من الجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها فإنه يقدّر نفسه تقديرًا منخفضاً (الأنصاري : ص284)

كما أن تقدير الذات مرتبط أيضاً بتكامل شخصية الفرد ، حيث يرى زبلر أن تقدير الذات يقع كوسيط بين ذات الفرد والواقع الاجتماعي الذي يعيشه ، وهو بذلك يعمل على المحافظة على الذات من خلال تلك الأحداث السلبية أو الإيجابية التي يتعرض لها ، وبذلك يرى أنه عندما تحدث تغيرات في بيئة الفرد الاجتماعية فإن تقدير الذات هو العامل الذي يحدد نوعية التغيرات التي ستحدث في تقييم الفرد لذاته تبعاً لذلك (كفاي : ص105)

فعندما يكون للأشخاص اتجاهات إيجابية نحو أنفسهم يكون لديهم تقدير ذات مرتفع ، وعندما يكون لديهم اتجاهات سلبية نحو أنفسهم يكون تقدير الذات لديهم منخفضاً ، وبعبارة أخرى فإن تقدير الذات هو التقييم العام لقيمة الفرد كما يدركها بنفسه (Weiten & Lioyd)

وتتضح أهمية التقدير الإيجابي للذات فيما تأكد لدى ماسلو في تنظيمه للحاجات النفسية ، حيث يرى أن هناك حاجة ماسة لتقدير الفرد لذاته واحترامه لها والثقة بذاته ، كذلك هناك حاجة ملحة لتقدير الذات من الآخرين ، الذي يتضمن المكانة والمركز والتقبل الاجتماعي من الآخرين (الصبان : ص54)

ومن المؤكد أن لكل مراقب إدراك عام لشخصيته ، وإدراكاً أكثر تحديداً مرتبط بتقدير الذات فيما يخص من حوله ، فمع التفاعل الاجتماعي القائم بين مختلف أفراد المجتمع فإن المراقب يتأثر بالاتجاهات التي يبديها الآخرون نحوه منذ الطفولة فالتقييم الذي يضعه الآخرون للمراقب ووعيه به ، قد يؤثر تأثيراً جوهرياً على التحصيل الدراسي لديه ، والتحصيل الدراسي يعتبر من أكثر المفاهيم التربوية تركيياً وتعقيداً نظراً لارتباطه بالعديد من المتغيرات الاجتماعية والشخصية ، وبخاصة تقدير الذات كما أن التحصيل الدراسي يلعب دوراً هاماً في صنع الحياة اليومية للفرد والأسرة والمجتمع ، فهو نتاج محسوس ومؤشر هام للنجاح أو الفشل بالنسبة للفرد في المهام التي يقوم بها (محمد زياد : ص04)

ويمثل تقدير الذات مفهوماً مهماً في العملية التعليمية ، على اعتبار أن رؤية التلميذ لذاته بصورة حسنة وتقديره لها تقديراً إيجابياً يسهم في استنهاض قدراته وامكانياته بما يحقق به التوافق الدراسي والاجتماعي ، وتواكب مرحلة التعليم المتوسط مرحلة المراهقة المبكرة التي يميزها ظهور تغيرات فسيولوجية وجسمية وعقلية تنقل الانسان من عالم الطفولة الى عالم الكبار ومن الاعتماد والاتكال الى الاستقلال ، ويظهر تجسيد تأكيد الذات في هذه المرحلة في محاولة المراهق النجاح في الدراسة والتوفيق في التحصيل الاكاديمي .

وتسعى الدراسة الحالية للكشف عن العلاقة بين مستوى تقدير الذات لدى تلاميذ السنة الرابعة من التعليم المتوسط ومستوى تحصيلهم الأكاديمي الذي تعكسه معدلاتهم الدراسية ، ومن خلال ما سبق فإننا نبلور مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية :

2_ تساؤلات الدراسة :

1.2_ التساؤل العام :

هل هناك علاقة بين تقدير الذات والتحصيل الاكاديمي لدى تلاميذ السنة الرابعة متوسط ؟
ويتفرع من هذا التساؤل مجموعة من التساؤلات الجزئية وهي :

2.2_ التساؤلات الفرعية :

- _ هل هناك علاقة بين تقدير الذات الرفاعي والتحصيل الاكاديمي لدى تلاميذ السنة الرابعة متوسط ؟
- _ هل هناك علاقة بين تقدير الذات المدرسي والتحصيل الاكاديمي لدى تلاميذ السنة الرابعة متوسط ؟
- _ هل هناك علاقة بين تقدير الذات العائلي والتحصيل الاكاديمي لدى تلاميذ السنة الرابعة متوسط ؟

3_ اهداف الدراسة :

- _ تهدف الدراسة الحالية إلى الكشف عن مستوى تقدير الذات لدى تلاميذ السنة الرابعة من التعليم المتوسط
- _ تحديد العلاقة بين تقدير الذات (الرفاعي والمدرسي والعائلي) ومستوى التحصيل الاكاديمي لدى تلاميذ سنة رابعة متوسط

4_ اهمية الدراسة :

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تعالج قضيتين مهمتين في حياة المراهق ، وهما تقدير الذات والتحصيل الاكاديمي ، وهما جانبين أساسيين يحرص عليهما المراهق أشد الحرص لإثبات الهوية وتأكيد الذات ، للدلالة على الصلاح والنجاح بالنسبة للمراهق ، كما أن هذه الدراسة تحاول تقديم معلومات أساسية عن علاقة تقدير الذات الرفاعي والمدرسي والعائلي بمستوى تحصيل التلميذ الاكاديمي ، كما أن هذه الدراسة تحاول تبیین دور الرفاق والمدرسة والأسرة في التأثير على تقدير الذات بالنسبة للمراهق .

5_ فرضيات الدراسة :

الفرضية هي استنتاج منطقي وتكهن مبدئي يتبناه الباحث كحل مؤقت لمشكلة دراسته ، وهي منطلق يساعد الباحث في تحديد مجال وإطار وأهداف بحثه ، وفي هذه الدراسة الحالية ومن خلال ما تقدم ننطلق من فرضيات تتماشى مع مجال وأهداف البحث وهي :

1.5_ الفرضية العامة :

- _ توجد علاقة ارتباطية بين تقدير الذات والتحصيل الاكاديمي لدى تلاميذ السنة الرابعة متوسط
- ويتفرع من هذا الفرضية مجموعة من الفرضيات الجزئية وهي :

1.5_ الفرضيات الفرعية :

- _ توجد علاقة ارتباطية بين تقدير الذات الرفاعي والتحصيل الاكاديمي لدى تلاميذ السنة الرابعة متوسط .

- _ توجد علاقة ارتباطية بين تقدير الذات المدرسي والتحصيل الأكاديمي لدى تلاميذ السنة الرابعة متوسط .
_ توجد علاقة ارتباطية بين تقدير الذات العائلي والتحصيل الأكاديمي لدى تلاميذ السنة الرابعة متوسط .

6_ التعاريف الإجرائية لمصطلحات الدراسة :

- _ **تقدير الذات :** هو التقييم الذي يضعه التلميذ الذي يدرس بمستوى سنة رابعة متوسط لذاته من خلال اجاباته على مجموع العبارات الواردة في مقياس تقدير الذات لبروس آر هير
_ **تقدير الذات الرفاعي :** هو التقييم الذي يضعه التلميذ الذي يدرس بمستوى سنة رابعة متوسط لذاته من خلال التفاعل الاجتماعي وسلوك ونظرة رفاقه تجاه شخصيته .
_ **تقدير الذات المدرسي :** هو التقييم الذي يضعه التلميذ الذي يدرس بمستوى سنة رابعة متوسط لذاته من خلال التفاعل الاجتماعي المدرسي وعلاقاته بمدرسيه وسلوك ونظرة مدرسيه تجاه شخصيته .
_ **تقدير الذات العائلي :** هو التقييم الذي يضعه التلميذ الذي يدرس بمستوى سنة رابعة متوسط لذاته من خلال التفاعل الاجتماعي الأسري من خلال أدائه لأدواره الاجتماعية وسلوك ونظرة أسرته تجاه شخصيته .
_ **التحصيل الدراسي :** المقصود به في الدراسة الحالية هو معدل الدرجات التي تحصل عليها التلميذ الذي يدرس بمستوى رابعة متوسط في الامتحانات الفصلية في جميع المواد الدراسية ، والتي يتم الحصول عليها من سجلات العلامات المدرسية .

7_ حدود الدراسة :

- تتحدد كل دراسة بطبيعة موضوعها وأهدافها ومنهجها ومفاهيمها ومجالها الزماني والمكاني والبشري ، حتى يتمكن الباحث من السير في اتجاه صحيح نحو تحقيق أهدافه ولا يحيد عن ذلك وتتحدد الدراسة الحالية بمجموعة من الحدود وهي :
- 1.7_ **الحدود البشرية :** لأجل تطبيق هذه الدراسة تم اختيار مجال بشري تمثل في مجموعة من التلاميذ المتمدرسين بمستوى رابعة من التعليم المتوسط .
- 2.7_ **الحدود المكانية :** بهدف استكمال متطلبات هذه الدراسة تم تطبيقها على مستوى متوسطتين وهما متوسطة عبد القادر قريشي ومتوسطة ابي يعقوب الوجلاني الكائنتين ببلدية الرويسات ولاية ورقلة .
- 3.7_ **الحدود الزمانية :** أجريت هذه الدراسة خلال الموسم الدراسي 2014_2015 خلال الفصل الأول من هذه السنة الدراسية .

_ المرجع النظري للدراسة :

- 1_ **تقدير الذات :** إن مفهوم الذات يمثل مفتاح الشخصية و المدخل الرئيسي لخصائصها و مقوماتها في مختلف جوانب تفاعلها مع البيئة و علاقاتها الدينامية معها ، إذ يشكل مفهوم الذات المجال الظاهري الذي يعيش فيه الفرد و يعني به ذاته ، كما أنه يتأثر بما يتمتع به من مقدرات عقلية و دوافع نفسية تحكم سلوكه و توجيهه في مختلف المجالات ، فلا تفهم الشخصية ككل ، و كذلك سلوك الشخص الظاهري سويّاً كان أم منحرفاً إلا في ضوء هذه الصورة الكلية التي يكونها عن ذاته . كونها مصطلحاً نفسياً له دلالاته ، فلا توجد لغة في العالم سواء كانت قديمة أم حديثة و على اختلاف الحضارات إلا و استخدمت ألفاظاً مثل (أنا ، نفسي ، ولي التي تدل على كنه النفس) لذا فإننا نجد جذور هذا المفهوم قديمة جداً ، حيث تشير المصادر و الأبحاث إلى أن بدايتها ترجع الى ما قبل الميلاد على الرغم من اختلاف المفهوم ، و أن بعض الأفكار السائدة في الوقت الحاضر و التي ترجع اصولها إلى (هوميروس)

الذي ميز بين الجسم المادي و الوظيفة غير المادية للكائن الإنساني والتي أطلق عليها فيما بعد بالنفس أو الروح و أحيانا بالذات أو الأنا (شيماء عبد مطر: 25-26)

وتوجد عدة مصطلحات مرتبطة بالذات مثل مفهوم الذات وتقدير الذات , هذا الأخير الذي ظهر في أواخر الخمسينات وأخذ مكانته بجانب المفاهيم الأخرى في نظريات الذات , فظهرت في كتابات "روزنبرج-rosznberg" و "كارل روجرز c.rogerse" ليزيد في الستينات و السبعينات , حيث تم الربط بينه و بين السمات النفسية الأخرى , خاصة المهتمين بالشخصية . و كغيره من المفاهيم : اختلف الباحثين في تحديد تعريف موحد له حيث :

فيعرفه ولمان Walman " بأنه الطريقة التي يشعر بها الفرد حيال ذاته , متضمنة الدرجة التي عندها يمتلك الفرد احتراماً لذاته وتقبلاً لها , فتقدير الذات هو الإحساس بالجدارة والكفاءة الشخصية " (فادية حمام , فاطمة الهويش : ص 81)

اما "كوهن"cohen 1959 : فيعرفها بأنها الدرجة التي تتطابق عندها الذات المثالية و الذات الواقعية. (عبد الرحمان سيد سليمان: ص192)

ويشير " كوبر سميث " (1967) إلى تقدير الذات بأنه تقييم يضعه الفرد لنفسه وبنفسه ويعمل على المحافظة , عليه ويتضمن تقدير الذات اتجاهات الفرد الإيجابية أو السلبية نحو ذاته , كما يوضح مدى اعتقاد الفرد بأنه قادر و هام وناجح وكفاء , أي أن تقدير الذات هو حكم الفرد على درجة كفاءته الشخصية كما يعبر عن اتجاهات الفرد نحو نفسه ومعتقداته عنها , وهكذا يكون تقدير الذات بمثابة خبرة ذاتية ينقلها الفرد إلى الآخرين باستخدام الأساليب التعبيرية المختلفة . (مصطفى كامل : ص 32)

2_ مستويات تقدير الذات: يرى الكثير من العلماء أن تقدير الذات يتغير حسب تصرفات الفرد و ردود أفعاله المختلفة , ولتقدير الذات مستويان الأول إيجابي والثاني سلبي , حيث يتميز كل مستوى بخصائص تؤثر بدرجات متفاوتة على الفرد وعلى تفاعله مع الآخرين. وهذين المستويين هما :

1.2_ التقدير المرتفع للذات : لقد تناول معظم الباحثين تقدير الذات من حيث الفارق بين مستويات التقييم للأنا المدركة و الأنا المثالي , و حسب "بيرون 1964 الفرق البسيط بين الأنا المدركة و الأنا المثالي مؤشر لتقبل الذات , و هذا ما يحقق توازن الشخصية و التكيف الاجتماعي . كما يؤكد كل من " تيبى و سلبر" 1965 أن تقدير الذات يضمن إحساس الفرد بالرضا عن نفسه و كذا التوافق بين صورة الذات و الصورة المثالية للذات , و في مثل هذه الحالة يكون الشعور بالارتياح الجانب الانفعالي الغالب , حيث يكون المفهوم مشتقا من خبرات مشبعة , و يصور مفهوم الذات في الحالة " انا محبوب انا مستقل .

ونجد أن الأشخاص ذوو تقدير الذات المرتفع يستمتعون بالتحدي ولا يضطربون عند الشدائد , ويستلزم لتقدير الذات المرتفع الشعور بالكفاءة الشخصية , والقيمة الشخصية , والشعور بالثقة بالنفس واحترام الذات . وحاجة الفرد لتقييم ذاته تعتبر متأصلة ونابعة من رغبة فيها . (إبراهيم أبو زيد : ص 81)

وتشير مريم سليم إلى أن الذين لديهم تقديراً عالياً للذات يتصفون بما يلي :

- ينظرون إلى أنفسهم نظرة واقعية , يقبلون أنفسهم كأشخاص مقبولين , يستطيعون أن يحددوا نقاط القوة ونقاط الضعف لديهم ويستند تقديرهم لأنفسهم إلى تغذية راجعة صحيحة , وليس لما يحبون أن يعتقدوا عن أنفسهم , ويكون لديهم مجموعة كبيرة من الأصدقاء يقيمون علاقات معهم , ويستطيعون الانسجام معهم سواء في المدرسة أو العمل . كما أن آراءهم قوية , ولا يخشون التعبير عنها , ولا يشعرون بالتهديدات بسبب المواقف الجديدة , وعندما يواجهون بأخطائهم يقرون بها , ويستطيعون إيجاد الحلول لمشكلاتهم . (مريم سليم : ص 17)

- كما أشار سامي تيسير سلمان الى أن تقدير الذات يتحقق بالجودة الشخصية والثقة بالنفس فالجودة الشخصية تتميز ب :
- الأداء الفائق في العمل , العلاقات الانسانية الايجابية , السمات الشخصية الايجابية
- أما الشخصية الايجابية فلها معالم منها : الانضباط الذاتي , المثابرة , قبول النقد الذاتي الخ
- في حين العلاقات الانسانية الايجابية تتمحور في :
- معاملة جميع الناس بأدب واحترام , البحث عن الجانِب الحسن في الناس وفي المواقف , حسن الاصغاء الاعتراف بالأخطاء
- أما الأداء الفائق في العمل فيتمثل في :
- انتاج أعمال خالية من الأخطاء , التنبؤ بالمشكلات والحيلولة دون وقوعها , القدرة على العمل ضمن فريق
- متابعة المهام الى أن يتم الانتهاء منها (سامي تيسير سلمان : ص 02)

2.2_ التقدير المنخفض للذات:

أن الشخص ذو التقدير المنخفض لذاته , هو الذي يفقد الثقة في قدرته , فيعمل باستمرار على افتراض أنه لا يمكنه أن يحقق تطلعاته , و أنه لسبب أو لآخر يشعر أنه مقدر لذاته الفشل بالتالي نجد أن مفهومه لذاته يكون مصوراً لعبارات " انا مكروه انا ضعيف. (سيد خير الله : ص 158).

ونجد أن أصحاب التقدير المنخفض يركزون على عيوبهم ونقصاتهم وصفاتهم غير الجيدة وهم أكثر ميلاً للتأثر بضغوط الجماعة والانصياع لآرائها وأحكامها , ويضعون لأنفسهم توقعات أدنى من الواقع , حيث يسجلون درجات أعلى على مقياس المراقبة الذاتية , وهم كذلك يعانون من مشاعر العجز والدونية والتفاهة وعدم التقبل , ويفتقدون الوسائل الداخلية التي تعينهم على مواجهة المشكلات المختلفة , كما يميل أصحاب التقدير المنخفض الى عزو فشلهم الى أسباب ذاتية , فهم يميلون الى المعلومات التي تؤكد تقديراتهم لذواتهم الأدنى عن المعلومات التي تفيد في أنهم أفضل مما تعبر لهم مشاعرهم. (الضيدان : ص 32)

ونجد الافراد الذين لديهم تقدير متدن في الذات يتميزون بـ :

- _ يجدون صعوبة في الانفصال عن آبائهم
- _ يتركون مسافة بينهم وبين الآخرين
- _ لا يشاركون في النشاط إلا اذا بدا لهم بأن الوضع آمن
- _ نادراً ما يطرحون أسئلة أو يتطوعون للإجابة عن الأسئلة المطروحة
- _ يجدون صعوبة في التبادل والمشاركة
- _ يميلون الى بناء علاقة وثيقة مع عدد محدود من الطلاب
- _ يشعرون بالتوتر ويخشون المجازفة ولا يقيمون علاقات ايجابية مع الآخرين

وتشير مريم سليم في هذا الصدد على أن الذين لديهم تقدير ذات متدني يمكن تمييزهم بسهولة حيث يبدو عليهم اهتمامهم بالحفاظ على شعورهم باحترام الذات , أو الفشل بشرف أكثر من اهتمامهم ببذل الجهد لإحراز النجاح , و ينشغلون بسلوكيات دفاعية لمنع الآخرين من معرفة القصور , أو عدم الأمان الذي يشعرون به (كالتمرد المقاومة , الكذب , الغش , التحدي , الشك في الآخرين , الانسحاب والخجل الاستغراق في أحلام اليقظة...) . (مريم سليم : ص 18)

_ التحصيل الدراسي :**1_ تعريف التحصيل الدراسي :**

يعرفه فرج عبد طه على أنه مصطلح يشير الى القدرة على أداء متطلبات النجاح المدرسي سواء في التحصيل بمعناه العام أو النوعي لمادة دراسية معينة (فرج عبد القادر طه : ص183)

و يمثل مفهوم التحصيل الدراسي قياس قدرة الطالب على استيعاب المواد الدراسية المقررة , ومدى قدرته على تطبيقها من خلال وسائل قياس تجربتها المدرسة عن طريق الامتحانات الشفوية والتحريرية التي تتم في أوقات مختلفة , فضلاً عن الامتحانات اليومية والفصلية وللتحصيل الدراسي أهداف منها :

1 - تقرير نتيجة الطالب لانتقاله إلى مرحلة أخرى .

2 - تحديد نوع الدراسة والتخصص الذي سينتقل إليه الطالب لاحقاً.

3 - معرفة القدرات الفردية للطلبة.

4 - الاستفادة من نتائج التحصيل للانتقال من مدرسة إلى أخرى .

يعرفه جابلن بأنه : مستوى محدد من الإنجاز ، أو براعة في العمل المدرسي يقاس من قبل المعلمين ، أو بالاختبارات المقررة (الغيسوي : ص 13)

والمقياس الذي يعتمد عليه لمعرفة مستوى التحصيل الدراسي هو مجموع الدرجات التي يحصل عليها التلميذ في نهاية العام الدراسي ، أو نهاية الفصل الأول ، أو الثاني ، وذلك بعد تجاوز الاختبارات والامتحانات بنجاح. (منى الحموي : ص 173)

وتم تعريفه ايضاً على أنه كل أداء يقوم به الطالب في الموضوعات المدرسية المختلفة والذي يمكن اخضاعه للقياس عن طريق درجات الاختبار وتقديرات المدرسين أو كلاهما (هادي شعلان ربيع واسماعيل محمد الغول: ص 83)

تعرفه "موسوعة علم النفس والتحليل النفسي " بأنه : بلوغ مستوى من الكفاءة في الدراسة سواء في المدرسة أو الجامعة ، وتحديد ذلك باختبارات التحصيل المقننة أو تقديرات المدرسين ، أو الاثنين معاً. (محمد جاسم محمد ص:293) .

2 - أنواع التحصيل الدراسي :

يمكن تقسيم التحصيل الدراسي إلى ثلاثة أنواع :

1.2- التحصيل الدراسي الجيد : يكون فيه أداء التلميذ مرتفع عن معدل زملائه في نفس المستوى وفي نفس القسم ، ويتم باستخدام جميع القدرات والإمكانيات التي تكفل للتلميذ الحصول على مستوى أعلى للأداء التحصيلي المرتقب منه .

2.2 - التحصيل الدراسي المتوسط : في هذا النوع من التحصيل تكون الدرجة التي يتحصل عليها التلميذ تمثل نصف الإمكانيات التي يمتلكها ، ويكون أداؤه متوسط ودرجة احتفاظه واستفادته من المعلومات متوسطة.

3.2 - التحصيل الدراسي المنخفض : يعرف هذا النوع من الأداء بالتحصيل الدراسي الضعيف ، حيث يكون فيه أداء التلميذ أقل من المستوى العادي بالمقارنة مع بقية زملائه ، فنسبة استغلاله واستفادته مما تقدم من المقرر الدراسي ضعيفة إلى درجة الانعدام.

3 - العوامل المؤثرة في التحصيل الدراسي : توجد عدة عوامل تتدخل في التحصيل الدراسي منها :**1.3_ العوامل الذاتية :**

_ عوامل الصحة الجسدية لدى التلميذ .

_ العوامل المتعلقة بالجانب العقلي والمعرفي

_ خبرات الفشل السابقة .

_ العوامل المتعلقة بالجانب النفسي والانفعالي

2.3_ العوامل الاسرية :

ترتبط التربية الديمقراطية بالتحصيل لدى المراهقين وتعتبر بمثابة المتنبئ للدرجات العالية ، بينما أنماط التربية الديكتاتورية والمتسامحة فترتبط بالدرجات الأدنى . إن الاهتمام بتقديم العمل المدرسي لدى المراهق يعزز نجاحه الأكاديمي فالمراهق الذي يحقق إنجازات عالية لديه والدان يعملان على مراقبة تقدمه ويتصلان بالمعلمين للتأكد من أن ابنهم يسهم في النشاطات المنهجية وأنه يتعلم جيداً ، وهذه الجهود في غاية الأهمية في كافة المراحل التعليمية.

3.3_ تأثير الرفاق : أثبتت بعض الدراسات أن الرفاق يمارسون تأثيراً يفوق تأثير الوالدين في مجال السلوكيات المدرسية اليومية للمراهق مثل الواجبات المدرسية والجهد المبذول في الصف ، وأنه ليس بالضرورة أن يكون تأثير الرفاق سلبياً باستمرار ، فالتحصيل الدراسي يعتمد على التوجيه الأكاديمي لجماعة الرفاق ، فالمراهق الذي يحصل أصدقاؤه على علامات عالية وبطمحون إلى مستوى أعلى في التعليم من الواضح أنهم يعززون الإنجاز لديه.

4.3 _ البيئة الصفية : من الضروري أن تمثل الغرف الصفية بيئة تعليمية إيجابية ، فالمراهقون بحاجة إلى بيئة تتسم بالدفع والتفهم وتشكيل علاقات قوية مع المعلمين ليكونوا متعلمين قادرين على تنظيم ذواتهم وتحقيق النجاح في دراستهم . (رغدة شريم، 2009).

_ اجراءات الدراسة الميدانية :

1_ المنهج المتبع في الدراسة :

يرتبط المنهج العملي المستخدم في البحث بطبيعة الموضوع وأهدافه والمنهج كيفما كان نوعه هو السبيل والكيفية المنظمة التي ترسم لها جملة المبادئ والقواعد المنطلق منها لدراسة مشكلة البحث ، والتي تساعد في الوصول إلى نتائج دقيقة وصحيحة (إخلاص محمد عبد الحافظ : ص 83)

وموضوع بحثنا الحالي يبحث عن العلاقة بين تقدير الذات والتحصيل الدراسي ، ومن خلال هذا فإن المنهج العلمي الأصلح لإتباعه لتقصي حثيات هذا الموضوع هو المنهج الوصفي الذي عرفه بشير صالح الرشدي بأنه مجموعة الاجراءات البحثية التي تتكامل لوصف الظاهرة أو الموضوع اعتماداً على جمع الحقائق والبيانات وتصنيفها ومعالجتها وتحليلها تحليلًا كافيًا ودقيقاً لاستخلاص دلالتها للوصول إلى نتائج أو تعميمات عن الظاهرة أو الموضوع محل البحث (بشير صالح الرشدي : ص 59)

2_ ادوات جمع البيانات :

1.2_ مقياس تقدير الذات لبروس آرهير Bruss.R. Hair

أعد مقياس تقدير الذات الذي تم استخدامه في الدراسة بروس آرهير Bruss.R.Hair عام (1985) وتكون المقياس من ثلاثين عبارة لقياس ثلاثة أبعاد ، افترض بروس آرهير أنها تمثل مجالات تقدير الذات ويمكن اعتباره كمقياس عام لتقدير الذات لدى الطلاب الذين تتراوح أعمارهم ما بين (6_12) سنة فما فوق وهي : تقدير الذات العائلي ، تقدير الذات المدرسي ، تقدير الذات الرفاعي (جماعة الاصدقاء) ، بحيث أصبح العدد الكلي لبنود المقياس في صورته العربية ثلاثين بنداً

2.2_ الخصائص السيكومترية للأداة :

1.2.2_ صدق مقياس تقدير الذات

الصدق التلازمي: لحساب صدق المقياس بصورته الأصلية قام معد المقياس بإيجاد معامل الارتباط بين المقياس ، ومقياس كوبر سميث لتقدير الذات ، وكذا مقياس روزنبرج والتي وصلت قيمتها 0,83 مما يدل على وجود اتفاق وانسجام من جهة الصدق بين المقاييس الثلاثة .

2.2.2 _ ثبات مقياس تقدير الذات : استخدم معد المقياس لقياس الثبات طريقة إعادة الاختبار بحيث أنه قام بإعادة الاختبار بفصل زمني مقداره ثلاثة شهور بين التطبيقين ووصل معامل ثبات الدرجة الكلية للمقياس 0,74 وهي قيمة تدل على ثبات الاختبار

3 _ عينة الدراسة : تم تطبيق هذه الدراسة على عينة مكونة من 100 تلميذ يتمدرسون بمستوى سنة رابعة متوسط والذين تم اختيارهم بطريقة عشوائية من متوسطتي عبد القادر قريشي وأبي يعقوب الوجلاني الكائنيتين ببلدية الرويسات ولاية ورقلة , والجدول الموالي يوضح اهم خصائص هذه العينة

جدول رقم (01) يوضح خصائص عينة الدراسة

المجموع	متوسطة ابي يعقوب الوجلاني	متوسطة عبد القادر قريشي	
49	26	23	ذكور
51	24	27	اناث
100	50	50	المجموع

4_ أساليب المعالجة الاحصائية :

من أجل معالجة البيانات المتحصل عليها وتصنيفها تصنيفا احصائيا لتفسيرها والاستفادة منها , استخدمنا مجموعة من الاساليب الاحصائية وذلك بالاعتماد على استخدام البرنامج الحسابي للحزمة الاحصائية للعلوم الاجتماعية (spss) , وهذا للوصول الى التحقق من فرضيات الدراسة وتحقيق اهداف البحث وبالنسبة للتقنيات المستخدمة في ذلك استخدمنا المتوسط الحسابي ومعامل الارتباط بيرسون الذين سيأتي توضيحهما كما يلي :

1.4_ المتوسط الحسابي :

ويعرف بأنه مجموع القيم مقسوما على عدد القيم والمعادلة التالية توضح ذلك :

$$س = \frac{\text{مجموع}}{ن}$$

ن

حيث أن :

س = المتوسط الحسابي .

ن = عدد افراد العينة .

مجموع = مجموع القيم (فريد كامل ابو زينة : ص 146)

وقد استخدم المتوسط الحسابي في هذه الدراسة لحساب المتوسط الحسابي لدرجات التلاميذ عينة الدراسة على مقياس تقدير الذات لبروس آر هير وكذا المتوسط الحسابي لمعدلات التلاميذ الفصلية التي تم اخذها من سجلات التلاميذ المدرسية

2.4_ معامل الارتباط بيرسون :

والذي يبين العلاقة بين متغيرين كميين , ويبين كذلك اتجاه العلاقة سالبة أم موجبة , واستخدم معامل الارتباط بيرسون في الدراسة الحالية للتعرف على ما اذا كانت هناك علاقة ام عدمها بين تقدير الذات والتحصيل الدراسي لدى التلاميذ عينة الدراسة ويتم حساب معامل الارتباط بيرسون وفق المعادلة التالية :

$$r = \frac{N(م.ص) - (م.ص)(م.ص)}{\sqrt{[N(م.ص)^2 - 2(م.ص)(م.ص)] [N(م.ص)^2 - 2(م.ص)(م.ص)]}}$$

حيث :

ن = عدد الافراد

م.ص = مجموع درجات المتغير الاول

م.ص = مجموع درجات المتغير الثاني (فريد كامل ابو زينة : ص 146)

5 _ نتائج الدراسة :

1.5_ عرض ومناقشة نتائج الفرضية الجزئية الاولى :

تنص الفرضية على أنه توجد علاقة ارتباطية بين تقدير الذات الرفاقي والتحصيل الاكاديمي لدي تلاميذ السنة الرابعة متوسط .

جدول رقم (02) يوضح نتائج الفرضية الجزئية الاولى

م.ص الدرجات	د ح	ر	مستوى الدلالة	طبيعة العلاقة
1237.9	99	0.849	دالة عند	علاقة قوية موجبة
3206			0.01	

من خلال ما هو مبين في الجدول السابق نرى أن قيمة ر تساوي 0.849 وهي قيمة دالة عند مستوى الدلالة 0.01 والتي تدل على وجود علاقة قوية موجبة وبالتالي نقبل فرضية البحث والتي تنص على وجود علاقة ارتباطية بين تقدير الذات الرفاقي و التحصيل الاكاديمي , وهذا أمر طبيعي من حيث أن الانسان في مرحلة المراهقة وعلى حد قول اريسكون في نظرية النمو النفسي الاجتماعي أن المراهق يسعى الى تأكيد واثبات ذاته وبخاصة في المواقف الاجتماعية المهمة , ومن دون شك فإن التفاعل مع جماعة الرفاق من المواقف المهمة بالنسبة للمراهق , وصورة الفرد التي يعتقد أن الآخرين يرونه بها لها تأثير كبير على تقدير الذات , والمراهق الذي يتحصل على درجات تحصيلية جيدة هذا يجعله يحس بأنه أدى المطلوب منه بالنسبة لذاته وللآخرين والعكس أيضا فكلما كانت نظرة الفرد وتقييمه لذاته ايجابيا كلما زادت دافعيته وإنتاجيته وعطاءه , ومن خلال هذه النتيجة المتوصل اليها نستطيع القول أنه كلما ارتفعت درجة التحصيل ارتفعت درجة تقدير الذات والعكس أيضا

2.5 _ عرض ومناقشة نتائج الفرضية الجزئية الثانية :

تنص الفرضية على أنه توجد علاقة ارتباطية بين تقدير الذات المدرسي والتحصيل الأكاديمي لدى تلاميذ السنة الرابعة متوسط.

جدول رقم (03) يوضح نتائج الفرضية الجزئية الثانية

مج الدرجات	د ح	ر	مستوى الدلالة	طبيعة العلاقة
1237.9	99	0.790	دالة عند	علاقة قوية موجبة
3220			0.01	

من خلال استعراض الجدول السابق نرى أن قيمة ر تساوي 0.790 وهي قيمة دالة عند مستوى الدلالة 0.01 وهذا اثبات لفرضية البحث والتي تنص على وجود علاقة بين تقدير الذات المدرسي والتحصيل الدراسي ، ويفسر هذا على أن العلاقة الجيدة للتلميذ مع مدرسيه وإحساسه بالجو الدراسي الملائم يساعد التلميذ على الحصول على نتائج جيدة كما أن رؤية التلميذ وإدراكه لطبيعة المعاملة في المناخ الدراسي له تأثير كبير على التحصيل الدراسي ، ولعل هذا من الأمور الملموسة بحيث أنه كلما تحسنت علاقات التلميذ المدرسية سواء مع مدرسيه أو الإدارة كلما شجعه ذلك على التحصيل الجيد ، كما أن وجود العلاقة الجيدة والمحبة والمودة بين المدرس وتلميذه يجعل هذا الأخير يحب مادته ونتيجة ذلك هو التحصيل الجيد ، وهذا ما لمسناه عند التلاميذ أثناء زيارتنا للمؤسسات التعليمية ، فالمدرس المحبوب والتي يتصف بالمعاملة الجيدة مع تلاميذه نجد أن المادة التي يدرسها تكون فيها درجات التلاميذ جيدة ، حتى جو التفاعل الصفّي داخل حجرة الدراسة وإقبال التلاميذ على الحصة التدريسية يتأثر بطبيعة شخصية المدرس وطبيعة معاملته لهم

3.5 _ عرض ومناقشة نتائج الفرضية الجزئية الثالثة :

تنص الفرضية على أنه توجد علاقة ارتباطية بين تقدير الذات العائلي والتحصيل الأكاديمي لدى تلاميذ السنة الرابعة متوسط .

جدول رقم (04) يوضح نتائج الفرضية الجزئية الثالثة

مج الدرجات	د ح	ر	مستوى الدلالة	طبيعة العلاقة
1237.9	99	0.731	دالة عند	علاقة قوية موجبة
3198			0.01	

نلاحظ من خلال الجدول السابق أن قيمة ر بلغت 0.731 وهي دالة عند مستوى الدلالة 0.01 وهذه القيمة تعبر عن وجود علاقة قوية موجبة بين التحصيل الدراسي وتقدير الذات العائلي ، بمعنى تحقق هذه الفرضية ، فالصورة التي يعتقد المراهق أن عائلته تراه بها وكذلك علاقته بأسرته والجو العائلي له تأثير واضح ، وتربطه علاقة وطيدة بالتحصيل الدراسي فالأسرة تعتبر النواة الأولى للتنشئة والتطبيع الاجتماعي ، وهي التي تهيب الجو النفسي للابن من أجل إظهار قدراته وإمكاناته واستغلالهما أحسن استغلال ، والتربية الحديثة تنادي بضرورة الارتباط بين المدرسة والأسرة في تطوير العملية التعليمية وبطبيعة الحال فإن الأسرة إذا تحملت مسؤوليتها تجاه الابن في مساره الدراسي فذلك يسهم بشكل جيد في التأثير على التحصيل الدراسي للتلميذ .

4.5 _ عرض ومناقشة نتائج الفرضية العامة :

تنص الفرضية على أنه توجد علاقة ارتباطية بين تقدير الذات والتحصيل الأكاديمي لدى تلاميذ السنة الرابعة متوسط .

جدول رقم (05) يوضح نتائج الفرضية العامة

مج الدرجات	د ح	ر	مستوى الدلالة	طبيعة العلاقة
التحصيل الدراسي	1237.9	0.993	دالة عند	علاقة قوية موجبة
تقدير الذات الكلي	9634		0.01	

يتبين من خلال الجدول ان قيمة ر تساوي 0.993 وهي دالة عند مستوى الدلالة 0.01 بمعنى أن هناك قوة موجبة بين تقدير الذات والتحصيل الدراسي و تقدير الذات وهو مفاد فرضية البحث , وقد توصلت العديد من الدراسات الى هذه النتيجة وهذا أمر طبيعي بحيث أن نجاح وإنتاج العمل الانساني متوقف كله على الخصائص النفسية في شخصية الانسان وخاصة تقدير الذات , هذا الأخير الذي يؤثر على الانسان في شتى مهامه , ولم نبالغ اذا قلنا بان نجاح وصالح الفرد في حياته يتأثر بشكل كبير جداً على تقديره لذاته , ويشير كوبر سميث الى ذلك بحيث يذهب الى أن " الاشخاص ذوي تقدير الذات المرتفع يعتبرون انفسهم أشخاصاً هامين يستحقون الاحترام و الاعتبار فضلاً عن أن لديهم فكرة محددة لما يظنون أنه صواباً , كما أنهم يملكون تصوراً طيباً لنوع الشخص الذي يكونه , و يستمتعون بالتحدي و لا يضطربون عند الشدائد. (ابراهيم ابو زيد : ص 81) .

وبوجه اخر فإن حصول التلميذ على درجات تحصيلية جيدة أو مرضية على الأقل هذا يجعل التلميذ يقيم نفسه تقييماً إيجابياً وهذا ما يسمح له بالمتابعة والاجتهاد من جديد لتطوير نفسه الى الاحسن

المراجع :

- 1_ ابراهيم احمد أبو زيد : سيكولوجية الذات و التوافق , 1987 دار المعرفة الجامعية
- 2_ اخلاص محمد عبد الحافظ : طرق البحث العلمي والتحليل الاحصائي في المجالات النفسية والتربوية والرياضية . ط1. 2000 . مركز الكتاب للنشر والتوزيع . القاهرة .
- 3_ الحميدي محمد ضيدان الضيدان , تقدير الذات وعلاقته بالسلوك العدواني لدى طلبة المرحلة المتوسطة , أكاديمية نايف العربية للعلوم , 2004 .
- 4_ انتصار الصبان : الاكتئاب وعلاقته ببعض المتغيرات الشخصية وأثره على التحصيل الدراسي لطالبات المرحلة الثانوية رسالة دكتوراه , كلية التربية للبنات , جدة 1993 .
- 5_ بشير صالح الرشيد : مناهج البحث التربوي , ط1. 2000 . دار الكتاب الحديث للنشر . القاهرة
- 6_ حمدان محمد زياد : تقييم التحصيل واختبارات واجراءاته وتوجيهه للتربية المدرسية . ط1 . 2001 . دار التربية الحديثة للنشر والتوزيع . دمشق
- 7_ رعدة شريم : سيكولوجية المراهقة 2009 طبعة1. دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان
- 8_ سامية لطفي الأنصاري : تقدير الذات وعلاقته باتجاهات التنشئة الاجتماعية لدى الأطفال المحرومين من الرعاية الأسرية مجلة التربية المعاصرة ، العدد 12 ، مارس 1989 . دار المطبوعات الجديدة . الاسكندرية
- 9_ سامي تيسير سليمان ، تقدير الذات www.samisalman.com

- 10_ شيماء عبد مطر التميمي : قياس الذات بمنظوماتها الثلاث الغريزية الواقعية المثالية لدى طلبة كلية التربية الرياضية،مجلة جامعة الانبار للعلوم البدنية والرياضية العراق العدد : 6 . 2012
- 11_ عبد الرحمان العيسوي : علم النفس التربوي . ط1. 2004، دار النهضة العربية ، لبنان
- 12_ عبد الرحمان سيد سليمان : بناء مقياس تقدير الذات لدى عينة من اطفال المرحلة الابتدائية . مجلة علم النفس العدد 24 السنة السادسة . الهيئة العامة المصرية للكتاب .
- 13_ علاء الدين كفاقي : تقدير الذات في علاقته بالتنشئة الوالدية والأمن النفسي . دراسة في عملية تقدير الذات . مجلة العلوم الاجتماعية ، المجلد التاسع ، العدد 35 . 1989 مجلس النشر العلمي . جامعة الكويت
- 14_ عياد حسين محمد علي : التحصيل الدراسي والتعلم و علاقة الأسرة والمدرسة بهما ، مركز تطوير الملاكات هيئة التعليم التقني (<http://fcds.com/mag/issue-4-13.html>)
- 15_ فادية كامل حمام ، فاطمة خلف الهويش : الاغتراب النفسي وتقدير الذات لدي خريجات الجامعة العاملات والعاطلات عن العمل . مجلة جامعة ام القرى للعلوم التربوية والنفسية . المجلد الثاني العدد 2 . 2010.
- 16_ فرج عبد القادر طه : معجم علم النفس والتحليل النفسي . 1997 . دار النهضة العربية للنشر والتوزيع . بيروت
- 17_ فريد كامل أبو زينة : مناهج البحث العلمي والإحصاء ، ط1. 2006 . دار الميسرة للنشر والتوزيع . عمان .
- 18_ مريم سليم : كيف ننمي تقدير الذات والثقة بالنفس والنجاح عند أبنائنا، 2003 دار النهضة العربية ، بيروت .لبنان
- 19_ محمد جاسم محمد : علم النفس التربوي وتطبيقاته . ط1. 2004 . مكتبة دار الثقافة ، عمان
- 20_ منى الحموي : التحصيل الدراسي وعلاقته بمفهوم الذات (دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ الصف الخامس -الحلقة الثانية - من التعليم الأساسي في مدارس محافظة دمشق الرسمية) مجلة جامعة دمشق - المجلد 26 - ملحق -2010
- 21_ هادي شعلان ربيع وإسماعيل محمد غول : المرشد التربوي ودور الفاعل في حل مشاكل الطلبة 2006 دار عالم الثقافة الأردن .
- 22_ وحيد مصطفى كامل : علاقة تقدير الذات بالقلق الاجتماعي لدى الأطفال ضعاف السمع كلية التربية النوعية ببها جامعة الزقازيق 2003

23-Corsini, R. L. (1984). Self-Esteem. **The Encyclopedia of Psychology**, Volume 123 _

24_ Weiten, W., & Lloyd, M. (1997). **Psychology applied to modern life** (5th ed.). Pacific Grove, Ca : Brooks/Cole.

الاغتراب، مفهوم ودلالات

أ. مريامة بريشي

جامعة قاصدي مرباح - ورقلة (الجزائر)

أ.د. نادية مصطفى الزقاي يوب.

جامعة السانية وهران (الجزائر)

ملخص:

يمنح هذا المقال فرصة التقرب من مفهوم الاغتراب، وتفحصه، وتبيان مختلف المعاني والدلالات المرافقة له، بالشكل الذي قد يقرب للقارئ المهتم مسار هذا المفهوم منذ ظهوره إلى أن صار شائعا في الأعمال العلمية المختلفة. من ثم، فالرجاء هو أن يعين التناول المدون في هذا المقال على إبعاد أية هلامية من شأنها أن تلصق الالتباس بسياق استخدام مفهوم الاغتراب، مع التعامل مع زخمه الدلالي بإيجابية مبالغة للإيحاء بالثراء لا بعجزه - كمفهوم - عن تأدية دوره، ولا بعجزنا نحن عن التحكم في استخدامه، بالدرجة التي قد تجسد "اغترابنا" في استخدام مفهوم "الاغتراب"!

إن، ضرورة خلق التناغم والاتساق بين استخدام هذا المفهوم كما هو كائن، وبين استخدامه كما ينبغي أن يكون، هو المأمول الذي نطرحه في هذا المقال.

Resumé:

Cet article essaye d'aborder et de scruter les différents abords théoriques de la notion d'aliénation à partir de son apparition jusqu'à son évolution actuelle. En effet, il vise à montrer les connotations associées à ce terme. Nous nous sommes forcés de rapprocher le lecteur intéressé, du cheminement de ce concept depuis son apparition jusqu'à son utilisation courante dans divers ouvrages scientifiques.

Il s'agit d'une esquisse théorique visant à dissiper toute ambiguïté, qui est souvent à l'origine de beaucoup de confusion concernant le concept d'aliénation, et de le traiter positivement avec sa qualité polysémique, qui est une richesse en soi. Cette compréhension théorique, est une condition incontournable pour exploiter scientifiquement ce terme, à défaut de quoi on peut devenir "aliénés" dans l'utilisation du concept "Aliénation"!

يعد تحديد المفاهيم في البحوث العلمية اللبنة الأساسية التي يبنى عليها أي علم؛ حتى لا يساء فهمها أو تفهم بدلالات غير دلالاتها. فإن كان تحديد المفاهيم في العلوم الطبيعية شيء هين نظرا لثباتها ووضوحها، فإنه صعب المنال في العلوم الإنسانية والاجتماعية عامة، وفي علم النفس خاصة، لكون المفاهيم المستعملة فيها لا يمكن إدراكها حسيًا، فهي تجريدات لافتراضات من وضع الإنسان؛ حيث تعرف المفاهيم على أنها "تصنيفات فكرية للأشياء حسب خصائصها المجردة، فهي من أدوات الفكر الأساسية" (شروخ، 2003، ص9).

إن الكثير من المفاهيم المستخدمة في علم النفس تحتمل معانٍ عديدة، مما يدعو الباحث إلى تحديد مفاهيم بحثه تحديدًا دقيقًا وإجراءها في المراحل الأولى للبحث، الأمر الذي قد يحجب عنه وعن غيره الوقوع في أي التباس، من شأنه أن يحول دون تقبل القراء -من المختصين وغير المختصين- للأفكار والنتائج التي ترد في بحثه.

لا يشذ مفهوم "الاغتراب" عن سياق هذا الحديث، إذ يعدّ من أصعب هذه المفاهيم. إنه "مفهوم يكتنفه الكثير من الإشكال والالتباس، وذلك لتعدد مجالات استخدامه" (غراف وملي، 2009، ص 20). نجده في الفلسفة (Nazrul, n.d.)، وفي الدين (Meissner, 1974)، وعلم الاجتماع (شنا، 2004)، والطب النفسي (Pouillaude, 2013)، والأدب (Taş, 2014)، والاقتصاد والقانون؛ ما جعل بعض الباحثين يصفونه بـ "متعدد المعاني" "polysemique" (Wikipedia, 2014)، كما يصفه "بول ريكور" "Paul Ricoeur" بأنه يعاني من "زخم معنوي أو تعدد معاني" "Une surcharge semantique" (Carnevali, 2008, p 81)، أو كما ترجمها "الطيب بوعزة" بـ "الاتقال السيمانطيقي"، بمعنى أنه منقل بالمعاني والدلالات. (بوعزة، 2014).

في نفس السياق، "لابدّ من الإشارة ... إلى أن مصطلح "Alienation" لم تستقر ترجمته في اللغة العربية إلى الآن، فأحيانًا يترجم المصطلح إلى "اغتراب" أو "عزلة" (الشربيني، دس، ص 7)، أو إلى "الغربة" أو "التغريب" أو "التغرب" (الصائغ، 2006، ص 216)، أو "الاستلاب" (الحو، 1994، ص 5؛ بوعزة، 2014) أو "ارتهان وانسلاّب" (خليفة، 2003، ص 27) أو "الألينة" أو "الافتراق عن الجوهر" أو "الانسلاخ" (الصائغ، 2006، ص 216)، وهذه الترجمات قد تربك القارئ... وتسيء استخدام المصطلح... (الصائغ، 2006، ص 216).

يمكن إرجاع عدم الاستقرار في ترجمة المصطلح إلى تعدد تسمياته حتى في الثقافة الغربية، الذي يعود بدوره إلى تعدد جذور المفهوم اللغوية والفلسفية، وكذا تعدد "التركيبات البُعدية" التي توصل إليها علم النفس وعلم النفس الاجتماعي.

وعليه، فالحاجة ماسة للتعرف على الجذور اللغوية والفلسفية لمفهوم "الاغتراب"، والتطرق إلى معانيه في العلوم الاجتماعية، خاصة علم الاجتماع وعلم النفس.

الجذور اللغوية لمفهوم الاغتراب:

"إن المقابل للكلمة العربية "اغتراب" هو الكلمة الانجليزية Alienation، والكلمة الفرنسية Aliénation، وفي الألمانية Entfremdung، وقد اشتقت كل من الكلمة الانجليزية والفرنسية من الكلمة اللاتينية Alienatio (خليفة، 2003، ص 28)، وهي اسم مستمد من الفعل اللاتيني Alienare، الذي يعني نقل ملكية شيء ما إلى آخر، أو يعني الانتزاع أو الإزالة" (Sarfraz, 1997, p 45). خليفة، 2003، ص 28). هذا الفعل مستمد بدوره من كلمة أخرى هي Alienus أي الانتماء إلى شخص آخر، أو التعلق به، وهذه الكلمة الأخيرة مستمدة في النهاية من اللفظ Alius الذي

يدلّ على الآخر سواء كاسم أو كصفة" (شاخت ريشارد عن عباس، 2008، ص19، ومحمود رجب عن خليفة، 2006، ص9). ويغلب على مصطلح الاغتراب المعاني السلبية خصوصا في سياق استعماله الانجليزية المشتقة من جذر الكلمة Alien (الحمداي، 2011، ص65).

أشار كل من "مخلوف وبنات" (مخلوف وبنات، 2005، ص47) إلى أن الكلمة اللاتينية ومشتقاتها، استخدمت في اللغتين الفرنسية والانجليزية للدلالة على معان عدة مختلفة، هي:

- المعنى القانوني: يشير إلى تحويل ملكية شيء ما إلى شخص آخر.
- المعنى الاجتماعي: التعبير عن الإحساس الذاتي بالغربة أو الانسلاخ سواء عن الذات أو عن الآخرين.
- المعنى السيكولوجي: وهو حالة فقدان الوعي، وعجز أو فقدان القوى العقلية أو الحواس.

لهذه المعاني المختلفة للاغتراب خلفيات فلسفية مختلفة؛ ساهمت كل واحدة منها في بلورة وتطوير معنى الاغتراب، لهذا الغرض، سيتم فيما يلي عرض الجذور الفلسفية لدلالات مفهوم الاغتراب.

الأصول الفلسفية لدلالات مفهوم الاغتراب:

تم استخدام مصطلح "الاغتراب" من طرف عدة مفكرين؛ الفلاسفة، علماء الاجتماع، علماء النفس، المختصين في القانون، وفي كل مرة يصطبغ بتخصص كل واحد منهم. لقد تعرض "محمود رجب" لتاريخ مصطلح الاغتراب والمسار الذي سلكه هذا المصطلح حتى وصل إلى ما هو عليه الآن من شيوع وانتشار في حياتنا الثقافية المعاصرة. وقسم مسيرة المصطلح إلى ثلاث مراحل (خليفة، 2003، ص21-22، وشتا، 2004، ص14): المرحلة الأولى، مرحلة ما قبل "هيجل" Hegel، المرحلة الثانية، المرحلة الهيجلية، والمرحلة الثالثة، مرحلة ما بعد "هيجل".

سنحاول فيما يلي التطرق إلى المراحل الثلاث بشيء من التفصيل من مميزات كل مرحلة من حيث المعاني والدلالات التي نسبت لمفهوم الاغتراب من طرف فلاسفة كل مرحلة:

المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل "هيجل" Hegel:

حيث يحمل مفهوم الاغتراب معان مختلفة تكمن في سياقات ثلاثة هي: السياق القانوني (بمعنى انتقال الملكية عن صاحبها وتحولها إلى آخر)، والسياق الديني (بمعنى انفصال الإنسان عن الله)، والسياق النفسي الاجتماعي (بمعنى انتقال الإنسان عن ذاته ومخالفته لما هو سائد في المجتمع) (خليفة، 2003، ص21).

تعتبر دلالات الاغتراب في ظل السياق القانوني أول تصور نظري عن الاغتراب في التاريخ الحديث؛ حيث يوضح "فيصل عباس" أن "تاريخ فكرة الاغتراب... إنما يمثل حلقات متتابعة يصعب الفصل بينهما. ويمكن العودة بظاهرة الاغتراب إلى جذورها التاريخية في العصر الحديث في أفكار فلاسفة "الحق الطبيعي" (عباس، 2008، ص23).

تتميز فلسفة الحق الطبيعي بربط مفهوم الاغتراب بالتعبير اللغوية (التخلي، التنازل، الانفصال عن الحق الفردي أو نقل الحق. فيري "جروتوس" Grotius في نظريته أن الاغتراب "تخلّ طوعي يقوم به الأفراد في المجتمع من جهة، وهو ضرورة خارجية بالنسبة إليهم، وهم متساوون في الخضوع لهذه الضرورة؛ لذا فإنها بمثابة كسب عام ذي صفة اجتماعية (عباس، 2008، ص27)، أما "لوك" Locke فيتحدث عن التسليم والترك... التضحية الاختيارية

بحق السلوك والحرية الكاملة في القيام به من أجل وجود المجتمع السياسي، وهو يعتبر هذه التضحية أمراً مرغوباً فيه إلى درجة كبيرة بسبب الأهمية الكبرى التي يعلقها على وجود المجتمع السياسي" (عباس، 2008، ص28).

أما "روسو" Rousseau فيستعمل الاغتراب بمعناه القانوني التقليدي والذي يشير إلى التصرف، الهبة أو بيع شيء نملكه (Carnevali, 2008, p 82)، وبمعنى "التنازل أو التخلي إذ يتنازل الأفراد عن بعض أو كل حقوقهم وحرّياتهم للمجتمع وذلك بحثاً عن الأمن الاجتماعي في إطار المجتمع" (بنات، 2005، ص94)، "فأكد أن الفرد ينتفع كثيراً من جراء هذا الخضوع وأن ما يحصل عليه الفرد أكثر مما يفقده. ومن ثمّ، فهو يرى في الاغتراب صورة إيجابية" (شتا، 2004، ص20)، وهو ما سماه الاغتراب الطوعي والذي ينطوي على استعادة الحرية الطبيعية في شكل جديد هو الحرية المدنية... ذلك أن الخضوع للقانون المرسوم هو حرية (عباس، 2008، ص32).

لم يكتف "روسو" بالاتجاه الإيجابي في معنى الاغتراب، ولكنه تحدث عن الاغتراب القسري الذي يحمل معنا سلبياً يدل على الاستبداد والعبودية، فيقول "محمود رجب" أن روسو يرى "أن الحضارة سلبت الإنسان ذاته وجعلته عبداً للمؤسسات الاجتماعية، التي هو أنشأها وكونها، وأصبح تابعاً لها، من هنا يفقد الإنسان التناغم العضوي كما هو الحال في حالة الطبيعة، فتحدث المشاكل بين ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان، وبين ما هو عليه بالفعل، وبذلك يحدث الاغتراب" (عن بنات، 2005، ص95).

السياق الثاني الذي تميزت به مرحلة ما قبل "هيجل" هو السياق الديني، الذي يحمل دلالة الانفصال عن الله؛ فنجد أن المذهب البروتستانتي يرفض فكرة التوسط بين الله والإنسان، لقد بات الاتصال بين الذات البشرية والذات الإلهية ممكناً من دون التوسّطات كما بات ضرورياً القضاء على "الغربة بين الله والإنسان" (عباس، 2008، ص21)، ويصف البروتستانتيون هذه الغربة واعتبروه موت روحي، فيقول كالفن Calvin "الموت الروحي هو لاشيء غير اغتراب الروح عن الله" (Sarfraz, 1997, p45).

أما في الإسلام، فقد أوضح "محمود رجب" (خليفة، 2003، ص31) أنه لم ترد كلمة غربة في القرآن الكريم، وإن كانت الفكرة نفسها، أي انفصال الإنسان عن الله، قد عبرت عنها بوضوح قصة خلق آدم وهبوطه من الجنة إلى الأرض... ولكن حين أراد "ابن عرابي" (1165-1240) في الفتوحات المكية أن يسمي هذه الفكرة وأن يطلق كلمة تحدد فعل الخلق والهبوط هذا، لم يجد سوى كلمة "الغربة" وفعل "الاغتراب"... كما استخدم المفكر الهندي "حسن عسكري" هو الآخر الكلمة الألمانية *Entfremdung* التي تترجم حالياً بـ "الاغتراب"، لكي يقرب قصة الخلق في القرآن، وفكرة انفصال الإنسان عن الله في الإسلام إلى أذهان الغرب من المعاصرين.

المرحلة الثانية: المرحلة الهيجلية:

على الرغم من تأكيدات العديد من الكتابات على دور "هيجل" في بلورة الاستخدام المباشر لمصطلح الاغتراب. كما يصرح "خليفة": "إنه يعد أول من استخدم في فلسفته مصطلح الاغتراب استخداماً منهجياً مقصوداً ومتصلاً، حتى أطلق على هيجل "أبو الاغتراب"، حيث تحول الاغتراب على يديه إلى مصطلح فني (خليفة، 2003، ص21)، ويعتبره الغربيون (أي هيجل) عراب الاغتراب "Godfather of alienation" (Williamson & Cullingford, 1997, p 264)؛ إلا أن كتابات أخرى عديدة تؤكد بأن هيجل استعمل في كتاباته باللغة الألمانية - وخاصة في كتابه "ظاهرة العقل" "Phenomenology of Mind" - مصطلحين للتعبير عن فكرة الاغتراب وهما "Entfremdung" و "Entausserung" (Joós, 1995, 274. Sarfraz, 1997, p45). خليفة، 2003، ص28).

يرى "جوس" "Joós" (1995, p 274) أنه كانت هناك مغالطة في ترجمة "جان هيبوليت" "Jean Hypolite" لهذين المصطلحين من الألمانية؛ حيث ترجم "هيبوليت" "Entausserung" إلى "Alienation" بالفرنسية وهو المقابل لمصطلح الاغتراب في اللغة العربية، أما المصطلح الثاني وهو "Entfremdung" فترجمه إلى "Extranéation" بمعنى التخرج في اللغة العربية، وبنفس المعنى نجد "دون" "M. Dent" (2) (Carnevali, 2008, p 8) يستعمل المصطلح الفرنسي "Extranéation" لترجمة "Entfremdung".

يضيف "جوس" (1995) أن "الأب بووي" "Le Père Boey" يعيد صياغة ترجمة المصطلحين ويقول أن "Entausserung" هو "Extranéation" بمعنى التخرج، و "Entfremdung" هو "Alienation" بمعنى الاغتراب. ولفهم جيد لهذه المصطلحات نعرض استخدام هيجل لهذين المصطلحين في نظريته الفينومولوجيا. يذكر "عباس" (عباس، 2008، 2008، ص 48) أن الروح عند هيجل هو الخالق للعالم. والعالم هو منتوجها المستلب أو المتخارج عنها. إن سائر ظواهر الطبيعة والمجتمع وتاريخهما، إنما هي استلابات للروح، أوتخارجات عنها. ثم يضيف أن "الإنسلاّب، التشيؤ في موضوع، التحول إلى آخر، التخرج، فقدان الوحدة، فقدان الطابع الكلي... كل هذه المفاهيم تعبر عن العلاقة المفضية إلى الاغتراب، أو حالة الاغتراب" (نفس المرجع، ص 49). ومن ثم، ف"هيجل" استعمل مصطلحين قد يعبر أحدهما عن الآخر، إذ خروج الفكرة من الروح يفقدها كمالها، وبالتالي تصبح غريبة عن الفكرة المطلقة الأساسية التي انطلقت منها، فيتولد الاغتراب "أي فقدان الوحدة كما الخروج في حد ذاته هو الانفصال أو الاستلاب وبالتالي يمكن اعتبار التخرج هو نفسه الاغتراب. ويستمر تحليل هيجل "فيرى أن الفكرة المطلقة تعود إلى الوحدة بالطبيعة فترفع الاغتراب، أي تنفيه، وهذا النفي غني، لأنه يحقق وحدة أعلى، إنه إلغاء وصيانة في الوقت نفسه. هذه الوحدة بين الفكرة والطبيعة تتجسد في الإنسان (الروح الذاتي)" (نفس المرجع، ص 49)، بهذه السلسلة من التخارجات والاعترايات يتكون لدى الفرد الوعي الذاتي، وهذا يوحي بأن الاغتراب ذو معنى إيجابي.

إضافة إلى المعنى الإيجابي الذي بدا في تحليلات "هيجل" لمفهوم الاغتراب، تذكر دائرة المعارف البريطانية أن هيجل يرى الاغتراب "واقع وجودي متجذر في وجود الإنسان في هذا العالم، فثمة انفصام موروث بين الفرد بوصفه ذاتا مبدعة خلاقة، تريد أن تكون وأن تحقق نفسها وبين الفرد موضوعا واقعا تحت تأثير الآخرين واستغلالهم" (بنات، 2005، ص 95). إنه التناول السلبي لمفهوم الاغتراب عند هيجل.

هذه فكرة مبسطة عن الاغتراب لدى "هيجل" والذي كما رأينا لا يخلو من الملابسات في دلالات الاغتراب وهذا طبعا باختلاف فهم قارئ فلسفة "هيجل". والذي يقول عنه ماركس بأنه "العبقرية الكبرى التي قلبت الأشياء رأسا على عقب؛ وأنه كان صاحب أكبر منهج ثوري عرفه الفكر البشري الحديث" (عباس، 2008، ص 43). تميزت المرحلتان السابقتان بحمل الاغتراب لدلالات إيجابية وسلبية، فيحمل المعنى الإيجابي كون الاغتراب تجربة لا بد منها للانتقال من حالة إلى حالة أخرى؛ من مجتمع طبيعي إلى مجتمع مدني حسب أصحاب الحق الطبيعي وإنتاج الثقافة والواقع من خلال الاغتراب عن العالم الروحي حسب "هيجل"، والمعنى السلبي الذي يعكس معنى "حدوث شرخ" في الذات وكذا الوقوع تحت تأثير واستغلال الآخرين... لكن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أخذ الاغتراب منحى أحاديا "في ظل تفاقم النمو الرأسمالي، وطغيان مصالح الرأسمالية الاحتكارية" (بنات، 2005، ص 95). هكذا كانت العودة إذن بهذا المفهوم إلى الأحادية في الدلالة.

المرحلة الثالثة: مرحلة ما بعد هيجل:

بدأت تظهر النظرة الأحادية إلى مصطلح الاغتراب، أي التركيز على معنى واحد - هو المعنى السلبي - تركيزاً طغى على المعنى الإيجابي، حتى كاد يطمسه، حيث اقترن المصطلح في أغلب الأحوال بكل ما يهدد وجود الإنسان وحرية. وأصبح الاغتراب وكأنه مرض أصيب به الإنسان الحديث.

في ذات السياق، توضح كارنيفالي "Carnevali" أن الفلسفة الألمانية في القرن التاسع عشر والوجودية في القرن العشرين أسندا دة معان ودلالات للاغتراب حيث ألحقت به مختلف أشكال عدم الرضا الفردي والجماعي، والشعور بفقدان شيء ما أو الحرمان، وعدم القدرة على السيطرة على العالم الخارجي والإحساس أنه عالمة الخاص، وإدراك غموض البناءات الاجتماعية والمؤسسية، الشعور بالبعد عن الذات، شعور عام بالمعاناة وعدم الرضا... (Carnevali, 2008, p 81).

من أبرز المفكرين والفلاسفة الذين جاؤوا بعد "هيجل" واهتموا بتناول الاغتراب: "ماركس" Marx، والوجوديون...، منهم "سارتر" Sartre (خليفة، 2003، ص 22).

استعمل "سارتر" Sartre مصطلح الاغتراب بدلالة مختلفة؛ حيث يوضح "فبصل عباس"، "أن سارتر في الوجود والعدم" يستخدم مصطلح الاغتراب فيما يتعلق بظاهرة معيشة المرء لذاته على نحو ما تنظر إليه ذات الآخر، أي كموضوع. إن المرء يسلب نقاء ذاتيته من خلال الوعي بوجوده كموضوع بالنسبة لآخر له كذلك "سمة الذات"، وأن بعد الموضوعية الخاص بالمرء الذي يصبح واعياً به على هذا النحو هو موضوع غريب بالنسبة له باعتباره ذاتاً (عباس، 2008، ص 273)؛ أي أن الإنسان يصبح غريباً عن ذاته بفعل الصورة التي يعكسها الآخر عنه والتي لا تكون متطابقة مع صورة ذاته التي يحملها.

عالج "سارتر" اغتراب الذات من خلال معيشة الفرد لذات أخرى غريبة عنه هي تلك الذات التي تفرضها نظرة الآخر، لذلك فإن الاغتراب عن الذات يتضمن وعياً مؤلماً بغيب الذاتية الحققة للفرد... إن الاغتراب الذي يتحدث عنه "سارتر" يطرح باعتباره يواجهنا لا بتناقض يتعين التغلب عليه، وإنما بحقيقة حول أنفسنا يتعين علينا إقرارها (عباس، 2008، ص 273). وبهذا يكون "سارتر" أوضح بعداً مهماً من أبعاد الاغتراب كما تتناوله الدراسات الحديثة ألا وهو "اغتراب الذات" أو "الغربة عن الذات". كما لا يمكن تجاوز حقيقة أن "سارتر" ليس الوحيد الذي تكلم عن "اغتراب الذات" فقد اهتم به كذلك كل من ماركس وميلز "Mills" وفروم "Fromm"، الذين كانوا يرون أن الغربة مرادفة للاغتراب؛ مع العلم أن "ماركس وفروم" استعملا مصطلح "الغربة عن الذات".

الاغتراب في ظل علم الاجتماع:

مع بواكر ظهور علم الاجتماع كعلم مستقل، بدأ مفهوم الاغتراب يعرف تحولات عملاقة بإسهامات مؤسسي علم الاجتماع "دوركايم" Durkheim و "ماركس" Marx و "فيبر" Weber و "مانهايم" Mannheim... فأدخلوا على المفهوم دلالات جديدة كلياً متعلقة بتحليلاتهم للتنظيمات الاجتماعية والمجتمع.

لقد وجد الاغتراب طريقه إلى العلوم الاجتماعية عن طريق "ماركس" الذي يرى في مخطوطاته أن "الاغتراب هو عملية اجتماعية وفي نفس الوقت حالة نفسية تنتج من خلال المشاعر الكامنة للعزلة والعجز" (Williamson & Cullingford, 1997, p 266)، ويرى "شاخ" أن فكرة الاغتراب في أعمال "ماركس" مُعبر عنها من خلال عبارة "الانفصال من خلال التخلي"؛ فالعامل مغترب لأنه مفصول عن منتوجه ولكن وفي نفس الوقت هو مجبر على التخلي

عن منتوجه للآخرين وهذا هو بالأساس نقص التحكم في المحيط الذي يفسر نظرية "ماركس" في الاغتراب (Nazrul, n.d.) بهذا يكون "ماركس" تطرق إلى شكل من أشكال الاغتراب المتناول في الدراسات الحديثة ألا وهو العجز من خلال الحديث عن نقص التحكم؛ وهذه دلالة أخرى يضيفها "ماركس" لمفهوم الاغتراب إلى جانب دلالة الانفصال والتخلي التي تحدث عنها كذلك الفلاسفة السالف ذكرهم.

إذا كان "ماركس" بنا تحليله لمصطلح الاغتراب من خلال الظروف الاقتصادية للمجتمع فإن تحليل "قبيير" بني من خلال القوى السياسية والاجتماعية للمجتمع؛ وحسبه فإن المجتمع الغربي الحديث هو نتيجة لتلاعب قوى كالأسمالية والديمقراطية والبيروقراطية، وخلال تحليلاته المتعلقة بالبيروقراطية يضيف مدلولاً آخر للاغتراب وبذلك يشرح "قبيير" مظهراً آخر من مظاهر الاغتراب ألا وهو العجز "Powerlessness"؛ ويرى أن العجز يخدم اتجاهين: الأول، أن الفرد البيروقراطي يُرى كعاجز كلياً في علاقته بالمنظمة ككل؛ فهو غير قادر على تغيير النظام ولا حتى الخروج منه. ثانياً، الجماعات كذلك عاجزة ضد آلة البيروقراطية، وبمجرد أن تتموضع البيروقراطية كلية تصبح غير قابلة للكسر، ويعتبر "قبيير" فكرة القضاء على البيروقراطية ضرباً من المثالية (Nazrul, n.d.).

كما أضاف كل من "مانهايم" "Mannheim" و"أدورنو" "Adorno" دلالة أخرى للاغتراب وهي اللامعنى "Meaninglessness" ويصفون هذا المصطلح بأن الفرد لا يكون قادراً على الاختيار بين تفسيرات بديلة؛ يصف "أدورنو" اللامعنى من خلال حالة ألمانية ما بعد الحرب فيقول أنه عدم قدرة الفرد على الاختيار بثقة بين التفسيرات المتاحة لكارثة التضخم في ذلك الوقت. أما "مانهايم" فيرى اللامعنى من خلال تنامي العقلانية الوظيفية وتركيزها على التخصص والإنتاج مما أدى إلى عدم قدرة الإنسان على الاختيار بشكل مناسب بين التفسيرات المتاحة (Sarfraz, 1997, p53). وحالة عدم القدرة على الاختيار بالنسبة للفرد تتم عن عدم فهم لما يجري حوله ففي ظل التصنيع الحديث والتطور الهائل في شتى الميادين تجعل الفرد لا يستوعب ما يحدث حوله؛ وبتعبير فلسفي هو عجز العقل على الكشف عن الاتساق في الواقع لاستيعابه والتعامل معه.

أعطى "دوركهايم" "Durkheim" تفسيراً جديداً كلياً للاغتراب فيرى أنه نتيجة لظروف "الأنوميا" "Anomie" والمتداولة في البحوث الحديثة باسم اللامعيارية "Normlessness"، يعرف "دوركهايم" الأنومي بأنها النقص المدرك في الوسائل والمعايير المتفق عليها اجتماعياً في توجيه الإنسان لتحقيق أهداف ثقافية محددة... ويؤكد "دوركهايم" أن سعادة الإنسان تتحقق لما تتناسب حاجاته مع الوسائل المتاحة؛ وبما أن الحاجات الإنسانية هي حاجات اجتماعية - أكثر منها بيولوجية - وموجودة في مجتمع تنافسي فلا حدود لها؛ حيث كلما أشبعت حاجة تظهر أخرى وهكذا.

وليشعر الإنسان بالسعادة عليه الحد من هذه الحاجات، وبما أنه عاجز عن حدها بنفسه ظهرت ضرورة وجود قوة خارجية لتقوم بالدور الذي عجز هو عنه. يرى "دوركهايم" أن هذه القوة لا يمكن أن تكون سوى "الأخلاق". ولكن وبوجود هذه الحدود تستثار الانفعالات وداخل هذه الحدود يكون من الصعب التحكم في رغبات الإنسان بوسائل القوة الإجبارية أو فقط بالمعايير الاجتماعية. ونتيجة للخلل الوظيفي للمعايير الاجتماعية أي عدم قدرتها على ضبط الرغبات (حالة الأنوميا) يجد الفرد نفسه غير قادر على التوافق مع التغيرات الاجتماعية ونتيجة لذلك يصبح مغترباً (Sarfraz, 1997, p49).

إن إسهامات علماء الاجتماع مهدت الطريق لدخول الاغتراب إلى حقول علم النفس (علم النفس الاجتماعي، وعلم النفس الصناعي، والتربية...) الذي وجد فيه مصطلحا "خسبا" فأسند إليه -إضافة لما يحمل من دلالات سابقة- دلالات أخرى؛ زادته ثراء (وقد يقول البعض تعقيدا وغموضا).

الاغتراب في مجال علم النفس:

ظهرت مجمل إسهامات علماء النفس في موضوع الاغتراب تقريبا في الوقت ذاته، نهاية خمسينات وبداية ستينات القرن الماضي، أو ما يصطلح عليه في الغرب ما بعد الحرب (ما بعد الحرب العالمية الثانية).

تجدر الإشارة إلى أن مصطلح "الاغتراب" "Aliénation" أو الاغتراب العقلي "Aliénation mentale"، قد استعمل قبل ذلك في الطب والطب النفسي ويحمل دلالة مخالفة تماما مع الحفاظ على خاصية "الانفصال"، فيشير المصطلح "إلى اضطراب عقلي غير مستقر يجعل الفرد منفصلا عقليا ونفسيا عن العالم الخارجي" واستعمل الاغتراب في الطب النفسي بهذه الدلالة من طرف "فيليب بينال" "Philippe Pinel" في نص ظهر له عام 1809، ويوصف الشخص المصاب بالاغتراب بـ "Aliéné" وبقي المصطلح ساريا بهذا المعنى حتى عام 1958 (Wikipedia, 2015). بمعنى أن مصطلح الاغتراب أو "Aliéné" بمعناه القديم - كما يصف ذلك خليفة (خليفة، 2003، ص 25) - استعمل للدلالة على الشخص المجنون.

في سياق آخر، احتل مفهوم "الاغتراب" مكانة هامة في المدرسة التحليلية قد تنافس مكانته لدى الوجوديون، ويعتبر التحليليون الجدد خاصة "فروم" من أبرز من كتب حول الموضوع، ويرى "ويليامسون وكالينغفورد" (Williamson & Cullingford, 1997) أن "فروم" استعمل المصطلح بشكل متبادل مع مصطلحات أخرى، وحسب "ساخت" "Schacht"، فإن "فروم" استعمل المصطلح بحرية وبطريقة فضفاضة، وعليه كانت النتائج أكثر تشويشا منها إيضاحا. فقد قَدَّم الاغتراب عن الذات والطبيعة والآخرين كصورة مركبة من الإحباط وعدم السعادة، ويضيفان أنه وبسبب الغموض وعدم الدقة فإن عمل فروم حول الاغتراب يعد غير مقنع علميا.

لعل ما زاد مفهوم "الاغتراب" غموضا هو محاولة علماء النفس الاجتماعي أجرأته وقياسه، فتوصل البعض إلى أن الاغتراب مفهوم متعدد الأبعاد وآخرون توصلوا إلى أنه مفهوم وحيد البعد. من بين من توصلوا إلى أن الاغتراب متعدد الأبعاد هو "ميلفان سيمان" "Melvin Seeman" سنة 1959 الذي حدد خمسة أبعاد للاغتراب: العجز "Powerlessness"، فقدان المعايير "Normlessness"، غياب المعاني "Meaninglessness"، العزلة "Isolation"، الاغتراب الذاتي "Self-Estrangement"، ويوضح "بركات" (بركات، 2006، ص 36) أنه قبل ذلك بأربعة أعوام أجرى "ديفيدز" "Davids" بحثا ميدانيا توصل من خلاله إلى أن مفهوم الاغتراب يتألف من خمسة توجهات متشابهة هي: التركيز على الذاتية "Egocentricity"، وعدم الثقة "Distrust"، والتشاؤم "Pessimism"، والقلق "Anxiety"، والاستياء "Resentment"، ويضيف "بركات" أنه يتضح من مقارنة النتائج التي توصل إليها كل من "سيمان" و "ديفيدز" أنه ليس بينهما أي عناصر مشتركة، ما يدل بدوره على غموض مفهوم الاغتراب، لعل الأمر أحوج إلى مزيد من البحوث القائمة على التحليل العامل، كأسلوب يجيز تقديم البديل.

في نفس السياق، توصل كل من "مادي" "Maddi" و "كوباسا" "Kobasa" سنة 1979 إلى تحليل آخر متعدد الأبعاد يحوي الأبعاد التالية (والتي سنحاول ترجمتها إلى العربية لعدم ورودها في المراجع العربية): العجز

"Powerlessness"، و انعدام المغامرة "Adventurousness"، والعدمية "Nihilism"، واللاعضوية "Vegetativeness" (Nicol, 2007, p 893)، مما يزيد المفهوم اتساعا وغموضا.

لم يكتف مصطلح الاغتراب بهذه الدلالات في ميدان علم النفس وعلم النفس الاجتماعي، إذ آلت مساهمات علماء النفس إلى تزايد معاني الاغتراب، ف"ميسنر" "Meissner" يتحدث عن "متلازمة الاغتراب" "The alienation syndrome" الذي يعكس مظاهر الاكتئاب والزرجية والعدوان (Meissner, 1974, p38). أما "شابراك وكوبر" "Schabraq and Cooper" فأعطوا للاغتراب مستويين أو نوعين "اغتراب أولي" "Primary alienation" و"اغتراب ثانوي" "Secondary alienation"؛ يشير الأول إلى إدراك الشخص بوجود شيء غير عادي، ويشير الثاني إلى عدم الشعور بذلك رغم التأكد من أن الظروف غير عادية. والشخص الذي يعيش تجربة الاغتراب الثانوي يتصرف بروتينية مع أقل جهد ممكن، وهو كذلك نوع من "الرؤية النفقية" "Tunnel vision" أين يتحدد الإدراك أو الوعي "Awareness" في نطاق صغير جدا من الأشياء (Case, 2008, p324).

على العموم وإضافة لما سبق، تمحورت الدلالات التي حملها مفهوم الاغتراب في علم النفس وعلم النفس الاجتماعي في "الانقطاع أو الفصل" "Disconnection" في سياق علاقة مرغوبة أو متوقعة، ويضيف "مان" "Mann" أن الاغتراب هي الحالة أو التجربة التي يختبرها الفرد كونه معزولا عن جماعة يفترض أن يكون منتميا إليها أو عن نشاط يفترض أن يكون مشاركا فيه. أما "جاير" "Geyer" فيعرف الاغتراب بأنه انفصال غير مرغوب فيه ذاتيا عن شيء خارجي أو حتى داخلي. ويشير كل من "شابراك وكوبر" "Schabraq and Cooper" إلى اضطراب في علاقة ما؛ يمكن أن يتراوح موضوع هذه العلاقة حسب "ميها" "Mehra" من الذات، إلى الآخرين، ثم المجتمع وتنظيماته (Case, 2008, p323,324).

أما على الصعيد العربي، فقد ركزت مجمل الدراسات التي تم الاطلاع عليها على نموذج "ميلفان سيمان"، إضافة إلى أن أغلب الدراسات تركز على الثقافة الغربية، كموضوع أو كسبب للاغتراب أي أن الفرد العربي يشعر بالاغتراب بسبب ما يصله من الحضارة الغربية أو يشعر بالانفصال عن مجتمعه بسبب التطور الحاصل في الغرب، والذي يلقي بضلاله على المجتمعات العربية.

في الأخير، ورغم كل هذه الدلالات التي جعلت من مفهوم الاغتراب مفهوما مائعا وغامضا، لدرجة سماه "بول ريكور" بالمصطلح المريض (Carnevali, 2008, p 81)، إلا أن هذه المعاني المتعددة ترتبط بمظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ومختلف المشكلات المرتبطة بها، خاصة بعد تعقد الحياة بسبب التطور الهائل الحاصل في شتى المجالات.

ينبغي البقاء على وعينا واعترافنا بحقيقة مفادها أن المفاهيم على العموم ستظل القاعدة الأكيدة في فهم أساسيات العلوم، أو ليست المفاهيم هي المعينة على تلخيص هذا الكم من المعارف والحقائق العلمية المتزايدة؟ ثم أليس المفهوم قاعدة ضرورية لفهم النظريات؟

المراجع:

1. بركات، حليم. (2006). الاغتراب في الثقافة العربية: مآهات الإنسان بين الحلم والواقع. الطبعة الأولى. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
2. بنات، بسام. (2005). ظاهرة الاغتراب لدى طلبة الثانوية العامة في مدينة الخليل وعلاقتها ببعض المتغيرات. مجلة جامعة بيت لحم. العدد 24، ص ص 91-132.
3. بو عزة، الطيب. (2014). في السياق التداولي لمفهوم الاستلاب. استرجع يوم 01 ديسمبر 2014 من <http://nama-center.com/m/ActiviteDatials.aspx?ID=20488>
4. الحلو، عبده. (1994). معجم المصطلحات الفلسفية. الطبعة الأولى. مكتبة لبنان، بيروت.
5. خليفة، عبد اللطيف محمد. (2003). دراسات في سيكولوجية الاغتراب. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
6. شتا، السيد علي. (2004). اغتراب المعرفة والحرية في حياتنا اليومية. سلسلة اغتراب/الإنسان. الجزء الثاني. المكتبة المصرية، الاسكندرية، مصر.
7. الشريبي، لطفي. (د.س). مراجعة عادل صادق. معجم مصطلحات الطب النفسي. مركز تعريب العلوم الصحية ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي. استرجع يوم 10 نوفمبر 2014 من http://www.acmls.org/Psychiatry/Psychiatry_Dic.pdf
8. شروخ، صلاح الدين. (2003). منهجية البحث العلمي للجامعيين. دار العلوم للنشر والتوزيع. عنابة، الجزائر.
9. الصائغ، محمد ذنون زينو. (2006). مفاهيم في الاغتراب. شؤون اجتماعية. العدد 89، السنة 23، ص ص 215-225.
10. عباس، فيصل. (2008). الاغتراب - الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، الطبعة الأولى. دار المنهل اللبناني، بيروت.
11. غراف، محمد أشرف وملي، أسعد. (2009). مقارنة سوسيولوجية لعلاقة البيروقراطية بالاغتراب الاجتماعي، رسالة دكتوراه غير منشورة. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم علم الاجتماع، جامعة دمشق.
12. Case, Jennifer M. (2008). Alienation and engagement: development of an alternative theoretical framework for understanding student learning. *Higher Education*. 55. pp 321-332.
13. Carnevali, Barbara, (2008), La faute à l'amour-propre: Alienation et authenticité chez Rousseau, *Annales de la société Jean Jaques Rousseau*, Volume 48, DROZ, Geneve, pp 79-103. Recupéré le 25 avril 2014 de <https://books.google.dz/books?isbn=2600011544>
14. Joós, Ernest. (1995). La fin de l'histoire serait-elle le commencement de la sagesse? L'aliénation de l'esprit dans la Phénoménologie de Hegel. *Laval théologique et philosophique*, vol.51, n° 2, pp 271-274.
15. Meissner, S. J. (1974). Alienation: Context and Complications. *Journal of Religion and Health*. Vol.13, No.1, pp 23-39.
16. Nazrul, Islam. (n.d.). Theories of Alienation – Marx, Weber, and Mannheim in a Comparative Perspective. Retrieved January 17, 2015, from <http://www.mubs.ac.ug/procdocs/Durkeim%20and%20Moral%20disengagement/Theories%20of%20Alienation.pdf>
17. Nicol, Adelheid A. M. (2007). Social dominance orientation, right-wing authoritarianism, and their relation with alienation and spheres of control. *Personality and Individual Differences*. 43. pp 891-899.
18. Pouillaude, Elie. (2013). Epistémologie de l'aliénation et antériorité. *L'evolution psychiatrique*, Volume 78, pp 189-205.
19. Sarfraz, Hamid. (1997). Alienation: A Theoretical overview. *Pakistan Journal of Psychological Research* Vol.12, Nos.1-2, pp 45-60.
20. Taş, Mehmet Recep, (2014), The Feeling of Alienation in the Namesake by Jhumpa Lahiri, *Global Journal of HUMAN-SOCIAL SCIENCE: A Arts & Humanities – Psychology*, Volume 14, Issue 6, Version 1.0, pp 19-25.
21. Wikipedia, (2014), Alienation. Retrieved november 29, 2014, from <http://fr.wikipedia.org/wiki/Aliénation>
22. Wikipedia, (2015), Aliénation mentale. Retrieved January 20, 2015, from http://fr.wikipedia.org/wiki/Ali%C3%A9nation_mentale
23. Williamson, Lain. & Cullingford, Cedric. (1997). The uses and misuses of "Alienation" in the social sciences and education. *British Journal of Education Studies*. 45: 3 pp 263-275.

تقييم فعالية خلايا ضمان الجودة في المساهمة في بناء وتطوير نظام

ضمان جودة التعليم العالي في الجزائر

- دراسة ميدانية -

سمير بن حسين (طالب دكتوراه)

جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي (الجزائر)

الملخص:

تهدف الدراسة الحالية بدايةً إلى تسليط الضوء على التكوين الجامعي في الجزائر في ضوء التوجهات الدولية الحالية للتعليم العالي.

ومن ثمّ محاولة تقييم دور وفعالية خلايا ضمان الجودة المكلفة بالمساهمة في بناء وتطوير نظام لضمان الجودة قادر على تحسين التكوين الجامعي وقابلية توظيف الخريجين.

الكلمات المفتاحية: التعليم العالي في الجزائر، ضمان الجودة، خلايا ضمان الجودة، فعالية خلايا ضمان الجودة.

Résumé:

L'objectif de la présente recherche est d'abord de projeter de la lumière sur la formation supérieure en Algérie au regard des tendances internationales actuelles de l'enseignement supérieur.

Ensuite, essayer d'évaluer le rôle et l'efficacité des cellules chargées de contribuer à l'implémentation d'un system d'assurance qualité capable d'améliorer la formation supérieure et l'employabilité de ses diplômés.

مقدمة:

في ضوء التطور المعرفي الذي بات يشهده العالم في الوقت الراهن والتغيرات التي أسهم في ظهورها، برزت جملة من المفاهيم (العولمة، اقتصاد المعرفة، مجتمع المعرفة) جعلت من المعرفة النقطة المركزية والعامل الأساس في تحقيق التنمية المستدامة، وجعلت من حجم ونوع الإنتاج المعرفي أهم مؤشرات هذه التنمية.

الأمر الذي دفع إلى الاهتمام أكثر بالتعليم العالي باعتباره أحد ركائز التنمية الاجتماعية والاقتصادية، إضافةً إلى كونه من الضمانات القادرة على تحقيق الاستجابة لهذه الرهانات ومسايرة التحديات الجديدة.

هذا الاهتمام جعل من الأنظمة المختلفة لهذا القطاع تسير نحو توجهات جديدة، تؤكد العديد من الدراسات⁽¹⁾

¹ على أنّها مظاهر أصبحت تشترك فيها معظم أنظمة التعليم العالي في العالم، ومن أهم هذه التوجهات:

♦ تزايد الطلب على التعليم العالي وما خلفه من تزايد في تعداد الطلبة والمؤطرين.

♦ توسع أنظمة التعليم العالي وتوجهها نحو أنواع جديدة من التعليم.

♦ تزايد نسب بطالة خريجي الجامعات.

♦ صعوبات التمويل.

♦ الضرورة الملحة لضمان الجودة والنوعية.

والمراقب لوضع هذا الميدان في الجزائر يلاحظ أنَّ هذه التوجهات (تزايد التعداد، توسع الشبكة الجامعية، إشكالية بطالة خريجي الجامعات، صعوبات التمويل، الضرورة الملحة لضمان الجودة) موجودة محليا على أرض الواقع. فمن بين أهم التوجهات الحالية للجامعة الجزائرية، الضرورة الملحة لضمان الجودة والنوعية كتوجه يمكن أن يُترجم في السير نحو تطبيق نظام ضمان الجودة [Système d'Assurance Qualité (AQ)] بالاعتماد على آليات ووسائل متعددة من بينها خلايا ضمان الجودة (cellules d'AQ) المكلفة بالمساهمة في بناء وتطوير هذا النظام. إنَّ تقييم فعالية هذه الخلايا في المساهمة في تطوير نظام ضمان الجودة، يمر بدايةً عبر التحديد الدقيق لأدوار هذه الخلايا داخل هذا النظام، ومن ثَمَّ الوقوف على مدى أدائها لهذه الأدوار على أرض الواقع من خلال تقييم درجة مساهمتها في تطوير نظام الجودة الذي يُمكن من ترقية العمل الجامعي بأبعاده المختلفة. من هذه المنطلقات، جاء البحث الحالي لتسليط الضوء على التعليم العالي في الجزائر في ضوء التوجهات الحالية لأنظمة هذا القطاع في العالم، ومن ثَمَّ الوقوف على دور وفعالية خلايا الجودة في مساهمتها في بناء وتطوير نظام ضمان الجودة في الجامعة الجزائرية.

1- إشكالية الدراسة:

تتمحور إشكالية الدراسة الحالية حول تقييم فعالية خلايا ضمان الجودة في المساهمة في بناء وتطوير نظام ضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي في الجزائر، فهي بذلك تطرح التساؤل الآتي: ما مدى فعالية خلايا ضمان الجودة في المساهمة في بناء وتطوير نظام ضمان جودة التعليم العالي في الجزائر؟

2- أهداف الدراسة:

- تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:
- ♦ الوقوف على التوجهات الحالية لأنظمة التعليم العالي في العالم.
 - ♦ التعرف على واقع التعليم العالي في الجزائر في ضوء التوجهات العالمية.
 - ♦ التعريف بمفهوم ضمان الجودة في التعليم العالي من حيث هو أحد المفاهيم الجديدة في الميدان.
 - ♦ التعريف بهيكلية ودور خلايا ضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي في الجزائر.
 - ♦ الوقوف الميداني على مدى فعالية خلايا ضمان الجودة في المساهمة في بناء وتطوير نظام ضمان جودة التعليم العالي في الجزائر.

3- أهمية الدراسة:

للدراسة الحالية أهمية نظرية تظهر من خلال الوقوف على التوجهات الحالية للتعليم العالي في العالم، والتعرف على واقع هذا القطاع في الجزائر في ضوء ما هو حاصل دوليا من ناحية، والتركيز على مفهوم نظام ضمان الجودة وهيكلية ودور خلايا الجودة في المساهمة في بناء وتطوير هذا النظام من ناحية أخرى، وهو ما قد يسهم في بناء تصور حول واقع التعليم العالي محليا ودوليا، ونشر الثقافة التي تولي اهتماما بجودة ونوعية التعليم العالي. كما لها أهمية ميدانية ترجع إلى النتائج التي يمكن أن تخرج بها حول تقييم فعالية خلايا الجودة في المساهمة في بناء وتطوير نظام ضمان الجودة في الجامعة الجزائرية، إضافةً إلى المقترحات المتوقعة أن تأتي بها والتي يمكن أن تكون محل نقد ونقاش ضمن أبحاث ودراسات أخرى.

4- مصطلحات الدراسة:

اشتملت هذه الدراسة على مجموعة من المصطلحات، فيما يلي تعريفها إجرائياً:

1-1- ضمان جودة التعليم العالي: [L'AQ dans l'Enseignement Supérieur (ES)]

يُعبّر مصطلح ضمان الجودة عن الاستراتيجيات، الإجراءات، الاتجاهات، والنشاطات الضرورية لضمان المحافظة على الجودة وتحسينها².

وضمن الجودة في ميدان التعليم العالي مصطلح عام، يُعبّر عن العملية الدائمة والمستمرة التي تستهدف تأكيد ومراقبة، وضمان، ومحافظة، وتحسين جودة نظام أو برامج أو مؤسسات التعليم العالي، ويُعدّ ضمان الجودة آلية قانونية تُركّز على مسؤولية التحسين كمحور رئيسي³.

كما عرّف ضمان الجودة في ميدان التعليم العالي على أنه: « عملية منظمة تُقضي إلى التأكد من وفاء المؤسسة التعليمية (أو البرنامج) بالمعايير، ومن قدرتها على التحسين المستمر والوفاء بها لاحقاً، حيث أنّ المؤسسة تضمن الجودة لنفسها، كما أنّ الجهة الخارجية تضمن للجمهور العام جودة التعليم في المؤسسة »⁴.

إذاً ضمان جودة التعليم العالي « مفهوم متعدد الأبعاد، يشمل مختلف أنشطة المؤسسة الجامعية من تعليم وتكوين وبحث ومختلف جوانب التسيير المالي، البيداغوجي، وتسيير الموارد البشرية، فهو يُعبّر عن الإجراءات والنشاطات التي تعتمد آلية التقويم المستمر للمؤسسات والبرامج الجامعية التي تتضمن إجراءات: النقيّم، المراقبة، التحسين، ضمان الجودة والمحافظة عليها ».

2-2- نظام ضمان الجودة: (Système d'AQ)

يُعبّر نظام ضمان الجودة حسب (Donald EKONG) عن الوسيلة التي تعتمد عليها مؤسسة التعليم العالي، بهدف جعلها تُؤكّد لنفسها ولغيرها من المهتمين بأنّ الشروط الضرورية لجعل الطلبة قادرين على بلوغ المعايير التي حدّدتها هذه المؤسسة قد تمّ وضعها فعلاً⁽²⁾.

ونعرّف نظام ضمان الجودة في الدراسة الحالية على أنه: « الوسيلة التي تعتمد عليها مؤسسات التعليم العالي بهدف ضمان وضع كافة المتطلبات والشروط الضرورية لتقديم مختلف الخدمات وفقاً لمنظومة معايير محدّدة مسبقاً، وتسمح لمختلف المستفيدين من هذه الخدمات من التأكد من أنّ هذه الشروط قد تمّ وضعها فعلاً ».

3-3- خلايا ضمان الجودة: (Cellules d'AQ)

خلية ضمان الجودة هيئة تُعنى بالمساهمة في تطبيق إجراءات نظام ضمان الجودة من تقييم، متابعة، مراقبة تكوين، إعلام، ونشر التقارير... إلخ، تنشأ داخل مؤسسة التعليم العالي بقرار من رئيس الجامعة، يحدّد فيه تنظيم وهيكلية ودور هذه الخلية، وهي تتشكل من أعضاء يمثلون مختلف المكونات والهيئات البيداغوجية والإدارية للمؤسسة.

4-4- فعالية خلايا ضمان الجودة: (L'efficacité des cellules d'AQ)

تُشير فعالية خلايا ضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي في الجزائر في الدراسة الحالية إلى مستوى أداء هذه الخلايا على أرض الواقع في ضوء المهمات الموكلة إليها متمثلة في الوظائف الآتية:

- ◆ وظيفة التقييم الداخلي لمجالات الحوكمة، التكوين، البحث، والحياة الجامعية.
- ◆ وظيفة الإعلام حول مهامها وأهداف نظام ضمان الجودة ونشر تقارير عملها.
- ◆ وظيفة التكوين المستمر لأعضائها في مجال ضمان الجودة.
- ◆ وظيفة الاتصال الداخلي والخارجي.

الإطار النظري للدراسة:

1- التوجهات الحالية للتعليم العالي في العالم:

يعرف التعليم العالي في الوقت الحالي مجموعة من التوجهات، أصبحت تشكل مظاهر تشترك فيها معظم أنظمة هذا القطاع في العالم.

1-1- تزايد الطلب على التعليم العالي:

نتيجة للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية المصاحبة للتطور المعرفي، تزايد الطلب على التعليم العالي في مختلف دول العالم، حيث تطور تعداد الطلبة في العالم بين سنتي 1991 و 2008 من (68) مليون إلى (159) مليون⁽³⁾.

تنوع التعليم:

تحت ضغط الطلب المتزايد على التعليم العالي، والتغيرات التي مسّت هيكلية الوظائف في القطاع الاقتصادي أصبح الميدان أمام ضرورة تنويع مؤسساته وتطوير أنماط جديدة من التكوين، إضافة إلى الحاجة إلى تنويع عروض التكوين والتخصصات التي يقدمها استجابةً لاحتياجات الطلبة وسوق العمل.

2-1- تضاعف بطالة خريجي الجامعات:

تعدّ ظاهرة انتشار البطالة بين خريجي الجامعات وفق الكثير من الخبراء مشكلاً على المستوى الدولي، خاصةً في ضوء التزايد الكبير في الطلب على التعليم العالي، فقد جاء في تقرير لمنظمة (UNESCO)⁽¹⁾ أنّ الانتقال إلى الحياة المهنية لخريجي التعليم العالي، أصبح عملية تأخذ وقتاً طويلاً في كثير من الدول ممّا يهدّد هؤلاء بالبطالة.

3-1- صعوبات التمويل:

أمام التزايد المستمر في عدد الطلبة وتوسع أنظمة التعليم العالي، أصبحت الحكومات تواجه صعوبات في تمويل مؤسسات هذا القطاع وتلبية احتياجاته. حيث يؤكد عدد من الخبراء أنّ صعوبات التمويل التي تعرفها أنظمة التعليم العالي في دول منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية (OCDE) مثلاً، ما هي إلا نتيجة التوسع الكبير لهذه الأنظمة⁽²⁾.

4-1- خصوصية التعليم العالي:

في ظل تزايد الإقبال على التعليم العالي وصعوبات التمويل التي تواجه مؤسساته، أصبحت هذه الأخيرة مطالبة بالاستجابة لهذا التزايد دون إغفالها لمقتضيات المردودية والفعالية، الأمر الذي دفع بالعديد من الحكومات إلى إدراج المنطق الاقتصادي في مؤسسات هذا القطاع من خلال توجيهها نحو الخصوصية.

5-1- عولمة التعليم العالي:

من تأثيرات ظاهرة العولمة على التعليم العالي تزايد حركية (Mobilité) الطلبة والباحثين، وبروز أشكال جديدة من التعليم على غرار التعليم العابر للدول (Transnational) والتوجه نحو تفعيل الشراكة والتعاون بين المؤسسات الجامعية وتبني مشاريع وبرامج تكوين وبحث مشتركة.

6-1- الضرورة الملحة لضمان الجودة والنوعية:

أمام التحديات المتنوعة التي بات يشهدها التعليم العالي على غرار استيعاب الطلب المتزايد عليه، تبرز أهمية ضمان جودة ونوعية التكوين والبحث ومختلف الأنشطة التي يقدمها.

ففي ضوء التغيرات والتطورات التي شهدها القطاع الاقتصادي ومتطلباته المتجددة والمتزايدة فيما يتعلق بالوظائف والمؤهلات التي يحتاجها للقيام بأدواره من ناحية، ومسايرة التقدم التكنولوجي وتطور وسائل الإنتاج من ناحية

أخرى أصبحت أنظمة القطاع أمام ضرورة ضمان تكوين ذو جودة ونوعية، يؤهل خريجها للاندماج في سوق العمل.

2- واقع التعليم العالي في الجزائر في ضوء التوجهات العالمية:

إنّ المراقب لوضع التعليم العالي بالجزائر قد يدرك أنّ التغيّرات والتحوّلات التي عرفها هذا الميدان على المستوى الدولي قد مسّت الجزائر أيضا.

ف تحليل وضعيّة المنظومة الجامعية تقود نحو الوقوف على هذه التوجهات من خلال التزايد المستمر في تعداد الطلبة، تنوّع التخصصات وعروض التكوين، الانفتاح على مصادر أخرى للتمويل، وجود نسب معتبرة من بطالة خريجي الجامعات، الضرورة الملحة لضمان الجودة والنوعية، وتطوّر تأثير البعد الدولي في ضوء مفهوم العولمة⁽³⁾.

حيث شهد التعليم العالي في الجزائر خلال السنوات الماضية تطوّرات مهمة من حيث الإمكانيات البشرية والمادية والمالية، إذ ارتفع عدد مؤسسات القطاع ليلبغ أكثر من ثلاث وتسعين (93) مؤسسة، كما ارتفع عدد الطلبة ليلبغ (1.210.000) سنة 2012، وتزايد عدد المؤطرين ليلبغ (39.782) سنة 2009⁽¹⁾.

في ضوء هذه التطوّرات والتوجهات الحالية للتعليم العالي في الجزائر على غرار ما هو حاصل دوليا، وأمام الحاجة الملحة لاستيعاب الطلب المتزايد على المؤسسات الجامعية، والتحوّلات الاقتصادية ومتطلبات سوق العمل فيما يتعلّق بالمؤهلات والكفاءات القادرة على الاستجابة لهذه الرهانات، يعدّ تحدي «ضمان جودة ونوعية» التكوين الجامعي من أبرز ما يواجه هذا الميدان في الوقت الحالي.

3- التجربة الجزائرية في ضمان الجودة:

أدركت السلطات الجزائرية ضرورة تطبيق ضمان الجودة في التعليم العالي بنوع من التأخر، وتجسّدت الإرادة السياسية في القيام بإصلاح يهدف إلى ترقية التعليم العالي نحو مستويات أفضل سنة 2008 من خلال القانون التوجيهي للتعليم العالي، والذي وإن لم يتطرّق بصفة مباشرة وتفصيلية لتطبيق نظام ضمان الجودة، إلّا أنّه كرّس لأول مرة إمكانية فتح مؤسسات خاصة للتعليم العالي وضرورة مراقبتها وتقييمها بإنشاء المجلس الوطني للتقييم [Comité Nationale d'Evaluation (CNE)]⁽²⁾.

ففي ضوء الاستجابة للرهانات الاجتماعية والاقتصادية محليا، والسير ضمن منظومة عمل وشراكة إقليمية ودولية توجهت الجامعة الجزائرية نحو بناء وتطوير نظام لضمان الجودة، يتجسّد هذا التوجه من خلال الإجراءات والنشاطات التي أنجزت.

حيث تمّ تنظيم عدّة ملتقيات وطنية ودولية لمناقشة إشكاليات ضمان جودة التكوين الجامعي في الجزائر على غرار الملتقى الدولي الذي نظّمته الوزارة الوصية بمساهمة البنك الدولي (1-2 جوان 2008 بالعاصمة) والذي أعقبه اجتماع لمسؤولي الوزارة يومي 03-04 جوان 2008 وخبراء دوليين في ضمان الجودة، فضلا عن جامعيين من الجزائر بهدف الخروج بخارطة طريق لتطبيق نظام ضمان الجودة.

وخرج هذا الملتقى بجملة توصيات ومقترحات حول إجراءات بناء وتطوير نظام ضمان جودة التعليم العالي في الجزائر، من بينها ارتباط هذه الإجراءات بنصوص تشريعية وتنظيمية تستهدف مختلف مكونات ونشاطات المؤسسات ضرورة التقييم الداخلي والخارجي الذي يشمل وصفا دقيقا لما هو موجود، ومن ثمّ تحديد درجة الرضا المقبولة وتحديد الأهداف المراد تحقيقها، فتحدد خطوات العمل.

إضافة إلى إنشاء هيئات وطنية لضمان الجودة مثل اللجنة الوطنية لتطوير نظام ضمان الجودة في التعليم العالي [Commission nationale d'Implémentation d'un système d'AQ dans l'ES (CIAQES)] والتي أسندت لها

مهمة بناء وتطوير ومراقبة نظام ضمان الجودة، والمجلس الوطني للتقويم (CNE) والذي أُسندت له مهمة إدارة وتقييم وضمان الجودة.

لكن من الواضح أنَّ التوجه نحو بحث آليات ضمان وتحسين جودة ونوعية نشاطات التعليم العالي في الجزائر تواجهه جملة من الصعوبات والتحديات، تفرض على القائمين على القطاع أخذها بعين الاعتبار.

فمن بين هذه التحديات «غياب ثقافة التقييم والجودة» عن مشهد التعليم العالي في الجزائر، عامل مقاومة المشروع التغيير، قلة تدريب وتكوين الفاعلين المكلفين بتطبيق إجراءات هذه الآلية، فضلا عن النقائص المسجلة في الإمكانيات التنظيمية والمادية الضرورية⁽³⁾.

فالمتتبع لمسار التعليم العالي في الجزائر يدرك أنَّ عنصر «الجودة» لم يكن هدفا معلنا في سياسة الجامعة وبالتالي لم يكن مؤشر قياس نجاعة وفعالية المؤسسة الجامعية⁽¹⁾.

كما أنَّ مشروع تطبيق نظام ضمان الجودة يعدّ مشروع تغيير على المستوى التنظيمي، تستدعي إدارته التعامل الجيد مع عنصر المقاومة لدى الفاعلين الجامعيين، للتقليل من آثارها عن طريق اعتماد استراتيجيات الاتصال الفعال والمشاركة الجماعية لإنجاح هذا المشروع.

إنَّ التوجه نحو وضع نظام ضمان الجودة، يتطلب تشكيل هيئات وطنية لضمان الجودة مثل (CIAQES & CNE) إضافة إلى هيئات على مستوى كل مؤسسة على غرار «خلايا ضمان الجودة». تكلف هذه الخلايا بالمساهمة في تخطيط، تطبيق، مراقبة، وتقييم إجراءات ضمان الجودة، ويجب أن توفر لها كافة الإمكانيات الضرورية، كما تضمن لها الاستقلالية التامة لأداء هذه الأدوار.

في الوقت نفسه، تقع على عاتق هذه الخلايا مسؤولية النشر الدوري لنتائج عملها تفعيلا للشفافية أمام مختلف القوى الاجتماعية، بما يسمح بمراقبة وتقييم «مدى فعاليتها» في مساهمتها في تطبيق إجراءات نظام ضمان الجودة كواحدة من الوسائل المعتمدة في هذه الآلية.

4- خلايا ضمان الجودة في التعليم العالي في الجزائر:

في إطار توجه الجامعة الجزائرية نحو تطبيق نظام ضمان الجودة، وبعد اعتماد هيئات وطنية مثل (CIAQES & CNE)، تمّ اعتماد أدوات ووسائل على مستوى المؤسسات سميت بـ «خلايا ضمان الجودة» كلفت بالمساهمة في بناء وتطوير هذا النظام على مستوى كل مؤسسة.

4-1- تنظيم خلية ضمان الجودة:

هي هيئة تابعة لرئيس الجامعة، تتشكل من أعضاء يمثلون مختلف المكونات والهيئات البيداغوجية والإدارية للمؤسسة، ويعيّن مسؤول لهذه الخلية [Responsable de l'AQ (RAQ)] من طرف رئيس الجامعة، وتقوم الخلية بإعداد قانون داخلي لها وبرنامج سنوي ينظم عملها.

4-2- مهمة وأدوار خلية ضمان الجودة:

الدور الأساسي لخلايا الجودة هو المساهمة في تطبيق إجراءات نظام ضمان الجودة، وتدرج ضمن هذه المهمة مجموعة من الأدوار (تنفيذ، متابعة، تقييم، تكوين، إعلام، واتصال) المرتبطة بإجراءات وعمليات وأهداف هذا النظام على مستوى المؤسسة، وفيما يلي أهم أدوار خلايا ضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي في الجزائر:⁽²⁾

- ♦ تعدّ الخلية بمثابة الواجهة بين المؤسسة الجامعية والهيئات الوطنية للتقييم.
- ♦ تضمن متابعة برنامج العمل الوطني في ضوء التحسين المستمر لجودة برامج التكوين، البحث، العمل المؤسساتي.
- ♦ تقوم بتنظيم عمليات إعلام حول مهامها، وتحسيس حول النتائج المنتظرة من تطبيق نظام ضمان الجودة.

- ♦ تقود إجراءات التقييم الداخلي لمجالات الحوكمة، التكوين، البحث، والحياة الجامعية، كما تدعم تطوير أفضل الممارسات في هذه المجالات، وفي هذا الصدد تقوم بتحضير الإجراءات وإعداد الوثائق والملفات الضرورية.
- ♦ تضمن تحضير وتنفيذ ومتابعة عمليات التقييم الداخلي على مستوى المؤسسة.
- ♦ تتسق مهمة تحرير تقارير التقييم الداخلي.
- ♦ تقود عمليات التكوين المستمر لأعضائها في مجال ضمان الجودة.
- ♦ تضمن الاتصال الداخلي والخارجي وتعمل على المشاركة في مختلف التظاهرات في مجال ضمان الجودة.
- ♦ تنشر تقارير عملها السنوي على موقع الجامعة الإلكتروني.

ويمكن تلخيص أدوار خلايا ضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي في الجزائر في الوظائف الآتية:

- ♦ **وظيفة التقييم الداخلي:** لمجالات الحوكمة، التكوين، البحث، والحياة الجامعية في ضوء مرجع ضمان الجودة (Référentiel d'AQ) الذي تمّ إعداده من طرف (CIAQES).
- ♦ **وظيفة الإعلام:** حول مهامها وأهداف نظام ضمان الجودة، ونشر التقارير المختلفة خاصةً تقرير التقييم الداخلي (Rapport d'auto-évaluation).
- ♦ **وظيفة التكوين المستمر:** لأعضائها في مجال ضمان الجودة.
- ♦ **وظيفة الاتصال:** على المستويين الداخلي والخارجي.

منهجية الدراسة:

1- منهج الدراسة:

اعتمد معد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، انطلاقاً من الإطلاع على التراث النظري في موضوع البحث، فجمع البيانات في ضوء مشكلة وأهداف الدراسة، ووصف أبعاد الموضوع وفق ما تقتضيه الحدود الموضوعية وصولاً إلى تحليل البيانات المحصل عليها واستخراج النتائج ومناقشتها وتفسيرها.

2- حدود الدراسة:

اقتصرت الدراسة على خلايا ضمان الجودة في 03 جامعات من الشرق الجزائري هي: جامعة العربي بن مهيدي (أم البواقي)، جامعة العربي التبسي (تبسة)، وجامعة فرحات عباس (سطيف)، السنة الجامعية (2014/2015).

3- مجتمع وعينة الدراسة:

يتكوّن مجتمع الدراسة الحالية من جميع أعضاء خلايا ضمان الجودة لجامعات أم البواقي، تبسة، سطيف، وشملت عينة الدراسة جميع هؤلاء الأعضاء عن طريق المسح الشامل لأفراد مجتمع الدراسة مثلما يوضحه الجدول الموالي:

جدول رقم (01) يوضح تعداد وصفة أعضاء خلايا ضمان الجودة ونسبة استجابة العينة

الجامعة	الصفة في خلية الجودة		توزيع الاستمارات		استرجاع الاستمارات (نسبة استجابة العينة)	
	مسؤول	عضو	العدد	النسبة	العدد	النسبة
جامعة العربي بن مهيدي (أم البواقي)	01	09	10	%100	08	%80
جامعة العربي التبسي (تبسة)	01	11	12	%100	07	%58.33
جامعة فرحات عباس (سطيف)	01	09	10	%100	07	%70
المجموع	03	29	32	%100	22	%68.75

4- أداة الدراسة:

تمّ الاعتماد في هذه الدراسة على أداة لجمع البيانات تمثّلت في الاستبيان (الاستمارة) لسهولة تطبيقها وإمكانية إحاطتها بكل جوانب وأبعاد الموضوع (الملحق رقم 01).

4-1- صدق وثبات الأداة:

تمّ حساب ثبات الاستبيان بطريقة «التجزئة النصفية» حيث طُبّق على عينة مكوّنة من (10) أساتذة من جامعة أم البواقي، فكانت قيمة معامل الارتباط بين درجات العبارات الفردية (س) والعبارات الزوجية (ص) $r=0.70$ ، وبتطبيق معادلة تصحيح الطول لسبيرمان براون كان معامل الارتباط $r=0.82$ ، وعليه فالاستبيان مستوف لشروط الثبات.

تمّ حساب صدق الأداة بالاعتماد على طريقة «صدق المحكمين» حيث عُرض الاستبيان على لجنة محكمين مكوّنة من (10) أساتذة من جامعة أم البواقي، ليتمّ في ضوء توصيات اللجنة تعديل بعض الفقرات تعديلا لغويا وحذف فقرات أخرى لعدم الوضوح، وتمّ حساب الصدق بقانون (لوتشي) وبلغ معامل الصدق **0.90**، ممّا يعني أنّ الأداة صادقة.

5- الأساليب الإحصائية المتبعة:

تمّ الاعتماد على مجموعة من الأساليب الإحصائية في هذه الدراسة، بهدف قياس ثبات وصدق أدواتها، وتحليل وتفسير البيانات، واشتملت هذه الأساليب على:

- ◆ النسب المئوية لل تكرارات لتقييم درجة فعالية خلايا ضمان الجودة في المساهمة في بناء وتطوير نظام ضمان جودة التعليم العالي في الجزائر في ضوء الوظائف الرئيسية لهذه الخلايا (فعالية التقييم الداخلي لبرامج التكوين والبحث والعمل المؤسساتي، فعالية الإعلام، فعالية التكوين المستمر لأعضائها في مجال ضمان الجودة، وفعالية الاتصال على المستويين الداخلي والخارجي).
- ◆ معامل ارتباط بيرسون ومعادلة تصحيح الطول لسبيرمان لحساب ثبات أداة الدراسة.

نتائج الدراسة:

1- عرض وتفسير النتائج:

فيما يلي عرض للنتائج التي توصلت إليها الدراسة:

1-1- النتائج المتعلقة بالمحور الأول من وظائف خلايا ضمان الجودة (فعالية التقييم الداخلي):

جدول رقم (02) يوضح نتائج استجابات أفراد العينة على عبارات المحور الأول (فعالية التقييم الداخلي)

رقم العبارة	العبارة	التكرار النسبة	البدايل			المجموع	درجة الفعالية
			دائما	أحيانا	نادرا		
01	تعتمد الخلية استراتيجية للمساهمة في التحسين المستمر لبرامج التكوين	ت	4	4	14	22	منخفضة
		%	18.18	18.18	63.63	100%	
02	تشارك الخلية في وضع برامج التكوين في الجامعة	ت	1	6	15	22	منخفضة
		%	4.54	27.27	68.18	100%	
03	تشارك الخلية في متابعة تنفيذ برامج التكوين في الجامعة	ت	5	5	12	22	منخفضة
		%	22.72	22.72	54.54	100%	
04	تشارك الخلية في تقييم برامج التكوين في الجامعة	ت	5	8	9	22	منخفضة
		%	22.72	36.36	40.90	100%	
05	تقدم الخلية مقترحات دورية لتحسين برامج التكوين	ت	8	7	7	22	مرتفعة
		%	36.36	31.81	31.81	100%	
06	تعتمد الخلية استراتيجية للمساهمة في التحسين المستمر للبحث العلمي	ت	4	2	16	22	منخفضة
		%	18.18	9.90	72.72	100%	

07	تشارك الخلية في تقييم نتائج البحث العلمي في الجامعة	ت	3	4	15	22	منخفضة
	%	13.63	18.18	68.18	%100		
08	تقدم الخلية دراسات حول تحسين التسيير المؤسسي للجامعة	ت	4	7	11	22	منخفضة
	%	18.18	31.81	50	%100		
09	تجري الخلية عمليات تقييم داخلي لبرامج التكوين في الجامعة	ت	7	7	8	22	منخفضة
	%	31.81	31.81	36.36	%100		
10	تعتمد الخلية على معايير واضحة في تقييم البرامج التكوينية	ت	12	5	5	22	مرتفعة
	%	54.54	22.72	22.72	%100		
11	تستعين الخلية بالفاعلين في الجامعة لإجراء عمليات التقييم الداخلي	ت	9	6	7	22	مرتفعة
	%	40.90	27.27	31.81	%100		
مجموع التكرارات							
النسبة							
		62	61	119	242		منخفضة
		25.61	25.20	49.17	%100		

المسجل من الجدول (02) أنَّ استجابات العينة تميل أكثر إلى الاختيار (نادرا) في أغلب عبارات المحاور الأول حيث بلغ متوسط هذه الإجابة 49.17% مما يشير إلى أنَّ درجة فعالية خلايا الجودة في وظيفة التقييم الداخلي منخفضة فهي لا تساهم بالقدر الكافي في تقييم برامج التكوين، البحث، والعمل المؤسسي.

وهذا راجع إلى تركيز هذه الخلايا في الوقت الراهن على تكوين مواردها البشرية في مجال ضمان الجودة وتوجيه الجهود نحو نشر ثقافة الجودة من جهة، وغياب دليل للتقييم الداخلي على مستوى المؤسسات الجامعية من ناحية أخرى مما يعطي الانطباع بعدم تحضير الإطار التنظيمي والتشريعي الذي بموجبه تبدأ خلايا ضمان الجودة في إجراء عمليات التقييم الداخلي.

ويمكن تفسير ارتفاع درجة الفعالية في العبارة (10) المتعلقة باعتماد الخلية على معايير واضحة لتقييم البرامج التكوينية، إلى اختيار أفراد العينة للإجابة (دائما) أكثر بناءً على توجههم نحو الاعتماد على دليل ضمان الجودة الذي صدر مؤخرا من طرف (CIAQES).

2-1- النتائج المتعلقة بالمحور الثاني من وظائف خلايا ضمان الجودة (فعالية الإعلام):

جدول رقم (03) يوضح نتائج استجابات أفراد العينة على عبارات المحور الثاني (فعالية الإعلام)

رقم العبارة	العبارة	التكرار النسبة	البدائل			المجموع	درجة الفعالية
			نادرا	أحيانا	دائما		
01	تنظم الخلية عمليات إعلام دورية حول مهامها	ت	7	7	8	22	منخفضة
		%	31.81	31.81	36.36	%100	
02	تقوم الخلية بعمليات تحسيس حول النتائج المنتظرة من تطبيق نظام ضمان الجودة	ت	4	8	10	22	منخفضة
		%	18.18	36.36	45.45	%100	
03	تنشر الخلية نتائج عملها بصفة دورية	ت	8	7	7	22	مرتفعة
		%	36.36	31.81	31.81	%100	
04	تعتمد الخلية على منشورات ومطويات إعلامية للتحسيس بوظائفها	ت	11	4	7	22	مرتفعة
		%	50	18.18	31.81	%100	
05	تعتمد الخلية على تكنولوجيات الإعلام الحديثة للتعريف بدورها	ت	4	5	13	22	منخفضة
		%	18.18	22.72	59.09	%100	
06	يلعب الفاعلون في الجامعة بنتائج عمل الخلية بصفة مستمرة	ت	5	8	9	22	منخفضة
		%	22.72	36.36	40.90	%100	
07	تقوم الخلية باستطلاع حول أعداد المطلعين على وسائلها الإعلامية	ت	2	8	12	22	منخفضة
		%	9.09	36.36	54.54	%100	
مجموع التكرارات							
النسبة							
		41	47	66	154		منخفضة
		26.62	30.51	42.85	%100		

نقرأ من الجدول (03) توجه أغلب اختيارات العينة للإجابة (نادرا) عدا العبارتين (3-4) حيث بلغ متوسط هذه الإجابة 42.85% مقابل 26.62% للإجابة (دائما)، مما يشير إلى أن درجة فعالية الخلايا في وظيفة الإعلام منخفضة فهي لم ترق بعد إلى مستوى المساهمة الفعالة في بناء وتطوير نظام ضمان الجودة في هذا الجانب.

وهو ما يمكن تفسيره بنقص حجم أنشطة الخلايا من جهة وبالتالي نقص المادة الإعلامية، بالإضافة إلى تركيزها في الوقت الراهن على الأنشطة التنظيمية والبناء الهيكلي للخلايا (مرحلة الإعداد) التي يبدو أنها تأخذ وقتا أطول، مما يعيق أعضاء الخلايا في تجاوز مرحلة الإعداد إلى الممارسة الفعلية لأدوارها والمساهمة في بناء وتطوير نظام الجودة.

أما سبب ارتفاع درجة الفعالية في العبارتين (3-4) فمرده بداية إلى الإطار القانوني الذي يلزم هذه الخلايا بالنشر الدوري لنتائج عملها (الفقرة 3)، ثم إلى اعتماد بعض الخلايا على مطويات إعلامية للتعريف بنظام ضمان الجودة (مثل المطوية التي أعدتها خلية جامعة سطيف، أكتوبر 2013).

3-1- النتائج المتعلقة بالمحور الثالث من وظائف خلايا ضمان الجودة (فعالية التكوين المستمر):

جدول رقم (04) يوضح نتائج استجابات أفراد العينة على عبارات المحور الثالث (فعالية التكوين المستمر)

رقم العبارة	العبارة	التكرار النسبة	البدايات			المجموع	درجة الفعالية
			نادرا	أحيانا	دائما		
01	تنظم الخلية عمليات تكوين مستمرة لأعضائها في مجال ضمان الجودة	ت	5	11	6	22	متوسطة
		%	22.72	50	27.27	100%	
02	يستفيد أعضاء الخلية من برامج متنوعة لتحسين المستوى	ت	5	10	7	22	متوسطة
		%	22.72	45.45	31.81	100%	
03	تعمل الخلية على تفعيل الشراكة مع وكالات ضمان الجودة في مجال تكوين أعضائها	ت	4	9	9	22	متوسطة
		%	18.18	40.90	40.90	100%	
04	تستعين الخلية بخبراء في ضمان الجودة لتكوين أعضائها	ت	8	9	5	22	متوسطة
		%	36.36	40.90	22.72	100%	
05	يشارك أعضاء الخلية في وضع برامج تحسين المستوى التي يستفيدون منها	ت	5	9	8	22	متوسطة
		%	22.72	40.90	36.36	100%	
06	توفر الخلية لأعضائها الإمكانيات الضرورية لإجراء عمليات التكوين المستمر	ت	5	10	7	22	متوسطة
		%	22.72	45.45	31.81	100%	
متوسطة	مجموع التكرارات					132	
	النسبة					100%	
			24.24	43.93	31.81		

الملاحظ من قراءتنا للجدول (04) أن جميع اختيارات أفراد العينة في إجاباتهم على فقرات المحور الثالث كانت للإجابة (أحيانا) والتي بلغ متوسطها 43.93%، وهو مؤشر على أن درجة فعالية خلايا ضمان الجودة في التكوين المستمر لأعضائها في مجال ضمان الجودة متوسطة، انطلاقا من توجه أنشطة هذه الخلايا في الوقت الراهن إلى الاهتمام بهذه الوظيفة مقارنة بالوظيفتين السابقتين (التقييم الداخلي والإعلام) على غرار دورات التكوين التي استفاد منها مسؤولي الخلايا (RAQ) على يد خبراء من (CIAQES).

لكن يبقى هذا المستوى من الفعالية في التكوين المستمر لأعضاء خلايا ضمان الجودة غير كاف، وهو ما تبيّنهُ نتائج الإجابة على فقرات المحور بالاختيار (دائما) التي بلغ متوسطها 24.24%، مما يعني أن درجة فعالية هذه الخلايا في مساهمتها في بناء وتطوير نظام ضمان الجودة تبقى غير كافية مقارنة بالتحديات والأهداف المسطرة.

1-4- النتائج المتعلقة بالمحور الرابع من وظائف خلايا ضمان الجودة (فعالية الاتصال):

جدول رقم (05) يوضح نتائج استجابات أفراد العينة على عبارات المحور الرابع (فعالية الاتصال)

رقم العبارة	العبارة	التكرار النسبة	البديلات			المجموع	درجة الفعالية
			دائما	أحيانا	نادرا		
01	تشارك الخلية في مختلف التظاهرات حول ضمان الجودة	ت	5	8	9	22	منخفضة
		%	22.72	36.36	40.90	%100	
02	تتبنى الخلية سياسة واضحة للاتصال مع الفاعلين داخل الجامعة حول إجراءات ضمان الجودة	ت	5	4	13	22	منخفضة
		%	22.72	18.18	59.09	%100	
03	تعمل الخلية على ترقية الاتصال الخارجي حول إجراءات ضمان الجودة	ت	4	6	12	22	منخفضة
		%	18.18	27.27	54.54	%100	
04	تعتمد الخلية على التكنولوجيات الحديثة في نشر تقارير عملها	ت	4	5	13	22	منخفضة
		%	18.18	22.72	59.09	%100	
05	تسعى الخلية إلى إبرام اتفاقيات شراكة مع الهيئات الدولية لضمان الجودة	ت	3	5	14	22	منخفضة
		%	13.63	22.72	63.63	%100	
06	تقوم الخلية بنشاطات تنسيقية مع الهيئات الوطنية للتقييم	ت	5	8	9	22	منخفضة
		%	22.72	36.36	40.90	%100	
07	تعمل الخلية على تفعيل دور الوساطة بين الجامعة وهيئات التقييم الوطنية	ت	2	7	13	22	منخفضة
		%	9.09	31.81	59.09	%100	
منخفضة	مجموع التكرارات					154	
	النسبة					%100	
			28	43	83		
			18.18	27.92	53.89		

نلاحظ من خلال الجدول (05) أن جميع اختيارات العينة في إجاباتهم على فقرات المحور الرابع كانت بـ(نادرا) حيث بلغ متوسط هذه الإجابة 53.89% مقابل 27.92% للإجابة (أحيانا) و 18.18% للإجابة (دائما)، مما يدل على أن درجة فعالية الاتصال الذي تقوم به خلايا ضمان الجودة منخفضة، فهي لا تساهم بالقدر المطلوب في ترقية الاتصال الداخلي والخارجي مع الفاعلين والمهتمين بالتعليم العالي حول إجراءات ضمان الجودة، انطلاقا من الواقع التنظيمي الذي تعمل فيه الخلايا والذي فرض عليها التركيز أكثر على إجراءات تشكيل أعضاء الخلايا وتكوينهم في مجال ضمان الجودة (إلى حد ما) من ناحية، وعدم مراعاة عامل التحفيز للحصول على قدر أكبر من الالتزام بوظائف وأهداف الخلية وبالتالي زيادة الدافعية لديهم.

جدول رقم (06) يوضح نسب استجابات أفراد العينة حسب الجامعات (أم البواقي، سطيف، تبسة)

المحاور	جامعة أم البواقي			درجة الفعالية	جامعة سطيف			درجة الفعالية	جامعة تبسة			درجة الفعالية	الخلاصة
	دائما	أحيانا	نادرا		دائما	أحيانا	نادرا		دائما	أحيانا	نادرا		
التقييم الداخلي	31.03	27.58	41.37	منخفضة	24.67	22.07	53.24	منخفضة	20.51	25.64	53.84	منخفضة	منخفضة
الإعلام	17.85	25	57.14	منخفضة	46.93	22.44	30.61	مرتفعة	16.32	44.89	38.77	منخفضة	منخفضة
التكوين المستمر	26.16	37.5	33.33	متوسطة	26.19	45.23	28.12	متوسطة	16.66	50	33.33	متوسطة	متوسطة
الاتصال	20.57	30.18	49.05	منخفضة	16	22	62	منخفضة	17.64	31.37	50.98	منخفضة	منخفضة
المجموع	25.40	29.5	40.08	منخفضة	27.98	26.6	45.41	منخفضة	18.18	35.9	45.90	منخفضة	منخفضة

المسجل من الجدول أعلاه والذي يوضح نسب استجابات العينة لفقرات الاستبيان على مستوى كل جامعة من الجامعات الثلاث التي شملتها هذه الدراسة الميدانية، أنه لا توجد فروق بينها في تقييم درجة فعالية خلايا ضمان الجودة

في المساهمة في بناء وتطوير نظام ضمان جودة الجامعة الجزائرية، والتي تظهر منخفضة في المؤسسات الثلاث بمتوسط 45.90% للإجابة (نادرا).

وهو مؤشر على أن خلايا ضمان الجودة لا تساهم بالقدر الكافي في تفعيل الإجراءات والنشاطات الموكلة لها في إطار نظام ضمان الجودة، سواء فيما يتعلق بالتقييم الداخلي لبرامج التكوين، البحث، والعمل المؤسساتي، أو الإعلام أو الاتصال، وبدرجة أقل في تكوين مواردها البشرية في مجال ضمان الجودة.

2- مناقشة نتائج الدراسة:

أظهرت نتائج هذه الدراسة ما يلي:

- ♦ أن خلايا ضمان الجودة لا تساهم بالقدر الكافي في التقييم الداخلي لبرامج التكوين، البحث، والعمل المؤسساتي.
 - ♦ أن خلايا ضمان الجودة بعيدة عن درجة الفعالية المطلوبة في إعلام الفاعلين والمهتمين بالتعليم العالي حول إجراءات ضمان الجودة التي تقوم بها والفائدة التي يمكن تحقيقها من هذه الإجراءات (نشر ثقافة الجودة).
 - ♦ أن خلايا ضمان الجودة لا تؤدي وظيفة الاتصال بالفاعلين والمهتمين بالتعليم العالي على المستويين الداخلي والخارجي بالمستوى المطلوب.
 - ♦ أن خلايا ضمان الجودة تهتم بدرجة متوسطة بتكوين مواردها البشرية في مجال ضمان الجودة.
- في ضوء هذه المؤشرات والنتائج التي خرجت بها الدراسة، نستخلص أن درجة فعالية خلايا ضمان الجودة في المساهمة في بناء وتطوير نظام ضمان الجودة منخفضة، لم ترتق بعد إلى المستوى المطلوب منها لأداء الأدوار والمهام الموكلة إليها في إطار هذا النظام (التقييم الداخلي، الإعلام، التكوين المستمر لمواردها البشرية في مجال ضمان الجودة، والاتصال على المستويين الداخلي والخارجي).
- وهذا ما يفسر جانباً من جوانب التأخر والبطء المسجل في السير الفعلي نحو تطبيق نظام ضمان الجودة في الجامعة الجزائرية على أرض الواقع مقارنة بالتحديات والرهانات الداخلية اجتماعياً واقتصادياً من ناحية، والتحوّلات التي تشهدها أنظمة التعليم العالي في العالم من ناحية ثانية.
- من هذه المنطلقات يبرز حجم وأهمية دور خلايا ضمان الجودة في المساهمة في تعزيز التوجه نحو التطبيق الفعلي لنظام ضمان جودة قادر على تحسين جودة ونوعية التكوين الجامعي (تلبية الاحتياجات الاجتماعية)، كما يساهم في ترقية قابلية التوظيف للخريجين بما يتناسب ومتطلبات سوق العمل (تلبية الاحتياجات الاقتصادية).

3- مقترحات الدراسة:

- انطلاقاً من نتائج هذه الدراسة الميدانية حول تقييم فعالية خلايا ضمان الجودة في المساهمة في بناء وتطوير نظام ضمان الجودة، فإننا نقترح ما يلي:
- ♦ على المستوى التنظيمي:
 - تحسين آليات تشكيل وتنصيب خلايا ضمان الجودة على مستوى كل مؤسسة جامعية وعلى مستوى كليات ومعاهد هذه المؤسسة، تفعيلًا لامركزية تسببر هذه الخلايا وتقسيم المسؤوليات على مختلف المستويات التنظيمية تعزيز مبدأ المشاركة الجماعية).
 - وضع آليات لاستقطاب أفضل الموارد الجامعية بالاعتماد على نظام تحفيزي لهذه الموارد بما يعزّز من الدافعية لديهم لأداء مهمات الخلية، وبالتالي ضمان التزامهم بتحقيق الأهداف المسطرة.
 - تعزيز استقلالية خلايا ضمان الجودة في أدائها لمهامها، خاصة ما يتعلق بإجراءات التقييم الداخلي ووضع برامج تكوين مواردها البشرية.

- توفير المتطلبات والشروط الضرورية (مالية، مادية، لوجيستية) التي تضمن لهذه الخلايا أداء وظائفها بفعالية وجودة وكفاية.

♦ على مستوى التقييم الداخلي:

- تطوير خلايا ضمان الجودة لدليل تقييم داخلي يتناسب وخصائص المؤسسة التي تنتمي إليها، لمباشرة عمليات تقييم برامج التكوين، البحث، والعمل المؤسساتي في ضوء معايير واضحة يضمنها هذا الدليل.

♦ على مستوى تكوين الموارد البشرية:

- اعتماد سياسة واضحة لتكوين الموارد البشرية المشكلة لخلايا ضمان الجودة، تتضمن إشراك أعضاء الخلية في وضع برامج التكوين التي يستفيدون منها، الاستعانة بخبراء (محليين ودوليين) في ضمان الجودة، توفير متطلبات وشروط التكوين الفعال، والتقييم الجدي للتكوين الذي يستفيدون منه.

♦ على مستوى الإعلام والاتصال:

- تبني خلايا ضمان الجودة لسياسة إعلام واضحة تدرج في برنامج عملها السنوي، تتحدد في ضوءها الأهداف والآليات والوسائل المعتمدة.

- ترقية الاعتماد على التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال (TIC) وضمان تطوير كل خلية لموقع إلكتروني خاص بها (Site Web).

المراجع:

أولا- المراجع باللغة العربية:

- 1- بروش زين الدين & بركان يوسف، مشروع تطبيق نظام ضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي بالجزائر الواقع والآفاق، بحث مقدم للمؤتمر العربي الثاني الدولي لضمان جودة التعليم العالي، البحرين، 2012
- 2- القرار الوزاري رقم 167 المؤرخ في 31 ماي 2010 المتضمن تشكيل اللجنة الوطنية لتطبيق نظام ضمان الجودة في التعليم العالي في الجزائر (CIAQES).
- 3- القرار الوزاري رقم 739 المؤرخ في 18 أكتوبر 2010 المتضمن هيكل اللجنة الوطنية للتقويم (CNE).

ثانيا- المراجع باللغة الفرنسية:

- 4- Boubakour F (2012) : « AQ interne et autoévaluation : des principes à la mise en oeuvre » CIAQES, 2012.
- 5- Bouzid, N & Berrouche, Z : « assurance qualité dans l'enseignement supérieur » module 02 CIAQES, 2012.
- 6- IIEP, UNESCO (2011) « L'AQE : options pour les gestionnaires de L'ES » modules1, Paris.
- 7- Martin, M & Stella, A (2007) assurance qualité externe dans l'enseignement supérieur, les options, UNESCO, Paris.
- 8- Tempus (2012) : « l'enseignement supérieur en Algérie » education, audiovisual and culture executive agency EACEA, Brussels.
- 9- UNESCO (1998) : «conférence mondiale de l'enseignement supérieur»: déclaration mondiale sur l'enseignement supérieur pour le XXI ème siècle.
- 10- Vincent-Lancrine, S (2011) "financement et inscriptions dans l'enseignement supérieur : du modèle public au modèle privé, OCDE.
- 11- Woodhouse, D (1999) : "qualité et assurance qualité", IMHE, OCDE.

ملحق رقم (01):

استبيان أعضاء خلايا ضمان الجودة

في إطار إجراء دراسة حول «تقييم فعالية خلايا ضمان الجودة في المساهمة في بناء وتطوير نظام ضمان جودة التعليم العالي في الجزائر» نضع بين أيديكم هذا الاستبيان لتقييم هذه الفعالية، ونحيطكم علماً بأنّ البيانات الواردة فيه سرية ولا تستعمل إلا لغرض البحث العلمي، فرجاؤنا في تعاونكم خدمة للبحث العلمي لكبير، ولكم منا فائق الشكر والامتنان.

الرجاء وضع العلامة (x) أمام الخانة التي تمثل رأيكم:

المحور	الرقم	البند	دائماً	أحياناً	نادراً
فعالية خلايا ضمان الجودة في التقييم الداخلي	01	تعتمد الخلية استراتيجية للمساهمة في التحسين المستمر لبرامج التكوين			
	02	تشارك الخلية في وضع برامج التكوين في الجامعة			
	03	تشارك الخلية في متابعة تنفيذ برامج التكوين في الجامعة			
	04	تشارك الخلية في تقييم برامج التكوين في الجامعة			
	05	تقدم الخلية مقترحات دورية لتحسين برامج التكوين			
	06	تعتمد الخلية استراتيجية للمساهمة في التحسين المستمر للبحث العلمي			
	07	تشارك الخلية في تقييم نتائج البحث العلمي في الجامعة			
	08	تقدم الخلية دراسات حول تحسين التسيير المؤسسي للجامعة			
	09	تجري الخلية عمليات تقييم داخلي لبرامج التكوين في الجامعة			
	10	تعتمد الخلية على معايير واضحة في تقييم البرامج التكوينية			
	11	تستعين الخلية بالفاعلين في الجامعة لإجراء عمليات التقييم الداخلي			
فعالية الخلية في الإعلام	12	تنظم الخلية عمليات إعلام دورية حول مهامها			
	13	تقوم الخلية بعمليات تحسيس حول النتائج المنتظرة من تطبيق نظام ضمان الجودة			
	14	تتشر الخلية نتائج عملها بصفة دورية			
	15	تعتمد الخلية على منشورات ومطويات إعلامية للتحسيس بوظائفها			
	16	تعتمد الخلية على تكنولوجيات الإعلام الحديثة للتعريف بدورها			
	17	يبلغ الفاعلون في الجامعة بنتائج عمل الخلية بصفة مستمرة			
	18	تقوم الخلية باستطلاع حول أعداد المطلعين على وسائلها الإعلامية			
ضمان الجودة	19	تنظم الخلية عمليات تكوين مستمرة لأعضائها في مجال ضمان الجودة			
	20	يستفيد أعضاء الخلية من برامج متنوعة لتحسين المستوى			
	21	تعمل الخلية على تفعيل الشراكة مع وكالات ضمان الجودة في مجال تكوين أعضائها			
	22	تستعين الخلية بخبراء في ضمان الجودة لتكوين أعضائها			
	23	يشارك أعضاء الخلية في وضع برامج تحسين المستوى التي يستفيدون منها			
	24	توفر الخلية لأعضائها الإمكانيات الضرورية لإجراء عمليات التكوين المستمر			
فعالية الخلية في الاتصال	25	تشارك الخلية في مختلف التظاهرات حول ضمان الجودة			
	26	تتبنى الخلية سياسة واضحة للاتصال مع الفاعلين داخل الجامعة حول إجراءات ضمان الجودة			
	27	تعمل الخلية على ترقية الاتصال الخارجي حول إجراءات ضمان الجودة			
	28	تعتمد الخلية على التكنولوجيات الحديثة في نشر تقارير عملها			
	29	تسعى الخلية إلى إبرام اتفاقيات شراكة مع الهيئات الدولية لضمان الجودة			
	30	تقوم الخلية بنشاطات تنسيقية مع الهيئات الوطنية للتقييم			
	31	تعمل الخلية على تفعيل دور الوساطة بين الجامعة وهيئات التقييم الوطنية			

ظاهرة قلق الامتحان بالمرحلة الثانوية

أسبابها، تناولاتها النظرية، الإجراءات العملية التعليمية الإرشادية لخفض قلق الامتحان

أ. قدوري خليفة

جامعة الوادي (الجزائر)

أ.د. حورية تارزولت عمروني

جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

الملخص:

قلق الامتحان من المواضيع المهمة التي تؤثر على الطلاب سلباً أو إيجاباً، فالقلق الذي يعترى غالبية التلاميذ قبل وأثناء الامتحانات هو أمر طبيعي وسلوك عرضي مألوف مادام في درجاته المقبولة، ويعد دافعاً إيجابياً، وهو مطلوب لتحقيق الدافعية نحو الإنجاز المثمر أما إذا أخذ أعراضاً غير طبيعية كعدم النوم وفقدان الشهية وعدم التركيز وكثرة التفكير في الامتحان وعدم القدرة على استدعاء المعلومات من الذاكرة، والانشغال في النتائج المترتبة فإن هذه الأعراض وغيرها تربك التلميذ وتعرقل أداءه المطلوب في الامتحان مما ينتج عنه قلق ما يسمى (بقلق الامتحان). وفي هذا المقال سوف نوضح مفهوم قلق كظاهرة تؤرق جل التلاميذ وتمثل تهديداً لمستقبلهم الدراسي وكيف يمكننا خفض هذا القلق العلاقة من خلال عرضنا لأهم متغيرات الدراسة.

Résumé:

Test anxiety is one of the most important subjects that affects pupils either positively or negatively.

The anxiety that affects the majority of the pupils before and during the exams is a natural matter and an accidental common behaviour as it is in its acceptable degrees

Test anxiety is considered a positive motive that becomes necessary for successful production . But when it takes unreal symptoms such as insomnia (sleeplessness) , the loss of appetite the lack of concentration and the access of thinking during the exams work , the inability of recalling information from memory and being busy at certain expectable results however those symptoms and others disturb pupils and hamper their needed way of work at the moment of doing the exam So this situation can result what is called the test anxiety.

And in this article , we explain the concept of test anxiety phenomenon that haunts most of the pupils and poses a threat to their educational future dealing with its most important causes, aspects and theoretical dealings , and how to get over it so that our students can successfully exceed the test anxiety.

مقدمة:

يعتبر القلق ظاهرة - قديمة حديثة - صاحبت الإنسان منذ مولده الأول بيد أن هذا العصر الذي نعيشه بما صاحبه من تغيرات، وضغوط جعل الإنسان يشعر بأن القلق يلزمه في كل جانب من جوانب حياته، غير أن جانباً من هذا القلق يمكن أن يكون خلافاً إيجابياً أما الجانب الأكبر فهو القلق الذي يعصف بمواهب الإنسان وإبداعاته، ولذلك لا غرابة أن نرى إجماعاً لدى معظم علماء النفس أن القلق هو المحور والمحرك الأساسي لجميع الأمراض النفسية، بل هو أيضاً أساس جميع الإنجازات الإيجابية في الحياة. وقد أدرك علماء النفس منذ الخمسينيات أهمية دراسة العلاقة بين القلق والتعلم، وكشفت كثير من نتائج الدراسات النقاب على أن بعض الطلاب ينجزون أقل من مستوى قدراتهم الفعلية في بعض المواقف التي تتسم بالضغط والتقويم كمواقف الامتحانات وأطلقوا على القلق في هذه المواقف تسمية قلق الامتحان Test Anxiety باعتباره يشير إلى نوع من القلق العام الذي يظهر في مواقف معينة مرتبطة بمواقف الامتحانات والتقويم بصفة عامة حيث نجد الطلاب في هذه المواقف يشعرون بالاضطراب والتوتر والضيق (الضامن، 2003: 220).

حيث تلعب الامتحانات دوراً هاماً في حياة الطلاب وهي أحد أساليب التقييم الضرورية إلا أنها قد يرتبط بها ما يجعل منها مشكلة مخيفة ومقلقة. ويتخذ قلق الامتحان أهمية خاصة، نظراً لارتباطه الشديد بتحديد مصير الطالب ومستقبله الدراسي والعملية، ومكانته في المجتمع، ولذلك فهو يعتبر دراسة حقيقية لكثير من الطلاب وأسره أيضاً، بل وبالنسبة للمجتمع، مما حدا بكثير من الأخصائيين في هذا المجال للاهتمام بدراسة قلق الامتحان (زهران، 95: 2000).

ويتضح مما سبق الاهتمام بهذه الظاهرة يزداد لا لكونها ظاهرة نفسية فقط بل لأنه تعدي ذلك ليصبح شكلاً من أشكال الاضطراب. ومن هنا لا بد للباحث أن يلفت الانتباه إلى أن قلق الامتحان يعتبر أقرب إلى حالة القلق، ويرتبط بسمة القلق، ويعبر قلق الامتحان عن الحالة التي يصل إليها الطالب نتيجة الزيادة في درجة الانزعاج والانفعالية من أداء الامتحان وفي ضوء النظر إلى القلق كحالة أو كسمة، فإن قلق الامتحان يرتبط بقلق الحالة أكثر من ارتباطه بقلق السمة، وعليه يمكن أن يتحول قلق الامتحان كحالة إلى قلق الامتحان كسمة إذا لم نستطع أن نخفض من ذلك القلق ونعمل على ترشيده. وفي هذه الورقة سوف نتعرض لمفهوم قلق الامتحان تصنيفاته، أعراضه، تفسير قلق الامتحان من وجهات النظر المختلفة في علم النفس التربوي، أعراض ومظاهر قلق الامتحان العوامل المساعدة على ظهور أعراض قلق الامتحان، أسبابه مصادره، الإجراءات العملية التعليمية الإرشادية لخفض قلق الامتحان.

1- تعريف قلق الامتحان: تعددت التعريفات التي تناولت موضوع قلق الامتحان، ولقد عرفه كثير من المهتمين والأخصائيين في هذا المجال وسوف يستعرض الباحث في هذا المقام بعض من تعريفات وآراء هؤلاء الأخصائيين حول قلق الامتحان وهي كالتالي:

- "هو نوع من القلق المرتبط بمواقف الامتحان حيث تثير هذه المواقف في الفرد شعوراً بالانزعاج والانفعالية وهي حالة انفعالية وجدانية مكدرة تعتري الفرد في الموقف السابق للامتحان، أو موقف الامتحان ذاته وتتسم هذه الحالة بالشعور بالتوتر والخوف من الامتحان (زهران، 96: 2000).
- ويعرف جون (Gohn, 1985) قلق الاختبار بأنه حالة يمر بها الطالب نتيجة الزيادة في درجة الخوف والتوتر أثناء المرور بموقف الاختبار وكذلك الاضطراب في النواحي الانفعالية والمعرفية والسيولوجية. ويعرف سبيلبيرجر قلق الامتحان بأنه "سمة شخصية في موقف محدد ويتكون من الانزعاج والانفعالية، ويعرف الانزعاج بأنه اهتمام معرفي يتمثل في الخوف من الفشل بينما الحالة الانفعالية هي ردود أفعال الجهاز

العصبي الاوتونومي ويمثل هذين المكونين (الانزعاج) و (الانفعالية) أبرز عناصر قلق الامتحان (الداهري، 207 : 2005).

* ويرى أحمد عبد الخالق أن قلق الامتحان "يطلق عليه قلق التحصيل في بعض الأحيان وهو نوع من قلق الحالة المرتبط بمواقف الامتحان بحيث تثير هذه المواقف في الفرد شعورا بالخوف والهم عند مواجهتها" (عبد الخالق، 32 : 1987).

2: تصنيفات قلق الامتحان:

- قلق الامتحان الميسر: Facilitative

وهو قلق الامتحان المعتدل، ذو التأثير الايجابي المساعد، والذي يعتبر قلقاً دافعياً يدفع الطالب للدراسة والاستذكار والتحصيل المرتفع، وينشطه ويحفزه علي الاستعداد للامتحانات ويبسر أداء الامتحان.

- قلق الامتحان المعسر: Debilitative

وهو قلق الامتحان المرتفع، ذو التأثير السلبي المعوق، حيث تتوتر الأعصاب ويزداد الخوف والانزعاج والرغبة، ويستثير استجابات غير مناسبة، مما يعوق قدرة الطالب علي التذكر والفهم، ويربكه حين يستعد للامتحان، ويعسر أداء الامتحان، وهكذا فإن قلق الامتحان المعسر { الزائد أو المرتفع }، قلق غير ضروري ويجب خفضه وترشيده (زهران، 98 : 2000).

3: مكونات قلق الامتحان: يشير المهتمين في هذا المجال إلي أن قلق الامتحان يتضمن مكونين أساسيين هما كالتالي:

- المكون المعرفي: أو الانزعاج Worry حيث ينشغل الفرد بالتفكير في تبعات الفشل، مثل فقدان المكانة والتقدير، وهذا يمثل سمة القلق.

- المكون الانفعالي: أو الانفعالية Emotionality، حيث يشعر الفرد بالضيق والتوتر والهلع من الامتحانات، وبالإضافة إلي مصاحبات فسيولوجية، وهذا يمثل حالة القلق (رضوان، 246 : 2002).

ويشير ليبيرت وموريس بينا أنه يوجد عاملان لقلق الاختبار هما:

* الاضطرابية: (المكون العقلي الذي يؤثر علي أداء الفرد) فهي المسؤولة عن تقليص الأداء لدي الفرد بما تبعته في كثير من الأحيان من استجابات لا تكون مناسبة.

* الانفعالية: وهي رد الفعل المباشر للضغط النفسي الذي يستثيره الموقف (شعيب 98، 1988). في حين يري فيليبس وآخرون أن قلق الامتحان يتكون من عاملين رئيسيين هما:

أ. القلق: نقص الثقة بالنفس.

ب. الانفعالية: وهي الاستجابات غير الإرادية المصاحبة للموقف (عبد الرحيم، 17 : 1989). ويضيف زهران (47 : 2000) أن هناك خمسة عوامل خاصة بقلق الاختبار وهي كالتالي:

- الخوف والرغبة من الاختبار.

- الضغط النفسي للاختبار.

- الخوف من الاختبارات الشفوية المفاجئة.

- الصراع النفسي المصاحب للاختبار.

- الاضطرابات النفسية والجسمية المصاحبة للاختبار.

4: تفسير قلق الامتحان من وجهات النظر المختلفة في علم النفس التربوي:

- **تفسير قلق الامتحان من وجهة النظر المعرفية:** لقد حاولت كثير من النظريات الحديثة تفسير الإنجاز السيئ المرتبط بالقلق العالي للامتحان ورأت أن التأثير النسبي للقلق في الموقف الاختباري هو دخول عوامل أخرى، حيث ينتج القلق العالي من استجابات غير مرتبطة بالمهام المطلوبة، مثل عدم التركيز، أو الاستجابات المركزة حول الذات التي تتنافس وتتداخل مع الاستجابات الضرورية المرتبطة بالمهام الأساسية ذاتها، والتي هي ضرورة للإنجاز الجيد في الموقف الاختباري، ولعل هذا يتماشى مع وجهة نظر واين Wine حيث يري أن الأفراد ذوي القلق العالي للامتحان يوزعون انتباههم على الأمور المرتبطة بالمهمة والأمور المرتبطة بالذات، في حين أن أفراد ذوي القلق المنخفض للامتحان غالباً ما يركزون على الأمور المرتبطة بالمهام المطلوبة فقط بدرجة أكبر.

أما كولر وهولاهان Culler & Holahan فقد درسوا القدرة العقلية وعادات الدراسة في الإنجاز الأكاديمي وقد وجد الباحثان أن لدي الطلبة أصحاب القلق العالي في الامتحان قدرات منخفضة وعادات دراسية سيئة وعلي هذا فإن جزءاً علي الأقل من الإنجاز الأكاديمي السيئ لهؤلاء الطلبة ربما يعود إلي معرفة أقل بالمواد الدراسية.

- **تفسير قلق الامتحان من وجهة نظر معالجة المعلومات:** قدم بنجمن وزملانه نموذج معالجة المعلومات والذي يزودنا بمفاهيم مفيدة في تحليل موقف الامتحان ووفقاً لهذا النموذج يعود قصور الطلبة ذوي القلق العالي للامتحان إلي مشكلات في تعلم المعلومات أو تنظيمها، أو مراجعتها قبل الامتحان، أو استدعائها في موقف الامتحان ذاته، أي أنهم يرجعون الانخفاض في التحصيل عند الطلبة ذوي القلق العالي في موقف الامتحان إلي قصور في عمليات الترميز أو تنظيم المعلومات و استدعائها في موقف الامتحان.

- **تفسير قلق الامتحان من وجهة النظر السلوكية:** يري السلوكيون أن الأفراد يستخدمون استراتيجيات تكيفيه منها ايجابية ومنها سلبية لدي تفاعلهم مع الأوساط المحيطة بهم وما تفرضه عليهم من ضغوط ومشكلات، وقلق الامتحان إستراتيجية سلبية تتمثل في الانسحاب النفسي والجسدي من الوضع المثير تتبدي في أنماط سلوكية متنوعة مثل التعرف وزيادة إفراز الادريالين والبكاء وعدم القدرة علي مسك القلم والكتابة والتشنج (عصفور، 54: 1994)

5: أعراض ومظاهر قلق الامتحان:

يعد قلق الامتحان من نوع قلق الحالة تمييزاً له عن قلق السمة ومن الأعراض التي تنتاب الفرد أثناء تعرضه لقلق الامتحان ما يلي:

1. التوتر والأرق وفقدان الشهية، وتسلب بعض الأفكار الو سواسية قبيل وأثناء لياالي الامتحان.
2. كثرة التفكير في الامتحانات والانشغال قبل وأثناء الامتحان في النتائج المترتبة عليها
3. تسارع خفقان القلب مع جفاف الحلق والشفيتين وسرعة التنفس وتصبب العرق، وألم البطن والغشيان.
4. الشعور بالضيق النفسي الشديد قبل وأثناء تأدية الامتحان (الضامن، 221: 2003).
5. الخوف والرغبة من الامتحان والتوتر قبل الامتحان.
6. اضطراب العمليات العقلية كالانتباه والتركيز والتفكير.
7. الارتباك والتوتر ونقص الاستقرار والأرق ونقص الثقة بالنفس.
8. تشتت الانتباه وضعف القدرة علي التركيز واستدعاء المعلومات أثناء أداء الامتحان.
9. الرعب الانفعالي الذي يشعر فيه الطالب بأن عقله صفحة بيضاء، وأنه نسي ما ذاكر بمجرد الإطلاع علي ورقة أسئلة الامتحان

10. وجود تداخل معرفي، يتمثل في أفكار سلبية غير مناسبة عن الامتحانات، ونقص إمكانية المعالجة المعرفية للمعلومات (زهران، 100 : 2000).

وهذه الأعراض والسلوكيات الفسيولوجية والانفعالية والعقلية تربك الطالب وتعيقه عن المهام الضرورية للأداء الجيد في الامتحان لكونها مرتبطة بوسيلة التقييم. وقد تكون معززة من قبل الأسرة والمدرسة باعتبار أن نتيجة الامتحان ستؤدي إلى مواقف مصيرية في مستقبل الطالب.

6: أسباب قلق الامتحان:

يري المهتمون في مجال الصحة النفسية والأخصائيون في المجال التربوي أن قلق الامتحان يعزي إلي العديد من الأسباب لعل من أبرزها التالي:

1. نقص المعرفة بالموضوعات الدراسية.
2. نقص الرغبة في النجاح والتفوق.
3. وجود مشكلات في تعلم المعلومات أو تنظيمها أو مراجعتها قبل الامتحان، أو استدعائها في موقف الامتحان ذاته.
4. ارتباط الامتحان بخبرة الفشل في حياة الطالب، وتكرار مرات الفشل.
5. قصور في الاستعداد للامتحان كما يجب، وقصور في مهارات اخذ الامتحان.
6. التمرکز حول الذات، ونقص الثقة بالنفس.
7. الاتجاهات السالبة لدي الطلاب والمعلمين والوالدين نحو الامتحانات.
8. صعوبة الامتحانات والشعور بان المستقبل يتوقف علي الامتحانات.
9. الضغوط البيئية، وخاصة الأسرية، لتحقيق مستوى طموح لا يتناسب مع قدرات الطالب.
10. الضغوط المباشرة، حين يتعرض الطالب للتهديد أو يواجه الفشل.
11. محاولة إرضاء الوالدين والمعلمين والمنافسة مع الرفاق.
12. اكتساب قلق الامتحان حين يقرن بمثيرات منفرة مثل التقييم الاجتماعي السالب، والمصاحبات الفسيولوجية غير السارة.
13. العجز المتعلم وتوقع الفشل ونقص السيطرة (زهران، 99 : 2000).

وتشير بعض الدراسات التي أجريت حول أسباب الخوف من الامتحانات إلي ما يلي:

1. الخوف من المستقبل المجهول نتيجة الرسوب أو عدم الحصول علي المعدل.
2. الضعف في المواد الدراسية.
3. الخوف من الفشل و الخوف من الأهل وكلام الآخرين.
4. الخوف من صعوبة أسئلة الامتحان ونوعيتها.
5. الخوف من قاعة الامتحان والمراقبين وعدم وجود وقت كاف للاستعداد للامتحان.
6. الخوف من نسيان المعلومات في أثناء تأدية الامتحان.
7. الخوف من أهمية الامتحان ومن الهالة التي تحاط به.

مصادر قلق الامتحان.

يشير التربويون في هذا المجال أن لقلق الامتحان مصادر متعددة منها ما يلي :

1. طموحات وتوقعات واهتمامات بالأسرة.
2. استعداد الطالب نفسه.
3. المعلم وطرائق التدريس.
4. طرائق التقويم المتبعة والظروف المحيطة بالامتحانات.
5. عادات الدراسة الجيدة (الطيب ، 98 : 1996).

7: الإجراءات العملية التعليمية الإرشادية لخفض قلق الامتحان: يقترح بعض الأخصائيين النفسيين أنه هنالك بعض

الإجراءات العملية التوجيهية والإرشادية

لتخفيض قلق الامتحان وسوف يستعرض الباحث أهم الإجراءات وهي كالتالي:

- تطوير قدرة الفرد علي الفهم وحل المشكلات:
- إن فهم الذات والآخرين والأشياء يقدم وقاية ممتازة من القلق.
- معرفة الفرد بالعلاقات السببية بين الحوادث.
- فهم الذات الجسمية تحمي من القلق حول وظائف الجسم.
- التدرب علي اتخاذ القرارات وحل المشكلات والتعامل مع المشكلات فالتعامل مع التوتر هو نوع من المشكلات.

- التدرب علي كيفية طرح البدائل للمشكلة الواحدة مثال:

* ماذا تفعل لو أنك لم تتمكن من فهم أسئلة الامتحان.

* ماذا تتصرف لو أن صديقاً طلب منك عدم تقديم الامتحان.

- التدرب علي مواجهة المشاكل أفضل مضاد للقلق، فالمواجهة أفضل من الهروب.

- مساعدة الفرد علي الشعور بالأمن والثقة بالذات (أسلوب توكيد الذات).

- تقديم المثيرات التي تؤدي للقلق والخوف بشكل تدريجي.

- تقوية الثقة بالذات علي نحو تدريجي من خلال خبرات النجاح (زهران، 230 : 2000).

- التدرب علي الاسترخاء:

- إن القلق والاسترخاء لا يمكن أن يحدثا معاً (وهذا ما يسمى بمبدأ البديل المتناظر).

- التدرب علي التنفس بعمق وعلي إرخاء العضلات والشعور بالاسترخاء.

- هناك أساليب كثيرة للتدرب علي الاسترخاء لكل مجموعة من مجموعات العضلات في الجسم.

- يمكن أن يسبق الاسترخاء بخطوة تطلب فيها من الفرد أن يتخيل موقفاً مثيراً للقلق وبعد ذلك يقوم

بالاسترخاء الذي تعمل كمضاد لاستجابة القلق.

- من المفيد إعداد قائمة بالمواقف المثيرة للقلق المراد تخيلها في أثناء الاسترخاء.

- الحديث الإيجابي مع الذات:

- تشجيع الأفراد علي أن يتوقفوا عن استخدام التعليقات السلبية للقلق عندما يتحدثون مع أنفسهم.

- تشجيع استخدام عبارات ايجابية في الحديث مع الذات مثل (صحيح إنني منزعج ولكن الأمور سوف

تسير علي ما يرام، لا يوجد إنسان كامل، أن تعمل وتبذل جهداً أسهل من أن تقلق).أو يمكن استخدامه

وحده أو مع الاسترخاء (رضوان، 250 : 2002).

- تقليل الحساسية التدريجي: (Desensitization)

وهذه التقنية تستند إلى الفرضية التالية: بالإمكان محو استجابة انفعالية غير مرغوب فيها (كالخوف أو القلق) من خلال إحداث استجابة مضادة لها، فالاستجابات المتناقضة لا يمكن أن تحدث في آن واحد وهذا ما يطلق عليه بالكف المتبادل، فالفرد لا يستطيع أن يشعر بالخوف أو القلق وهو في حالة استرخاء تام، إذ أن الاسترخاء يكبح هذه الاستجابات الانفعالية وتشتمل هذه التقنية على ثلاث مراحل أساسية (أو خطوات): 1. إعداد هرم القلق لدي المسترشد: حيث يتخيل المسترشد المواقف التي تبعث على القلق لديه وهو في حالة الاسترخاء التام ويتم ترتيب المواقف بالتسلسل بدءاً بأقلها إثارة وانتهاء بأشدّها إثارة.

2. الاسترخاء وتدريب المسترشد عليه.

3. إقران المثيرات التي تبعث على القلق لدي المسترشد بالاستجابة البديلة للقلق (أي الاسترخاء) أي أن المسترشد يتخيل المواقف تدريجياً بدءاً بأقلها إثارة وانتهاء بأكثرها إثارة وهو في حالة الاسترخاء.

- تقديم المساعدة في الدراسة:

* مراجعة المقرر والأعمال المنزلية قبل الامتحان بأيام.

* تطوير مهارات الدراسة الفاعلة ومهارات الاستعداد للامتحان.

* تقديم أدلة للدراسة تركز انتباه الطلبة على الجوانب المفتاحية (الضامن، 228 : 2003).

- تشجيع التعبير عن الانفعالات: (التفريغ الانفعالي)

* إن تعبير الشخص عن انفعالاته يعمل كمضاد لحالات القلق.

* من خلال اللعب وتمثيل الأدوار والسيكو دراما يمكن أن تحدث عمليات تفريغ انفعالي.

* إن رواية القصص طريقة فعالة للتعبير عن المشاعر.

- تحسين عادات الدراسة السيئة:

* تحميل الطلبة المسؤولية والاعتماد على النفس.

* تدريب الطلبة على إدارة وقت التعلم وتنظيمه وعدم التأجيل.

* تشجيع الطلبة على التساؤل والبحث والاستكشاف.

* تشجيع الطلبة على الاختبار والتقويم الذاتي المستمرين (الضامن، 229 : 2003).

- التدريب على مهارات الامتحان:

الامتحان موقف تعليمي لا بد من الاهتمام به وإتباع أساليب فعالة عند المذاكرة له من أجل الحصول على مستوى مناسب من التحصيل والنجاح و التفوق، ومن هذا المنطلق يري المختصين في هذا المجال أنه لا بد من اكتساب بعض المهارات وهي المهارات اللازمة لكل طالب يتقدم إلي الامتحانات وتسمى هذه المهارات (بمهارات الامتحان) ومن هذه المهارات ما يلي:

- المهارة الأولى/ مهارة المراجعة:

مهارة المراجعة من أهم المهارات التي ينبغي أن يكتسبها أي طالب يمر بالامتحانات، لأنه من خلالها يسترجع الكثير من المعلومات والبيانات التي مر بها خلال العام الدراسي ومهارة المراجعة تحتاج إلى التركيز والمتابعة أول بأول ولكي يستطيع الطالب أن يراجع المراجعة الجيدة لا بد أن يسير وفق خطوات معينة من أهمها ما يلي:

- * تدوين أكثر النقاط أهمية في كراسة الملاحظات.
- * مراجعة هذه الملاحظات دورياً والتلخيص قدر المستطاع.
- * المراجعة حسب الجدول الزمني المحدد.
- * تحديد المواد التي تحتاج لمجهود ووقت أكبر في المراجعة ثم البدء بدراستها أولاً.
- * تجنب أسباب التششت الذهني أو ضعف الانتباه أو قلة التركيز أثناء المراجعة.
- * المراجعة المنظمة لجميع المواد المقررة ووضع المادة الصعبة مع مادة أقل صعوبة.
- * استخدام الألوان للتأشير على النقاط المهمة (الداهري، 2005: 220).

- المهارة الثانية / مهارة الاستعداد للامتحان:

- الاستعداد للامتحان من الأمور الهامة وإن كان الطالب متقدماً إلى امتحان مهم ويتوقف مستقبل الإنسان عليه، فلا بد أن يستعد الطالب استعداداً جيداً لهذا الامتحان ومن أهم خطوات الاستعداد للامتحان ما يلي:
- * عدم السهر طويلاً لأن السهر يرهق الجسم ويتعبه ويخرج الإنسان عن التركيز في الدراسة.
 - * الابتعاد عن شرب المنبهات كالشاي والقهوة لأن مثل هذه المنبهات تأخذ من قدرة الطالب وتركيزه واستيعابه.
 - * عدم تناول الأقرص المنبهة، فهذه أمور غير طبيعية تدفع الطالب إلى السهر ومن ثم عدم مقدرة الطالب على المواصلة في الدراسة، لأن ما بني على شيء صناعي هو صناعي وبالتالي تكون المذاكرة مصنوعة.
 - * أخذ قسط وافر من النوم لأن النوم يريح الجسم وكذلك العقل من التفكير وبالتالي يتجدد نشاط الإنسان وتعود إليه حيويته (منشورات جامعة القدس، 1997: 25).

- * المحافظة على وجود حالة من التهيؤ النفسي الطيب للتعامل الجيد والفعال مع موقف الامتحان وكذلك المحافظة على الاتزان الانفعالي والابتعاد عن التوتر والقلق.

- المهارة الثالثة / مهارة أداء الامتحان:

- * الجلوس في المكان المخصص بهدوء وكتابة البيانات الشخصية، وإتباع التعليمات التي تلقيها على الطالب من لجنة سير الامتحان.
- * الكتابة بخط واضح، وتنظيم كراسة الإجابة، والتزام آداب الامتحان.
- * عدم محاولة الغش والمحافظة على الهدوء النفسي التام أثناء أداء الامتحانات.
- * الامتحان يحتاج نوعاً من الاجتهاد والحكمة في التعامل مع ورقة الأسئلة من حيث حسن قراءتها، وحسن اختيار الأسئلة وحسن الإجابة (زهران، 2000: 287).

خاتمة:

من خلال عرضنا لعناصر هذا الفصل، اتضح أن قلق الامتحان يعد من بين المشكلات التي يواجهها تلاميذ المدارس بصفة عامة وتلاميذ السنوات الثالثة ثانوي بصفة خاصة. ويعتبر قلق الامتحان وليد عملية التفاعل بين العوامل الشخصية للفرد، وبين عوامل الموقف الاختباري. وتجتمع هذه العوامل لتدعم المكونات المعرفية التي بدورها تحفز المكونات الانفعالية، وتظهر بعض المظاهر النفسية، كنقص الثقة بالنفس والارتباك والخوف والعصبية الشديدة. وبعض المظاهر الفسيولوجية، كالغثيان والإغماء وتصبب العرق وارتعاش اليدين وكلها وسائل تكيف سلبية يلجأ إليها الفرد لتجنب موقف الامتحان. وبالتالي فهو يمثل ظاهرة سلوكية وعقلية تجمع بين النمطين السلوكي الظاهر والعقلي المستتر، وله جانبين أحدهما إيجابي ومحفز يدفع الفرد إلى تحقيق أداء أفضل، وبهذا فهو يعمل كدافع وظيفته استثارة الاستجابات المناسبة

لموقف الامتحان. والجانب الآخر سلبي يعيق الفرد لبلوغ أهدافه، وبهذا فهو يعمل كمعوق لسلوك الفرد ويثير استجابات غير مناسبة لموقف الامتحان. وعليه تناولنا في هذا

الفصل ، مفهوم القلق بصفة عامة وركزنا على قلق الامتحان بصفة خاصة حيث ذكرنا أنواع قلق الامتحان ، مكوناته ، أعراضه ، أهم نظرياته ، العوامل المساعدة على ظهوره ، وأخيرا الإجراءات العملية التعليمية الإرشادية لخفض قلق الامتحان.

المراجع:

- 1- الداهري، صالح حسن (2005): مبادئ الصحة النفسية، الطبعة الأولى، دار وائل، عمان، الأردن.
- 2- زهران، محمد حامد (2000): الإرشاد النفسي المصغر، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، مصر.
- 3- الضامن، منذر عبد الحميد (2003): الإرشاد النفسي، الطبعة الأولى، مكتبة الفلاح، الكويت.
- 4- الطيب، محمد عبد الظاهر (1996): مشكلات الأبناء، الطبعة الثانية، المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر.
- 5- عبد الخالق، أحمد محمد (1987): قلق الموت، الطبعة الأولى، عالم المعرفة، الكويت.
- 6- عبد الرحيم، بخيت عبد الرحيم (1989): قلق الامتحانات (المفهوم - العلاج - القياس)، الطبعة الأولى، دار النهضة المصرية، القاهرة.
- 7- عصفور، وصفي عصفور (1994): نماذج من الاختبارات والمقاييس، تعيين دراسي (GC.31) عمان - الأردن - معهد التربية ، الاونروا / اليونسكو
- 8- رضوان، سامر جميل (2002): الصحة النفسية، الطبعة الأولى، دار المسيرة، عمان، الأردن.
- 9- رضوان، عبد الكريم سعيد (2002): " القلق لدي مرضي السكر بمحافظة غزة وعلاقته ببعض المتغيرات، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة.
- 10- شعيب، علي محمود (1987): " قلق الاختبار وعلاقته ببعض المتغيرات المرتبطة لطلاب وطالبات الثانوية العامة بمدينة مكة المكرمة"، مجلة دراسات تربوية - القاهرة - المجلد الخامس - العدد التاسع

